تاريخنا وواقعنا المعاصر ١

جلال الدين الصغير

القائد.. القيادة والانقياد في سيرة الإمام أمير المؤمنين

تقديم: الحجة السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

القائد

القيادة والأتقياد

في سيرة أمير المؤمنين(ع).

تـأريخنا وواقعنا المعاصر «١»

جلال الدين الصغير

القائد.. القيادة و الأتقياد في سيـرة الامام أمير المؤمنين(ع)

تقديم الحجة السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

فاتحة الكتاب

يا أيها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم
لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين
المرء وقلبه وانه اليه تحشرون * واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ،
واعلموا أن الله شديد العقاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الحجّة السيد محمّد بحر العلوم

لم أجد شخصية منذ فجر الاسلام ، وحتى هذا اليوم ، كتب عنها وبحث فيها كشخصية الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابتداء من شروح كتابه نهج البلاغة الى الموسوعات الضخمة ، والكتب العديدة التي وضعت عنه في شتى مجالات حياته ، عن تحليل شخصيته ، وبيان فضله ، ولا زالت المؤلفات ـ رغم الزخم الصادر في هذا الموضوع ـ تصدر عن هذه الشخصية الفذة ، وهي تحمل في طياتها جدة البحث ، وثروة النتاج ، ووفرة المادة معيناً لا ينضب وشروقاً لا يخمد ، وامتداداً واسعاً في الأفق ، كلما أوغل الكاتب في عمق بحث كهذا ، لم يك قد وصل بعد إلا إلى أوائل الكنز الرائع من جوانب حياة هذا الامام الذي قال عنه الرسول الاعظم (ص): « يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا » .

وحين يحاول الكاتب ـ أي كاتب ـ أن يقتحم الميدان ، ليكتب عن أبي الحسن (ع) يقف حائراً عن أي جانب من جوانبه يتناول ، فهي كثيرة ، وواسعة ، وممتدة إلى رسول الله (ص) . . . إلى السماء . . . إلى ذلك العالم الغيبي الذي لم يكتشف بعد ولا يمكن لاي أن يغور في أعماقه ، نظراً لكونه من الخصائص التي تبقى حقيقته لا يعرفها إلا

خالقها ، ومن تربى في حجره ، وتغذى بعلمه ، وشب على هديه ، ذلك محمد بن عبد الله رسول الله وصفيه ، وخيرة خلقه (ص) .

ولعل القارىء وهو يترسم معالم هذه السطور يرتد في البداية عنها وهو يتوجس أن يلج معي ـ كما يتصور ـ باب المبالغة والغلو ، وأنا لا أريد أن أصل به إلى هذا الخط الفاصل بين الايمان واللاايمان ، بين الواقع واللاواقع ، إذ لا أرضى لنفسي فضلاً عن غيري أن يلتحق بهذه العاقبة ، وأكون من أحد الاثنين اللذين نهى عنهما الرسول الكريم (ص) :

« يا علي بهلك فيك اثنان محب غال ، ومبغض قال . . . » .

أن المهمة اكبر من هذه بكثير . . . .

حين نحاول أن نتلمس معالم الامام علي عليه السلام ، فان غرضنا من ذلك أن نجعل ركيزة مسيرتنا العلمية هي افكاره العالية ، ونترسم خطاه في ايمانه واخلاصه لمبادئه الرفيعة ، ونتأخذ من انسانيته الفذة دروساً وعبر في حياتنا المرهقة ، ثم في كل جانب من جوانب حياته الزاخرة بما يتفجر طاقة فاعلة نحو تقويم ذاتيتنا لنكون مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ **خير أمة اخرجت للناس** ﴾ .

وعندما يكون القائد مثلاً في الكمال ، لا بد للتابع أن يكون مثلاً له في سلوكه ، وتعامله الانساني ، وأن علي بن أبي طالب (ع) حين يكون من رسول الله (ص) ربيبه ، وصفيه ، وحبيبه ، فإن علينا أن لا نستغرب أو نبدي دهشة حين نسمع من « **لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** » وهو يقول في حقه :

« أن علياً مع القرآن ، والقرآن مع علي . . . . » .

و : « الحق مع علي يدور معه حيثما دار » .

وكثير . . كثير مما قد لا يتمكن العقل من تصوره في بداية الامر ، لكنه عندما يمعن النظر ، ويفكر ملياً . . يجد أن رسول الله (ص) الذي يعتبر مثل الكمالات النفسية ، وعنوان الصفات الانسانية الرفيعة ، يجعل علياً منه (ص) مثل النور من الشمس ، لا يمكن فصلهما ، ولا يمكن تصور تبعيضهما ، ولا يعتقد انهما حقيقتان ، مختلفتان ، إنما هي الاولوية في الوجود ، وانعكاس الصورة الظلية للآخرين ، إلى الدرجة التي تجعله (ص) يقول عنه :

« علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . . »

و : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

و : « يا علي من احبك فقد احبني ، ومن احبني فقد أحب الله » . . .

ومن هنا نرى أن الكثير ممن يقف على قارعة الطريق ، وهو يحاول أن يتملى عظمة البيت السامق ، يبهر في شموخه ، فيتيه في صفاته ، وقد ينزلق علواً أو انحداراً ، إذ أن أي خروج عن اطار روعة الوصف الواقعي الى الغلو أو التقليل تنتهي الى عاقبة وخيمة . . .

لا نريد هذا ، ولا نرغب بذلك . . . نريد الواصف واقعياً في وصفه من منظور انساني صادق ، لا تسيطر عليه العاطفة ، ولا تدفع به الاهواء خلواً من هذين ، ليستبان فيما يقول الحقيقة ، ويستشف من خلال السطور واقع الحال .

فهذا الزمن لا يتحمل المغامرات الكتابية ، ولا يقبل السطور البهلوانية . فما يريده ابناء هذا العصر بحثاً موضوعياً هادفاً له صلته

بالمجتمع المرهق المعاش ، والساعة الراهنة الجوالة ، والانسان الممتحن في كل دقيقة ، بل في كل لحظة ، وهو في خضم هذا كله ـ كما يقول المثل ـ بين الحق والباطل مقدار شعرة ان مال هوى ووقع ، وإن ثبت استقام وسعد . . . وفي سبيل ذلك تراه يبحث . . . ويبحث ، ويرهق نفسه في التحقيق ، ويجد ويجتهد للوصول للغاية ، وهو بهذا السبيل سالك طريق الصواب ، واذا لم يصل بعد ، فلا بد له من الوصول ان اليوم أو الغد ، ولكل منهما ميزاته وأهميته وصفاته .

من هذا المنطلق ، وعلى هذا الضوء جاء كتاب [**القيادة والانقياد في سيرة الامام أمير المؤمنين (ع)**] لكاتبه العلامة الجليل الاستاذ الشيخ جلال الدين الصغير .

وحين تصفحت الكتاب وقرأته ملياً لاخرج منه بما يقيمه رأيته يضم مميزات رائعة نحن بحاجة لها في هذا الظرف العصيب ، اهمها :

أولا : أننا نعيش خضم ثورة اسلامية اشرق زخمها في جزء من الوطن الاسلامي الكبير ، وننتظر أن تعم في القريب العاجل كل الساحة الاسلامية ، وحيث أننا بحاجة إلى دستور قويم يتكفل لنا بحفظ سلامة المسيرة ، فان سيرة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير ما يضمن لنا هذا الامر . وقد حاول الاخ الكاتب في بحثه القاء الضوء على تعريف القيادة الفاعلة للامة ، ومدى أهميتها في انجاح مسيرتها التأريخية والمصالية .

ثانيا : أنه اعتمد في عرضه لقيم ومعايير القيادة والانقياد في تجربة الامام علي أسلوب التحليل الموضوعي في دراسته لهذه المهمة الخطيرة ، التي تكشف واقع التجربة ، وأثرها على حركة المجتمع الاسلامي في خصوص الظرف الراهن ، وما يزخر به من الافكار والتيارات والعصبيات المضادة للتحرك الاسلامي المعاصر . . .

ثالثاً : كما أنه واجه عبئاً كبيراً في خصوص أقوال المحبين والمعادين في التأريخ بحق هذه الشخصية في التمحيص والبحث والكشف عن الثغرات الدقيقة الراسبة هنا وهناك من ثنايا المجلدات الضخام والتي تبرز معالم القضايا الحدية ذات المثار العقائدي ، لتلعب مسار الطائفية فيها تبعاً لاهواء الحاكمين والطغاة ، والخانعين من عهود الجور والضلال والمرتزقة من ذوي النفوس الضعيفة الذين لا هم لهم إلا الركض وراء الباطل في سبيل مصالحهم الدنيوية ومنافعهم الشخصية .

وكان على الاخ الكاتب أن يجتاز هذه الدقائق الخطيرة بكل حذر ، كي لا ينعكس أثر من تلكم الآثار السلبية على هذه الدراسة التحليلية ، وحين قرأت الكتاب قراءة ناقد باحث، وجدته متمكناً من تجاوز الثغرات والموانع المبثوثة في طريق الكتاب والباحثين .

فلم ينغمس في تيار العاطفة بما ينتهي به الى الخروج على البحث العلمي ، كما لم يجازف بالنتائج دون أن يدعمها بالاسناد المثبت من الكتاب أو السنة ، من طرقها السليمة .

إن مثل هذا البحث الفكري عن تجربة الامام الفريدة له أهمية كبيرة في مسيرتنا المعاصرة ، نظراً لارتباطنا العقائدي به ، ولانه قائد الاسلام العظيم ، وموضح منهاجه الخالد وموجه المسلمين لما فيه الصواب ، ولذا فقد جاء الكتاب موفقاً في حسن الاختيار وروعة العرض ، وثقة الاسناد وجرأة التحليل .

بعد هذا . . . . .

تغمرني المسرة ، وأنا أنور عيني بهذا الجهد الرائع من كاتب لا أبالغ ان ادعيت اعتزازي بقلمه وأدبه وفضله ، وكنت أمني نفسي أن أرى شبلا لاخ كريم قطعت معه شوطاً كبيراً من الحياة نعمل في العراق في

مضمار واحد وخندق واحد ، وفكر واحد ، ذلك هو والده المغفور له الاخ حجة الاسلام والمسلمين المجاهد الشيخ علي الصغير ، العالم والشاعر والشخصية الاجتماعية القديرة . . . ولذا فحين أرى هذا النتاج الزاخر من الاخ العلامة الاستاذ الشيخ جلال الدين الصغير فإني اقدمه للقراء الكرام بكل اعتزاز وسعادة ، مقتنعاً أن أسلوبه الرصين ، وتحليله الدقيق ، وبحثه الجديد ، سوف يشد القارىء العزيز الى متابعة هذا الكتاب من ألفه إلى يائه ، وسوف يلمس معي صدق ما قلت عنه ، واني لست مبالغاً ، ولا مجاملاً في قولي إن في هذا الكتاب بحثاً جديداً جديراً بالاهتمام والقراءة والتتبع ، والله سبحانه من وراء القصد . . .

١٣/ رمضان المبارك / ١٤٠٦هـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لنوره ، وبصرنا بنهجه ، وعرفنا سبيله ، فجعلنا مهتدين بالاسلام ، ومتبعين للقرآن ، ثم الصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين حبيب إلهِ العالمين ، سيدنا ونبينا الهادي الامين أبي القاسم محمد المصطفى ، وعلى الهداة الميامين المنتجبين من آله الطيبين الطاهرين وأصحابهم التابعين لهم باحسان .

وبعد :

التاريخ بالنسبة لأي أمة هو عنصر أساسي من عناصر شخصيتها . كما انه ركن جوهري من أركان أصالتها . ولهذا فإن التأريخ بالنسبة لنا كأمة اسلامية ذو موقعية مهمة وحساسة للغاية ، وذلك وفقاً لما ترتئيه الاطروحة الاسلامية بخصوص التاريخ وتفسير حركته .

ولئن تشعبت آراء المدارس الوضعية حول طبيعة التأريخ وكيفية حركته ، الى الدرجة التي باتت آراؤها تمتد من أقصى اليمين الى اقصى اليسار ، حيث نجد أن منها من يرى التأريخ صورة قاتمة لا شيء فيها سوى الظلام فيعمد إلى الغاء التأريخ ومصادرته ومنها من يرى في التاريخ الصورة المشرقة التي يجب أن تعبد

وتقلد ـ كما يلحظ في مطارحات ميكافيللي The Discourses of Machiavelli ومنها ما بين هذا وذاك، ولهذا جاءت آراؤها في تفسير حركته متباينة جداً . فقسم منها كان يرى أن حركته مستقيمة لا رجعة فيها ـ كما هو الحال لدى المدارس الفلسفية المتأثرة بالداروينية الاجتماعية ـ Social Darwinism ـ فيما نرى قسماً آخر يجعل هذه الحركة دائرية ـ كما يلحظ ذلك لدى توينبي Toynbee وثالث يجعل حركة التأريخ حركة شرطية ـ كما يلحظ لدى ليبنتز ـ G.Leibniz ـ وهكذا الى آخر ما في جعبة هذه المدارس من آراء متناقضة وافكار متباينة . وهي في كل ذلك تنكبت طريقاً غير ذلك الطريق الذي يتعامل مع التاريخ بموضوعية وشمولية ، ويسعى لتسخير ما يمكن تسخيره من دروس وعبر في التأريخ في حركة الحاضر(*).

أقول لئن تشعبت وتباينت تلك الآراء فان المدرسة الاسلامية جاءت وحدها بأطروحة شاملة لتفسير التاريخ شأنها في ذلك شأن سائر الاطروحات الاسلامية في بقية المجالات . وهي اطروحة قائمة على أساس حقيقتين :

أولهما : أن التاريخ يعتبر أحد المصادر الاساسية والمنابع الجوهرية لترشيد حركة الحاضر وتكاملها .

ثانيهما : أن من الخطأ بمكان الغاء الماضي ومصادرته ، كما أن من الجهل بمكان أن يقدس الماضي الى الدرجة التي تجعله المثل الاعلى . بل إننا اذا ما أدركنا أن الماضي يحتوي على الغث والسمين ، وأن حركة المجتمع تسير بخطى تكاملية ، فإن من المطلوب أن تأتي حركة الحاضر وهي مبتدئة من التأريخ المشرق ، لها في الماضي . فيما تجعل من النقاط

(*) نأمل من الله أن نبحث هذه الموضوعات وغيرها في ـ كتابنا ـ قيد التحقيق (المذهب الاجتماعي في الاسلام)

السوداء والمظلمة شواخص انحطاط وعوامل ضعف تحذر من التقرب منها .

ولعل في محتوى أو مضمون الآيات الكريمة ما يشير الى هاتين الحقيقتين :

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها﴾(١)

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . . ﴾(٢) .

وما دام الامر كذلك فإن أول سؤال سيواجهنا يتعلق بالمدى الذي تحرص عليه الحركة الاسلامية المعاصرة في استيعاب التأريخ الاسلامي والاستفادة من دروسه وتجاربه .

إن مما هو مفروغ عنه ، أن أمتنا الإسلامية تعاني من تخلف كبير أو لنقل بأنه تخلف لا يمكن الاستهانة به مطلقاً ازاء فهم التأريخ فضلاً عن تكريس دروسه في حركتها الحاضرة . ومما لا شك فيه أن هذا لا يبرره واقع التاريخ المكتوب والمتوفر لدينا انما هو تأريخ املته وسائل الدعاية التي كان يمتلكها هذا الحاكم أو ذاك سواء أكانت هذه الوسائل منبثقة من عوامل الترغيب والترهيب المباشرة ، أو التي تفرضها عوامل الارهاب والقمع بشكل غير مباشر فحسب ، بل أن هناك العديد من العوامل الأخرى التي ساهمت هي الاخرى في لعب دور مهم في ابقاء قطاعات كبيرة من

(١) سورة محمد/الآية : ١٠ .

(٢) سورة آل عمران/ الآية : ١٣٧ .

الامة على تخلفها ازاء هذه المسألة . ولعل من أولى هذه العوامل ، عدم الاهتمام بكتابة التأريخ بشكل أمين ومنصف من قبل الكتاب الاسلاميين . وهذا هو الآخر قائم على أساس عوامل عديدة . منها الاوضاع الطائفية ومنها الآثار السلبية التي ستتخلف من جراء عمل كهذا سواء تلك التي تنمخض من الوعي الاجتماعي المتخلف ، أو من الاوضاع السياسية المتسلطة .

اضافة الى الصعوبة التي تنطوي على كتابة اي بحث تأريخي ، وسط هذا الركام العظيم من الاكاذيب والاباطيل التي تحفل بها كتب التأريخ .

ان هناك اكثر من ضرورة تحتم على الاسلاميين أن يولوا دراسة التأريخ أهمية قصوى . فمن جهة هناك امتنا التي تعيش حاجة ماسة لكي تتعرف على واحد من أهم مصادر انطلاقها نحو اهدافها الحقيقية وآمالها المنشودة .

ومن جهة أخرى فانه اذا كان بديهياً أن تمارس مع الجماهير تعبئة سياسية ناجحة لاجل رفعها الى مستوى التحرك والتصدي فانه لا غرو من أن تحتل مسألة تنبيه الامة على خزينها التأريخي العظيم موقعية متميزة في أية تعبئة سياسية للجماهير .

ومن جهة ثالثة فان التحرك الاسلامي المعاصر يجب أن يكون مفهوماً انه ليس وليد الساعة والظروف المعاصرة ، بل انما هو امتداد لتحرك اجيال سابقة تتوقف برهة عند الرسول الاكرم (ص) ثم لتتابع سيرها نحو اعماق التأريخ حيث التحرك الذي أجراه الرسل والانبياء (ع) انتهاء بجذورها المتمثلة بتحرك آدم (ع) وأفق كهذا لربما يكفي لان يشعر الاسلاميون بحاجة مهمة للتعرف على ما بحصيلة تجربة تحركهم من دروس وعبر ، كي يضعوها مشاعل نور في طريق عملهم وجهادهم من

أجل اقامة حكومة العدل الالهي في الساحات الاسلامية المختلفة ، خصوصاً ان هذه التجربة تعتبر من أغنى التجارب الحركية والثورية واكثرها حيوية عبر صفحات التاريخ .

هذا اضافة الى ما يفرضه الظرف الموضوعي الذي يمر به التحرك الاسلامي الآني ، حيث الصعوبات الجمة والعراقيل العديدة التي تجعل من أمر الوقت عاملاً استراتيجياً لا يمكن التهاون به . ومعلوم أن أي انفصال بين التحرك المعاصر وبين التجربة التأريخية يعتبر انتحاراً محتوماً في معركة يحاول فيها الطرف المقابل من قوى الاستكبار والطغيان العالمي الاستفادة من جميع التجارب الطاغوتية على مد الدهر .

ومن جهة رابعة وهي جهة جوهرية وحساسة ، أن السنة الشريفة المشتملة على قول ، وفعل ، وتقرير المعصوم (ص) تعتبر ثاني ادلة استنباط الحكم الشرعي واحراز دليله . واذا ما كان التزام العاملين بل جميع المسلمين بالاحكام الشرعية تعتبر مسألة مصيرية ، فان هذا الامر لا بد أن يعكس اهتماماً خاصاً لدى الاسلاميين بتاريخهم الرسالي خصوصاً ان فعل وتقرير المعصوم (ص) في المسائل الاكثر حساسية كمسائل الثورة والتحرك والتصدي وغيرها لا يمكن ملاحظتها بدقة الا من خلال فهم واعٍ لهذا التاريخ .

على أن المعصوم (ص) اذا كان في فعله يترجم القرآن الكريم الى عمل فان جزءاً من هذا التاريخ سيغدو تفسيراً اصيلاً للقرآن الكريم في وقت تعاني فئات عديدة من الامة من مسألة اختلاف المفسرين في تأويل آياته .

وما يبقى جديراً بالذكر هنا أن الجهة الخامسة تتعلق بمسألة مصيرية يعيشها المسلمون حالياً . فعليها يتوقف مصير عزتهم أو انحطاطهم واعني بذلك مسألة الوحدة الاسلامية، حيث أنه من المعلوم أن العديد من

الاحداث التأريخية قد لعبت دوراً حساساً للغاية في ابعاد الاواصر بين المسلمين وزيادة الشقة فيما بينهم . ولئن كان من الصعب وقتها اتخاذ الموقف السليم من هذه الاحداث، فان دراسة تاريخية هادئة ومنصفة ، وقراءة واعية وعقلانية لهذا التأريخ من شأنها ان تسدي خدمات جليلة جداً على صعيد الوحدة الاسلامية التي بات المسلمون اليوم يحسون بضرورتها اكثر من أي وقت مضى .

هذا اضافة الى عوامل وجهات أخرى لا يسع المجال لذكرها واستعراضها ضمن هذه العجالة .

* * *

ان هذا الاستعراض السريع سيقودنا بداهة الى البحث عن كيفية دراسة التأريخ وسط جملة هائلة من الصعوبات والمعوقات .

وعن كيفية الاستفادة من الحدث التاريخي بشكل يمكن من خلاله توظيف هذا الحدث في خدمة التحرك الاسلامي المعاصر .

ولا بأس هنا من ايضاح موجز لذلك على الرغم من أن مهمة البحث لا علاقة لها بذلك غير اننا ما دمنا في صدد التقديم للحلقة الاولى من حلقات هذه السلسلة ـ التي أرجو من الله أن يمنحني قوة وتوفيقاً لاتمامها ـ فلا ضير من هذا الموجز .

ومن أجل إيضاح هذا الامر يجدر بنا أن نشير أولاً إلى أن هناك ثلاثة مناهج في قراءة التأريخ :

أولها : منهج يعتمد الاسلوب التدويني الروائي القائم على أساس ذكر الحدث من دون التعرض لحيثياته أو ظروفه أو محاولة ربطه بالحركة العامة التي كانت تسري في زمانه .

وثانيها : منهج يجمع بين التدوين والتحليل الا انه مشتت

المواضيع ، أي أنه لا يستقل بموضوع واحد ليوفيه حقه بل يتناول عدة مواضيع في ان واحد ، كما هو الحال في بعض كتب السيرة المعاصرة .

وثالثها : منهج يعتمد التحليل اكثر من التدوين الروائي فيعمد الى تفسير الحدث وتبريره ويحاول أن يعثر على حيثياته الحقيقية ، ويعرف بهوية عناصر الحدث ومن ثم يربطه بالاحداث العامة .

ونحن في قراءتنا للتاريخ لا بد أن نعتمد الاسلوب الثالث خصوصاً ان المكتبة التأريخية ، أو الذهنية التأريخية العامة قد وصلت الى حد يقترب من الكفاية ازاء الاسلوبين الاول والثاني ، فيما ظل الاسلوب الثالث يعاني من نقص حاد في كثير من جوانبه . على أن ذلك يجب أن يتسم بعدم تطويع الاحداث بشكل قسري لتأتي متلائمة مع الافكار التي يقتنع بها الكاتب مسبقاً .

ان اعتمادنا للاسلوب الثالث يجب أن يحدد اتجاهه وتتضح معالمه . ولهذا الغرض لا بد من الاشارة الى خطأ العديد من المؤرخين الذين يعتمدون اسلوب العامل الواحد في دراسة الحدث التأريخي . وهذا الخطأ واضح لوضوح خطأ نظريات العامل الواحد . وعليه فان الدراسة التحليلية يجب ان تأخذ بنظر الاعتبار جميع العوامل الاساسية (على الاقل) التي ساهمت في صنع الحدث وساعدت على بلورته واخراجه في صورته النهائية . الامر الذي يتطلب من الباحث جهداً كبيراً وسعياً متواصلاً . وهو مما لا شك فيه جهد مطلوب لان تفسير هذا الحدث بشكل غير دقيق او انحيازي ، انما هو انحياز ضد تعرف الامة على شخصيتها الحقيقية ولواقع مخزونها الحركي ، وبالتالي فهو خيانة لها .

* * *

ولعل من أهم الصعوبات التي ستواجه هذا المنهج هي تلك الكمية الهائلة من المعلومات المزيفة التي تفاعلت والعديد من العوامل السياسية

والمذهبية على تزريقها في هيكل التراث والتأريخ الاسلامي . [1] ..

(١) من أجل أن يطلع القاريء الكريم على جانب من جوانب هذا التزييف الذي علا تأريخنا الاسلامي حتى اختلطت فيه الاخبار الصحيحة مع الاخبار المزيفة الى درجة غدا فيها التسليم بالاخبار الصحيحة صعباً وعسيراً للغاية ، نستعرض هنا جانباً من الظواهر والاسباب التي أدت الى كل ذلك .

عن جانب من هذا التزييف قال الاستاذ المحقق عبد الفتاح عبد المقصود وهو يستعرض ما نقله الطبري في خصوص موقف الامام علي (ع) من مسألة بيعة السقيفة ما نصه :

أما ابن ابي طالب فينقل الينا الطبري مرة أنه وآل بيته امتنعوا عن البيعة لابي بكر زمناً امتد الى ما بين عشرة أيام وبين ستة شهور وينقل مرة اخرى ، انه اكره على هذه البيعة ، أو أريد اكراهه عليها .

وينقل ثالثة ، أنه سارع بالبيعة ، لم يتلبث ثم ينتهي الى القول متسائلاً : فمن لنا بالتوفيق ، أو تضييق الهوة ـ بين هذه الروايات وشبيهاتها وانها لاضداد ؟ .

انظر : السقيفة والخلاف ص ١٣ الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود . مكتبه غريب القاهرة ووكالة المطبوعات (الكويت) .

ولعل واحداً من الاسباب المهمة التي جعلت الطبري (وهو من أبرز مؤرخي التأريخ الاسلامي) يقع في هذا التخبط وفي هذه الفترة ـ وهي الفترة الاولى من صدر الاسلام هو اعتماده على سيف بن عمر التميمي الذي قال فيه اكابر علماء التراجم والرجال من المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة ما يلي :

قال يحيى بن معين (المتوفي ٢٣٣هـ) فيه (سيف بن عمر) : ضعيف الحديث . فلس خير منه .

وقال ابو داود (المتوفي ٢٧٥هـ) : ليس بشيء كذاب وقال النسائي (المتوفي ٣٠٣هـ) : متروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون .

وقال ابن ابي حاتم (المتوفي ٣٢٧هـ) : متروك الحديث .

وقال ابن عدي (المتوفي ٣٦٥هـ) : ضعيف بعض احاديثه المشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها

وقال ابن حبان المتوفي في (٣٥٤هـ) : يروي الموضوعات عن الاثبات . وقد اتهم =

يضاف الى ذلك قدرة الباحث على فهم شخصيات الحدث وتحديد اتجاهاتها . علاوة على قدرته على تشخيص ماهية الحدث ومتابعة جذوره وتقييم اتجاهه .

= **بالزندقة . وقال : قالوا : كان يضع الحديث .**

وقال الحاكم المتوفي (٤٠٥هـ): متروك اتهم بالزندقة .

وهّاه الخطيب البغدادي المتوفي في (٤٠٦هـ) :كما في ترجمة خزيمة غير ذي الشهادتين في الاصابة .

وقال ابن عبد البر المتوفي (٤٦٣هـ): (في ترجمة القعقاع): سيف متروك .

وقال الفيروزي آبادي المتوفي (٨١٧هـ) صاب تواليف . وذكره مع غيره وقال عنهم : ضعفاء .

وقال ابن حجر المتوفي (٨٥٢هـ): بعد ايراد حديث ورد في سنده اسمه : فيه ضعفاء اشدهم سيف .

انظر كتاب : عبد الله بن سبأ ١ : ٧٦ ـ ٧٨ للمحقق الحجة السيد مرتضى العسكري دار الزهراء . ط ٥ (بيروت ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣) .

ولعل ما جاء في كتاب معاوية الى عماله وولاته يوضح لنا ايضاً جانباً من الاسباب التي أدت الى تزييف التاريخ حيث يقول :

إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة الخلفاء الاولين ، ولا تتركوا جزءاً يرويه احد من المسلمين في (أبي تراب) الا واتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فان هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة شيعة ابي تراب وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله .

انظر : سنة أهل البيت ومواضيع اخرى ص ٧٦ ـ ٧٧ للمحقق الحجة السيد محمد تقي الحكيم دار الزهراء ـ الطبعة الثانية (بيروت ـ ١٩٨٢) . =

ومن المؤكد أن ما نحمله من خلل في المعلومات أو في تفسيرها ناشيء اساساً من هذين العاملين .

واذا ما صحت هذه الامور على مجمل تأريخنا فانها تتأكد حينما

= ويشير النووي في تعليقته على صحيح مسلم الى جانب آخر من الجوانب التي ساهمت في عملية التزوير قائلاً :

في زعمهم الباطل انه يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب وتابعهم على هذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون انفسهم الى الزهد أو ينسبهم جهلة مثلهم وتشبهة زعمهم الباطل، انه جاء في رواية (عن الرسول (ص)) : من كذب عليّ متعمداً ليضل به فليتبوأ مقعده من النار وزعم بعضهم أن هذا كذبة له (عليه الصلاة والسلام) (التوضيح من الكاتب) .

انظر : تعليقة النووي على صحيح مسلم المطبوعة في حاشية ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١ : ٩٥ دار احياء التراث العربي (بيروت) .

اما حادثة (غياث بن ابراهيم) فهي الاخرى تشير الى جانب آخر من جوانب تشويه الصورة الواقعية للتأريخ والتراث .

فلقد كان : المهدي بن المنصور (العباسي) لا يتورع عن دفع عشرة آلاف درهم الى من يصحح له هوايته في اللعب بالحمام ، ـ وكان مغرماً بهذه اللعبة ـ بالتماس دليل من السنة يضعه له رجل فقيه ، فيأتي غياث بن ابراهيم ـ وهو من فقهاء عصره ـ ويدخل عليه فيروي له : ((لا سبق الا في خف أو حافر أو جناح)) فيعطيه ذلك المبلغ لضميمته الجناح الى الخف والحافر في الحديث . ويبدو ان الكذبة لم تنطل على جلاس المهدي ، وان المهدي شعر بذلك ، أو ادركه شيء من تأنيب الضمير ، فقال بعد قيام هذا المحدث :

((أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله (ص) ما قال رسول الله جناح ولكنه اراد أن يتقرب الينا)) . =

نتناول شخصية امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وأحداث زمانه ، حيث تفاعلت عوامل الصراع السياسي ، والاهواء الذاتية ، والجهل بشخصيته (ع) على لصق مجموعة مهولة من المعلومات الكاذبة والعارية

= وانظر : سنة أهل البيت (م . س) ص ٨٠ .

والى كل ذلك يضيف الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود :

كم من نبأ زائف وضع على ألسنة رواة الاخبار :
ومن من رأي مزعوم أجري على ألسنة أقلام التدوين .
ولئن نطق المثل السائر بأن ((آفة الاخبار رواتها)) فمن الغفلة ايضاً أن نظن في اولئك (المؤرخ لهم) الذين نسميهم (صناع التأريخ) نزاهة القصد ، وعفة التجرد عن الهوى ، ونصوع الضمير ، نزاهة وعفة ونصوعاً تجعلهم يدعون سيرهم تدخل في صفحات الاسفار وهي على هيئتها الصادقة الحقة التي قد تبديهم للاجيال المتعاقبة او المعاصرة ، المكشوفة السوأة بغير إزار ولا دثار وهل من الهين على أي منهم أن يتقبل صراحة حكم هاتيك الاجيال وهي تضع حياته العامة ـ دع الخاصة ـ على محك التشريح ، وتتناول خافيها ومستورها بمبضع النقد والتجريح وهل عسير عليه تلوين الجوانب القاتمة بحياته تلك بلون أزهر مضيء ، أو سد ما في ضعفه البشري من ثغرات ، ابتغاء الارتفاء في نظر الناس ، عن عيوبه ومثالبه . . ومن اجل اختيار المديح والثناء وان هو جار ، بفعله هذا ، على الحق وحالف واقع الحال ؟ .

الادنى الى التصور ان نرى بين صناع التأريخ هؤلاء . . . وهم يملكون قوة السلطان، وفي ايديهم حبروت الاملاء ـ من يجنحون الى اخضاع التاريخ لاهوائهم الذاتية . . يعنون باحداثه . . . يحرفون كلمه عن مواضعه . . . يعبدون ترتيب سطوره على ما يشتهون لتخرج سيرتهم ريانة الضوء باهرة الاشراق .

=

من الصحة بحياة امير المؤمنين (ع) فاختلط فيها الحابل بالنابل وبات على المرء الذي يريد ان يقرأ حياة أمير المؤمنين (ع) أن يهيأ ذهنه لتلقي معلومات متناقضة ومتباعدة فيما بينها ، فهو الشجاع الذي يجبن ، وهو الزاهد الذي تميل نفسه الى رذائل الدنيا ، وهو العابد الذي لا يقوى على مقاومة الاهواء ، وهو الرسالي الذي ينافق . . . الخ وبكلمة اخرى على المرء أن يكون مستعداً لملاحظة معلومات واخبار تمتد بين الوصول به الى مستوى الخالق ـ عز وجل ـ وتصعد به الى مستوى تجسد إله العالمين به ـ حاشا لله ـ وبين أخرى تحط به عند درجة شاربي الخمور[1] . وما بين هذا

= وليس غلواً في التحري والانتباه ان نعين ان فيهم من شاء أن يطمس فطمس ، أو ينقص فانقص ، أو يضيف فأضاف ، وفيهم من اختص نفسه بانحاد لم تر على يديه نور الحياة ، بل ادعاها لنفسه ادعاء ، وابتزها ابتزاز ، مسخها من سبيل سواه . . وفيهم من أظهر للناس انه شمس ساطعة شعاعها الوهاج يكسف ما لغيره من شعاع فلطخ سير من سبقوه بالطين ، وحجب اقباس فضائلهم وقدراتهم عن العقول . . .

وامثلة اولئك وهؤلاء من اصحاب السلطان الممولين تعيي الحصر والحساب في التاريخ الانساني ، فدبيبه وحديثه على السواء

انظر : السقيفة والخلافة (م . س) ص ١٩ ـ ٢٠ .

ومن جراء هذا وذاك جاءت النتيجة كما يحكيها احد المؤرخين والمحدثين بقوله : كشفا عن الكذابين وسخرنا به الشور واخرجنا به خبراً نضيداً .

انظر : سنة اهل البيت (م . س) ص٩٠ .

ومن المناسب ان يرجع القارىء لغرض التفصيل الى كتب : السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأوكتاب خمسون ومائة صحابي مختلق . وكذا كتاب الغدير للمحقق الاميني ـ اعلى الله مقامه ـ وكتب السيد عبد الحسين شرف الدين ـ قدس سره ـ بالخصوص كتابي : المراجعات وابو هريرة .

(١) هنالك حملة من الاحاديث الموضوعة كذباً وافتراءاً على أمير المؤمنين (ع) في هذا =

وذاك بامكان القارىء أن يتصور مدى الاجحاف الذي لحق بهذه الشخصية العظيمة التي كثيراً ما عبر عنها الرسول (ص) بأنها تمثل الايمان كله . بل عليه أن يدرك المدى الذي آلت اليه كمية الاكاذيب في التأريخ بمجمله .

ان دراسة التأريخ دراسة منزهة وبعيدة عن كل الاهواء والنزعات والافكار والمفاهيم المسبقة ، واقتطاع النماذج التي يمكن أن تخدم القضية الاسلامية المعاصرة منه ، وتوظيف تجاربها ودروسها وعبرها لخدمة المعركة الاسلامية الحالية لهي اكثر الحاجات الحاحاً . ولقد جاء ايثاري لاقتطاف موضوع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في علاقته مع القيادة الاسلامية في عهد رسول الله (ص) وفي علاقته مع الأمة كقائد وفي علاقة الامة معه من صفحات التأريخ لكون دراستها تمثل أطروحة حيوية نحس بحاجتها ، ونلمس آثارها .

فمجتمعنا محتاج لتعلم طبيعة السلوكية التي تنظم العلاقة بين القائد وقاعدته الشعبية .

وقادتنا محتاجون دوماً لتفهم الأصول التي تركها لهم مولى المتقين (ع) في ممارسة فن القيادة ، كي تكون علاقتهم مع الأمة علاقة تترسم الالتزام بهدي الاسلام في هذا الشأن .

= الشأن ، ومن العجب والمؤسف حقاً ان كاتباً ومفكراً كسيد قطب حينما يفسر اية : ﴿ ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ سورة النساء الآية ٤٣ يجعل سبب نزول هذه الآية خاصاً بشرب امير المؤمنين ـ حاشا له ـ للخمر . وهو هنا ـ أي سيد قطب ـ لم يشرك مسألة التدقيق في مستوى الشعبي كراوية فضلا عن التدقيق في صحة روايته ، حيث لم يحظ بتوثيق معظم رجالات الحديث له فحسب ، بل انه يأخذ ذلك أخذ المسلمات ليرتب عليها العديد من الملاحظات التي اراد منها أن تتخذ كمنهج تسير عليه الامة الاسلامية في سعيها لتحصيل السلوكية الاسلامية !!.

((انظر : في ظلال القرآن ٢ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧ لسيد قطب)).

ولئن كانت علاقة الامة مع الامام أمير المؤمنين (ع) قد حكمها اتجاه سلبي مرة وإيجابي أخرى ، فان البحث في ذلك سيعالج العديد من الحاجات الماسة لامتنا . فهي تحتاج لأن تتعرف على قيمة قياداتها الاصيلة ، وعلى العوامل التي تجعلها تشخص قيادتها الاصيلة من غيرها . وعلى العناصر التي من شأنها أن تؤدي الى الانتكاس في مسيرة التحرك بسبب الخلل الذي قد يصيب علاقتها مع القيادة ، او الذي يطرأ على طبيعة اختيارها للنمط القيادي ، مع الاشارة الى الاخطار التي تنجم من جراء سوء تعاملها مع قيادتها الاسلامية . ولقد وجدت أن من الضروري أن امهد الى هذا الحديث ، بفصل يتعلق بالمسألة القيادية وموقف الاسلام منها . وبالعوامل التي ساهمت في ايلاء القيادة لامير المؤمنين (ع)[1] .

وانني بادىء ذي بدء اعترف بأن جهدي مهما بلغ سيبقى قزماً إزاء استقصاء عطاء هذه التجربة وشخصها العظيم . كما وانني لا أخفي أنني استهدفت فيما استهدفت ضمن محاولتي هذه أن أثير فضول الباحثين والمحققين ازاء موضوع هذه المحاولة أو اتجاهها ،وذلك لكونه ما زال ريانا طرياً ،كي يسبروا عن المزيد من اغوارها ، ولتكون مدار اثراء اقلامهم ، وذلك لشعوري المسبق بضعفي عن الوصول إلى قمة دروس هذه التجربة الشامخة . غير أنني لا أعدم الامل في أن تكون مورد فائدة للقارىء الكريم . فاذا ما تم ذلك فالثناء لصاحب هذه التجربة لا لصاحب هذا القلم وإلا فحسبي ما هو حسبي . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو قصد السبيل . . . .

المهجر في ٤ / ذي القعدة / ١٤٠٥هـ .

١٩٨٥/٧/٢٣ . **جلال الدين الصغير**

(١) حاولت جهد الامكان أن تكون مصادر الاستدلال في هذا الفصل من كتب الجمهور من أهل السنة لتكون أكثر فائدة وأقوى حجة .

الاهـداء

سيدي يا بقية الله وحجته على خلقه : ،

هذه محاولة لإماطة اللثام عن نفحات من تراث

جدك مولى المتقين . . . وعبقات من أريج

عطائه أقدمها بين يديك أملاً الحظوة لديك

وراجياً الانتماء اليك في مسيرتك

العظيمة نحو تحقيق حكومة العدل

الالهي في ارجاء الارض التي

ملأها الطواغيت ظلماً

وجوراً وفساداً

وعدواناً . . .

تمهيـد

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نفهم أمير المؤمنين (ع)؟ :

من شأن الإجابة على هذا السؤال أن تعيننا على تخطي الكثير من العقبات التي قد تقف أمام التفسير الواقعي لتصرف أو كلام يبدر عن الامام أمير المؤمنين (ع). وهنا نلاحظ أن من العادة أن يتصدى اتجاهان للاجابة على هذا السؤال :

أولهما : اتجاه ينزع لفهمه كانسان تبعاً لهويته الشخصية وينظر إليه كما ينظر إلى أي انسان ، ويفسر أفعاله كما يفسر أفعال أي انسان .

وثانيهما : اتجاه ينظر اليه بمنظار رجل رسالة وصاحب قضية ورائد مبدأ .

وفي الواقع أننا إذا أردنا أن نلتزم بالحدود التي افترضت للتعريف بشخصية ما ، فاننا سوف نجد أن الاتجاه الاول لا يمكن له أن يستوعب تمام اطار شخصية الامام (ع) لاعلى مستوى الطول ولا على مستوى العرض ، أي لاعلى مستوى مناقبيته الذاتية ولا على مستوى طبيعة تعامله مع الاحداث التي جرت له في حياته .

فعلى صعيد تعامله ـ عليه السلام ـ مع الاحداث لا بد أن يلفت انتباهنا أن الامام ـ عليه السلام ـ على الرغم من أن حياته قد مرت بمراحل

متعددة وظروف متباينة ابتداء من مرحلة انتمائه للاسلام وانضمامه الى الاسلام ليكون ثاني عضو فيه بعد الرسول القائد (ص) ومروراً بفترة الكفاح السلبي التي وسمت مرحلة ما قبل الهجرة وما انعكس منها من معاناة قاسية على المسلمين من جانب مشركي قريش . وعطفاً على مرحلة حياة ما بعد الهجرة حيث برز فيها واقعياً وعملياً كرجل ثان بعد الرسول القائد (ص) فهو قائد جيشه وحامل رايته ، ومبلغ رسالته والمؤدي عنه وهارونه وخليفته . ثم بالمرحلة المريرة والشاقة التي جاءت بعد موت الرسول (ص) ، حيث يعزل عن مقامه ثم (يجر من بيته جراً وهو ملبباً ويحرق بيته)[1] من أجل أن يقر وضعاً لا يؤمن به ولا يراه موافقاً لما أمر به

(١) الحدثان من الحوادث المتفق على وقوعها لدى المؤرخين . وقد جر ـ عليه السلام ـ من بينه وهو ملبب (مقيداً) وذلك من أجل أن يبايع الخليفة الاول بعد أن رفض مبايعته احتجاجاً . وقد تم ذلك بعد أن دعاه الخليفة الاول لمبايعته أكثر من مرة فلم يقبل بذلك . فأرسل إليه الخليفة الثاني في جمع معه . وبعد أن طالب الامام بالخروج قائلاً :

والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لاحرقنها على من فيها ، فقيل له يا أبا حفص : ان فيها فاطمة فقال وإن .

انظر تأريخ الخلفاء أو الامامة والسياسة ص ١٢ لابن قتيبة الدينوري ط ٣ (١٩٨١ بيروت) .

ويضيف ابن قتيبة إلى أن فاطمة (ع) حينما سمعت قول عمر وهو يطالب علياً بالخروج : نادت بأعلى صوتها :

يا أبت يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة (الخليفة الاول) .

الا أن كل ذلك ما كان ليمنع الخليفة الثاني من الاستمرار في عمله المكلف به من قبل الخليفة الاول فدخل المنزل عنوة من باب كانت الزهراء البتول (ع) تقف خلفه :

فاخرجوا علياً ، فمضوا به الى أبي بكر . .

رسول الله (ص) وما الى ذلك من حوادث جرت عليه في عهود الخلفاء الثلاثة والتي ما كانت لتتلاءم مع مكانته التي كانت له أيام رسول الله (ص) ثم الى احداث التمرد الاسلامي الذي انتهى بقتل الخليفة الثالث ومن بعدها الى المراحل التي وسمت خلافته وانتهاء بشهادته في محراب صلاته .

أقول : أنه على الرغم من هذا التباين الشاسع الذي يفصل ما بين مرحلة واخرى وتلونها بين السراء والضراء والشدة والرخاء ،إلا أن شخصية أمير المؤمنين (ع) ظلت واحدة غير قابلة لان تكون عرضة لتلونات الظروف واختلاف المراحل . فعلى مر حياته وجدناه ان سكت أو تكلم ، إن صبر أو قاتل إن عفى أو اقتص ، إن زهد أو أكرم أو غض النظر أو عفى أو. . . الخ . فذلك من أجل شيء محدد . فلقد كان يصوغ حياته بصياغة رسالته ومبدئه . فالذي تقتضيه رسالته كان يمضي وراءه الى النفس الاخير أو يحققه ، والذي لا تقتضيه هذه الرسالة كان يغض الطرف عنه كائناً من كان . وهذا ما لا يمكننا أن نعثر عليه إن أردنا أن نفسره كانسان مثل بقية الناس .

= فقالوا له : بايع .

فقال : ان أنا لم أفعل فمه ؟قالوا:

إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك . . الخ .

انظر ص ١٣ من المصدر المتقدم .

والى ذلك يشير شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله :

وقولة لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بمقولها

حرقت دارك لا أبقي عليها بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

انظر : سيرة الائمة الاثني عشر ج١: ٢٩١ للسيد المرحوم هاشم معروف الحسني . الطبعة الثالثة (١٩٨١ بيروت) .

هـذا علاوة على أن الصفـات المتضادة التي اتصفت بهـا شخصية الامام امير المؤمنين (ع) والتي يندر أن نلاحـظها تـوسم شخصية انسـان آخر . بل اننا إذا ما استثنينا الرسول القائد (ص) فانـه من المستحيل ان نجدها لدى إنسان آخر ، تمنع من أن يكون الاتجاه الاول مـالكاً للقـدرة على استيفاء شخصيته وتفسيرها . ولعل من أظرف الاشارات الى ذلك هو ما أشار اليه الشريف الرضي (رض) في مقدمتـه لنهج البـلاغة وكـذلك تعقيب ابن ابي الحديد عليها . فقد قال الشريف الرضي :

من عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها : أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر اذا تأمله المتأمل وفكر فيه المفكر ، وضلع من قلبه انه كـلام مثله ممن عظم قـدره ، ونفذ أمـره وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يتعرضه الشك في أنه كلام من لاحظ له في غير الزهادة وشغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسر بيت[1] أو انقطع الى سفـح جبل لا يسمع إلا حسه ، ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كـلام من ينغمس في الحـرب مصلتـاً سيفـه ، فيقط الرقاب[2]، ويجدل الابطال ، ويعود به ينطف[3] دماً ويقطر مهجاً[4] وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال[5] . . .

(١) قبع في كـسر بيت : انزوى واختبأ في جانب الخباء والمخفى .
(٢) يقط الرقاب : يقطعها عرضاً وعكسـها بقد أي يقطعها طولا .
(٣) ينطف : يسيل .
(٤) مهجاً : أرواحاً أو دماء القلوب .
(٥) نهج البلاغة ص ٣٦ ـ ٣٧ الامام علي بن أبي طـالب (ع) تحقيق وتصنيف الدكتـور =

ويضيف ابن ابي الحديد في الشرح قائلاً :

أن الغالب على ذوي الشجاعة واراقة الدماء أن يكونوا ذوي انقباض في الاخلاق وعبوس في الوجـوه ونفار من الناس واستيحاش ، وأمير المؤمنين عليه السـلام كان أشجع الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا ، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته ، وأشدهم اجتهاداً في العبـادة وأدباً لنفسـه في المعاملة . وكـان مع ذلـك ألطف العالم اخلاقاً وأسفرهم وجهاً ، وأكثرهم بشراً وأوفاهم هشاشـة ، وأبعدهم عن انقبـاض موحش أو خلق نافر أو تجهم مبـاعد ، أو غلظة وفظاظـة تنفـر معهـا نفس ، أو ينكـدر معهـا قلب . حتى عـيب بالدعابة ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مـطعناً تعلقـوا بها ، واعتمدوا في التنفير عنه عليها . الخ[1].

والى ذلك كله نضيف . . .

ان الاتجاه الشرعي أو الرؤية الشرعية تدفعنا باتجاه الاخذ بالمنهـج الثـاني . حيث أن الآيـات القـرآنيـة الشـريفـة التي نـزلت بحق أمير المؤمنين (ع) على كثرتها ، لم تنزل بحق ذاته لاعتبارات شخصية محضة بل انها كانت تتعلق بمواقفه اكثر من تعلقها بأي شيء آخر ، وذلك لطبيعة آيات القرآن الكريم التي لا تتحدث عن أي شخص سلباً أو ايجاباً لذاته ،

= صبحي الصالح ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٣٨٧هـ .
(١) شرح نهج البلاغة ج١ : ٥٠ ـ ٥١ لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضـل ابراهيم الطبعة الثانية ١٩٦٥م ، ولتكملة قول ابن أبي الحديد، والذي اقتطفنا منه هذا القسم لطوله انظر ٥٠ ـ ٥٣ . . . .

بل لمواقفه وافكاره وقيمه سيان في ذلك الانبياء والاولياء والطواغيت والظالمون ففي حديثه الطويل عن فرعون لم يكن القرآن يتوخى شخص فرعون بل انه أراد الاشارة الى الظاهرة الفرعونية وما تعنيه من قيم ومبادىء . ومثل ذلك كان حديث القرآن عن اولياء الله . ولقد جاءت الاحاديث النبوية الكريمة التي اختصت بالامام علي(ع) على نفس المنوال وعلى ذات الاتجاه . فهي على الرغم من كثرة عددها الا انه من الملاحظ انها لم يرد فيها ولو لمرة واحدة استعراض للذات بما هي ذات بل كانت جميعها اما استعراضاً لمواقفه (ع) واما استعراضاً لما يترتب على هذه المواقف .

وعليه فانه حري بنا أن نفهم هذه الشخصية كما أراد لنا القرآن أن نفهمها ، والقرآن إذ كان يلجأ دوماً الى الحديث عنه بمنظار الرسالة والمبدأ فانه من اللازم علينا أن نتخذ من ذات المنظار سبيلاً إلى النظر تجاه هذه الشخصية وفهمها .

هذا علاوة على أننا مدعوون عقائدياً وفكرياً للاخذ بالاتجاه الثاني . وذلك لاننا حينما ارتبطنا بمثل العلاقة التي تربطنا بالنبي القائد (ص) فلان ذلك ما كان ليتم تبعاً لدواعي مربوطة بشخص النبي محمد (ص) بل كانت على العكس لا تنطوي على أي شيء من هذا القبيل . فلا هي علاقة رحمية ، ولا هي رابطة عشائرية ، ولا هي آصرة عنصرية أو قومية ، وانما كان ارتباطنا به نظراً لكونه رسولاً نبياً . ولهذا فانه ارتباطٌ رساليٌ ، ولقد كان ارتباطنا بالائمة الاطهار من اهل البيت (ع) واحداً تلو الآخر امتداداً لذاك الارتباط ، وبخلاف ذلك فاننا سوف لا نعثر على أي رباط حقيقي آخر يربطنا بهم .

وهنا قد تثار أمامنا شبهة قائمة على أساس ما يبدو انه للوهلة الاولى تضاد ما بين السلوكيات التي سلكها ائمة أهل البيت (ع) مما يشعر أن

الرابطة فيما بينهم لم تكن رسالية بل هي شيء آخر . فكيف الحال بعلاقتنا معهم ؟ فلو كانت المسألة مسألة رسالة ومبدأ فلم اذن نرى أن الاسلوب الذي حكم حياة الامام أمير المؤمنين (ع) لم يحكم حياة خليفته الامام الحسن (ع)؟ بل أن أسلوب الامام الحسن (ع) كان مناقضاً لاسلوب أبيه (ع) . وهكذا كان مناقضاً لاسلوب أخيه الامام الحسين (ع) الذي هو الآخر التزم بنهج مضاد للنهج الذي سار عليه ولده من بعده الامام زين العابدين (ع) . ومثل هذا الشيء نراه لدى الائمة جميعاً . وحال كهذا لا يشعر بوجود صلة تطابقية لاداء المهمة الرسالية .

وقد تبدو هذه الشبهة واقعية ، إذا ما نظرنا الى القضية بشكل سطحي ، وجردناها من حيثياتها الحقيقية . بيد أن واقع الحال يعرب عن حقيقة مخالفة لذلك تماماً ، ويحيلها الى اعتراض ساذج ، إذ أنه من المعلوم ان الاختلاف المشار اليه والذي وسم سلوكيات الائمة (ع) كان مختصاً في شكل التعامل مع الظروف السياسية المحيطة بهم من دون أن يكون ذلك مدعاة لاختلافهم في محتوى التعامل سواء على مستوى النظرية او على مستوى التطبيق . فلقد ظلت مبادئهم ورسالتهم هي التي تحكم ذلك ، دون أي معيار آخر . وسبب الاختلاف في شكل التعامل ليس من الصعب على المرء ادراكه ، إذ أن العملية السياسية بذاتها ليست ميكانيكية آلية ، بحتة فاذا كان من خصائص العملية الميكانيكية انها تفضي الى ذات النتيجة دوماً اذا ما اوجدتها عملية تفاعل لمجموعة من المواد الكيمياوية مثلا . أي أن الاوكسجين اذا ما خلط بالهيدروجين ضمن ظروف كهربائية معينة فان النتيجة الحتمية دائماً ستكون تولد الماء . إلا أن العملية السياسية لا تتمتع بذات الخصيصة مطلقاً . ولهذا فان من البديهي أن يختلف شكل العملية من ظرف لآخر ومن مكان لمكان آخر . فمثلا ان شكل التضاد مع الاجهزة والقيم الطاغوتية يبقى موقوفاً ـ بالنسبة للرساليين ـ

بالمدى الذي يحقق انجازاً أو تقدماً أو حفظاً لقضية الرسالة . وفي هذه الحالة فان هناك العديد من العوامل على تفاعلها تتوقف النتائج سلباً أو ايجاباً . ومن هذه العوامل : طبيعة الامكانات المادية المتاحة ، مدى قدرة التحرك المضاد على إفشال واحتواء عملية التضاد المزمع القيام بها ، طبيعة الوعي الجماهيري السياسي ، طبيعة التعامل مع المحفزات والمنشطات لعملية التضاد ، مدى القدرة على البذل والتضحية . . و . . الخ .

ومما لا ريب فيه أن السلوك المعصوم حينما نراه يختلف شكلاً من إمام لآخر فان ذلك مردّه ومنشأه لتلك الحقيقة . غير أن ذلك كله لم يكن ليعني أن التضاد مع الاجهزة والمعايير الطاغوتية قد خلا منه محتوى سلوك المعصوم ، بل اننا حينما نلاحظ محتوى التعامل فاننا سنلاحظ وحدة يتفق عليها جميع أهل البيت(ع)،ولعل من أبرز المصاديق على هذه الوحدة أن الطواغيت من الحكام على الرغم من اختلاف اتجاهاتهم وامزجتهم إلا أنهم جميعاً شعروا بهذه الوحدة . الامر الذي انعكس على أن الائمة (ع) كانوا دوماً تحت المراقبة الشديدة والتي أفضت الى انهم(ع)نالوا جميعاً نفس المصير، أي القتل أو السم من قبل حكام أزمنتهم . ويرى سيدنا الشهيد الصدر (ر ض) أن منشأ ادعاء التناقض في سلوكيات الائمة (ع) يعود الى أن أصحاب هذا الزعم يفهمون الائمة (ع) بصورة جزئية ومفككة من دون البحث في العناصر المشتركة التي تجمع ما بين هذه السلوكيات والاساليب والتي يعبر عنها بأنها : مجرد تعابير عن حقيقة واحدة .

وانما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مر بها كل امام،وعاشتها القضية الاسلامية والشيعية في عصره في الظروف

والملابسات التي مرت بالرسالة في عهد أمام آخر . . .»[١].

وهذا العنصر الذي قلنا بانه حمل هم الرسالة ورفع رايتها ومحاولة دفعها نحو الامام . حينما نقول بانه مثلما كان متوفراً في حياة الرسول الاكرم (ص) فانه متوفر في حياة سائر الائمة من بعده فانه ليس افتراضاً اعتباطياً وانما هو تعبير عن ضرورة عقائدية تفرضها كما يقول سيدنا الشهيد :

> العقيدة نفسها ، وفكرة الإمامة بالذات لان الأمامة واحدة في المجتمع ، بمسؤولياتها وشروطها . فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في شروط الائمة (ع) وأدوارهم مهما اختلفت أدوارها الطارئة بسبب الظروف والملابسات ، ويجب أن يشكل الائمة بمجموعهم وحدة مترابطة الاجزاء ، ليواصل كل جزء من تلك الوحدة دور الجزء الآخر ويكمله[٢] . . .

وبالتالي فان تفسير تصرفات الامام (ع) بمنظار رسالي وعقائدي هو الوحيد الذي يتيح لنا رؤية أوضح وفهماً أدق لابعاد شخصية الامام (ع)، كما أنه الوحيد الذي يجعل الصلة بيننا وبين تجربة أمير المؤمنين (ع) صلة فاعلة تتدفق حيوية وتنبض روحاً وتشع حركة ،مجنبين في ذلك

---

(١) بحوث اسلامية ومواضيع اخرى ص ٥٨ ـ ٥٩ السيد الشهيد الصدر (ر ض) دار الزهراء ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣ م سلسلة احزاب الله : ١ ـ وكذلك أنظر : أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ص ١٤١ ـ ١٤٢ للسيد الشهيد ايضاً .

(٢) ن . م ص ٦٠ .

أنفسنا من الوقوع في حبائل ووسائل الغزو الفكري لمجتمعنا الاسلامي من قبل اعدائه قديماً وحديثاً ،حيث أرادوا من خلال تشويه صورة تاريخنا المشرق وقطع صلاتنا واواصرنا مع أكثر عهود مجتمعنا وأمتنا اشراقاً وأكثرها تحفيزاً لنا على مواصلة ذات الطريق وانتهاج نفس السبيل، سعياً وراء خلود الامة وعملاً باتجاه عزتها وكرامتها ، بخلود رسالتها وعزة قضيتها وكرامة مبدئها . انهم بعملهم هذا ارادوا ان يحرموا الامة من احد مصادرها الاساسية التي ترشدها الى كيفية القضاء على القيم الطاغوتية والمعايير الفاسدة وابعاد المجتمع منها أو إبعادها عن المجتمع .

وبغير ذلك لا يمكننا أن نعثر على إجابة صادقة عن الاسباب التي تجعل الجهد الاستكباري المعاصر (شرقيّه وغربيه) متحداً مع الجهد الذي بذله طغيان بني أمية وبني العباس في شأن تحريف حقائق تأريخنا الاسلامي . .

وهي حقيقة ستبين لنا بشكل واضح إذا ما جردنا عملية التحريف القديمة والحديثة من أساليبها الشكلية ونزعنا لمتابعة أهدافها وأغراضها بدقة . . .

الفصل الاول

المسألة القيادية في الاسلام

قد يبدو البحث في المسألة القيادية في الاسلام ضمن الحديث عن أخلاقية القيادة والانقياد لدى أمير المؤمنين (ع) مستغرباً، لما قد يحس البعض بأنه ليس هناك علاقة كبيرة بين البحث وموضوع الكتاب.

غير أن الغموض الذي يكتنف هذه المسألة في أذهان العديدين من المثقفين والمفكرين الذين يهتمون بالفكر الاسلامي، يجعل البحث في مسألة القيادة ضرورياً جداً. لان الاخلاقية الاسلامية مبتنية أساساً على الفكر الاسلامي وليست مجزأة عنه. وبالتالي فإن وجود غموض في جانب من جوانب الفكر الاسلامي سوف يؤدي إلى أن تفقد هذه الاخلاقية الكثير من حيويتها وشرعيتها الاسلامية. فالذي لا يعتقد بوجود قيادة اسلامية كيف يمكننا أن نطلب منه الالتزام بأخلاقية القيادة والانقياد التي يفترض وجودها مع وجود للقيادة الاسلامية.

وعليه فان تناول هذه المسألة بشكل جدي ومسؤول تمليه أكثر من ضرورة. وهذا الامر يفترض الاجابة على العديد من التساؤلات والاستفهامات المنعكسة من هذه المسألة.

فهل أن القيادة ومباحثها موجودة في الاساس ضمن إطار المذهب السياسي في الاسلام، أم لا؟.

وهل هي ضرورة فكرية وسياسية من وجهة نظر الاسلام ؟ .

وإذا كانت موجودة بالفعل فما هي مقوماتها وأصولها الفكرية ؟ .

وكذلك ما هو رأي الاسلام في تجسيد هذه المقومات ضمن إطار الواقع الموضوعي ؟ .

ثم ما هو الاطار والهيكل الذي يحددها ويرسم أبعادها ويعين آفاقها ؟ .

ولما كان احتدام الجدل حول هذه المسألة قد بلغ حداً شديداً بالشكل الذي أدى إلى وجود نظريات متعددة جداً حولها ، فما هو موقفنا الفكري والسياسي من هذه النظريات ؟ .

وفي الخاتمة : ما هي امتدادات هذه القيادة الواقعية في زمننا المعاصر . . ؟ وما هو موقفنا من هذه الامتدادات . . ؟ .

ان جميع هذه الاسئلة وغيرها تستوجب الجواب عليها وتحديد موقف واضح منها قبل التعرض الى أخلاقية القيادة والانقياد . وهذا الامر هو الذي تكفل هذا الفصل باستعراضه ومن الله نستمد التوفيق .

القسم الأول

الأصول الفكرية والموضوعية للقيادة في الإسلام

القيادة في الاسلام :

واحدة من أهم المشاكل الفكرية التي لم يحتدم عليها الجدل الفكري في الماضي فحسب بل لقد امتد وعلى نفس الشاكلة من القوة مع امتداد الزمن الى يومنا المعاصر .

كما أن موضوعها يعد من أول الازمات التي واجهها المجتمع الاسلامي . وهي الازمة التي ظلت قائمة حتى يومنا الحالي على الرغم من الزمن الكبير الذي يفصل بين يومنا المعاصر ويوم نشأتها .

وهي تبعاً لذلك تجعلنا لا نعدم الرؤية الواضحة اذا ما قلنا بأن معظم الاحداث التي لعبت دوراً حساساً وخطيراً في مسيرة الامة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاكرم (ص) كانت بشكل أو آخر منعكسة منها .

ولهذا فان من الضروري بمكان الوقوف عندها لانها لا تتيح لنا تشخيصاً دقيقاً لحركة تأريخنا وفهماً حقيقياً لمساره فحسب ، بل انها ولا شك ستتيح لنا قدرة عظيمة على تصحيح العديد من مواقفنا وأفكارنا . ولا أرى في عملية كهذه ان اتخذت الاسلوب العلمي والمناقشة الهادئة طريقاً لانجازها ما يجعلها مبعثاً للاثارة الطائفية، وتوسيع الشرخ الحائل بين وحدة المذاهب الاسلامية . بل لربما يكون العكس هو الصحيح . ولعل من أفضل الوسائل والاساليب في هذا المجال هو الرجوع الى الاصول

الفكرية لتشخيصها دون الرجوع في بادىء الامر الى التفاصيل التاريخية التي توجد في ذهن الانسان المسلم حول المصاديق العملية لتلك الاصول ، وذلك لانني أعتقد أن الرجوع بالمشكلة الى اساسها الاول من شأنه أن يحل العديد من التعقيدات النفسية والطائفية المرتبطة بهذا الشخص أو ذاك . خصوصاً اننا ندرك أن القلم الذي دون التأريخ كثيراً ما تجنى على هذه الشخصية فسعى الى الانتقاص منها جهد الامكان وكثيراً ما ضخم تلك الشخصية لاكبر من واقعها الحقيقي . . .

على أعتاب المشكلة :

لا يخفى أن منشأ هذه المشكلة يعود الى اللحظة التي اجتمع فيها جمع من الانصار في سقيفة بني ساعدة ثم انضم اليهم جمع من المهاجرين ، وهو الجمع الذي انفض عن اعلان أبي بكر خليفة للمسلمين من بعد الرسول الاكرم (ص) والذي كان لا زال موسداً في بيته لم يدفن بعد .

ومنذ ذلك الحين وبشكل عملي ظهر على صفحات الفكر السياسي الاسلامي خطان : أحدهما يقر المبدأ الذي قام عليه اجتماع السقيفة وهو أن الرسول (ص) قد ترك مهمة تشخيص القيادة الى المسلمين لأنه لم يقل كلمته فيمن يخلفه . والى هذا يشير أحد الكتاب قائلاً :

> لقد ترك الرسول (ص) أمر (الحكم) بدون وصاية لتصرف المسلمين لانهم أهل لان يختاروا لأنفسهم أسلوب الحكم على الوجه الذي يقتضيه زمانهم ومكانهم في الحياة . . . إذ أن الحياة حركة دائبة متطورة ، ونظام الحكم يتبع في حركتها وتطورها . . . ولو وضع الاسلام قالباً معيناً للحكم لقيد الجماعة

بقيد ثقيل[١] . . .

ويضع كاتب آخر شرطين لهذه القيادة هما الاسلام والتقوى أما فيما عدا ذلك :

> فان الشريعة لا تضع قواعد معينة لاجراء انتخاب الحاكم أو الخليفة فلا تحدد كيفية هذا الانتخاب أو مدة الرئاسة وانما تركت كل هذه الأمور التفصيلية للمجتمع المسلم يضعها لنفسه وفق ظروفه شريطة الا تتضارب مع روح الاسلام ونصوصه . . .[٢] .

ويرى آخر أن الرسول (ص) جوز : مشروعية اجتهاد المسلمين في اختيار أميرهم . . .[٣] .

وقد اعتمد المستشرقون في دراساتهم على هذا الفهم حتى أن بعضهم يعتب على الرسول (ص) بقوله :

> لقد كان الاحرى بالرسول أن يضع قواعد للحكم قبل وفاته حتى يسير عليها المسلمون من بعده . . . ولكنه ترك الامر بدون وصاية لتصرف المسلمين . .[٤] .

---

(١) انظر : الخلافة والامامة ص ٤٢٥ لعبد الكريم الخطيب . الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٧٥ .

(٢) القول للدكتور ابراهيم شوقي اباظة . انظر تأريخ الفكر السياسي ص ١٤٤ للدكتور ابراهيم شوقي اباظة والدكتور عبد العزيز الغنام (١٩٧٣ بيروت ـ دار النجاح) .

(٣) انظر : فقه السيرة ص٣٥٤ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي . دار الفكر بيروت ١٩٨٠ ط ٨ .

(٤) ذلك ما أشار اليه ج . هـ . ويلز (G H Wiles) في كتابه على هامش التاريخ الاسلامي . انظر : الخلافة والامامة ص ٤٢٥ (م . س) .

وثانيهما هو الخط الذي يرفض كل ذلك ويصر على القول بأن الرسول (ص) ايحاء من الله عز وجل قد عين من يخلفه في قيادة المسلمين ، وان مسألة الامامة هي نص إلهي . بل ويصر هذا الخط على القول بأن موضوع القيادة في الاسلام بعد رسول الله (ص) أو ما يعبر عنه بالامامة هو واحد من أصول الدين العقيدية وذلك جنباً إلى جنب مع توحيد الله ونبوة رسوله (ص) . . الخ .

ان من شأن الرجوع الى الاصول الفكرية التي كان الرسول (ص) يتبناها، من شأنه أن يحل لنا جميع الاشكالات التي نشأت بعد وفاة الرسول (ص) . . .

القيادة ضرورة ملحة :

الرسالة الاسلامية لم تكن في يوم من الايام دعوة لممارسة طقوسية وكهنوتية .

ولم تكن في وقت من الاوقات مجرد مجموعة من التوجيهات الروحية والاخلاقية التي تناغي القلب وتتفاعل مع الضمير دون أن يكون لذلك أي أثر في الحركة الاجتماعية .

كما أنها لم تطرح نفسها كي تبقى معزولة عن الحياة الاجتماعية ، والتأثير الفاعل فيها ، ومن ثم لتعشعش في الباحات النائية للمساجد ، او للاروقة القاصية للمعابد ، أو لتغدو انحناءة تتسكع على رقبة درويش يتمايل بها على طريقته المعهودة ، او لفظة تلوكها ألسنة أصحاب الطرق الصوفية ، أو لتجعل بعض ممارساتها نمطاً رتيباً من أنماط الفولكلور والتراث الشعبي فكل ذلك :

﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم . . . ﴾[1] .

وإلا لما احتاجت أن تأتي تشريعاتها وهي تحكي اهتماماً بالغاً بكل

---

(١) سورة الحديد / الآية : ٢٧ .

النواحي الاجتماعية ، فنجدها في الوقت الذي تهتم فيه بتنظيم علاقة الفرد مع ربه ومع المجتمع ومع ذاته، تهتم بكل شؤون الحياة فتشرع في السياسة والاقتصاد والثورة ومختلف الانظمة الاجتماعية الاخرى والحرب وما الى ذلك . . .

كما أنها لو أريد لها أن تكون حركة مجردة عن الحياة الاجتماعية أي حركة طقوسية وروحية مترهبنة ، لما وجدنا تاريخنا وهو مقرون بتلك الانهار المقدسة من الدماء التي سكبها انصارها دفاعاً عنها ، وذلك السجل الذي يبقى هو الأروع من نوعه في تأريخ الرسالات والمباديء وفي سجلات التضحية والفداء لاصحاب هذه الرسالة وروادها فضلاً عن ابنائها .

وهي لو كانت كذلك لما رأينا الهجمة الشرسة التي واجهتها من قبل مختلف أنواع القوى الطاغوتية ، دوماً ضد هذه الرسالة من أجل محوها ودرسها ابتداء من اللحظة التي قدر لنورها الالهي أن يبزغ على ظلمات هذه البشرية وحتى يومنا المعاصر .

* * *

ان الحقيقة الناصعة هي أن الرسالة الاسلامية ومنذ اليوم الذي بعث بها الرسول الاكرم (ص) كانت ثورة تغيير في كل نواحي المجتمع البشري دون أن تستثني أي شيء من هذه الحياة ، فقد جاءت لتلج أبواب كل شيء . . . وكما هي بالامس هي ذاتها اليوم . . . لها نفس الاهداف التي سعى اليها الرسول الاكرم (ص)، وتتعقب ذات الاغراض ، وتتوخى ذات المصالح . وستبقى هكذا في المستقبل فهي رسالة الى العالمين أجمع ، دون أن تتحدد بإطار زمني أو مكاني محدد .

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1] .

---

(١) سورة الانبياء/ الآية ١٠٧ .

وطبقاً لما يقوله الامام الرضا (ع) فان الاسلام لم يجعله الله :

لزمان دون زمان ، ولناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض[1] الى يوم القيامة .[2]

أما أحكامه ومبادئه فانها ثابتة لا يطالها التغيير حيث يقول الامام الصادق (ع) :

فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة[3] .

وعليه ، فان الاسلام يبقى ثورة إصلاح ليس بمعنى الاصلاح المهادن للواقع المريض القائم ـ كما يفهمه الغرب ـ وانما هو اصلاح يستهدف قلع هذا الواقع واحلال البديل الاسلم محله ، فهو هدى للبشرية جمعاء جاء لينقذها من واقع التوجيه البشري بما يفرضه من مرارة وآلام الى واقع الهدى الالهي بما يحققه من عدل وعز وكرامة للمجتمع البشري .

واذا ما صح ذلك فان الجدير بنا أن نواجه بدقة هذا الاستفسار :

كيف يمكن يا ترى لثورة كهذه أن تشق طريقها وسط صعوبات الحياة ومفاوز المسيرة وعراقيلها كي تصل إلى أهدافها المعلنة والمطلوبة ؟ .

فهي وان كانت ـ عبر القرآن والسنة ـ قد أوضحت أهدافها العامة ، ومنهاج تحركها . . غير أن الثورة ليست هي الاهداف فحسب كما أنها

---

(١) غض : بمعنى جديد وحيوي .

(٢) بحار الانوار ج٢ : ٢٨ للشيخ محمد باقر المجلسي ـ ره ـ دار احياء التراث العربي ط ٣ (بيروت ١٩٨٣) .

(٣) أصول الكافي ج٢ : ١٧ ـ ١٨ للشيخ الكليني الرازي ـ ره ـ دار التعارف ودار صعب للمطبوعات ط ٤ (بيروت ١٩٨١)

ليست هي منهاج الثورة فقط . فهي لا تحتاج دوماً الى الاهداف العامة ومنهج التحرك العام فحسب ، وانما هي في الاعم الاغلب تحتاج بشكل أكبر الى من يجزيء ويبسط لها هذه الاهداف الكبيرة ، ليجعلها أهدافاً أصغر قابلة للتحقيق بملاحظة طبيعة الامكانيات المتوفرة والظروف المحيطة والواقع القائم . وهذه جميعها مسائل متحركة ومتغيرة تتبدل من آن لاخر . ولهذا فهي ليست قابلة للتقنين التفصيلي المبكر بالشكل الذي يجعل من المناسب تشخيص حدودها قبل حيان وقتها بجيل - على سبيل الفرض - وهذا ما سنوضحه بعد قليل .

وكذلك فهي لا تكتفي بعملية تبسيط الاهداف فحسب بل انها تحتاج ايضاً الى من يرسم لها الاستراتيجية السليمة التي توضح الطريق الذي يربط بين الهدف المطلوب والمرحلة المعاشة بكل حيثياتها وخلفياتها وتفصيلاتها .

وعملية من هذا القبيل تستتبع بدورها حاجة اخرى هي الحاجة الى من يعين الممارسة التكتيكية الانسب ، والمتلائمة مع الاستراتيجية المطروحة لعمل الثورة .

ويضاف الى كل ذلك حاجة الثورة الى من يراقب حركتها ، ومدى سيرها نحو الهدف المرسوم لها حذراً من الانحراف والابتعاد عن الهدف الاصلي لحركتها .

وإذا كان من الطبيعي أن تواجه مثل هذه الثورة أشق الصعوبات التي من شأنها أن تربك عمل أي استراتيجية ، بل ولعلها تجعل بعض الاهداف التي كانت للامس القريب ممكنة التحقيق ، مستحيلة في اليوم ، أو أن تدفع بالمسيرة بعدة خطوات تتطلب منها طرح اهداف اكبر من الاهداف التي كانت مطلوبة .

مما يعني أن امكانية الالتجاء الى التبديل والتغيير في طبيعة الممارسة التكتيكية أو حتى ببعض الصيغ الاستراتيجية تعدو مسألة بديهية أو مفروغاً عنها .

وبما أن كل هذه المسائل ليست بمعادلة رقمية أو عملية ميكانيكية أو محصورة ضمن اطار حديدي لا يتزعزعه أي طارىء ولا يؤثر عليه أي شيء . .

لذا كان من اللازم ايجاد المصداق الحقيقي لكل ذلك في الوسط الاجتماعي كي يتحرك هذا الوسط بحركة هذا المصداق ويستهدي بهداه ويتوجه بتوجيهه .

وبديهي عندئذ أن السؤال الذي سينقدح في أذهاننا بعد كل ذلك هو :

من هو الذي سيقوم بهذا كله . . ؟ .

وبادىء ذي بدء ، لا بد من الاشارة الى أنه مما لا شك فيه أن الاعجاز الالهي لا سبيل له في حركة التغيير الاجتماعي فقد شاء الباريء عز وجل أن تكون أداة هذه الحركة مربوطة بذات الانسان أي بالارادة الانسانية :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[1] . .

وإن كان ثمة إعجاز في ثنايا عمل هذه الحركة فهو لطف إلهي وتسديد للحركة لا بمعنى أنه يحل محل الارادة الانسانية ، وبغير ذلك ينتفي مبرر وجود البشرية بأجمعها ، فضلاً عن الاسلام .

كما ان القرآن ، وإن كان قد تولى مسؤولية تعيين الاهداف العامة

---

(١) سورة الرعد/ الاية : ١١ .

والاستراتيجيات العامة ـ على النحو الذي سنشير اليه فيما بعد ـ وكذلك الممارسات التكتيكية العامة . غير أنه لم يجعل من مهمته التفصيل بكل دقائق هذه الامور بشكل يعطي لكل ظرف زماني ومكاني تشخيصاً دقيقاً ومفصلاً بكل ما يحتاجه التحرك من أهداف واستراتيجيات وتكتيك .

ونحن حتى لو افترضنا جدلاً حصول ذلك فان العملية الثورية ـ كأي عملية تمارس ضمن الوسط الاجتماعي ـ عملية ليست ميكانيكية بحتة حتى يمكن الاكتفاء بايجاد كل ذلك . ولو قيض لهذا الامكان أن يتحقق، فان الاسلوب التكتيكي يبقى هو الآخر يحتاج الى من يطبقه بشكل عملي أمام الجماهير التي يراد تحريكها ضمن مسيرة الثورة . والا فان وسم هذا الاسلوب بالمثالية وغير الواقعية التي لا تقبل التحقيق أمر ليس بصعب أو ببعديد ، ونحن لو اطلعنا بشكل بسيط على صفحات التاريخ لوجدنا هذه الحقيقة جلية بشكل واضح . . . فمن دون مصداق حقيقي وواقعي للتحرك لا يمكن للجماهير أن تتحرك حتى وإن اقتنعت بالاطروحة الفكرية التي تقوم على أساسها الثورة ، وكذا لو آمنت بأصل فكرة التحرك فمن دون نموذج عمل ورمز في الاجراء وقدوة في السلوك فانها لا تصيب شيئاً من الهدى ، وكيف يمكننا أن نتصور هداها في الوقت الذي نعلم فيه أن هنالك العديد من الشواهد التأريخية التي تشير الى أن هذه الجماهير على رغم الوضوح الذي لديها إزاء تكليفها الشرعي من قبل الرسول (ص) إلا أنها سارت بوجهة أخرى معاكسة لاتجاهات الاستجابة لهذا التكليف . وخذ في وضعها يوم أحد وحنين وما الى ذلك من عشرات الامثلة .

* * *

إلى كل ذلك أشار القرآن الكريم وهو يسلط الضوء على الكيفية التي سلكها في سد جميع هذه الاحتياجات الملحة لاي حركة اجتماعية تفترض في نفسها انها حركة تتمتع بصفات الواقعية والاصالة والشمولية والعالمية

والانقلابية و. . الخ حيث نراه يقول :

﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾(١)

وعليه . . .

فان مما لا ريب فيه أن القرآن يرى بأن مسألة ايجاد قيادة لتحريك المجتمع وانقاذه من الضلال المبين هي ضرورة ملحة ، بل ان استقصاء هذه المسألة توصلنا الى نتيجة اساسية وهي أن الاسلام قد جعل مسألة ارسال الرسول الى البشر كقائد لهدايتهم في طريق الحياة الشاق مصداقاً على حكمة الله وعدله .

ولكن المشكلة الشائكة التي ظل بعض اطراف الفكر الاسلامي يعاني منها هي فيما اذا كانت هذه الضرورة تبقى موجودة بعد وفاة الرسول (ص) ، أم انها تنتفي بوفاته .

وما دام أن ما تحدثنا عنه ـ في اعتقادي ـ يكفي للعلم ببقاء هذه الضرورة وديمومة مستلزماتها بعد وفاة الرسول (ص) . إذن فلنتساءل بشكل آخر . وان كان المؤدى واحداً : هل من الصحيح ان الاسلام لم يحدد نمطاً محدداً من انماط القيادة ؟ أو انه ترك ذلك لسلامة تختار ما تشاء ، وحسب ما تمليه الظروف عليها ؟ .

---

(١) سورة الجمعة/ الآية ٢ ـ ٣ .

ان ما نعتقده هو عكس ذلك بالكامل ، إذ أن أهمية المسألة القيادية ولخطورة وطأتها على الحركة الاجتماعية فقد تصدى لها الاسلام وحدد لها جميع أبعادها عبر كتاب الله والسنة الشريفة بشكل دقيق لا لبس فيه ولا غموض . إذ لا يعقل أن يفصل الاسلام في احكام العديد من المجالات الثانوية في الحياة ، بل فيما دون ذلك فيضع تعاليم خاصة بكيفية الاكل والشرب وكيفية دخول المساجد ، وليس هذا فحسب ، انما هناك ارشادات خاصة لامور هي أدنى من ذلك بكثير مثل كيفية الجلوس في المرافق الصحية وكيفية التبول والتغوط ينزع الاسلام لوضعها، أقول : من السذاجة بمكان أن نتعقل تشريع الاسلام في هذه الامور ، ومن ثم نتعقل تركه للمسألة القيادية والتي تمتاز بخطورة غير عادية بدون تفصيل ومن دون ابداء موقف حاسم ازائها ، ان تعقل هذه المسألة لا ينم عن سذاجة فحسب بل هو ينم عن اجحاف كبير في فهم الرسالة الاسلامية .

نعم لقد حدد ذلك الاسلام بشكل حاسم ودقيق الى درجة تصل الى أن مجرد عدم معرفة القائد وتشخيصه بدقة قرن بها الموت على ميتة الجاهلية ، أي الخروج عن المنهج الاسلامي واتباع منهج آخر غريب عن الاسلام ولا ينم اليه بصلة .

فقد ورد في الحديث الشريف والمتواتر عن الرسول القائد (ص) قوله :

من مات وهو لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية .(١)

(١) من مصادر أهل العامة يمكن الرجوع الى مسند ابن حنبل ص ٩٦ ، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٠٣ خبر ٤٦٣ ـ ٤٦٤ . أما من مصادر مذهب أهل البيت فيمكن =

ولقد كان هذا الحديث شائعاً بين المسلمين الى الدرجة التي دفعت عبد الله بن عمر بن الخطاب الى أن يطرق باب الحجاج بن يوسف الثقفي ليلاً من أجل أن يبايع لعبد الملك بن مروان ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا بيعة لإمام زمانه ! (بدعواه) وذلك لانه روى عن الرسول (ص) انه قال :

من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية(١) .

ولكن هذا الحسم الذي نقول عنه كيف نتعرف عليه . . ؟ وأين؟ . .

= الرجوع الى بحار الانوار (م . س)ج٢٣: ٧٦ وما بعدها وأصول الكافي (م . س)ج١: ٣٧١ وما بعدها .

(١) ومن الطريف جداً، والشيء بالشيء يذكر ـ ان عبد الله بن عمر الذي رفض أن يبايع علياً على الخلافة ـ عامله الحجاج بكل رذالة واحتقار كما نقل ابن ابي الحديد فقد :

بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله . . . . أن اخرج رجله من الفراش ، فقال : اصفق بيديك عليها . . .

انظر : ابن أبي الحديد في شرح النهج (م . س)ج١٣: ٢٤٢ .

الباب الأول

الأصول الفكرية للقيادة في القرآن

لقد أوضح القرآن الكريم ما تساءلنا عنه آنفاً حينما أشار الى أن قيادة المجتمع المؤمن محصورة في ثلاثة دوائر ، وهذه الدوائر الثلاث اشارت اليها الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[1] .

وربما يتصور البعض أن ما يجب أن يعنينا هنا هو ما عبر عنه القرآن بكلمة : **﴿ أولي الامر منكم ﴾** . إلا أنني أعتقد أن أفضل سبيل للتعرف على حقيقة معنى هذه الكلمة وسط الجدال الواسع الذي يحتدم حولها ، هو التعرف على خلفياتها المعلنة في ذات الآية . إذ أن طاعة **﴿ أولي الامر ﴾** جاءت بعد أن تقدم عليها مبدأ طاعة (الرسول) (ص)، ومن قبله طاعة الباريء عز وجل .

وعليه فان المبدأ المحدد في الآية يؤطر صلاحية القيادة ويبقيها في حدودها الكلية شأناً من شؤون الله ـ عز وجل ـ فالله سبحانه وتعالى الذي تطالب هذه الآية وآيات عديدة أخرى[2] أن ينحصر فيه الولاء الفردي

---

(١)سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٢) وعلى سبيل المثال: **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله =**

والاجتماعي ، هو الذي يحدد للمجتمع الاسلامي ولحركته اهدافه العامة دون سواه . أي أن القيادة الربانية اضافة لما تحتله من بعد معنوي في المجتمع الاسلامي فانها تمثل في الواقع القيادة العليا لهذا المجتمع ، ولهذا قدمت طاعتها على طاعة من سواها .

ولكن القيادة هنا لا تنحصر مهمتها بتعيين الاهداف فحسب ، وانما - وكما أشرنا في السابق - لا بد من وجود استراتيجية تضمن إيجاد السبل والبدائل الكفيلة بتحقيق الاهداف المقررة من قبل القيادة[1] . وهذه مهمة

= ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم . . ﴾ سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

وأيضاً : ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ سورة المائدة ، الاية : ٥٥ .

وأيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون . قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . . ﴾
سورة التوبة ، الآية : ٢٣ - ٢٤ .

(١) لا بد هنا من الاشارة الى خطأ كبير اعتاد المرء أن يسمعه من العديدين ، حينما يخلطون ما بين مفاهيم وضع الاهداف والاستراتيجية ، متصورين ان مهمة الاستراتيجية تتلخص في كونها البحث عن الاهداف التي تخص تحركاً ما ، فيما يعطون للتكتيك مهمة ايجاد السبل والوسائل اللازمة في تحقيق تلك الاهداف . ولكن الواقع هو غير ذلك بالمرة ، حيث ان قضية وضع الاهداف وتحديد اولوياتها لا علاقة لها اطلاقاً بالاستراتيجية وليست من جملة وظائفها وصلاحياتها ، لان مهمة تعيين ووضع الاهداف هي من اختصاص القيادة السياسية العامة .
أما الاستراتيجية فهي تهتم بايجاد الصيغ اللازمة والبدائل المطلوبة لتحقيق الأهداف المحددة سلفاً من قبل القيادة .
أما التكتيك فهو عبارة عن اجراء هذه الصيغ والبدائل ووضعها في موضع التنفيذ والتطبيق .

وان كانت تبدو للوهلة الاولى من مهمات الرسول الاكرم (ص) الا أننا نلاحظ أن القرآن هو الذي اضطلع بمهمة تعيين خطوط الاستراتيجية العامة مما يعني أن مهمة تعيينها بصفة عامة هي من مهمات الله سبحانه وتعالى ايضاً .

ولكن الاستراتيجية التي توضع لتحرك ما لا تقتصر على تحديد العموميات فحسب ، وانما لا بد من تشخيص الخصوصيات وأخذها بنظر الاعتبار . ولان الواقع الحياتي ليس واقعاً جامداً في المفهوم القرآني ، بل هو واقع متحرك لذا كان من غير المعقول أن يتطرق القرآن لوضع استراتيجية خاصة تخص موقعاً معيناً من مواقع التحرك . بيد أنه اكتفى بذكر استراتيجيات عامة تركت فيها مناطق فراغ كي تكتسب طابع المرونة الذي يجعل الاستراتيجية واقعية وقابلة للتحقق ، دون أن يكون لعامل تبدل الواقع الموضوعي للمجتمع أثر في احباط عمل الاستراتيجية العامة . وهنا يمكننا أن نفهم مهمة الرسول الاكرم (ص) في هذا المجال حيث أنه يكون مسؤولاً (ضمن ما هو مسؤول عنه) عن التوفيق ما بين الواقع الموضوعي وما بين الخيارات الاستراتيجية المحددة سلفاً في القرآن . ولعل هذا الامر يتيح لنا فرصة افضل لفهم مفهوم (الهداية المشار اليه في القرآن) :

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾[1] . .

فالرسول من واقع كونه مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى واكثر الناس علماً برسالته يهدي الناس إلى ما من شأنه أن يحقق التوافق المطلوب بين الواقع الاجتماعي الفعلي وما بين الخيارات الاستراتيجية التي من شأن اتباعها ان

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٨ . وسورة الصف ، الآية ٩

تدفع بالتحرك الرسالي نحو الامام وباتجاه الاهداف العامة والخاصة له .

أما مسألة التكتيك اللازمة لتحقيق الاستراتيجية فاننا نرى أن الرسول الهادي (ص) ستكون من وظائفه هداية المجتمع الى التكتيك المطلوب من بين مجموعة الخيارات التي حددها القرآن سلفاً على هذا الصعيد .

وهنا يبقى التساؤل عن الذي يلتزم بتنفيذ الوسيلة التكتيكية اللازمة ؟ وبديهي أن ذلك بعهدة ابناء المجتمع دون فرق بين قيادتهم أو قاعدتهم[1] . ولعل هذا الامر هو الذي يمثل الاساس الذي قام عليه مبدأ (المسؤولية في الاسلام) والذي أشار اليه الرسول (ص) في الحديث المتواتر عنه : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . . .

الى هنا نكون قد انتهينا الى الحقائق التالية :

أولاً : أن الله سبحانه وتعالى هو القيادة العليا للمجتمع الاسلامي . وهو لهذا تصدى لتبيان واستعراض الاهداف العامة التي يجب على هذا المجتمع أن يسعى اليها . كما انه استعرض أيضاً الاستراتيجية العامة والخاصة بتحقيق هذه الاهداف وقرن كل ذلك بما ينبغي تنفيذه من أساليب اجرائية لهذه الاستراتيجية ، ولكن بشكل عام ايضاً . وهنا في كل ذلك نلاحظ أنه قد عمد أيضاً الى تجزئة الاهداف والاستراتيجية والتكتيك الى اهداف واستراتيجيات وأساليب تكتيكية اكثر خصوصية من الاولى،غير انه

(١) من المناسب الاشارة الى أن الآيات الكريمة في الوقت الذي كانت تشير الى الواسطة بين النبي (ص) وبين الله ضمن الافق الذي أشرنا اليه اعلاه فيها كانت تحرص على أن توليه صفة الرسول المرسل من قبل الله . غير انها حينما تريد أن تتحدث عن تساوي الرسول والامة في عملية اجراء الوسائل اللازمة لتحقيق اهداف الرسالة او على الرسول القدوة في هذه العملية فانها تحرص على وصفه بصفاته البشرية . بشراً يمشي في الاسواق ، اوانه (منكم) . الخ .

مهما جزأ في ذلك فانها تبقى ضمن إطار العام لما بعدها ـ على النحو الذي سنوضحه فيما بعد ـ .

ثانياً : أن الرسول (ص) هو الذي يمثل القيادة العليا في الارض بيد أنه لا يتصدى في المرحلة الاولى الا الى ابلاغ المجتمع الاسلامي بشكل خاص والبشري بشكل عام ما حدده له (الله) من وظائف والتزامات ضمن اطار الطريق الذي امره أن يسيروا عليه . الا أنه اضافة الى ذلك يمارس دور الهداية للمجتمع فيعين لهم الهدف المطلوب فعلاً والذي يتحقق باتباع الاستراتيجية المعينة من خلال الاسلوب الفلاني ، ويعينه في كل ذلك كونه يقف على رأس القيادة السياسية العليا في الارض .

* * *

ونحن قبل أن ننتقل الى التعرف على الحقيقة الثالثة المتمخضة من الآية الكريمة بعد هاتين الحقيقتين يجدر بنا أن نوضح بشكل تفصيلي أكثر هذه المفاهيم وبشكل عملي بعد أن تحدثنا عنها بشكل نظري .

ومن أجل ذلك سنجد ضمن محاولاتنا لاستخراج الاهداف العامة للمجتمع الاسلامي انها قد أشير اليها في مناسبات عديدة في القرآن الكريم . فالهدف العام الاساس الذي حدده الله لهذا المجتمع هو تعبيد الانسانية الى الله سبحانه وتعالى وهو ما عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] .

ولكننا في نفس الوقت نجد أن القرآن قد جزأ هذا الهدف الى هدفين مصغرين كانا يمثلان ـ فيما سبق ـ صيغة استراتيجية للهدف الاعم وهذان الهدفان هما :

أولاً : إقامة المجتمع المسلم : وقد أشارت اليه جملة من الآيات

(١) سورة الذاريات / الآية : ٥٦ .

الكريمة من قبيل :

﴿ ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾[1] .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[2] . .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[3] . .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[4] .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾[5] .

ثانياً : القضاء على المجتمع الكافر :

﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ . .[6] .

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ . .[7] .

---

(١) سورة يوسف / الآية : ٤٠ .
(٢) سورة المائدة / الآية : ٤٤
(٣) سورة المائدة / الآية ٤٥
(٤) سورة المائدة / الآية : ٤٧
(٥) سورة آل عمران / الآية : ١٠٤
(٦) سورة الانفال / الآية : ٣٩ .
(٧) سورة التوبة ـ الآية ٢٩

وهنا نجد ضمن هذه المقاطع النورانية أن روحها تمثل أهدافاً عامة للتحرك الاسلامي ، ولكنها اكثر خصوصية من الهدف الاول . والقرآن إذ ذكر هذه الاهداف فقد قرنها أيضاً باستراتيجية خاصة بها من أجل تحقيقها وبلوغها . وهذه الاستراتيجية سنرى انها إذ تجزيء الاهداف فانها في نفس الوقت تقوم بعملية رسم اهداف جديدة ولكنها اكثر خصوصية من سابقتها . فمثلاً من أجل أن يتحقق الشق الاول من هذين الهدفين لا بد من ايجاد بعض المفردات التي اتخذت شكل أهداف صغيرة تمثل بدورها جزءاً من بدائل استراتيجية ونذكر من جملة هذه المفردات ما يلي :

١ ـ تحقيق الوحدة الاجتماعية :

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدةوأنا ربكم فاعبدون ﴾[1] . .

٢ ـ ابلاغ المجتمع مرتبة مجتمع المتقين :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين،الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنونبما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[2] . .

٣ ـ ايجاد سبل الدفاع عن الاخطار الخارجية :

﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾[3] . . .

---

(١) سورة الانبياء/ الآية : ٩٢.
(٢) سورة البقرة / الآية : ٢ ـ ٤.
(٣) سورة الانفال / الآية : ٦٠.

﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها ، فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم . وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾[1] . .

٤ ـ ايجاد وسائل الانضباط الاجتماعي والتي من شأنها أن تحصن الجبهة الداخلية للمجتمع :

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾[2] .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾[3] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[4] .

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب ﴾[5] .

وما الى ذلك من صيغ وبدائل استراتيجية كفيلة بتحقيق الهدف العام المذكور آنفاً .

(١) سورة النساء / الآية : ٩٠ ـ ٩١ .
(٢) سورة الانفال / الآية : ٤٦ .
(٣) سورة آل عمران / الآية : ١٠٤ .
(٤) سورة آل عمران / الآية : ٢٠٠ .
(٥) سورة البقرة / الآية : ١٧٩ .

ولو لاحظنا مجتمع المتقين هنا كصيغة استراتيجية[1] تشترك في تحقيق هذا الهدف لوجدنا انها هي الاخرى تصبح هدفاً ولكن بعمومية اقل وحينما اصبحت كذلك نرى أن القرآن الكريم وضع لها ايضاً بدائل استراتيجية من اجل تحقيقها . لا بد من السعي لايجاد هذه الامور التي تمثل مواصفات هذا المجتمع :

أولاً : تحقيق الترابط والتوافق ما بين الفرد والمجتمع والكون ، كل مع الآخر والكل مع الله سبحانه وتعالى على مستوى النظرية والتطبيق ، وهذا ما حددته المفردات التالية في الآية الكريمة :

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾[2] .

حيث ان المفردة الاولى ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ أرادت من جهة أن ترسي أهم أساس من أسس هذا المجتمع وهو الارتباط بالله والايمان به وذلك لان هذا الاساس لا يساعد على حفظ المجتمع فحسب ، وانما هو عامل جوهري في ديمومة تقدم حركته :

إذ لا مسيرة بدون مطلق تنشد اليه وتستمد منه مثلها . ولا مطلق يستطيع أن يستوعب المسيرة على امتدادها الطويل سوى المطلق الحق سبحانه ، وما سواه من مطلقات مصطنعة يشكل حتماً بصورة واخرى عائقاً عن نمو المسيرة [3] .

(١) ما سنتحدث فيه هنا عن مجتمع المتقين اقتبسناه من مخطوطة كتبناها : « عناصر المجتمع الصالح في القرآن الكريم » .
(٢) سورة البقرة / الآية : ٣ .
(٣) انظر : نظرة عامة في العبادات ـ المطبوع ضمن نظام العبادات في الاسلام ص ٢٤ للشهيد الصدر ـ ط ـ مطبعة الاعلام الاسلامي (طهران) ١٤٠٤هـ .

ومن جهة أخرى عنت هذه المفردة ـ ضمن ما تعنيه ـ بايجاد التعامل السليم مع الوجود كله ـ والذي يؤدي بداهة الى ايجاد العقلية الاجتماعية الناضجة والمتكاملة والتي يمكن تغليفها برباط من شأنه أن يسخر نضجها وتكاملها في خدمة رسالة هذا المجتمع من خلال ايجاد عنصرين أساسيين من عناصر التحرك الاجتماعي وهو عنصر الحافز الدائم للحركة وديمومة بقائه حيوياً في النفس الانسانية ومعلوم أن عنصراً كهذا :

> يحتاج لكي يكون واقعاً عملياً حياً في حياة الانسان الى ايمانه برقابة لا يعزب عن علمها مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . . . والرقابة التي لا يعزب عن علمها مثقال ذرة تتواجد في حياة الانسان نتيجة لارتباطه بالمطلق الحق العليم القدير الذي أحاط علمه بكل شيء ، فان هذا الارتباط بنفسه يوفر للانسان هذه الرقابة ، ويهيء بذلك امكانية نشوء الشعور الداخلي بالمسؤولية [1] .

والعنصر الثاني هو عنصر ترشيد هذا الحافز وتنزيه قصده وسلامة دوافعه . . وبغير هذين العنصرين فان من البديهي أن تثبط هذه العقلية لتستخدم عقلها في تدمير هذا المجتمع كما نرى ذلك كأحد أبرز افرازات الحضارة المعاصرة وعملية ايجاد مثل هذه العقلية تتم من خلال دفع العقل الانساني باتجاه عدم الايمان بجزء منفرد من هذا الوجود وهو ما يكون عادة بالعالم المادي الحسي بل انها تؤمن بجزئيه المرئي واللامرئي أي المادي والغيبي « **عالم الغيب والشهادة** » . وهذا أمر من شأنه أن يدفع بالعقل الانساني الى آخر مداه كي يمكن للمجتمع البشري من أن يسير أغوار

(١) ن . م ص ٢٨ ـ ٢٩ .

الطبيعة كاملة . وبالتالي ليسخرها لنفسه في وقت تكون قيادة هذا المجتمع الاصيلة والعليا مشرفة ومراقبة بشكل شامل لعملية التسخير هذه [1] .

فيما ارادت المفردة الثانية « **يقيمون الصلاة** » أن تجعل المراقبة مشتركة ما بين الله والانسان كفرد على عملية التسخير المشار اليها وذلك من خلال تقوية العناصر التي يخلقها الايمان في حياة الانسان والمجتمع ومن ثم لتتخذ القيم المنعكسة منها طريقها الواقعي والعملي في الحياة الاجتماعية ، فالارتباط بالمطلق « الله » حينما عرفناه كحاجة ثابتة من حاجيات التحرك الاجتماعي السليم لا يمكن أن يتحقق من دون :

> تعبير عملي عن هذا الارتباط يؤكده ويرسخه باستمرار وهذا التعبير العملي هو العبادة . . . [2] .

وذلك لانه من دون هذا التعبير من الممكن جداً أن يتخذ هذا الارتباط مسارات منحرفة كثيرة كالشرك أو كالرهبنة أو . . . الخ كما أن الايمان إذ يوفر عنصر الحافز الدائم للحركة والشعور بالمسؤولية فان هذا الحافز يحتاج دوماً الى تعضيد وترسيخ . وهو أمر لا يتحقق إلا من خلال

(١) وهذا الامر هو الذي يميز عملية التسخير في المجتمع الاسلامي عما سواها . حيث أن هذه العملية حينما تتم في مجتمع لا يراعي هذا الجانب وتكون حاملة لسر فنائها بذاتها .

وفناء المجتمع الذي يحققها . وهذا أمر نلاحظه بشكل جيد وواضح في عملية التسخير المعاصرة من قبل الحضارتين الشرقية والغربية . والتي غدت في وضع لا يحسد عليه مطلقاً ، حيث تعتبر مهددة في كل لحظة بخطر الاندثار . وفي الوقت الذي نجد ذلك نرى أن مجتمع هذه الحضارة مهدد بالاندثار والتلاشي . وذلك لفقدان التعامل السليم مع معطيات عملية التسخير وافرازاتها ، مما جعل هذه العملية تخرج من اطار سيرها نحو أهداف خدمة هذا المجتمع الى سير باتجاه تدميره .

(٢) ن . م ص ٢٤ .

الممارسات العبادية فهي التي تنمي هذا الشعور وتجعله شعوراً ذاتياً وتعود الانسان على التصرف بموجبه لينعكس هذا التصرف بمدلولات اجتماعية حساسة للغاية حيث أن هذا الشعور هو الذي يوجد المواطن الصالح :

> إذ لا يكفي في المواطنة الصالحة ان لا يتخلف الانسان عن أداء حقوق الآخرين المشروعة خوفاً من رد الفعل الاجتماعي على هذا التخلف ، وانما تتحقق المواطنة الصالحة بان لا يتخلف الانسان عن ذلك بدافع من الشعور الداخلي بالمسؤولية وذلك لان الخوف من رد الفعل الاجتماعي على التخلف لو كان وحده هو الاساس لالتزامات المواطنة الصالحة في المجتمع الصالح لامكن التهرب من تلك الواجبات في حالات كثيرة[1] .

هذا علاوة على الدور الاساسي الذي تلعبه العبادة في تنزيه الدافع والمحافظة على سلامته وتدفعه لان يعيش من أجل هدف اكبر من وجوده ومصالحه المادية الخاصة وهذه مسألة :

> ضرورية لانسان عصر الذرة والكهرباء كما هي ضرورية للانسان الذي كان يحارب بالسيف ويسافر على البعير على السواء . لانهما معاً يواجهان هموم البناء والاهداف الكبيرة ، والمواقف التي تتطلب تناسي الذات والعمل من أجل الآخرين ، وبذر البذور التي قد لا يشهد الباذر ثمارها . فلا بد إذن من تربية كل فرد على أن يؤدي قسطاً من جهده وعمله لا

(١) ن . م ص ٢٩ ـ ٣٠ .

> من أجل ذاته ومصالحها المادية الخاصة ، ليكون قادراً على العطاء وعلى الايثار وعلى القصد الموضوعي النزيه . والعبادات تقوم بدور كبير في هذه التربية الضرورية[1] . . . . .

وبناء على هذا وذاك فان عملية التسخير المشار اليها لا يمكن أن تذهب بعيداً عن الاهداف التي أرادها لها الله ، بل تظل أسيرة لخدمة المجتمع المؤمن وتساعده على تكريس جميع الامكانيات في خدمة الوصول الى أهدافه الرسالية .

وما يبقى جديراً بالاشارة ومن أجل رفع ما قد يعلق في الاذهان من التباس هو أن ذكر الصلاة وحدها في هذه الآية لا يعني مطلقاً أن مجتمع المتقين إن توفر فيه عنصر اقامة الصلاة فيعني أنه حقق هذا الترابط والانسجام . بل هو من المؤكد أن الاشارة الى الصلاة هنا لم تكن تعني الصلاة وحدها بقدر ما تعني أمر تحقيق مفهوم العام وهو أمر « **العبادة** » لان ذكر الصلاة مجردة هنا انما هو في الواقع ذكر لشيء خاص أريد به مفهوم عام . وهو امر اعتيادي في القرآن الكريم .

وقد أكملت المفردة الثالثة « **مما رزقناهم ينفقون** » الحلقات التي انتهت اليها المفردتان الاولى والثانية وأتمت الترابط البشري مع (المبدأ الاعلى للكون) من خلال دفع الانسان كفرد الى ممارسة عملية التفاعل الاجتماعي ، لأن عدم ممارستها يحول المجتمع في أحسن صورة الى مجتمع رهباني وكهنوتي وهذا ما يرفضه القرآن بشكل مطلق . حيث أن (الانفاق) الذي عنته الآية الكريمة لا يقصد به الانفاق المادي فحسب ، بل هو انفاق يمتد لكل شيء تستوعبه كلمة (رزقناهم) أي لكل شيء

(١) ن . م ص ٢٥ .

اعطاه الله للانسان ، وعلى رأسه العقل الانساني والارادة الانسانية . وهذا ما أشار اليه الامام الصادق (ع) ضمناً بقوله في تفسير هذه المفردة : ومما علمناهم يبثون [1] .

وحينما يتحقق انفاق العقل الانساني مترافقاً مع انفاق الارادة الانسانية فانه مما لا ريب فيه أن ذلك سيكون مدعاة لتحقيق تفاعل اجتماعي سليم . وهو ما يجعل مسيرة المجتمع محكومة بالتقدم نحو الامام أو على الاقل عدم التراجع عن خدمة اغراض تحرك هذا المجتمع .

وهكذا نرى كيف يسعى القرآن الكريم ضمن هذه الآية الى تحقيق الترابط ما بين الدوائر الثلاثة (الله . الانسان (كفرد وكمجتمع) والوجود الكوني)، معتبراً ذلك اساساً لقيام مجتمع المتقين . فيما نرى أن هذا الترابط هو الوحيد الذي من شأنه أن يصنع وبشكل سليم أمر الفاعلية الحضارية .

* * *

ثانياً : ولقد سعى القرآن الكريم الى اكثر من جعل المجتمع الصالح مجتمعاً فاعلاً حضارياً ، فقد أراد له أن يكون مجتمعاً ذا حضور دائم في السير نحو أهدافه العامة، وهذا ما اشارت اليه الآية الكريمة :

﴿ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ . . [2] .

حيث نرى أن المفردات الثلاثة هنا قد أشارت الى عدة حقائق اساسية من شأن تحقيقها أن يكون المجتمع حاضراً في الساحة التي توصله

---

(١) انظر : الميزان في تفسير القران ١ : ٤٧ للمرحوم الحجة السيد محمد حسين الطباطبائي الطبعة الثالثة . مؤسسة الاعلمي بيروت ١٩٧٣م .

(٢) سورة البقرة / الآية : ٤ .

بشكل مباشر نحو أهدافه . ومن جملة هذه الحقائق نذكر ما يلي :

١ ـ أن المفردات الثلاثة التي تتكون منها الآية قد تم فيها ربط الازمان الثلاثة ضمن اطار واحد وهو هدف التحرك الاساسي مما يعني ان عمل الحاضر في الوقت الذي يجب أن يعتمد على خزين التحرك في الماضي الا أنه يجب أن يفكر دوماً في المستقبل دون أن يعني ذلك غير حقيقة واحدة هي السعي لان يكون المستقبل بمثابة الظرف الذي يتحقق مقدار اكبر من أهداف أكبر . . . .

٢ ـ بملاحظة الآية الكريمة نجد أنها توضح أن حصيلة الماضي والحاضر يجب أن تصب في قناة المستقبل . وهذا الأمر بشير في حد ذاته الى أن الآية تعبر عن لزوم المرحلية في العمل الاسلامي ، شريطة أن لا يتوخى تحرك المجتمع المرحلة الحاضرة بعينها بقدر ما تكون هذه المرحلة بمثابة السلم الذي لا بد منه للوصول نحو مراحل عمل اكثر تقدماً وأقرب الى الهدف العام .

٣ ـ ضرورة التسليم لامر القيادة الاسلامية والخضوع لها .

٤ ـ ومن خلال المفردة الثانية « **وما أنزل من قبلك** » يلاحظ أن الآية قرنت الايمان بمستلزمات المرحلة الحاضرة والتي يقف على رأسها الايمان بالرسول ورسالته بضرورة الالتحام بالمسيرة السابقة وعدم الابتداء من نقطة الصفر . حيث أن مسيرة هذا التحرك ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل ـ لم تبتدأ مبتورة عن الماضي وليست هي وليدة الظروف والواقع الحاضر . بل هي وليدة أجيال سالفة كانت تسعى لتحقيق ذات الاهداف الذي تسعى الى تحقيقه هذه المسيرة . وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة بوضوح :

﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾[1] .

وهذه المفردات بمجموعها في الوقت الذي تشكل فيه صيغة من صيغ تحقيق ذلك الهدف تصبح بدورها اهدافاً مجزأة ومبسطة وقد حدد ذلك القرآن أيضاً .

وخلاصة ما نبغي قوله هنا، ان الله حينما يكون هو القيادة السياسية العليا لهذا التحرك فبمعنى انه هو الذي يحدد له أهدافه العامة دوماً ، ضمن اية صيغة مكانية أو زمانية وجد فيها هذا التحرك ويضع أمامه البدائل والصيغ المناسبة لتحقيق هذه الاهداف[2] وهنا لربما يسهل علينا ـ كما قلنا ـ أن يتوضح لنا دور الرسول (ص) وهو دور هداية لهذا التحرك يستخرج له وبشكل محدد البديل الاستراتيجي المطلوب ، من ضمن عدة بدائل وضعها الله سبحانه وتعالى . وهو في الوقت الذي نجده يحتل موقع الاستراتيجي ، نجده أيضاً يحتل موقع القائد السياسي[3] ضمن اطاره كأحد أفراد بني آدم . وذلك لاننا نعرف أن مهمة الاستراتيجية في احدى جوانبها هي التبسيط السليم لمراحل العمل الخاصة بتحقيق الهدف العام ، ونعرفنا ايضاً كيف تتحول كل مرحلة من هذه المراحل الى هدف يحد

(١) سورة البقرة / الآية : ٢٨٥ .

(٢) لعل هذا الأمر يوضح لنا جانباً من جوانب التأكيد القرآني على مبدأ التقوى وبالخصوص التقوى الجماعية .

(٣) حينما ترد كلمة السياسة هنا فاننا لا نعني بها مفهومها الوضعي . بل اننا نذكرها ضمن المفهوم الاسلامي الذي لا يعرف أي فاصل بين مفهوم السياسة ومفهوم الدين . بل هو لا يحد أي فرق بين المفهومين حيث أن ديننا هو سياستنا وسياستنا هي دينا سيان بين ذلك

ذاته . وهكذا فهو ـ أي الرسول (ص) ـ قائد سياسي يتبع قيادة أعلى ويلتزم بهديها . ولعل هذا الامر هو ما أوضحته الآية الكريمة :

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[1] .

وقوله تعالى :

﴿ وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾[2] . .

وإذا ما كان كل ذلك يعني لنا أن تعيين القيادة السياسية العليا للمجتمع الاسلامي تبقى محصورة بيد الله لانه سبق أن عرفنا أنه انطلاقاً من هذا المبدأ فقد أرسل رسله وبعث أنبياءه ، فان ثمة سؤالاً سيواجهنا عندئذ حيث سيأتي منعكساً من حقيقة ما يشعر هذا المفهوم من أهمية النص الالهي في كل انماط القيادة السياسية في المجتمع الاسلامي ،سواءاً كان هذا المجتمع يعيش في ظل الرسول القائد (ص) أم في ظل غيره ، فالسؤال الذي سيطرح أمامنا هو هل أن هذا الحصر المشار اليه آنفاً يجري على ولي الامر كما جرى على الرسول (ص) أم يظل محصوراً بالرسول (ص) . مدرسة أهل البيت (ع) كما هو واضح ظلت ملتزمة بالقول بأن مسألة تعيين القيادة السياسية للمجتمع الاسلامي في جميع أدواره تبقى محصورة بالنص الالهي ،وان السنة الشريفة هنا تمارس دورها الاعتيادي وهو توضيح هذا النص وتشخيصه . أما غيرها من المدارس فانها رفضت هذا الالتزام وانكرته . ونحن هنا وان كنا نشعر أن بحثنا الى هنا

(١) سورة الاحزاب / الآية : ٤٥ .

(٢) سورة الانبياء / الآية : ٧٣ .

يمكن أن يكون قد وصل الى هذا الفهم وهو لزوم النص . غير أننا سنحاول توضيحه بشكل اكبر في الفقرة القادمة من البحث .

وثمة سؤال آخر هنا وهو أن الله سبحانه وتعالى قد طلب من الذين آمنوا أن يطيعوه ورسوله واولي الأمر . فمن هو ولي الأمر الذي يطلب الله من الذين آمنوا ان يطيعوه على هذا الشكل الجازم والحاسم والمطلق ؟ .

وهل هو الذي يعينه ويقول هذا ولي الأمر ؟ أم انه ترك ذلك لرسوله (ص) ليمارس دوره الطبيعي في تفصيل أوامر الله وشرحها ؟ . وهو الذي قال عنه :

﴿ وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى ﴾ [1] .

(١) سورة النجم/ الآية : ٣ ـ ٥ .

من هو ولي الأمر ؟ . . وما هي مواصفاته ؟ . .

ان كل ما توصلنا اليه عبر الحقيقتين الآنفتي الذكر تنسحب بدورها على « أولي الأمر » فالطاعة تنسحب لهم باعتبارهم القادة السياسيين الموكلين من قبل القيادة السياسية العليا في زمن حضورهم الفعلي ، وغياب القائد الاعلى (الرسول الاكرم) (ص) ، عن الساحة الزمنية .

ومن هنا يمكننا أن نتعرف على أية ضرورة تكمن في مسألة النص على القيادة الاسلامية بعد النبي (ص)، وهو الامر الذي قلنا أن مدرسة أهل البيت (ع) قد أصرت عليه فيما انكره غيرها . ومنشأ الضرورة هنا يعود الى أن نص القيادة السياسية العليا على قيادية الرسول (ص) والتسمية العامة للقيادة التي ستعقب الرسول(ص)،ووجوب الطاعة للاثنين في وقت ممارستهم لصلاحيتهم يستدعي بالضرورة الشرعية من الرسول(ص)،وهو المسؤول عن تفصيل كل ما في القرآن من شكل ومن محتوى والاعراب عن مكنوناته أن يسمي بصراحة عن المقصود باولي الامر خصوصاً وان هذه المسألة ليست من البساطة بحيث يتركها دون تفسير ، ودون أن يعلن عنها بشكل صريح لا غبش فيه لذي عقل ودين . حتى أن القرآن اعطاها أهمية قصوى وصلت الى الدرجة التي جعلت القرآن يعرب

عن أن عدم تعريف هذه المسألة بشكل دقيق ومفصل يجعل الرسول (ص) مقصراً في تبليغ الرسالة وذلك تبعاً لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [1] .

ولا أنوي هنا أن اتعرض بالتفصيل الى اسباب نزول هذه الآية . . ولكن على أي حال سنعرف فيما بعد أن هذه الآية قد نزلت تأمر الرسول بتبليغ شيء خطير وهو تشخيص القيادة الاسلامية من بعده . ونحن يمكننا أن نتلمس خطورة ذلك حينما نشاهد القرآن وهو يحصر هذه المسألة بين عدم تبليغ رسالة الله بأكملها ان لم يتم تشخيص هذه القيادة من قبل الرسول وبين اكمال الدين واتمام النعمة ويأس الكافرين المطلق من النيل من المجتمع الاسلامي بعد أن قام الرسول بابلاغ هذه الرسالة ، حيث نزلت الآية الكريمة التالية مباشرة بعد أن ادى الرسول القائد (ص) مهمته ـ آنفة الذكر :

﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ [2] .

وهذا الامر في الواقع يدلنا على الخلفية الحقيقية التي اعتمد عليها الرسول (ص) في حديثه السابق : من مات وهو لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية . .

---

(١) سورة المائدة / الآية : ٦٧ .

(٢) سورة المائدة / الآية : ٣ .

ونعود الى الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ .

لنتابع حقيقة ما اذا كان قد تم تشخيص من هم المعنيين ﴿ بأولي الامر » فعلاً أم لا ، من أجل أن نقترب من ذلك يجدر بنا أن نتعرض الى واحدة من المواصفات التي اختصها القرآن الكريم للقيادة الاسلامية وهذه الحقيقة تتجلى أمامنا إذا ما تمعنا في قوله تعالى : **﴿ وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾** حيث يأمر القرآن الكريم باطاعة القيادة الاسلامية سواء كانت الرسول (ص) أو من عناه بأولي الامر من دون أن يقيدها بأي قيد أو شرط . وهذا لا يعني وجوب التسليم والطاعة من الامة الى القيادة فحسب بل أن الاهم من ذلك هو أن الله عز وجل يخبر الامة بأن هذه القيادة لا تخالفه في أوامره ونواهيه . وهو اخبار بنبيء بصراحة عن عصمة هذه القيادة . وفي ذلك يقول الفخر الرازي في معرض تفسيره للآية ما نصه :

> ان الله تعالى أمر بطاعة « **أولي الامر** » على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته ، فيكون ذلك امراً بفعل ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ ، منهي عنه . فهذا يفضي الى اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وانه محال . فثبت ان الله تعالى أمر بطاعة اولي الامر على سبيل الجزم . وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعاً أن أولي الامر المذكور في هذه

الآية لا بد أن يكون معصوماً[1] . .

وهو قول ينطوي على معنى كبير ، ويفضي الى نتيجة مهمة في بحثنا هذا خصوصاً وانه يصدر من أحد أبرز مفسري العامة .

ومع الملاحظة الدقيقة لشأن الطاعتين المذكورتين في الآية الكريمة سنجد أن الله قد اختص له بواحدة . فيما جمع الرسول وأولي الامر بطاعة اخرى مما يعني أن أولي الامر يتمتعون بعصمة كعصمة الرسول (ص) الذي لا : ﴿ ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

وقد أشار الى ذات النتيجة الشيخ الطوسي (ره) بقوله أن أولي الامر :

> أوجب الله طاعتهم بالاطلاق ، كما أوجب طاعة رسوله وطاعة نفسه كذلك . ولا يجوز ايجاب طاعة احد مطلقاً ، الا من كان معصوماً مأموناً منه السهو والغلط[2] .

وهذه الحقيقة بذاتها تفند ما انتهت اليه الاقوال الاخرى التي شخصت « اولي الامر» بالعلماء كما ذهب الى ذلك القرطبي فقال :

> وقال جابر بن عبد الله ومجاهد (أولوا الأمر) أهل القرآن والعلم وهو اختيار مالك رحمه الله ونحوه قول الضحاك .
>
> قال : يعني الفقهاء والعلماء في الدين[3] . .

(١) التفسير الكبير ج١٠ : ١٤٤ للفخر الرازي

(٢) التبيان في تفسير القرآن ج٣ : ٢٣٦ للشيخ الطوسي (ره) دار احياء التراث العربي (بيروت)

(٣) الجامع لاحكام القرآن ج٣ : ٢٥٩ للقرطبي دار احياء التراث العربي (بيروت ١٩٦٥)

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى :

> ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾[1]
> فأمر تعالى برد المتنازع فيه الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد الى الكتاب والسنة[2] . .

والى نفس ذلك ذهب الزمخشري في كاشفه[3] وعطاء وابي العالية[4] .

ولو كان القرطبي ومن يناظره في الرأي يشترط في أولي الامر أن يكونوا من العلماء المتفقهين بكتاب الله وسنة نبيه لما كان لنا معه اي كلام وذلك لوضوح هذا المطلب . غير انه حينما يفسرها باهل العلم فهو ما ينافيه ظهور الآية نفسها وايضاحات الآيات الاخرى مما يجعل كلامه وما يمائله غير دقيق .

ومنشأ ذلك يعود من جهة الى أن كلمة العلماء لا تعني أي شيء محدد . فمن هم العلماء ؟ وكيف يغدون علماء فيستحقون لفظة ﴿ اولي الامر» ؟ .

وما هي حدود العلم التي بموجبها يصبحون اولياء للامور ؟ هذا في الوقت الذي نجد فيه ان الآية الكريمة كانت تعني شيئاً محدداً بدقة .

كما يظهر ذلك من سياق الاية الكريمة . . .

(١) سورة النساء/ الآية : ٥٩ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ج٣ : ٢٦ .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج١ : ٥٢٤ للزمخشري .

(٤) التبيان في تفسير القرآن (م . س) ج٣ : ٢٣٦ .

ولو كانت المسألة متوقفة على العلماء لكونهم يعرفون كيفية الرد الى الكتاب والسنة .

فانه من البديهي أن يقال ان الرجوع الى أصل العلماء أولى إذ أن هؤلاء العلماء لم يصبحوا علماء إلا لانهم انتهلوا من منهل علم . وعلم الله لا يمكن الا أن يودع عند رسوله ومن يخوله من بعده لان هذا العلم بحاجة الى مبلغ ينطبق عليه مفهوم قول الله :

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

وهذا المفهوم يستدعي بداهة الى العصمة التي أشرنا اليها آنفاً، مما يجعل المسألة تعود الى قضية كون الكلمة تعني شيئاً محدداً لا عاماً .

أما التحاجج بالتنازع ليكون هو السبب في تفسيره بالعلماء لان الله حينما أمر بطاعته وطاعة رسوله وأولي الامر،.أمر الامة أن ترجع الى الله ورسوله ولم يدعُ الامة كي ترجع الى أولي الامر مما يعني أن أعرف الناس بكتاب الله وسنة رسوله هم الذين يجب الرجوع، اليهم وذلك ما يعني (العلماء) فان ذلك ليس بحجة لان هذا الاستدلال على كل التقادير استدلال ضعيف خصوصاً لاولئك الذين يعرفون استعمال القرآن لاسلوب الايجاز في العرض اذا ما كان العرض وافياً . وليس أدل على ذلك من قوله تعالى :

﴿ واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.. ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً ﴾[1].

(١) سورة النساء/ الآية : ٨٣ .

فهل ان هذا يعني أن القرآن حينما لم يذكر اسم الله هنا لم يطلب الرجوع اليه ؟ .

أم أن الايجاز هو الذي دعا القرآن لان تأتي الآية بدون لفظ الجلالة لوضوح الامر بوجود القرينة الواضحة . ونفس هذا الامر هو الذي كان في الآية المذكورة . فهو لم يذكر أولي الامر في آية التنازع تبعاً لذات الاسلوب .

على أن (أولي الأمر) هنا اذا كانت هي ذاتها (أولي الامر) في الآية السابقة وهي كذلك - فان دلالتها هنا واضحة. فهي لا تشير الى العلماء مطلقاً إذ أن العلماء في زمن الرسول (ص) كانوا هم :

المتحدثون والفقهاء والقراء والمتكلمون في أصول الدين . انما خبرتهم في الفقه والحديث ونحو ذلك ومورد قوله : **﴿ واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف ﴾** هي الاخبار التي لها أعراق سياسية ترتبط بأطراف شتى ربما أفضى قبولها او ردها أو الاهمال فيها من المفاسد الحيوية والمضار الاجتماعية الى ما يمكن أن لا يستصلح بأي مصلح آخر ، أو ليبطل مساعي الامة في طريق سعادتها أو يذهب بسؤددهم ويضرب بالذل والمسكنة والقتل والاسر عليهم[1]..

ولو قدر جدلاً أن المعني بالآية هم العلماء لكان ذلك سيوقع الامة في ارباك واضح، حيث أننا اذا ما كان اعتقادنا بحيوية القرآن في كل العصور، فما هو موقف الامة من هذه الآية ؟ والى أي نمط من العلماء

(١) الميزان في تفسير القرآن (م . س) ج٥ : ٢٣ .

ترجع ؟ في الوقت الذي توزعت فيه الامة الى طوائف متعددة وما بين هذه الطوائف توجد فروقات واختلافات قد تصل في بعض الاحيان الى التناقض التام؟ .

ومن هذا يتضح عدم دقة تفسير الكلمة بالعلماء . ولا أجد حاجة لمناقشة الآراء الاخرى بشكل تفصيلي، والتي فسرت الكلمة بأنهم (امراء السرايا) أو انهم أهل (الحل والعقد) وذلك لان ما لوحظ على تفسير العلماء يلاحظ هنا ولكن بشكل آخر لا يخفى على القارىء . على أن أهل الحل والعقد لم يكن لهم أي وجود في عصر الرسول (ص) . بل كان الرسول (ص) يدخل في مشورته احياناً حتى شيخ المنافقين (ابن أبي) بل حتى غير المسلمين . وامراء السرايا هي الاخرى لا تفيد الا في موقع محدد وهو زمن الحرب فحسب ، وواضح ان الآية لا تنحصر بزمن الحرب مطلقاً كما يتضح من ظهورها .

ومن كل ذلك نستخلص ان هذه الآية تشير الى جهة بذاتها بعد أن اشارت الى الله ورسوله، وهذه الجهة تتمتع بالمواصفات التالية :

١ ـ انها معصومة عن الخطأ والاشتباه .

٢ ـ ان جميع الصلاحيات والمهمات التي كانت ملقاة على عاتق الرسول الاكرم (ص) تنتقل اليها مباشرة بعد وفاة الرسول (ص) .

٣ ـ وتبعاً لذلك فانها تكون المسؤولة عن وضع النقاط على الحروف بالنسبة لشرح الشريعة وتأويلها ، وهي التي تكون الحكم لحل الاشكالات التي قد تعترض فهم الامة لرسالة الله .

وجميع هذه المسائل تشير بدورها الى عدة حقائق نذكر منها ما يلي :

أولاً : أن الاسلام وخلافاً لما يقال ـ هنا وهناك ـ قد ابدى وجهة نظر

محددة ودقيقة للغاية في مسألة القيادة الاسلامية .

ثانياً : أن القرآن أعلن أن هذه القيادة انما تتم من خلال نص الهي وشرعي . لانه لا يعقل أن يترك الله الناس من دون أن يجعل بينهم اماماً هادياً يرجعون اليه بالصغيرة والكبيرة في شؤون دينهم ودنياهم في الوقت الذي يمارس هو فيهم دور القائد المرشد باتجاه اهداف الحركة الالهية .

ثالثاً : أن هذه المسائل لم يكن القرآن ليتحدث عنها بغموض بل هي واضحة وصريحة للذي يبحث عن الحقيقة بنفس مجردة عن الاهواء والمشاعر الخاصة . وهذا الوضوح ـ كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد ـ قد عضدته السنة الشريفة بشكل لا غموض ولا لبس من بعده .

رابعاً : ان القيادة ضرورة وواجبة في داخل المجتمع الاسلامي . وضرورتها مستمدة من نفس ضرورة وجود النبي (ص) . .

وما يبقى جديراً بالذكر هو أن اختصاص الحديث هنا عن آية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ فقط ، ليس لانها الآية الوحيدة في هذا المجال وانما لكونها اكثر الآيات صلاحية في الاشارة الى ذات المسألة على الصعيد الفكري البحت . . وأقول ذلك نظراً لوجود آيات ربما تصلح اكثر ولكن صلاحيتها على الصعيد التطبيقي وحيث أننا ـ كما لا يخفى ـ هنا في صدد الحديث عن الاصل الفكري للقيادة الاسلامية لذا كان اقتصارنا على هذه الآية . .

الباب الثاني

البواعث الموضوعية لتشخيص القيادة بعد الرسول (ص)

لم تكن الاصول الفكرية في الاسلام هي الوحيدة التي تجعل مسألة تشخيص القيادة من بعد الرسول (ص) ضرورية فحسب ، وانما الظروف الموضوعية التي كانت تكتنف وتحيط بالرسالة والمجتمع الاسلامي هي الاخرى تمثل ضرورة قائمة بذاتها*.

ونحن لو تفحصنا هذه الظروف لوجدنا بشكل مجمل أنها مصنفة الى صنفين :

ظروف الثورة :

جاء الرسول الاكرم (ص) برسالة سماوية كانت تحمل اهدافاً تمتد الى عموم البشرية وفي جميع أزمانها . وعلى رأس هذه الاهداف كانت عملية نسف جميع القيم والمعايير التي لا تتلاءم معها. وعملية كهذه من الطبيعي أن تأخذ مسيرها ضمن طريقين :

(*) على الرغم من اختصاره فان البحث الذي افاضت به يراع سيدنا الشهيد الصدر (رض) والموسوم ببحث حول الولاية يعتبر من افضل البحوث التي تطرقت الى هذا الموضوع.

أولهما : احلالها في السطح الاجتماعي لتكون هي الصورة الظاهرية للمجتمع . بمعنى احلال سلوكيات تسيطر على ظاهر السلوك الاجتماعي بدلاً عن تلك السلوكيات المنعكسة من القيم والمعايير الطاغوتية . وفي الوهلة الاولى يمكن التعرف على سهولة هذا العمل لانه لا ينطوي على شرط النفوذ بالسلوكيات الجديدة الى القناعة الذاتية بقيمها ومعاييرها التي قامت على اساسها ـ فحالة من قبيل « **وأد البنات وهن احياء** » والتي كانت مسيطرة في الجاهلية حينما الغيت من ظاهر السلوك الاجتماعي ،فان ذلك لم يكن ليعني أن القيم التي أشيدت هذه الحالة على اساسها قد الغيت هي بدورها . أو أن حالة التعصب العشائري أو القبائلي حينما الغيت من ظاهر الصورة الاجتماعية فان ذلك لم يكن يشعر مطلقاً بان الذهنية الفردية والاجتماعية قد حذفت هذه الحالة من قناعتها الخاصة . ولعل من أفضل الادلة على ذلك اننا نجد أن هذه الحالة سرعان ما تعود وبشكل اكثر خطورة حينما تنتفي المبررات التي جعلتها تنحسر من أن تكون ظاهرة اجتماعية .

ان هذه الحالة هي أشبه شيء بالقانون الذي ينسخ ما قبله . فالمجتمع حينما يفرض عليه قانون ما يعمل بهذا القانون من دون أن يكون باعث هذا العمل هو القناعة بهذا القانون . إذ كثيراً ما تكون هيبة القانون لا مؤدّاه هي الباعث في تنفيذه . ولكن هذه الهيبة حينما لا يلاحظ المرء وجود مصاديقها سرعان ما يجد الباعث في التنفيذ وقد تلاشى بشكل قد يدفعه الى الاجتراء الصريح والواضح على هذا القانون . وفيما يبدو فان الرسول (ص) في حديثه الشريف : ان الله يزع في السلطان ما لا يزع في الاديان . يشير الى هذا المعنى .

وفي هذا الامر يلعب الحد القانوني (القصاص) دوراً

جوهرياً لا القناعة الذاتية . وهذا هو السبب الذي يسهل هذه العملية . على انه اذا اضيفت الى ذلك عوامل اخرى كالعوامل التربوية الخاصة بتنمية القناعة الذاتية بالقيم التي قامت على اساسها فكرة الحد القانوني ،فانه مما لا شك فيه ان هذه العملية ستتضاعف سهولتها . وهذا ما وجدناه في عهد الرسول الاكرم (ص) فان الملاحظ لسطح المجتمع الاسلامي ـ آنذاك ـ كان يرى فيه صورة الصفاء السلوكي الرائع . ولكن هذا الصفاء لم يكن مطلقاً مدعاة للشعور بانه يمثل الواقع الحقيقي لمحتوى سلوك هذا المجتمع[1] . . .

ومثل هذا الامر طبيعي جداً لان عملية التربية الاساسية ليست

---

(١) لا بد هنا من تثبيت تعجبنا من مثالية ولا واقعية الكثير من الكتاب والمؤرخين الذين كانوا يذهبون الى توثيق وعدالة جميع من اطلقوا عليه لفظة صحابة الرسول (ص)، وهي لفظة تمتد تبعاً لابن حجر العسقلاني الى كل :

من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الاسلام فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أم قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى* .

ويذهب ابن الاثير الى أن الصحابة لا تجوز عليهم عملية الجرح والتعديل وذلك :

. . . . . .

(*) انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ١ : ١٠ للحافظ شهاب الدين العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر .

بالعملية التي تتوقف على انتماء المجتمع الى الاسلام بشكل رسمي . بل انها معاناة قد تمتد الى عدة أجيال من أجل اتمامها ، ولعل هذا هو مؤدى

لانهم كلهم عدول لا يتطرق اليهم الجرح**

هذا مع العلم ان العسقلاني يذهب الى :

انه لم يبق بمكة ولا الطائف احد في سنة عشر الا اسلم وشهد مع النبي حجة الوداع .

كما : انه لم يبق في الاوس والخزرج احد في آخر عهد النبي (ص) الا دخل في الاسلام***

ومعنى هذا ان الجميع كانوا صحابة الرسول (ص) . ولهذا فان جميعهم قد تربوا بالتربية الاسلامية العالية بشكل جعلتهم خارجين حتى عن اطار عملية الجرح والتعديل . ولعمري أي استخفاف بالقواعد والاصول ما يذهب اليه هؤلاء .

وما يريد الامر اقناعاً ، أن الكتاب المحدثين قد اخذوا بذلك اخذ المسلمات من دون حتى مجرد تفكير بسيط . علماً بانهم لا يحتاجون الى عسير جهد كي يدركوا ان معظم الضوابط التي تحدث عنها ابن حجر العسقلاني ، وابن الاثير وامثالهما لا تعبر مطلقاً عن أي ضرورة شرعية أو عرفية أو اخلاقية أو علمية لعدالتهم وانتفاء الجرح والتعديل عنهم . والا ما علاقة رؤية الرسول (ص) بعملية التربية ؟ ولماذا لم تؤثر رؤيته ومعاشرته ونصحه لشيخ المنافقين مثلا في تصحيح مسيرته؟ هذا مع العلم أن القرآن يوصي الرسول (ص) بان في المدينة منافقين لا يعرفهم : ﴿ **وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ سورة التوبة / الآية : ١٠١ .

بل اما تساءل هؤلاء عن سبب نزول سورة (المنافقون) في المدينة ؟ اذا كانت الضوابط هي ما أفاضت به قريحة ابن حجر وأمثاله .

(**) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ : ٣ لابي الحسن الجزري المعروف بابن الاثير .

(***) الاصابة في تمييز الصحابة ١ . ١٣

الآية الكريمة : ﴿ **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم** ﴾[1] .

وثانيهما : وهو الاصعب والاهم . وهو كيفية النفوذ بالقيم والمعايير الجديدة الى أصل الجذور التي يتشكل منها المجتمع ، بحيث تكون هذه القيم هي التي تلون السلوك الاجتماعي وهي التي تتحكم فيه . فلقد كان القضاء على عبادة الاصنام سهلاً للغاية ، ولقد كانت لفظة « لا إله إلا الله » مشاعة بشكل واسع جداً . غير أن النفوذ بكامل مباديء التوحيد هل كانت عملية سهلة ؟ وهل كانت مشاعة في السلوك الاجتماعي ؟ ام انها ظلت هي الصعبة المستصعبة ؟ .

والمراقب المتفحص لا يجد صعوبة في العثور على حقيقة أن الطريق الاول قد تم انجازه بشكل رائع في زمن فجر الرسالة . الا أن الطريق الثاني لم يشهد الا تقدماً ميسوراً وجزئياً للغاية . وهذا الامر - في الواقع - هو شأن كل رسالة ثورة ، ودعوة انقلاب . إذ أن مبادئها الاصيلة وقيمها الاساسية تبقى بحاجة ماسة الى زمن طويل قد يمتد الى عدة اجيال يتخللها جهد ضخم وواسع من العمل التربوي والرقابة المستمرة على هذه العملية ، حتى يتشكل من بعدها الجيل المؤمن بشكل جيد بهذه الرسالة والدعوة . ولعل ملاحظة بسيطة الى التاريخ الرسالي ما يمكن أن تقدم لنا مصداقاً رائعاً في هذا المجال فعبر التأريخ الممتد بين أول نبوة في الارض وبين آخر نبوة تشهد بهذه الحقيقة بجلاء حيث أن جهد (١٢٤ الف نبي) لم تثمر عن ولادة مثل هذا الجيل بشكل دقيق . فكيف يا ترى يمكن مطالبة الرسول (ص) بتحقيق ذلك في ظرفية عقدين من الزمن ؟ .

---

(١) سورة الحجرات / الآية : ١٤ .

وهنا من حقنا أن نتساءل عما اذا كان الرسول الاكرم (ص) قد أدرك جملة هذه الحقائق أم لا ؟ .

وبعبارة اخرى هل انه ادرك ان عملية التربية لا تحتاج الى التنظير التربوي فحسب بل أن حاجتها الى العناية التربوية لا تقل عن حاجتها الى النظرية التربوية هذا اذا لم تكن اكثر؟ .

فاذا كان من البديهي أن يكون الجواب بالايجاب اي انه كان يدرك جميع ذلك .

نعود نحن لنتساءل عن كيفية تصرفه ازاء حل هذه المشكلة ؟ خصوصاً أن الرسول (ص) قد لاحظ اكثر من مرة ان اغلب الذين يحيطون به ما زالت مبادىء دعوته لم تتغلغل فيهم وخذ مثلاً على ذلك : نكسة معركة احد وما اعقبها من فرار اشترك فيه اغلب الصحابة ولم يبق مع الرسول (ص) تبعاً للواقدي الا :

علي وأبو بكر[1] وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص[1]، وطلحة بن عبيد الله والزبير[1] وابو عبيدة بن الجراح[1]، وسبعة من الانصار هم الحباب

(١) يبدو ان أبا بكر وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة والزبير كانوا ممن انهزموا مع المنهزمين غير انهم رجعوا فأبو بكر قال . لما جال الناس عن رسول الله يوم أحد كنت أول من افاء . . (ثم اضاف بان : أبا عبيدة بن الجراح تبعه .
انظر : المستدرك على الصحيحين ٣ : ٢٧ للامام محمد بن عبيد الله النيسابوري المعروف بالحاكم ، مطابع النصر في الرياض ١٣٣٥ هـ .
أما سعد بن أبي وقاص فقد روى عنه الحاكم قوله : لما جال الناس عن رسول الله تلك الجولة يوم أحد تحببت فقلت أذود عن نفسي (ن . م) ص ٣ : ٢٦ .
اما الزبير فقد نقل كل من ابن هشام والحاكم قوله : وخلوا ظهرنا للخيل فأتتنا من ادبارنا ، وصرخ صارخ : الا أن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ القوم . .
(ن . م) ٣ : ٢٨ والسيرة النبوية ٢ . ٧٨ لابن هشام الحميري . دار المعرفة =

ابن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ واسعد بن خضير وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة[1] وقد يزاد الى ذلك عدد بسيط بما فيهم المقداد بن الاسود[2] . . .

وكذلك تزلزل اصحابه جميعاً ـ ما عدا امير المؤمنين (ع) في معركة الاحزاب ووصول قلوبهم الى حناجرهم ـ تبعاً للقرآن الكريم[3] ـ نتيجة لعبور عمر وبن ود العامري وتحديه اياهم .

ثم فرار صحابته بأجمعهم ما عدا نفر معدود قد لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة وكان على رأسهم امير المؤمنين (ع) في يوم حنين .

ورفض العديد من صحابته المسير تحت لواء اسامة بن زيد لصغر سنه على الرغم من اصراره الشديد في بعث جيش اسامة لقتال الروم ، ذلك الاصرار الذي وصل الى الحد الذي جعله يقول : انفذوا بعث اسامة لعن الله من تخلف عنه[4] . . .

= (بيروت) .
(١) نقلها عن مغازي الواقدي ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ : ٣٨٨ .
(٢) المستدرك على الصحيحين (م . س) ٣ : ٢٦ .
(٣) يقول تعالى وصفاً لذلك : « إذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا . . . الى قوله : ان يريدون الا فراراً » سورة الاحزاب / الآية : ١٠ ـ ١٣ .
(٤) انظر في رحاب ائمة آل البيت (الامام امير المؤمنين- عليه السلام ـ ص ٩٤ السيد محمد بحر العلوم (دار الزهراء ـ بيروت ١٩٨٠ ط ٢) .

وانه (ص) صرح لجموع المسلمين بشكواه من عدم طاعته وعدم قبولهم باوامره . فهو قبل وفاته - بأبي وامي - بيوم واحد، وفيما كان المرض يعتصر جسده الشريف : خرج عاصباً رأسه ، فصعد المنبر وعليه قطيفة فقال :

« أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير اسامة ! لئن طعنتم في تأميري اسامة ، فقد طعنتم في تأميري اباه من قبله ، وأيم الله انه كان لخليقاً بالامارة»[1] . . .

وأمر رزية يوم الخميس أشد وأمرُّ في تبيانه لهذه الحقائق حيث جوبه الرسول (ص) بفظاظة من قبل بعض الصحابة واتهمه أحدهم بالهذيان والتخويف بعد أن طلب من هؤلاء أن يؤتوه بكتاب يكتب لهم فيه ما عبر عنه الرسول (ص) : ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً .

وبعد أن لغط هؤلاء عند الرسول (ص) صاحت زينب بنت جحش - على ما يبدو - بهم : الا تسمعون النبي (ص) يعهد اليكم . وصاحت اخرى : ائتوا رسول الله (ص) بحاجته . فما كان من احدهم الا ن صرخ في النسوة قائلاً :

« اسكتن فانكن صواحبه . اذا مرض عصرتن اعينكن واذا أصبح اخذتن بعنقه » .

مثل هذا الكلام الذي حاول صاحبه ان يعتم على طلب الرسول (ص) بمثل هذه الاساءة ردّ عليه الرسول (ص) بقوله : هن خير منكم[2] . .

(١) شرح نهج البلاغة (م . س) ج١ : ١٥٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ج٢ . ٢٤٣ - ٢٤٥ لابن سعد ، دار صادر ، بيروت .

وقوله (ص) هذا يشير بوضوح الى مدى لوعة الرسول (ص) من هؤلاء وهي اللوعة التي توفى (ص) بعدها مباشرة .

ولعل هذا يكفي لكي نتعرف على ان الرسول (ص) كان يدرك تماماً أن الأمة لم تصل الى مستوى التربية الطبيعي فضلاً عن غيره، وان ما يظهر عليها من سلوك تربوي ما هو الا شكل يختلف عما تحته من محتوى ومضمون . ونعود هنا مرة اخرى لنعيد طرح ما تساءلنا عنه حول تصرف الرسول (ص) لحل هذه المشكلة . فهل حلها الرسول (ص)؟ أم تركها من دون حل ؟ .

لندع الجواب مؤقتاً ، من اجل مواجهة حالة اخرى هي ايضاً ستفضي بنا الى ذات السؤال . وهذه الحالة تتعلق بالمدى الذي وصل اليه الوضوح في تبليغ كامل رسالة الله سواء على المستوى الابلاغي أو على مستوى وعي هذا الابلاغ .

وبكلمة اخرى نقول : هل فهم المسلمون كامل شريعتهم فهماً مركزاً وواعياً من شأنه ان يتلاءم مع رسالة يراد ابقاؤها حتى يوم القيامة بشكل لا يدخل اليها الانحراف ولا يمسها التحريف ؟ .

ان الواقع يشهد بعكس ذلك إذ أن ما في ايدينا من روايات واحداث عن هذه المسائل يلقي ظلالاً من الاحباط . فلقد كان الاتجاه البارز لدى الصحابة هو العزوف عن سؤال الرسول (ص) اللهم :

الا في حدود المشاكل المحددة الواقعة[1] وهذا

(١) لقد كان الخليفة الثاني يقول : لا يحل لاحد أن يسأل عما لم يكن ، ان الله قد قضى فيما هو كائن .

وجاء رجل يوما الى ابن عمر يسأله عن شيء، فقال له ابن عمر : لا تسأل عما لم يكن =

الاتجاه هو الذي أدى الى ضآلة النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول (ص) وهو الذي أدى بعد ذلك (الى)[1] الاحتياج الى مصادر اخرى غير الكتاب والسنة كالاستحسان والقياس ، وغيرهما من الوان الاجتهاد[2] التي يتمثل فيها العنصر الذاتي للمجتهد الامر الذي أدى الى تسرب شخصية الانسان

= فاني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن
انظر : سنن الدارمي ١ : ٥٠ .

وسأل رجل ابي بن كعب عن مسألة ،قال : يا بني اكان الذي سألتني عنه ؟ قال : لا ، قال : اما لا ، فأجلني حتى يكون (ن.م) ج١ :٥٦ .

راجع : بحث حول الولاية ص٤٢ ـ ٤٣ للسيد الشهيد الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، ط ٢ (بيروت ١٩٨١) .

(١) يبدو انها ساقطة عن الاصل .

(٢) المقصود هنا بالاجتهاد ليس هو المتعارف لدى مدرسة أهل البيت (ع) والذي يعني بذل الجهد لاستنباط الحكم الشرعي من مصادر وأدلة التشريع ، بل هو ما تعنيه الكلمة في مدارس الفقه السني والتي تشير الى : أن الفقيه اذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً ولم يجد نصاً يدل عليه في الكتاب أو السنة رجع الى الاجتهاد بدلا عن النص (وهو ما يعني) :

> التفكير الشخصي فالفقيه حيث لايجد النص يرجع الى تفكيره الخاص ويستلهمه ويبني على ما يرجح في فكره الشخصي من تشريع وتدبير عنه بالرأي ايضاً .

انظر دروس في علم الاصول ج١ :٥٥ للسيد الشهيد الصدر ، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ودار الكتاب المصري (القاهرة) ١٩٧٨ط ١ ويعرفه ابو حامد الغزالي بقوله : هو عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الافعال ولا يستعمل الا ما فيه كلفة وجهد . لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم باحكام الشريعة .

انظر المستصفى في أصول الفقه ج٢ : ١٠٩ لابي حامد محمد الغزالي . مصطفى =

بذوقه وتصوراته الخاصة التشريع[1] . . . .

وهذه القضية اذا ما لوحظت على أساس كون الاسلام رسالة عالمية جاءت لكل الازمان فمن البديهي بمكان انها ستفضي الى نتيجة اساسية وهي ابتعاد الحكم الشرعي عن الشريعة الاصيلة . لأنه في هذه الحالة سيدخل المزاج الشخصي للفقيه حتماً في اصدار الحكم ازاء تفسير الشريعة الاساس فكيف يا ترى سيكون الحكم ازاء المسائل المستجدة ؟ ! .

ولا نقول ذلك اعتباطاً فما شهدناه من ابتعاد الاحكام الشرعية في زمن الخلفاء الثلاثة عن ظاهر نص الكتاب والسنة والذي اعتذر عنه بحجج الاجتهاد ينبيء عن تلك النتيجة بوضوح وصراحة .

فاحراق ابي بكر للفجاءة السلمي كان مخالفاً بشكل صريح لظاهر الآية الكريمة :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في

= البابي الحلبي (١٣٥٦) هـ .

ويعلل السيد رضا الصدر أسباب كل ذلك بقوله ان عدم كفاية الاخبار النبوية الموجودة عند المدرسة الفقهية السنية :

> لبيان جميع الاحكام الفقهية حداهم الى الاحتياج في استنباط احكام الحوادث الواقعة ، الى القول بحجية القياس . ولما لم يف القياس بها ، لجأوا الى الاستحسانات العقلية ، والى الحكم على طبق ما يرونه ، من المصالح والمفاسد الظنية .

انظر : الاجتهاد والتقليد ص ١٨ للسيد رضا الصدر ، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري الطبعة الاولى ١٩٧٦ .

(١) انظر بحث حول الولاية ٤٣ ـ ٤٤ .

الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ﴾[1] .

وتمثيل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة بعد قتله والدخول بامرأته في ذات الليلة مخالف بشكل صريح للكتاب والسنة . ثم عدم الاقتصاص من خالد من قبل ابي بكر لفعلته هذه هو الآخر مخالف بشكل جلي للكتاب والسنة .

وتفريق عمر بن الخطاب في العطاء بين المسلمين كان مخالفاً تماماً لما كان يفعله الرسول (ص) ومنعه الخمس عن أهل البيت (ع) هو الآخر مشابه لما اسلفنا . مع العلم ان ذلك كان في زمن الرسول (ص) ومنعه المتعة وتصريحه بانها كانت في زمن الرسول (ص) وهو يمنعها ويحرم عليها .

ثم عدم قبول الخليفة الثالث بالاقتصاص من عبيد الله بن عمر نتيجة لقتله الهرمزان رغم وضوح حكم الاقتصاص .

ان هذه الامثلة وعشرات غيرها كلها تشعرنا بالنتيجة التي اشرنا اليها . والمصيبة اكثر ان جميع هذه الامور وغيرها قد تم الاعتذار عنها من قبل المؤرخين والفقهاء بان هؤلاء اجتهدوا ولكن اجتهادهم كان خطأ .

ولعمري اذا كان الاجتهاد في قبال النص جائزاً ، فلماذا بعث الله رسولاً من قبله؟! .

ازاء هذاالحال فمن المؤكد ان الرسول (ص) كان يعلم ضآلة ما

---

(١) سورة المائدة / الآية : ٣٣ .

شاع لدى الامة من فهم للشريعة . وهذه الضآلة يمكن أن نتصورها من خلال ما يقرره السيد الشهيد الصدر (ر ض) بقوله :

« أن مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن النبي (ص) في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث ، بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر الفاً على ما أحصته كتب التأريخ . وكان النبي (ص) يعيش مع الآلاف من هؤلاء في بلد واحد وفي مسجد واحد صباحاً ومساءاً[1] . .

ترى هل أن مثل ذلك يتناسب ودعوة تطرح نفسها لكي تكون عالمية لا تتأثر بمكان ولا زمان . .؟ [2] .

---

(١) ن . م ص ٤١ .

(٢) من الظريف جدا ان السيد الشهيد يقول :
ان الجيل المعاصر للرسول (ص) لم يكن يملك تصورات واضحة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي يمارسها مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة . ونذكر على سبيل المثال لذلك ، الصلاة على الميت فانها عبادة كان النبي (ص) قد مارسها علانية مئات المرات ، وأداها في مشهد عام في المشيعين والمصلين وبالرغم من ذلك يبدو ان الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة ما دام النبي (ص) يؤديها وما داموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل ، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي في عدد التكبيرات في صلاة الميت .
فقد اخرج الطحاوي عن ابراهيم قال : قبض رسول الله والناس مختلفين في التكبير على الجنازة لا تشاء ان تسمع رجلا يقول : سمعت رسول الله يكبر سبعا ، والآخر يقول: سمعت رسول الله يكبر خمسا ، وآخر يقول : سمعت رسول الله يكبر اربعا بحث حول الولاية ص ٤٨ نقلا عن عمدة القارىء ٤ : ١٢٩ وانظر طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨٩ ومما يبدو فان المسألة لم تتوقف عند المسائل الفقهية بل حتى في المسائل الاعتقادية فهذا عمر بن الخطاب وهو الصحابي البارز يقول ابان اللغط الذي حصل في رزية يوم الخميس ما نصه :

أم أن هناك شيئاً يختلف عن ذلك بالمرة؟ . . .

ان الضرورة التربوية والعلمية والتفقيهية ـ ان صح التعبير ـ كلها تستدعي من الرسول ان يفكر بمرحلة ما بعد حياته تفكيراً جدياً وحريصاً بشكل كامل على مصير دعوته ورسالته . والا فمن الذي سيضمن عدم ضياع تلك الجهود الدامية التي بذلت من اجل نصرة الدعوة الاسلامية وتقويتها ؟ .

ومن المستحيل عقلاً ان يغفل الرسول هذه المسألة ويتركها تواجه المصير القاتم . كما انه من السذاجة القول بأن الموت قد داهم الرسول (ص) وهو بعد لم يتخذ القرار الحازم بهذا الشأن . لانه مع إحساسه الاكيد ـ كما عرفنا ـ بهذا الوضع، كان يعلم ان سنته التي توفي بها هي آخر سنة من عمره وهذا ما يظهر بوضوح من خطبته في حجة الوداع والتي استهلها بقوله : ايها الناس اني دعيت ويوشك أن اجيب .

ان مجموع ما لدينا من اخبار ومن روايات تؤكد ان الرسول (ص) لم يكن موقفه لا مبالياً ازاء هذا الموضوع . بل ان ذلك كان يحتل موقعاً حساساً من تفكير الرسول وليس أدل على ذلك من أن الرسول (ص) كان يتابع هذا الموضوع حتى آخر لحظات حياته .

= من للمدائن والروم . ان رسول الله (ص) ليس بميت حتى نفتحهما ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى . انظر طبقات ابن سعد ٢ : ٢٤٤ .
لا اسمعن احدا يقول : ان محمداً قد مات ولكنه أرسل اليه كما ارسل الى موسى بن عمران فلبث عن قومه اربعين ليلة . والله اني لارجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم يزعمون أنه مات .

(ن . م) ٢ : ٢٦٦ .

ولان نمط القيادة السياسية هو اكثر العوامل تاثيراً في ضياع مسيرة الامة أو الحفاظ عليها، لذلك فانه عبر عن مسألة تعيين هذه القيادة من بعده دوماً بعبارة : ما ان تمسكتم بها لن تضلوا من بعدي ابداً ـ كما ستعرف ذلك في الباب الثاني من هذا الفصل .

ظروف مجتمع الثورة :

الظروف التي كانت تكتنف المجتمع الاسلامي وتحيط به إبان الايام الاواخر من عمر الرسول (ص) كانت قد تفاقمت بشكل دراماتيكي رهيب الى درجة لم تكن تسمح لاي انسان يتمتع بقدر بسيط من الادراك، أن يتصور أن ثمة موقفاً سلبياً من قبل رسول الله (ص) ازاء تحمله المسؤولية تجاه معالجة هذه الظروف بشكل من شأنه ان يقضي على آثارها السلبية ، فلقد كانت هذه الظروف صعبة وقاسية للغاية، وكان ادنى قدر من الاهمال يعني تعرض هذا المجتمع لاخطار ماحقة . ولعل اطلالة بسيطة على الخارطة السياسية التي كانت سائدة في الفترة الاخيرة من عمر الرسول الشريف (ص) تكفي لاماطة اللثام عن طبيعة المخاطر التي أشرنا اليها . ويمكننا استعراض مفردات هذه الخارطة من خلال المفردات التالية :

أ ـ حزب النفاق : لم يكن حزب النفاق جديداً على مجتمع الرسول (ص) بل انه ولد في الايام الاولى من قدومه (ص) الى المدينة المنورة . وعلى الرغم من وجود الرسول (ص) وهيبته التي كانت تفرض اهابها على الاجواء السياسية، الا أن حزب النفاق بزعامة (بن أبي سلول) استطاع في العديد من الاحيان أن يضع العراقيل أمام المسيرة ويحاول بلبلة الاجواء . ومن الطبيعي ان يحذره الرسول (ص) ويحسب له الف حساب

في فترة ما بعد وفاته خصوصاً انه كان كثير التصريح للمسلمين من أنه لا يخشى عليهم المشركين والكافرين لان شركهم وكفرهم يردعهم ،وانه لا يخشى عليهم المؤمنين لأن الايمان يردعهم وان كل ما يخشاه عليهم هو دور المنافقين ، وقول كهذا ذا مغزى مهم في الحسابات السياسية . هذا علاوة على أن أي ارتباك في وضع الرسول (ص) الصحي سيؤدي بداهة الى نمو هذا الحزب وتعزيز قوته . مع العلم بأن طبيعة المجتمع كانت تساعد على ذلك الى حد بعيد .

ب ـ ان قطاعات كبيرة من مسلمي الايام الاخيرة في مجتمع الرسول (ص) كانت من (مسلمي الفتح) وهؤلاء كل شيء يمكن أن يصح عليهم ما عدا اخلاصهم في اسلامهم . فلقد دخلت غالبيتهم في الاسلام رهبة من سيفه ، وطمعاً في انجازاته المادية وجباً لجرائم كانوا قد ارتكبوها في الجاهلية باعتبار ان الاسلام يجب ما قبله كما في حديث الرسول(ص)،وكيف يمكن تصديق اسلامهم وفيهم من أمثال ابي سفيان واولئك الذين طلب الرسول قتلهم وان وجدهم المسلمون متعلقين بأستار الكعبة وهم :

« عكرمة بن أبي جهل[1] ، وهبار بن الاسود وعبد الله ابن سعد بن ابي سرح[2] ، ومقيس بن ضبابة

(١) من عجائب الامور أن يغدو عكرمة من كبار الصحابة او يعتمد لدى ائمة الاحاديث كواحد من أبرز المحدثين عن رسول الله (ص).

(٢) المضحك المبكي ان الخليفة الثالث ولاه ولاية مصر واقتطع له اراضي وممتلكات شاسعة فيها . وقد كان الخليفة الثالث قد خبأه والتمس له الصفح والعفو من رسول الله (ص) غير أن الرسول (ص) لم يقبل هذا الالتماس الا بعد الحاح شديد ولما وافق على ذلك عاتب المسلمون على عدم قيامهم بقتله رغم امره الصريح . وابن أبي سرح يعد واحداً من الاسباب المهمة التي أفضت الى الثورة على عثمان .

الليثي ، والحويرث بن نقيد[1] ، وعبد الله بن هلال وهند بنت عتبة[2] ، وسارة مولاة عمر وابن هشام[3] .

وفيهم الذين قال لهم رسول الله (ص) :

« الا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتم ثم مارضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون اني فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ! .
قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! .

فخرج القوم فكأنما انشروا من القبور ودخلوا في الاسلام . . [4] .

على أن غالبية ما يصطلح عليهم (بمسلمة الفتح) هم ابناء وارحام اولئك الذين قتلهم جيش الرسول (ص) بالامس في معاركه المظفرة وبالتالي هل من حق الرسول (ص) الرسالي أن يطمئن لهؤلاء الذين تغلغلوا في وسط المجتمع الاسلامي وعرضه . . ؟ .

(١) يبدو ان الصحيح هو بن نفيل وقد قتله الامام امير المؤمنين (ع)

(٢) زوجة ابي سفيان وأم معاوية وهي التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة حتى لفظت بأكلة الاكباد .

(٣) انظر فقه السيرة (م . ش) ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ اضافة الى جارية اخرى وانظر ايضاً السيرات في تفسير القرآن ٢٠ : ٣٨٢ (م . س) .

(٤) ملفقة بين الميزان في تفسير القرآن (م س) ٢٠ : ٣٨٣ ومروج الذهب معادن الجوهر ٢ : ٢٩٠ لابي الحسن المسعودي . دار الهجرة قم (ط٢ في ايران عام ١٩٨٤)

أم أن من أبسط المسائل ان يحتاط لذلك أشد الاحتياط ؟ .

جـ ـ اليهود هم المفردة الثالثة في هذه الخريطة . صحيح أن اليهود كانوا قد تعرضوا لضربات مهلكة في المعارك التي خاضها الرسول (ص) ضدهم غير انه من غير المعقول ان هؤلاء الذين أبعدوا عن ديارهم وممتلكاتهم ورأوا بأم اعينهم وعلى مسمع منهم مقتل قادتهم وابنائهم، يمكن أن ينسوا ذلك بسهولة دون أن يحاولوا المستحيل للنيل من المجتمع الاسلامي، سواءاً أكان ذلك عن طريق الجهد الفردي الخاص أم عن طريق التنسيق مع القوى المعادية للرسول (ص) والموتورة منه .

د ـ القوى التي ترابط على حدود الدولة الاسلامية كالروم والفرس وحلفائهم . ولقد كان بالامكان تصور هؤلاء وهم يغضون نظرهم عما يحدث في الحجاز لو أن الرسول (ص) ظل ينظر بأفق محدود لا يتعدى الحجاز، او لو أنه لم يكن يحمل رسالة تهدد كيانات هؤلاء جميعاً . الا انه حينما يبادر الى مخاطبتهم بخطاب : اسلم تسلم . . في باديء انطلاقة الدعوة الاسلامية، وحينما يرسل جيوشه لتدك ابواب الامبراطورية الرومانية او لتقبع الى القرب من حدود الامبراطورية الفارسية، او لتهدد أمن امبراطورية الاقباط والاحباش فان تصوراً كهذا يغدو سذاجة وبلاهة ممقوتة لا تليق بفرد عادي، فكيف يا ترى يمكن القبول بشكل أو بآخر أن الرسول (ص) يحمل مثل هذه التصورات والافكار غير انه لا يفكر او لا يتصدى لرسم صورة المستقبل بنفسه ويحدد آفاقها ؟ .

ولربما يلجأ البعض الى عكس الصورة ليزعم بان الرسول (ص) لم يكن على علم بهذه المشاكل، او انه علم بها بشكل مجمل غير انه اطمأن للمستقبل نتيجة لاعتماده على الصحابة في مهمة القضاء على هذه الاخطار او التقليل من حدتها او تحييدها .

الا ان واقع الحال غير ذلك تماماً :

فمن جهة كان الرسول (ص) على علم تام بجميع هذه المشاكل . وهو لم يكن مطمئناً لما يطلق عليه بكلمة الصحابة فضلاً عن ان يطمئن لدورهم فيما بعده وهو الذي يتصرف عن : وحي يوحى له ، لا يمكنه ان يغامر بشيء لا يعتمد عليه لا هو ولا مصدر الوحي .

فهؤلاء الذين نسميهم بالصحابة كان قسط كبير منهم قد تحدث عنهم القرآن الكريم بهذا الوصف :﴿ **علم ان فيكم ضعفاً** ﴾ (١) .

والقسط الآخر كان الرسول قد شاهد تصرفاته ووهنه في اللحظات الحاسمة على النحو الذي أشرنا اليه فيما سبق .

أما سواد المجتمع الاسلامي فها هو القرآن يحذر الرسول (ص) بطريقته الخاصة من واقعهم ويقول :

﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً** ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ **وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم** ﴾(٣) .

وقال أيضاً :

﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾(٤) .

---

(١) سورة الانفال/ الآية : ٦٦ .
(٢) سورة آل عمران / الآية : ١٤٤ .
(٣) سورة التوبة / الآية : ١٠١ .
(٤) سورة التوبة / الآية : ١٠٢ .

وقال أيضاً :

﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن﴾[1] .

وقال أيضاً :

﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . . لو يجدون ملجأ او مغارات أو مدخلاً لولوا اليه وهم يجمحون . . ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾[2] .

ومن جهة اخرى كان الرسول (ص) قد أعرب اكثر من مرة عن أن أمته ستبتعد عن طريق الصواب وتلقي بنفسها في ساحة واسعة من الفتن . ولكثرة ما تحدث بذلك الرسول نجد أن أغلب صحاح الاحاديث كالبخاري ومسلم والمستدرك وامثالهم قد عقدوا أبواباً خاصة اسماها البخاري بكتاب الفتن واسماها مسلم بنزول الفتن . والى القارىء نسوق جملة من الاحاديث التي تشير الى ذلك .

عن أبي مويهبة (مولى الرسول) قال : بعثني رسول الله (ص) من جوف الليل فقال :

« يا أبا مويهبة ، قد أمرت أن استغفر لاهل هذا البقيع ، فانطلق معي فانطلقت معه ، فلما وقفنا عليهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما اصبحتم فيما اصبح الناس فيه ، اقبلت الفتن مثل قطع الليل

(١) سورة التوبة / الآية : ٦١ .
(٢) سورة التوبة/ الآية : ٥٦ ـ ٥٨ .

المظلم يتبع آخرها اولاها ، الاخرة شر من الاولى » .[1]

وقوله (ص) :

أرى مواقع الفتن خلال بيوت المدينة كمواقع القطر[2] .

وقوله (ص) :

أنا فرطكم على الحوض ليرفعن لي رجال منكم حتى اذا اويت لاناولهم اختلجوا دوني فأقول : ربي اصحابي ! .

يقول : ما تدري ما احدثوا بعدك ؟ .

وعن ابي سعيد الخدري قوله سمعته يزيد فيه ويقول :

انهم مني فيقال : انك لا تدري ما بدلوا بعدك[3] ، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي .

أما الاحاديث الواردة في هذا الشأن عن طرق أهل البيت (ع) فهي كثيرة ومشاعة ولا أجد ضرورة لادراج بعضها لحصول الكفاية في الاحاديث التي مرت .

ازاء كل ذلك هل يمكننا ان نقبل جميع المزاعم المارة؟ . . أم أن من الطبيعي ان نقبل بالفكرة القائلة بأن الرسول (ص) لا يمكنه بأي حال من الاحوال سواءاً كانت احوالاً شرعية أو موضوعية أن يترك رسالته وامته من دون ان يطمئن على مستقبلها وسلامة مسيرتها . وهي الفكرة التي تعني في جانبها الآخر ان الرسول لا بد ان يترك في الامة نصاً يهديها الى الراية التي تكفل السير بها نحو الامام نحو ذات الاهداف التي كان يسعى لها

(١) رواه معظم اصحاب الصحاح . انظر المستدرك على الصحيحين (م . س) ج٣ : ٥٦ .
(٢) صحيح مسلم باب نزول الفتن ج٩ : ١٦٨ وصحيح البخاري ٣ : ٢٦ .
(٣) صحيح البخاري ج٨ : ٥٨ كتاب الفتن .

الرسول القائد (ص) ،ومما لا ريب فيه ان هذه الفكرة هي التي تمثل الغطاء الفكري والسياسي للحديث المتواتر والمتفق عليه لدى اصحاب الصحاح عن رسول الله (ص) :

اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما اكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي . فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . . ثم قال : ان الله عز وجل مولاي وانا مولى كل مؤمن ثم اخذ بيد عليّ فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم والي من ولاه وعاد من عاداه[1] .

والا كيف يمكننا أن نستسيغ حديث أحدنا أنه لام رجلاً ترك اموالاً له في مكان لا يأمن عليها من اللصوص ؟ ولا نستسيغ أفعال الرسول الرامية الى تأمين سلامة المسيرة من خلال نصه على توليه من يتولى بعده مهمة قيادة المجتمع الاسلامي .

وكيف يمكننا ان نقول ببداهة الفكرة التي يطرحها عبد الله بن عمر على ابيه وهو راقد في فراش الموت يطلب منه أن يعين من يخلفه اذا ما مات ويقول له : يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك او غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له : كيف تركت امانتك ضائعة ؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ [2] .

وننكر مثل هذا التفكير على رسول الله (ص) .

---

(١) ورد ذلك في معظم الصحاح وقد ذكره الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم ج٣: ١٠٩ وروى احمد في مسنده الحديث بأسانيد متعددة وبألفاظ متقاربة عن زيد بن ثابت والبراء بن عازب وابي سعيد الخدري وزيد بن أرقم ذاته في واقعة اخرى وسنتعرض بالتفصيل لذلك في الباب القادم .

(٢) انظر مروج الذهب (م . س) ج٢ : ٣٢١ طبقات بن سعد (م . س) ج٣ : ٣٤٣ .

حاشا لرسول الله (ص) أن يتصرف بلا مبالاة ازاء دينه ورسالته . واذا ما كان رسول الله (ص) يطلب من ذاك الاعرابي الذي ترك بعيره في باب المسجد أن يعقله ويتوكل تأكيداً منه على تحمل المسؤولية كاملة، فكيف يمكن اذن أن لا يتصرف هو بمسؤولية ليس ازاء البعير أو الغنم بل ازاء أمة سفكت في عملية بنائها دماء خيرة اصحابه واريقت على اعتاب أسسها مهج ابرار أعوانه واحبائه؟ .

* * *

وبناء على هذين الباعثين فقد رأينا أن صياغة المجتمع الاسلامي وصيانته ليست بالامر الهين :

. . لانه ثورة على الجاهلية بكل جذورها وتطهير للمحتوى النفسي والفكري للمجتمع من جذور الاستغلال ومشاعره ودوافعه ،ومن هنا كانت الثورة أطول عادة من العمر الاعتيادي للرسول القائد وكان لا بد للرسول أن يترك الثورة في وسط الطريق ،ليلتحق بالرفيق الاعلى وهي في خضم امواج المعركة بين الحق والباطل .

﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ﴾ [1]

ومن الواضح ان الحفاظ على الثورة - وهي بعد لم تحقق بصورة نهائية مجتمع التوحيد - يفرض أن يمتد دور النبي في قائد رباني يمارس خلافة الله على

---

(١) سورة آل عمران / الآية : ١٤٤ .

الارض وتربية الجماعة واعدادها ويكون شهيداً[1] في نفس الوقت ، وهذا القائد الرباني هو الامام (الذي) يجب أن يكون معصوماً[2] .

ان هذه الحقيقة سنجدها متجلية بوضوح حينما نتلمس انسجامها التام مع كتاب الله وسنة نبيه (ص) وهو ما سنحاول الحديث عنه في الباب القادم من هذا الفصل ان شاء الله .

(١) ليس المعنى بالشهيد هنا هو الذي يقتل في سبيل الله بل الذي عنته الآية الكريمة بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء (المائدة : ٥ : ٤٤) وهو الذي يعرفه السيد الشهيد الصدر بقوله انه : مرجع فكري وتشريعي من الناحية الايديولوجية ويشرف على سير الجماعة وانسجامه ايديولوجياً مع الرسالة الربانية التي يحملها ومسؤول عن التدخل لتعديل المسيرة او اعادتها الى طريقها الصحيح اذا واجه انحرافاً في مجال التطبيق* . .

(٢) خلافة الانسان وشهادة الانبياء ٣٧ ـ ٣٨ للسيد الشهيد الصدر دار التعارف بيروت .

* ن . م ٣٩ .

القسم الثاني

قيادية أمير المؤمنين (ع) في الكتاب الكريم والسّنة الشريفة .

لن تكون مهمة البحث هنا هي محاولة استقصاء جميع ما ذكر بحق قيادية أمير المؤمنين (ع) في كتاب الله العزيز وسنة نبيه (ص) فهذا ما لا يصلح له مكان هنا . إذ أن أي محاولة من هذا القبيل تحتاج الى العديد من المجلدات . ومن الواضح أن جهود العلماء الابرار والمحققين الافاضل قد كفتنا مؤونة محاولة كهذه فهناك العديد من الجهود التي أثمرت عن نتاج عظيم في هذا الشأن . . .[1] ويفضل أن يرجع القارىء الكريم الى مضانها ومتونها من أجل استيعاب كامل الصورة والوقوف عند حقيقة ابعادها .

أما ما سنعمد إليه في هذا الباب فهو الاشارة الى المصاديق الشرعية التي تنسجم وما اوردناه من افكار ومفاهيم حول مسألة القيادة الاسلامية

(١) أشير في هذا الصدد الى الجهود العظيمة التي بذلها المقدس الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين ـ قدس ـ لا سيما تلك المتجلية في كتابه المراجعات والذي يستحسن أن يراجعه القارىء الكريم لما فيه من عطاء وافر في هذا المجال . خصوصاً اذا كان الرجوع الى الطبعة المحققة من قبل حسين الرضي لاتمام الفائدة .
اضافة الى الجهد الموسوعي العظيم الذي بذله المحقق الحجة الاميني ـ قده ـ في موسوعته الغدير وكذلك الى جهود الحجة نجم الدين العسكري (ره) وخصوصاً في كتاب محمد وعلي وحديث الثقلين . اضافة الى الجهود البديعة التي بذلها صاحب كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة للمحقق السيد الفيروزآبادي .

لمجتمع ما بعد الرسول(ص)،مع التدليل على مصاديقها الحيوية ووضع النقاط على الحروف . فلئن كنا قد توصلنا الى حقيقة أن الشارع المقدس يوجب على الرسول (ص) البت في مسألة القيادة لمرحلة ما بعد حياته الشريفة (ص)،فهل قام الرسول (ص) بهذه المهمة ؟ أم انه تخلف عن هذه المهمة؟!.

وحينما قلنا بان ظروف الرسالة والمجتمع الاسلامي كانت لا تسمح مطلقاً بان يتركها الرسول (ص) دون معالجة دقيقة وحاسمة، فهل قام الرسول بهذه المعالجة ؟ أم انه تركها لمعالجة الدهر!؟.

وبحثنا هنا سيتناول توضيح اجوبة هذه الاسئلة عبر حديث القرآن الكريم والرسول القائد (ص).

ولاني أعتقد أن البحث هنا ليس بحثاً في علم الكلام لذا فسوف ابتعد جهد الامكان عن التطرق الى التفاصيل المتعلقة بكل مفردة والتي من المعتاد أن تكون حول المراد من هذا اللفظ أو ذاك وهل انه قصد هذا المعنى أو ذاك ؟ إذ يكفينا من كل ذلك ظهور ذات المصاديق الشرعية ووضوح معانيها وكلماتها . خصوصاً ان ما توصلنا اليه من حقائق فكرية وموضوعية ستساعدنا في عدم الوقوع في متاهات المعاندة الفارغة واللجاجة المريضة . وما توفيقنا إلا بالله . . .

الباب الأول

قيادية أمير المؤمنين (ع) في الكتاب

قلنا فيما سبق[1] أن المعني بولي الامر المذكور في الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[2] .

لا بد أن يتسم بالمواصفات التالية :

أ ـ أنه جهة محددة بذاتها .

ب ـ أن هذه الجهة لا بد أن تكون معصومة .

ج ـ أن هذه الجهة تمثل الامتداد الدائم الحقيقي لنبوة الرسول (ص) .

هذا علاوة على أن الرسول (ص) لا بد أن يكون قد أبلغ بشكل رسمي وصريح عن معنى هذه الكلمة « أولي الأمر » لانه مكلف عن الكشف عن مضان القرآن وتأويله .

ونحن بامكاننا أن نتلمس هذه المواصفات في الآيات الكريمة التالية التي جاءت لتعالج عملية الكشف هذه .

(١) **﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾**[3] .

---

(١) انظر : الاصول الفكرية للقيادة في القرآن .

(٢) سورة النساء/ الآية : ٥٩ . (٣)سورة المائدة / الآية : ٥٥ .

فهذه الآية تكفلت بالنص على ولي الامر وحددته بذاته لانه لا يمكن أن تتكرر حادثة ايتاء الزكاة في حالة الركوع في طول المجتمع الاسلامي آنذاك ولا في عرضه الى يومنا هذا الا مرة واحدة وهي التي أشارت اليها الآية الكريمة ـ على النحو الذي سنعرض له ـ .

(٢) ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[١] . . .

ودلالتها على العصمة بضميمة ذات الآية : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا . . . . . واضحة جداً .

(٣) قوله تعالى :

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . . . . . ﴾[٢] .

وهي صريحة الدلالة أيضاً على تسمية من هو الذي يمثل الامتداد لخط النبوة .

(٤) اما هل كشف الرسول ذلك بوضوح ؟ فقد أشارت اليه الآيات الكريمة :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[٣] . . . .

---

(١) سورة الاحزاب/ الآية : ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران / الآية : ٦١ .

(٣) سورة المائدة/ الآية : ٦٧ .

ولان عدم الابلاغ يعني عدم تمام الدين ، فان حصول ابلاغ الدين وقد أفاد القرآن الكريم أن الرسول (ص) قد قام بعملية الابلاغ مما أدى الى اكمال الدين وذلك تبعاً لقوله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾[١] .

أما ما هي أدلة ذلك ؟ فنتركها لتفصيل الحديث عن هذه الآيات .

---

(١) سورة المائدة/ الاية : ٣ .

١ ـ آية الولاية :

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ، ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾[1].

في هذا المقطع النوراني عدة نصوص تشير الى أن المعني هو شخص بذاته مواصفاته هي كالتالي :

١ ـ يحبه الله ويحب الله ، ومن اللازم الاشارة هنا الى أن الوصف الالهي لا يمكن مقايسته بالوصف البشري بأي حال من الاحوال فحينما يعبر الباريء عز وجل عن حالة الحب هذه فيجب تصورها بمستوى التصوير الالهي لا أن تفهم ضمن معايير الذهن البشرية .

---

(١) سورة المائدة / الآية : ٥٤ ـ ٥٦ .

٢ ـ لا يخاف لومة لائم في ذات الله .

٣ ـ يؤتي الزكاة وهو راكع .

٤ ـ أن الذي يواليه هو من حزب الله وهذه الفقرة فيها دلالة صريحة جداً على أن المعني « بالذين آمنوا » هنا هو شخص بذاته وليس هو المجتمع الاسلامي كما يحاول البعض أن يفهم . وذلك لان كلمة الذين آمنوا ان أردنا أن نفسرها بالمعنى المألوف اي كل المؤمنين فان ذلك يعسر علينا فهم الآية على أقل تقدير إذا لم نقل أنه يجعلها عديمة المعنى وحاشا للقرآن أن يكون كذلك . إذ فما معنى أن الذي يوالي الذين آمنوا يغدو من الذين آمنوا !! أليس حزب الله هم حزب الذين آمنوا ؟ فكيف يمكن فهم موالاة الجهة لنفسها ؟؟! ما لم يكن ذلك يعني أن كلمة الذين آمنوا انما يراد منها الرمز والقدوة لحزب الله لا المجموعة بأجمعها .

٥ ـ ان هذه الجهة معصومة إذ أن الله يجعل موالاتها على امتداد موالاته وموالاة رسوله ومثل هذا الاطلاق لا يمكن أن يفيد الا بمعنى العصمة باعتبار أن التوجيه الالهي للمجتمع المسلم باتجاه أن يتخذ جهة يجب عليه موالاتها يكون بمثابة عهد من الله ولان عهد الله لا يمكن أن يمتد الى الظالمين ـ تبعاً لقوله تعالى :

﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال: اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . . . ﴾[1]

وحيث ان معنى الظلم بالمفهوم القرآني هو ارتكاب ما يمكن ان يكون انحرافا عن التوجيه الالهي . لذا فان هذه الجهة لا بد ان تكون غير ظالمة والا لما اوجب الله على المجتمع موالاتها ، وان تكون غير ظالمة فان ذلك

---

(١) سورة البقرة/ الآية : ١٢٤ .

يعني معصوميتها عن ارتكاب الاخطاء .

اذن من هي هذه الجهة ؟ :

أرباب النزول يؤكد معظمهم ـ لولا مكابرة نزر قليل ، على أن الآية نزلت في حق الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، ففي المقطع الاول من الآية فان حديث الرسول (ص) يوم خيبر لما تأخر الفتح على المسلمين ، والذي قال فيه :

لاعطين الراية غدا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله .

هو مورد اتفاق المحدثين وملخص القصة هو أن الحاكم في الاكليل قد ذكر :

أن النبي (ص) بعث أبـا بكـر (ر ض) الى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يكن فتح فبعث عمر (ر ض) فلم يكن فتح .[1] .

حينها قال الرسول (ص) :

لادفعن الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

يقول ابو هريرة عن عمر قوله :

فما أحببت الامارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت

(١) انظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٦ : ١١٥ ـ ١١٦ لشهاب الدين القسطلاني ، وقد ذكر هذه الرواية اغلب ارباب الحديث اذكر من ضمنهم : البخاري (بأسانيد متعددة ٦ : ١١٥ ـ ١١٦ و٣٦٦ و٣٦٧ وكذلك القسطلاني في ارشاد الساري ٦ : ١١٥ ـ ١١٧ وابن هشام في السيرة ٢ : ٣٣٤ وابن سعد في طبقاته ٢ : ١١٠ ـ ١١١ ومسلم في الصحيح (بأسانيد متعددة ٩ : ٢٧٩ ـ ٢٨٣ وفي ٧ : ٤٧١ والفخر الرازي في التفسير ١٢ : ٢٠ ذكر المقطع الاول من الآية ثم أعقبه بذكر الحادثة ، والسيوطي في فقه السيرة ص ٤٦٨

رجاء أن يدفعها لي فلما كان الغد دعـا علياً فـدفعها اليه .[1] .

أما في المقطع الثاني فقد :

اخرج أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي ذر الغفاري قال : أما اني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من أيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه الى السماء وقال : اللهم اشهد أني سألت في مسجد نبيك محمد (ص) فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي (ر ض) في الصلاة راكعاً فأومأ اليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم ،فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي (ص) وهو في المسجد ،فرفع رسول الله(ص) طرفه الى السماء وقال : اللهم ان أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري ، فانزلت عليه قرآناً : سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما . اللهم واني محمد نبيك وصفيك اللهم واشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اشدد به ظهري . قال أبوذر (ر ض) : فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل (ع) من عند الله عز وجل وقال : يا محمد اقرأ انما وليكم الله ورسوله

(١) طبقات ابن سعد (م . س) ج٢ : ١١٠ .

والذين آمنوا [1] . .

وقد ذكر العلامة الاميني أن من ذكر ذلك من المفسرين والمحدثين جمع كثير منهم :

الطبري في تفسيره ٦ : ١٦٥ والواحدي في أسباب النزول ١٤٨ والرازي في تفسيره ٣ : ٤٣١ والخازن في تفسيره ١ : ٤٩٦ وابو البركات في تفسيره ١ : ٤٩٦ والنيسابوري في تفسيره ٣ : ٤٩١ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ١٢٣ وابن طلحة في مطالب السؤول ٣١ وسبط بن الجوزي في التذكرة ص٣٢ والكنجي الشافعي في الكفاية ص ١٠٦ (بعدة اسانيد) والخوارزمي في مناقبه ص ١٩٦ بطريقين والحموييني في فرايده في الباب الرابع عشر وفي التاسع والثلاثين وفي الاربعين والقاضي عضد الايجي في المواقف ٣ : ٢٧٦ ومحب الدين الطبري في الرياض ٢ : ٢٢٧ (بعدة اسانيد) وص ٢٠٦ وفي الذخاير ص٧٢ ـ ٧٣ وابن كثير الشامي في تفسيره ٢ : ٧١ (بعدة اسانيد) وقال عن واحد منها هذا إسناد لا يقدح به ، وفي البداية والنهاية ٧ : ٣٥٧ (بأسانيد متعددة اخرى) والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ٦ : ٣٩١ و٤٠٥ وابن حجر في الصواعق ١٢١ والشبلنجي في نور الابصار ص٢٧ والالوسي في روح المعاني ٢ : ٣٢٩[2] . .

(١) الغدير (م . س) ٢ : ٥٢ .

(٢) ن . م . ٢ : ٥٢ ـ ٥٣ (بتصرف واختصار) .

* يضاف الى كل ذلك ما ذكره الزمخشري في الكشاف ١ : ٦٤٩ وابن حجر العسقلاني في =

ومن تفاهات القدر ان يأتي ابن تيمية بعد كل هذه الاسانيد والمصادر ليكتب في منهاج سنته ! ما يلي :

قد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أن هذه الآية : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب باجماع أهل العلم بالنقل [1] .

وان عشت أراك الدهر عجبا .

وهناك تمحلات عجيبة من قبل صاحب المنار يرفض بها هذه الرواية رغم اعترافه بورودها من طرق متعددة [2] غير انه يستكثر على القرآن اسلوبه البلاغي الرائع فيعترض رافضاً الرواية فيقول :

= كتابه الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشاف ١ : ٦٤٩ واسباب النزول للسيوطي المطبوع في هامش تفسير الجلالين ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وشواهد التنزيل للحسكاني ١ : ١٦١ (أحاديث ٢١٦ ـ ٢١٩ ، ٢٢١ ـ ٢٤١) وابن المغازلي في مناقب علي بن ابي طالب ١٧٦ ـ ١٨٢ الاحاديث ٢١٣ ـ ٢١٨) وابن عساكر في القسم الخاص بترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ج٢ : ٤٠٩ (الاحاديث ٩١٥ ـ ٩١٦) والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٩٣ والشوكاني في فتح القدير ٢ : ٥٣ والكلبي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل ١ : ١٨١ وابن الجوزي الحنبلي في زاد المسير في علم التفسير ٢ : ٣٨٣ والقرطبي في التفسير ٦ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ والجاوي في التفسير المنير لمعالم التنزيل : ١ : ٢١٠ والقندوزي في ينابيع المودة ١١٥ والجصاص في احكام القرآن ٤ : ١٠٢ وابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٧ والزرندي في نظم الدرر السمطين ٨٦ ـ ٨٨ وابن ابي الحديد في شرح النهج ١٣ : ٢٧٧ والبلاذري في انساب الاشراف ١ : ١٦٣ ، ٣٢٥ والسفي في التفسير ١ : ٢٨٩ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ١ : ١٣٩ ـ ١٤٠ والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٣٨ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ : ٤٧٨ والحاكم في معرفة علوم الحديث ١٢٧ .

(١) منهاج السنة ١ : ١٥٦ لابن تيمية الحنبلي نقلا عن الغدير ٣ : ١٥٥ .

(٢) تفسير المنار ٦ : ٤٤٢ للشيخ محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت .

ولكن التعبير عن المفرد بالذين آمنوا وعن اعطاء الخاتم بيؤتون الزكاة مما لا يقع في كلام الفصحاء من الناس فهل يقع في المعجز من كلام الله[1] .

ولعمري ايتناسى صاحب المنار أن البلاغة العربية تدعو من يريد أن يجلل امراً ويعظمه أن يستعمل صيغة الجمع بدل المفرد ؟ .

ايتناسى انه يردد في كل يوم خمسة مرات على الاقل مثل هذا الاسلوب في الصلاة التي أمر بادائها على هذا الشكل الرسول القائد (ص) بقوله :

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؟ فلماذا لا يقول السلام علي وعلى عباد الله الصالحين ؟ .

أكان عسيراً عليه فهم ذلك ؟ :

أم أن العصبية التي تجعله لا يخالف المألوف ويرفض هذا الحشد العظيم من الرواة، بل انه يذهب لمخالفة واحدة من أبسط بديهيات البلاغة العربية فهذا الزمخشري في الكشاف وهو أحد أرباب البلاغة يشير في معرض تفسيره للآية قائلاً :

هو حال من يؤتون الزكاة ، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة ، وانها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا خنصره ، فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته ، فان قلت كيف صح ان يكون لعلي (رضي الله عنه واللفظ جماعة قلت : جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه)[1] .

(١) تفسير المنار ٦ : ٤٤٢ للشيخ محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت .

ومثل ذلك التمحل الممجوج من صاحب المنار صاحبه تمحل آخر حينما عمد الى مخالفة اخرى من عنده وهي ما يبينه قوله :

﴿إنما وليكم الله . . .﴾ أي ليس لكم أيها المؤمنون (ناصر) ينصركم إلا الله ورسوله وأنفسكم بعضكم اولياء بعض.[1] .

ومثل هذا التهافت الواضح المقصود يأتي بلا دليل فمن الذي قال أن معنى الموالاة هنا هو النصرة ؟ صحيح أن أحد معاني الموالاة النصرة الا أن معنى كهذا لا بد أن يأتي مع قرينة واضحة لانه ليس معنى رئيسياً بل هو معنى ثانوي ومن أجل الدلالة على هذا المعنى لا بد من وجود قرينة تدل عليه اما اذا جاءت الكلمة مجردة من القرينة فانها لا تفيد الا المعنى المباشر . ويتأكد ذلك اذا كان السياق جميعه يتماشى مع هذا المعنى .

أليست احدى الاعجازات التي ننسبها الى القرآن هي بلاغته الفائقة ؟ وألسنا نقول بأن أكفأ بليغ هو الذي يتكلم بلغة واضحة ؟ .

فلماذا نقول كلامنا الاول والثاني ثم نأتي لنفسر القرآن بتفسير غامض

(١) الكشاف (م س) ١ : ٦٦٩ ومن الواضح ان القرآن قد استعمل لفظة الجمع و ارد به المفرد اكثر من مرة وخذ مثلا على ذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ أن عمران ١٧٣ .
ومن المؤكد ان القائل لم يكن غير نعيم بن مسعود الاشجعي وفي ذلك انظر الزمخشري ١ : ٤٤١ ـ ٤٤٢ والفخر الرازي في التفسير ٣ : ١٤٥ والشوكاني في فتح القدير ١ : ٤٠٠ والقرطبي في التفسير ٤ : ٢٧٩ وفي تفسير الجلالين ٩٦ والسيوطي في اسباب النزول ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(١) ن م ٦ : ٤٤١ .

ونطوع آياته بشكل قسري من أجل أن نحصل على نتيجة ترضي أهواءنا ومتبنياتنا الطائفية .

وما بين تشريق صاحب المنار وتغريبه نجد سيد قطب يتكلم بوضوح ويقول مفسراً :

ويحدد الله للذين آمنوا جهة الولاء الوحيدة التي تتفق مع صفة الايمان ، ويبين لهم من يتولون : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . .** ﴾

هكذا على وجه القصر الذي لا يدع مجالاً للتمحل أو التأول ولا يترك فرصة لتمييع التصور [1] .

(١) في ظلال القرآن ٢ ٧٧١ (م . س)

٢ ـ آية التطهير :

قوله تعالى :

﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[1]

وملخص اسباب نزول الآية كما يرويها الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة انه قال : نزلت هذه الآية على النبي (ص) : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة . . فدعا النبي فاطمة وحسنا وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . .

حينها جاءت أم سلمة وهي زوجة الرسول (ص) وصاحبة المكانة العالية علماً وتقوى وبراً برسول الله فقالت :

وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال أنت على مكانك وأنت الى خير . [2] .

(١) سورة الاحزاب/ الآية : ٣٣ .

(٢) انظر سنن الترمذي ٥ : ٣٢٨ (خبر ٣٨٧٥) لمحمد بن عيسى الترمذي مطبعة الفجالة =

وقد ذكر جمع من أصحاب الصحاح بشكل يفيد التواتر أن الرسول (ص) ظل ولمدة ـ ٦ ـ أشهر يمر على بيت الامام أمير المؤمنين اثناء ذهابه الى المسجد لاداء الصلاة وهو يردد هذه العبارة : السلام عليكم أهل البيت . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

= ١٩٦٧م مصر ـ القاهرة .
وقد ذكر ذلك بشكل او بأخر غالبية اصحاب الصحاح والتفسير اذكر منهم على وجه الاجمال كلاً من : احمد في المسند ٦ : ٢٩٢ والحاكم النيسابوري في المستدرك ٣ : ١٤٨ ومسلم في الصحيح ٩ : ٢٩٩ والنووي في تعليقته على صحيح مسلم ٩ : ٢٩٩ ومؤمن الشبلنجي في نور الابصار (بعدة اسانيد) ١١١ والصبان في اسعاف الراغبين ١٠٥ ـ ١٠٧ والواحدي في اسباب النزول (٢٣٩) والخازن في التفسير ٥ : ٢١٣ وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ١٤٣ وقد قال فيها ان اكثر اصحاب التفسير يبنون : على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين والسيوطي في الدر المنثور ٥ : ١٩٩ وابن كثير في التفسير ٣ : ٤٨٤ والالوسي في روح المعاني ٢٢ : ١٤ (بعدة طرق) والطبري في التفسير ٢٢ : ٥ والمحب في الرياض ٢ : ١٨٨ والرازي في التفسير ٦ : ٧٨٣ والبيهقي في السنن ٢ : ١٥٠ والزمخشري في الكشاف ١ : ٣٦٩ والطبراني في المعجم الصغير ١ : ٦٥، ١٣٥ والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ١١ ـ ٩٢ (الاحاديث ٦٣٧ ـ ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٨ ـ ٦٥٣ ، ٦٥٦ ـ ٦٦١، ٦٦٣ ـ ٦٦٨، ٦٧١ ـ ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٠ ـ ٦٨١، ٦٨٦، ٦٨٩ ـ ٦٩١، ٦٩٤، ٧٠٧، ٧١٠، ٧١٣ ـ ٧١٤، ٧١٧ ـ ٧١٨، ٧٢٩، ٧٤٠، ٧٥١، ٧٥٤ ـ ٧٦٢، ٧٦٤ ـ ٧٦٥، ٧٦٧ ـ ٧٧٠، ٧٧٤ والنسائي الشافعي في خصائص امير المؤمنين (٨) وابن عساكر في ترجمة الامام ١ : ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٩ ـ ٢٣١، ٢٧٢ ـ ٢٧٤ وابن المنذر في الجرح والتعديل ٩ : ٢٦٣ (الاحاديث ٢٥٠، ٢٧٢، ٣٢٠ ـ ٣٢٢) والكنجي والشافعي في كفاية الطالب ٥٤، ٣٧٢ ـ ٣٧٦ وابن الاثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢ : ١٢، ٢٠، ٣ : ٤١٣، ٥ : ٥٢١، ٥٨٩ والطبري في الذخائر ٢١، ٢٣ ـ ٢٤ والخوارزمي في المناقب : ٢٣، ٢٢٤ والجصاص في احكام القرآن ٥ : ٢٣٠ وابن المغازلي في المناقب ٣٠١ ـ ٣٠٧ (الاحاديث ٣٤٥ ـ ٣٥١) والبغوي الشافعي في مصابيح السنة ٢ : ٢٧٨ ، والعمري في مشكاة المصابيح ٣ : ٢٥٤ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢٦، ٢١١ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ١ : ١٩ ـ ٢٠ وابن عربي =

تطهيرا . . [1] .

والآية الشريفة تفيد قطعاً بمعصومية اهل البيت (ع) عن الخطا والزلل،فالرجس :

صفة من الرجاسة وهي القذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفر منها ، وتكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير قال تعالى :[أولحم الخنزير فانه رجس] الانعام ١٤٥ وبحسب باطنه (اي باطن الشيء) ـ وهو الرجاسة والقذارة المعنوية ـ كالشرك والكفر وأثر العمل السيء ، قال تعالى : **﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾**التوبة/الآية١٢٥ ،وقال: **﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء وكذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾**[2] وأياً ما كان فهو ادراك نفساني وأثر شعوري من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيء واذهاب

= في احكام القرآن ٢ : ١٦٦ والقرطبي في التفسير ١٤ : ١٨٢ وابن كثير في التفسير ٣ : ٤٨٣ ـ ٤٨٥ وابن الصباغ في الفصول المهمة ٨ والكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل ٣ : ١٣٧ والجاوي في التفسير المنير لمعالم التنزيل ٢ : ١٨٣ وابن حجر في الاصابة ٢ : ٥٠٢، ٤ : ٣٦٧ والسيوطي في الاتقان لعلوم القرآن ٤ : ٢٤٠ والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ : ٩٦ وابن دحلان في السيرة النبوية . ٣ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠ والشوكاني في فتح القدير ٤ : ٢٧٩ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ : ٣٧ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٧ ـ ١٠٨، ٢٢٨ ـ ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٦٠، ٢٩٤ وابن عبد ربه في العقد الفريد ٤ : ٣١١ والحموئي في فرائد السمطين ١ : ٣١٦، ٢ : ٩

(١) انظر مسند الامام احمد ٣ : ٢٨٦ للامام احمد بن حنبل الميزوي البغدادي مطبعة صادر ـ بيروت ١٩٦٩ .

(٢) سورة الانعام الآية : ١٢٥ .

الرجس ـ واللام فيه للجنس ـ ازالة كل هيئة خبيثة في النفس تخطيء حق الاعتقاد والعمل فتنطبق على العصمة الالهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الانسان من باطل الاعتقاد وسيء العمل . . .
ومن المعلوم أن ما يقابل الباطل هو الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل ، ويكون المراد بالارادة ايضاً غير الارادة التشريعية . . . [1] .

(التوضيح من الكاتب)

وهذا الامر من شأنه أن يرفع شبهتين هما :

الشبهة الاولى : هي ما ذكره الزمخشري ونظراؤه من أن المراد بهذه الآية هو تأكيد الباريء عز وجل على ضرورة ابتعاد أهل بيت رسول الله (ص) عن مقارفة : المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب :

الرجس ، وللتقوى : الطهر ، لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس . واما المحسنات ، فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر ، وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به [2] .

أما نحن فلا نفهم هذا التأكيد ، لان هذا التأكيد قد عممه الله على سائر المسلمين ولا خصوصية لآل محمد في ذلك ـ فلقد طلب الباريء ـ عز

---

(١) الميزان في تفسير القرآن (م . س) ٢٢ : ٣١٢ ـ ٣١٣ .
(٢) الكشاف (م . س) ٣ : ٥٣٨ .

وجل ـ من جميع المسلمين عن طريق مرغبات شتى ومرهبات متعددة أن ينصاعوا لما أمر به وان ينتهوا عما نهاهم عنه . فيما نجد أن الآية لا تفيد التعميم وانما تفيد الحصر بدليل كلمة : انما ، مما يجعلها خاصة بمن عناهم بأهل البيت دون سواهم .

الشبهة الثانية : والتي يشير اليها البعض بالقول بان المعنى بكلمة أهل البيت انما هم ازواج النبي ـ كما يذهب الى ذلك عكرمة ـ مستدلاً على كون الآية جاءت ضمن الخطاب الذي كان القرآن يوجهه الى نساء النبي (ص) غير أن العديد من الروايات تؤكد عدم اختصاصها بغير الخمسة (ع) وما الرواية التي ذكرناها عن ام سلمة (ر ض) الا دليل علمي على كذب هذا الزعم . فهي على جلالة قدرها رفض الرسول (ص) أن يشركها ضمن الكساء بل دفعها وقال لها : أنت على خير .

على اننا لا نلمس ولو لمرة واحدة ما يشعر ان الرسول (ص) قد قال لزوجاته انكن المعنيات بأهل البيت (ع) .

وان الاحتجاج بكونها جاءت ضمن خطاب القرآن لنساء النبي (ص) فذلك ما يرد عليه بما يلي :

(١) ـ أن قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكنّ واسرحكنّ سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكنّ اجراً عظيماً * يا نساء النبي من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً * ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً * يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء ان اتقيتن

فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرنَ ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً ﴾

سورة الاحزاب/ الآية : ٢٨ ـ٣٤.

أن هذا القول يشير الى أن الخطاب القرآني هنا الى نساء النبي قد جاء جميعه مقترناً بنون النسوة : كنتن ، تردن ، فتعالين ، امتعكن واسرحكن . كنتن تردن، منكن، لستن ، اتقيتن ، تخضعن ، قلن ، وقرن، بيوتكن ، تبرجن ، أقمن ، آتين ، اذكرن ، بيوتكن (الاحزاب ٣٣ : ٢٨ ـ ٣٤) فيما نرى أن الآية خلت من أي خطاب يدل على توجيهه للنسوة . ولو أنه عنى بها النسوة لكان بالامكان ان تغدو الآية بهذه الصياغة : إنما يريد الله ليذهب (عنكن) الرجس أهل البيت و(يطهركن) تطهيرا .

(٢) ـ أننا في القرآن نعثر في العديد من الاحيان على مقاطع من آيات دخلت وسط آيات اخرى دون أن يربط بينهما السياق أو ان يكون للزمن عامل في ترتيبهن ، وأوضح دلالة ما جاء في الآية الثالثة من سورة المائدة حيث أن السياق يجعل كلمة : اليوم يئس الذين كفروا من دينكم بمثابة النتيجة لتحريم اكل الميتة والدم ولحم الخنزير . الخ بينما الكلمة الاولى تشير الى بعد سياسي واضح الدلالة فيما نجد الكلمة الثانية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد الى هذا البعد ، ولهذا يقول المرحوم الطباطبائي ـ قدس ـ :

الآية لم تكن بحسب النزول جزءاً من آيات نساء النبي ولا متصلة بها وانما وضعت بينها اما بأمر من

النبي (ص) او عند التأليف بعد الرحلة [١] .

(٣) ـ أن الاشارة الى العصمة هنا تكوينية وليست تشريعية وبالتالي فان ارادة الله بالتطهير اذا كانت تعني نساء النبي (ص) فما هو معنى قوله تعالى في خطابه لهن : من يأت منكن بفاحشة. . الخ حيث أن ذلك يتعارض مع الارادة الالهية .

ولا يبقى ثمة مجال لرفع العصمة عن اهل البيت سيما اذا ما لوحظت هذه الآية ضمن سياق ما أوردناه من حديث عن آية الولاية وضمن سياق ما استعرضناه من افكار في آية « أولي الامر » وما سيأتي بعد ذلك من آيات وحديث .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٢٢ : ٣١٢ (م. س) .

٣ ـ آية المباهلة :

قوله تعالى :

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . . ﴾ سورة آل عمران/ الآية٦١ .

وسبب نزولها يحدثنا عنه الزمخشري ويقول بأن اسقف نجران لما دعاه الرسول (ص) الى المباهلة اجتمع به قومه فقام أحدهم قائلاً :

والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمداً نبي مرسل ، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها وهو يقول : اذا أنا دعوت فأمنوا .

فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى اني لارى وجوهاً لو شاء الله ان يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها . فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة[1] . .

---

(١) الكشاف : ١ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩، وقد ذكر هذه الواقعة بالاضافة الى الزمخشري كل من ابن حجر في الكافي الشاف ١ : ٣٦٩ وقال اخرجه ابو نعيم في دلائل النبوة (عن طريقين) والنسفي في تفسيره : ١ : ١٦١ ـ ١٦٢ والمحلي في تفسير الجلالين ٧٧ والرازي في تفسيره ٨ : ٨ ـ ٨١ وقد قال : اعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث. وابن حجر في الصواعق ١٤٥ وابن كثير في تفسيره ١ : ٣٧١ والواحدي في اسباب النزول ٦٧ ـ ٦٨ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٥٨ وابن الاثير في الكامل ٢ : ٢٠٠ والشبلنجي في نور الابصار ١٠٠ ـ ١٠١ والبيهقي في السنن ٧ : ٦٣ والحاكم في المستدرك ٣ : ١٥٠ والترمذي في الصحيح ٢ : ١٦٦ والبيضاوي في التفسير ٢ : ٢٢ والبغوي في مصباح السنة ٢ : ٢٠١ واحمد في المسند ١ : ١٨٥ ومسلم في الصحيح ٩ : ٢٨٠ والبرسوي في روح البيان ١ : ٤٥٧، بالاضافة الى الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ١٢٠ ـ ١٢٩ وابن المغازلي في المناقب ٢٦٣ والكنجي الشافعي في الكفاية ٥٤، ٨٥، ١٤٢ وابن عساكر في الترجمة ١ : ٢١ والطبري في التفسير ٣ : ٢٩٩ ـ ٣٠١، ٣ : ١٩٢ والقرطبي في التفسير ٤ : ١٠٤ والجصاص في احكام القرآن ٢ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ وابن عربي في احكام القرآن ١ : ٢٧٥ والكلبي في التسهيل ١ : ١٠٩ وابن الجوزي في زاد المسير ١ : ٣٩٩ والشوكاني في فتح القدير ١ : ٣٤٧ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ : ٤٧٠ وابن طلحة في مطالب السئول : ١٨ : ١ والطبري في ذخائر العقبى ٢٥ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ١٥٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٨ ـ ٣٩ والخازن في التفسير ١ : ٣٠٢ والشبراوي في الاتحاف بحب الاشراف ٥ والبغوي في معالم التنزيل ١ : ٣٠٢ والحلبي في السيرة الحلبية ٣ : ٢١٢ وابن دحلان في السيرة ٣ : ٥ والخوارزمي في المناقب ٦٠، ٩٧ وابن الصباغ في الفصول ١١٠ وابن ابي الحديد في شرح النهج ١٦ : ٢٩١ وابن الاثير في أسد الغابة ٤ : ٢٦ وابن حجر في الاصابة ٢ : ٥٠٩ واليافعي في مرآة الجنان ١ : ١٠٩ والعمري في مشكاة المصابيح ٣ : ٢٥٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ٥٤ والقندوزي في =

وعن هذه الآية يقول الزمخشري انه فيها : دليل لا شيء أقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام . [1] .

وفي هذه الآية تتجلى لنا صورة امتداد الامامة لخط النبوة بشكل واضح حيث أن جميع هؤلاء وقد اتفقوا على أن كلمة ـ أنفسنا ـ لم تكن تقصد النبي (ص) فحسب وانما عنت الإمام علي (ع). وبناء على حقيقة أن القرآن لم يكن في أي وقت من الأوقات سبباً أو كتاباً ـ كلاً او جزءاً ـ لاستعراض المواقف العاطفية الشخصية للرسول (ص) لانه كتاب رسالة وهو منزل من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونظراً لكون المهمة التي خرج بها الرسول (ص) عند مباهلته لم تكن مهمة تخصه أو تخص عائلته بل كانت مهمة دينية سياسية صرفة . ومن خرج معه عندئذ لا بد أن يكون تعيينهم قد تم من قبل الباريء عز وجل لان النبي (ص) لا يتصرف ولا يقول ولا يمضي الا بناء على تكليف من قبل الله ـ عز وجل ـ لانه لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ، تبعاً للآية الكريمة .

وليس أدل على ذلك من قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين . والذي يعني :

> تحقق كاذبين في أحد طرفي المحاججة والمباهلة ، ولا يتم ذلك الا بأن يكون في كل واحد من الطرفين جماعة صاحبة دعوى اما صادقة أو كاذبة فالذين أتى بهم النبي (ص) مشاركون معه في الدعوى وفي الدعوة .

= ينابيع المودة ٩، ٤٤، ٥١ ـ ٥٢، ٢٣٢، ٢٨١، ٢٩٥ والطبري في الرياض ٢ : ٢٤٨ والحموني في الفرائد ١ : ٣٧٨، ٢ : ٢٣، ٢٠٥ .

(١) الكشاف : ١ : ٣٧ .

مما يعني : ان الحاضرين كانوا بأجمعهم صاحبي دعوى ودعوة معه (ص) وشركاء في ذلك . . [1] . .

ولهذا لا يمكن بأي حال من الاحوال تفسير كلمة ـ أنفسنا ـ بالمعايير الشخصية أو المعاني الذاتية بل ان تفسيرا كهذا ـ على أقل التقادير ـ ان نم عن شيء فهو ينم عن سوء ظن أو فهم لمكانة الرسول (ص) لدى المفسر [2] وانما تفسر الكلمة بمعناها الرسالي . وحينئذ سنجد ان القرآن الذي لا يعمل الا من اجل خدمة رسالته يضع الامام علي (ع) في ذات الموضع الذي وضع فيه النبي الاكرم (ص) وليس هذا يعني تماثل الامام والرسول(ص) في الدرجة الرسالية وانما يعني تماثلهما في الادوار التي يمارسونها في زمن حضور واحد منهما ـ على النحو الذي فصلناه فيما سبق ـ مما يدل بدلالة اكيدة على ان الامامة في معانيها الرسالية إنما هي امتداد لخط النبوة . وهذا الامر لا تؤكده الكلمة وحدها فحسب ، وإنما يؤكده سياق الآية نفسها أيضاً . والا ما معنى أن تطلق كلمة (نساءنا) على فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ في الوقت الذي تكون هي ابنته ؟ وما معنى أن تطلق كلمة (ابناءنا) على الحسن والحسين (ع) وهم ليسوا الا اولاد ابنته ؟ وما معنى ان تطلق كلمة (أنفسنا) على الإمام علي (ع) في الوقت الذي نعلم فيه أنه ابن عمه وزوج ابنته ؟ [3] .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن (م س) ٣ : ٢٢٧ .

(٢) مثل هذا الامر شائع في تفسيرات العديد من مفسري العامة . ويمكن أن نلاحظه بوضوح في تفسير الكلمات المتعلقة بأهل البيت أو قربى الرسول الواردة في الآيات القرآنية .

(٣) لعل القصور والتقصير في فهم مهمة الرسول (ص) وشخصيته هو الذي يجعل بعض المفسرين يتعجب من ان تنطبق هذه الآية على أهل البيت (ع) فقط وعلى سبيل

أقول : لا معنى لكل ذلك اذا لم نأخذ بالتفسير الرسالي لهذه الكلمات خصوصاً وان آيات متعددة وأحاديث كثيرة اشارت الى ذات الاسماء .

وما يؤكد كون الإمامة امتداداً لخط النبوة وان الامام علياً (ع) هو الامتداد الرسالي الطبيعي للرسول (ص)، العديد من الاحاديث النبوية الشريفة وبالخصوص الحديث المتفق عليه والمتواتر على لسان ائمة جميع الطوائف الاسلامية . وأعني به حديث المنزلة يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

وكذلك حديث الثقلين : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي . وسنفصل الحديث عن ذلك في السطور القادمة .

= المشار اليه فيعمد حينئذ الى تكذيب كل ذلك على الرغم من اعترافه بمشهورية وتواتر هذا الاطلاق كما فعل ذلك صاحب تفسير المنار في تفسيره لهذه الآية .

٤ ـ آية التبليغ :

قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ [١] .

وملخص أسباب نزولها نستفيده من جملة من الروايات هو :

أن الرسول (ص) لما رجع من حجة الوداع عام ١٠هـ في وقت الضحى من يوم شديد الحر نزل الوحي (ع) على رسول الله بآية : . . يا أيها الرسول . . الاية وحينها أمر الرسول بأن يرجع كل من تقدم عن القافلة وان يجمع كل من تأخر عنها في موقع بالقرب من الجحفة يسمى بغدير خم[٢] وقد أمر الرسول بان تقام دوحات كي تقي القوم من الشمس وأمر بالصلاة جامعة ثم قام خطيباً فيهم ومن جملة ما قاله : يا أيها الناس اني أوشك أن ادعى فأجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون ؟ فقال له القوم : نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً . . ثم قال : اني فرط على الحوض وأنتم واردون على الحوض فانظروا كيف

---

(١) سورة المائدة/ الآية : ٦٧ .

(٢) وهو مكان تتشعب فيه طرق الحجيج في وقتها الى المدينة ومصر والعراق .

تخلفوني في الثقلين فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله والثقل الآخر الاصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يتفرقا حتى يردوا علي الحوض ، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى بان بياض ابطيهما فقال : ايها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم قال : ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولي بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، ثم كررها ثلاث مرات وفي لفظ احمد امام الحنابلة : اربع مرات ثم قال : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشاهد الغايب ، ثم لم يتفرقوا حتى نزل امين وحي الله بقوله : ﴿ **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً** ﴾[1] فقال رسول الله (ص) الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي ، وبعد ذلك قام الصحابة بأجمعهم الى عليّ فهنأوه ثم قام حسان ابن ثابت الشاعر المعروف وأنشد قائلاً :[2]

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم واسمع بالرسول مناديا
فقال : فمن مولاكم ونبيكم ... فقالوا : ولم يبدو هناك التعاميا
الهك مولانا وأنت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي ، فانني ... رضيتك من بعدي اماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم؟ وال وليه ... وكن للذي عادى عليا معاديا[3]

(١) سورة المائدة : الآية ٣

(٢) تذكرة الخواص ، ص ٣٩ لسبط بن الجوزي الحنفي .

(٣) للعلامة الاميني (قدس) موسوعة ضخمة في شأن يوم الغدير الفها من (١١) مجلداً =

ومن جملة الذين رووا الحادثة بشكل أو بآخر اذكر ما يلي :

لعدم امكان استقصائهم جميعاً في هذا البحث فقد ذكر صاحب تفسير المنار ما نصه عن حديث الغدير قال :

فقد رواه احمد في مسنده من حديث البراء وبريدة[1] والترمذي[2] والنسائي[3] والضياء في المختار من حديث زيد بن أرقم وابن ماجة عن البراء وحسنه بعضهم وصححه الذهبي بهذا اللفظ ووثق أيضاً من زاد فيه : اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه[4].

هذا وقد عد العلامة الاميني ممن روى هذا الحديث وقصة نزول الآية الشريفة (١١٠) صحابياً من بينهم : ابو هريرة الدوسي ، أبو الهيثم ابن التيهان ، أبو رافع مولى الرسول وابو بكر بن أبي قحافة (الخليفة الاول) ، اسامة بن زيد ، أبي بن كعب اسعد بن زرارة الانصاري ،

= وفيها أثبت العلامة ومن خلال طرق العامة يوم الغدير وما يتعلق به من حيثيات ووقائع وللاختصار يمكن مراجعة المجلدات الثلاثة الأوائل .

(١) انظر المسند ٤ : ٢٨١ و٥ : ٣٤٧ وقد رواه ايضاً أبي الطفيل وشعفه بتصديق زيد بن ارقم وشهادة (٣٠) شخصاً يوم الرحبة ، وكذلك عبد الرحمن بن ابي ليلى في ١ : ١١٩ في ذات اليوم والذي أشار الى شهادة : أثنا عشر بدريا بذلك وكذلك انظر : ٤ : ٤٣٧ و٥ : ٣٥٦ .

(٢) رواه عن عمران بن حصين ٥ : ٢٩٦ (خبر ٣٧٩٦) وعن جابر بن عبد الله ٥ : ٣٢٨ (خبر ٣٨٧٤) .

(٣) النسائي في الخصائص الصفحات (٣، ٤، ٧، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٥)

(٤) تفسير المنار ٦ : ٤٦٤ .

اسماء بنت عميس ، ام سلمة ، أنس بن مالك ، البراء بن عازب ، بريدة بن الحصيب ، جابر بن سمرة بن جنادة ، جابر بن عبد الله ، جبير ابن مطعم ، ابو ذر ، حبيب بن بديل بن ورقاء ، حذيفة بن اليمان ، حسان بن ثابت ، أبو ايوب الانصاري ، خزيمة ذو الشهادتين ، الزبير بن العوام ، زيد بن ارقم ، زيد بن ثابت ، سعد بن ابي وقاص ، سعد بن عبادة ، سلمان الفارسي ، سهل بن حنيف وطلحة بن عبيد الله ، العباس ابن عبد المطلب ، عائشة بنت أبي بكر ، عبد الرحمن بن عوف ، بن عباس ، عثمان بن عفان ، عبد الله بن عمر ، أمير المؤمنين علي (ع)، عمار بن ياسر ، عمر بن الخطاب ، عمرو بن العاص ، الصديقة الزهراء عليها السلام ، قيس بن سعد بن عبادة ، المقداد الكندي ، وهاشم المرقال . . . الخ[1] .

وعد أيضاً من التابعين(٨٤) تابعياً من بينهم : سالم بن عبد الله بن عمر ، سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيب ، سليم بن قيس الهلالي ، شهر بن حوشب ، الضحاك بن مزاحم ، عامر بن سعد بن ابي وقاص ، عبد الحميد بن المنذر بن الجارود ، عبد الرحمن بن ابي ليلى ، عبد الله بن أسعد بن زرارة ، عدي بن ثابت ، عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي ، أبو زرارة ، مصعب بن سعد بن أبي وقاص ويزيد بن حيان التميمي[2] .

وكذلك عد من العلماء وأئمة الحديث والتفسير (٣٦٠) عالماً نذكر منهم :

الحافظ محمد بن اسحاق المدني ، الحافظ سفيان الثوري ، الحافظ الطبي ، الحافظ سفيان بن عيينة الامام الشافعي الحافظ ابو نعيم

(١) انظر الغدير ١ : ١٤ ـ ٦١ (م س).
(٢) ن.م ١ : ٦٢ ـ ٧٢.

الكوفي ، النسائي صاحب السنن ، قتيبة بن سعيد ، احمد بن حنبل ، البخاري ، الحافظ أبو زرعة المخزومي ، ابو داود الحراني ، ابن ماجة ، بن قتيبة الدينوري البغدادي ، الترمذي ، البلاذري ، ابن ابي عاصم ، ابو يعلي الموصلي ، الطبري ، البغوي ، بن عبدربه ، السجستاني دعلج بن احمد ، الشافعي البزاز ، الطبراني ، الحاكم النيسابوري ، الدارقطني ، بن زولاق ، الذهبي ، الباقلاني ، ابن ابي الفوارس ، بن مردويه الاصبهاني ، ابو اسحاق الثعلبي ، الثعالبي النيسابوري ، ابو نعيم الاصبهاني ، الرازي ، البيهقي ، القرطبي ، الخطيب البغدادي ، الواحدي ، ابن المغازلي ، ابو حامد الغزالي ، الزمخشري ، ابن عساكر ، ابن الجوزي ، ابو الفتوح ، ياقوت الحموي ، ابن الاثير ، ابن ابي الحديد ، الكنجي الشافعي ، ابو زكريا النووي الدمشقي ، البيضاوي ، الجويني ، ابن كثير ، التفتازاني الشافعي ، ابن خلدون الحضرمي ، الجرجاني الحنفي ، المقريزي ، العسقلاني القسطلاني ، ابن الصباغ ، ابن عجلون ، السيوطي ، السمهودي ، المتقي الهندي ، الصبان ، الدهلوي ، الالوسي ، الشوكاني ، القندوزي الحنفي ، ابن دحلان ، مؤمن الشبلنجي . . الخ[1] .

وقد أورد العلامة الاميني ذكر(٢٦) مؤلفاً حول حديث الغدير وطرقه وأسانيده ومن بينها كتاب : الولاية في طرق حديث الغدير للمؤرخ الطبري ، والدار قطني الذي قال عنه الكنجي الشافعي في كفايته ص ١٥ عند ذكر حديث الغدير : أجمع الحافظ الدارقطني طرقه في جزء . وكذلك كتاب الدراية من حديث الولاية للسجستاني ، وكتاب عدة البصير

(١) ن.م ١ : ٧٣ ـ ١٥١.

في حج يوم الغدير للكراكجي والف الحاكم النيسابوري الحسكاني كتاب : دعاة الهداة الى أداء حق الموالاة . وكتاب طرق حديث الولاية لشمس الدين الذهبي . هذا اضافة الى كتاب : اسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب للجزري الدمشقي الشافعي . . . الخ[1] .

ومن المثير أن هذا الحشد العظيم من الرواة والشهود على الحادثة ليس له سابقة اطلاقاً على هذا الصعيد . مما يجعل الحدث فوق كل احتمالات التشكيك والتضبيب . غير ان ذلك لم يمنع من صدور بعض التشكيكات التي لم يختلف مصدرها عن محتواها على مدى الوهن والضعف . خصوصاً ان بعضها كان ينطوي على اهانة واضحة للرسول (ص) كأن تنسب اليه الخوف على نفسه والحذر على حياته . على الرغم من أن حياته (ص) قدمت برنامجاً صريحاً على مستوى القول والعمل في مسائل الشجاعة والتضحية والايثار وحب الاخرين . وربما نشأ توهم هذا البعض والذي عضدته بعض الاكاذيب[2] على رسول الله (ص) من كلمة . والله يعصمك من الناس .

---

(١) ن م ١ : ١٥٢ ـ ١٥٨ .

(٢) من جملة هذه الاكاذيب والموضوعات ما يروى عن عائشة قولها : سهر رسول الله (ص) ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شأنك ؟ قال : الا رجل صالح يحرسنا الليلة ؟ فقالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح ، فقال : من هذا ؟ قال سعد وحذيفة : جئنا نحرسك : فنام رسول الله (ص) حتى سمعت غطيطه (الصوت الذي يخرج من المناخر اثناء النوم) ونزلت هذه الآية فأخرج رسول الله (ص) رأسه وقال . انصرفوا ايها الناس ، فقد عصمني الله .

وكذلك ما رووه عن ابن عباس قوله : كان رسول الله (ص) يحرس وكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت الآية قال : فراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال : يا عم ان الله تعالى قد عصمني من الجن والانس .

انظر تفسير الطبري : ١ : ٤٦٩ وتفسير الواحدي ١٩٥ ـ ١٩٦

غير ان الملاحظ هنا عدة أمور تجعل امر هذا التشكيك واهناً للغاية .

فمن جهة لا يمكن بأي حال من الاحوال التصور بأن الرسول (ص) يخاف احداً في المسائل التي ترتبط بشخصه مهما بدا ذلك عظيماً وشديداً . ونفس هذا الأمر ينجر على المسائل التي تهم رسالته ومصيرها .

أفليس هو الذي افتتح عهد رسالته الشريفة بقولته المأثورة والتي تمثل صموداً منقطع النظير وذلك اثناء خطابه لعمه ابي طالب (ر ض) :

والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله ، أو اهلك دونه[1] .

وهو بطل يوم المهراس (أحد) الذي كان امير المؤمنين (ع) يصفه بالقول : كنا اذا حمي الوطيس واشتد الضراب لذنا برسول الله ، (ص) وامير المؤمنين (ع) هو الذي صار مضرب مثل في الشجاعة والبطولة .

على أن الرسول (ص) حينما نزلت هذه الآية عام ١٠هـ كان قد انتهى من تصفية جميع خصومه او أنه تمكن من الجامهم[2] ولهذا كيف

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٢ (م . س) .

(٢) لا اعتبار لما روى البعض من أن الآية نزلت في مكة اي قبل الهجرة . وقد عبر السيوطي في كتابه لباب النقول عن ذلك بأنه من غرائب الاقوال نظراً لكون ذلك يشعر بان الآية نزلت في مكة فيما لا شك في ان الواقع خلافها . انظر لباب النقول ص ٢١٧ . وجدير بالذكر ان سورة المائدة سورة مدنية وقد نزلت قبل سورة البراءة التي تعد آخر سور القرآن من حيث النزول وللمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة القرآن في الاسلام ١٦٤ للمرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي منظمة الاعلام =

يمكن أن نتصور الرسول (ص) لا ينام ليله الا مع الحراسة ؟ بل كيف يمكن أن يتسرب الخوف الى قلبه ؟ .

اذن فان الخوف الذي يتملك قلب رسول الله والمشار اليه في الآية الكريمة ليس خوفاً على حياة الرسول (ص) .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فاننا لا نجد اي معنى لخوف الرسول (ص) من اعلان تشريع معين او ابلاغ الناس بما اوجب الله عليهم من قوانين تشريعية اذ ان ذلك مدعاة لنفي النبوة عنه . هذا مع العلم اننا وجدنا الرسول (ص) قد قام بتنفيذ وتبليغ رسالة ربه فيما يخص التشريع على أتم وجه قبل نزول هذه الآية . ولهذا فان من اللازم التصور بان المهمة التبليغية المنشودة في الآية الكريمة لا تخص تشريعاً وانما تخص شيئاً آخر .

ولكن ترى لماذا استعمل القرآن مثل هذه اللهجة القاسية والصارمة وهي لهجة غير عادية بل وغير مألوفة في القرآن ؟ .

ليس امامنا الا القول بان الخطاب غير العادي لا يصدر الا لمهمة غير عادية وهذه المهمة من شأن القيام بها النفوذ الى واقع غير مألوف ، أو أنه ينطوي على مخاطر غير قابلة للتحمل . ومن المقطوع به أن هذا الواقع الغريب لن يكون غريباً على جهة المنفذ . وانما وجه الاستغراب سيكون صادراً من الوسط الخارجي ، الذي قد لا يتحمل هذه المهمة . وبالتالي قد يجره ذلك الى الانحراف عن المنفذ .

ونحن لا نملك حادثة واحدة في زمن الرسول (ص) تنطوي على هذه المعاني غير حادثة الغدير . وفي هذه الحادثة من البديهي أن ترسم مهمة التبليغ علامات الحذر باعتبار أن مهمة التبليغ متعلقة بابن عم

= الاسلامي (١٤٠٤)هـ وتاريخ القرآن ص ٦٤ لابي عبد الله الزنجاني . منظمة الاعلام الاسلامي (١٤٠٤هـ) .

الرسول (ص) وزوج ابنته . ومثل هذا التعلق ليس من الصعب على المجتمع الذي كان الرسول (ص) يحيا فيه ، ان يبرره بمبررات الاثرة العشائرية والاواصر القبلية والرحمية .

ومن اظهر الشواهد على ذلك قصة الحارث بن النعمان الفهري [١] ، الذي يقول عنه الثعلبي بأسناده انه جاء الى رسول الله بعد أن اشتهر حديث : من كنت مولاه فعلي مولاه فقال : يا محمد ؟ أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه ، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتنا ان نصوم شهراً فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فهذا علي مولاه . فهذا شيء منك أم من عند الله عز وجل ؟ فقال الرسول (ص): والذي لا إله إلا هو ان هذا من الله . فولى الحارث ينشد راحلته وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فما وصل الى راحلته حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره . وحينها انزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ،من الله ذي المعارج** ﴾[٢].

---

(١) وفي رواية جابر بن النضر بن الحارث .

(٢) سورة المعارج / الآية : ١ ـ ٣ .

وقد عد الاميني (ره) (٣٠) مصدراً من الرواة لهذا الخبر مثل : الهروي والموصلي البغدادي والثعلبي والحاكم الحسكاني والقرطبي وسبط ابن الجوزي والحموئي وابن الصباغ والسمهودي وابن العيدروس والزرقاني والشبلنجي ومحمد عبده.

انظر الغدير ١ : ٢٣٩ ـ ٢٤٦ .

ولا اعتبار لشبهة ومزاعم البعض القائمة على اساس أن آيات سورة المعارج مكية وبالتالي كيف يمكن تفسيرها بحدث حصل بعد ذلك بعشر سنوات ، ومرد عدم اعتبار هذه الشبهة يعود الى أن العديد من آيات سورة المعارج هي مدنية حيث ذكرت =

وفي ذلك يقول الشاعر :

يقـول رسـول الله : هـذا لأمتي ... هو اليوم مولى رب ما قلت فاسمع
فقـال جحـود ذو شقـاق منـافق ... ينـادي رسول الله من قلب مـوجع
اعن ربنا هذا أم أنت اخترعتـه؟ ... فقـال معـاذ الله لـست بـمبـدع
فقـال عـدو الله : اللهم ان يكن ... كمـا قـال حقـابي عـذابـا فـأوقـع
فعـوجـل من أفق السمـاء بكفره ... بجنـدلـة فـانكب ثـاو بمصـرع

ومن المثير أن الآية الكريمة على الرغم من كونها لا تتفق سياقا مع الآيات السابقة لها واللاحقة بها، الا أن وجودها في هذا المكان اعطاها مغزى كبيراً له دلالة اكيدة على سياق الاحداث المشار اليها ـ آنفاً ـ فلقد جاءت الآية محاطة بخطاب ترغيبي وترهيبي في آن واحد،وهو موجه ولا شك للامة المسلمة يتضمن الاشارة الى ايجابيات طاعة اوامر الله بأكملها ومساويء عدم الطاعة . وكأن الخطاب بمجموعه أنذار شديد من مغبة عدم الالتزام بما بلغها الرسول (ص) في خصوص الولاية . وقد تم استخدام اسلوب : اياك أعني واسمعي يا جارة في الاشارة الى كل دلك .

فالآية السابقة لها :

﴿ ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾[1] .

تنبه الامة المسلمة عبر هذا الاسلوب المجازي على الايجابيات

---

* مسائل الصلاة والزكاة بشكل يدل على أن الامر بادائهما سابق لها ومعلوم ان ذلك لا يمكن أن يكون الا في المدينة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان سورة الانفال المدنية قد تحدثت عن ذات القصة بقوله تعالى : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم الانفال ٨ : ٣٢ .

(١) سورة المائدة / الآية : ٦٦ .

التي تنجم عن الالتزام بكامل حرفية رسالة الله . إذ أن في ذلك سعادتها ورخاءها . اما اذا ما تخلفت فان الآية اللاحقة بالآية الكريمة توضح المصير بالقول :

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾ [1] .

مما يعني فقدان جميع الميزات والانجازات والتحول الى أمة لا علاقة لها بشرع الله على أن ذلك لا يجوز أن يكون مدعاة للتوهم أو الانسياق وراء توهم البعض بان الآية تخص شيئاً أنزل في خصوص أهل الكتاب . وكون المهمة التي تشير اليها الآية خاصة بأهل الكتاب : إذ لا معنى لخوف الرسول (ص) من أهل الكتاب في وقت كان الرسول (ص) قد قضى فيه على جميع اركان قوتهم . ولو قيل ان الآية لم تنزل قبل حروب الرسول (ص) ضد اليهود وهو قول لا صحة له ولا دليل عليه ، فان من غير المعقول ان نجد الرسول (ص) الذي لم يكن يملك أي قوة مادية او معنوية مرهبة للمقابل لا يخشى قريشاً وهو بين ظهرانيها . بينما يخشى من اخرين كان شكل الصراع ـ على الاقل ـ لا يوحي بأنه موجه ضدهم أو عليهم . وقيل أن شكل الصراع كان اليهود يفسرونه بتفسير يهدد أمنهم . فان من غير المعقول ان نجد الرسول يخشى اليهود وهم قوة لا شك أنها أضعف من قريش في وقت يحيط به الاعوان والانصار من كل جانب ومكان في وقت رأيناه لا يخشى قريشاً وهو مجرد عن هذه القوة!!! .

---

(١) سورة المائدة/ الآية : ٦٨ .

٥ ـ آيات أخرى :

ليست مهمتنا هنا تتمثل في استقصاء جميع الآيات التي نزلت في حق أمير المؤمنين (ع) بل سنورد بعضاً منها اكمالاً للفائدة واتماماً لاستحصال المعنى . على أننا هنا سوف لن نعمد الى التعليق بل سنكتفي بالاشارة الى الآية وبعض اسانيد احاديث نزولها ، ومن جملة هذه الآيات :

أ ـ آية المودة : قوله تعالى :

﴿ قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[1] .

وقد قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قيل :

يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

فقال : علي وفاطمة وابناهما .[2] .

وممن روى ذلك :محب الدين الطبري في الذخائر ص ٢٥

---

(١) سورة الشورى/ الآية : ٢٣ .

(٢) الغدير ٢ :٣٠٧ نقلا عن احمد في المناقب وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه والواحدي والثعلبي وابو نعيم والبغوي في تفسيره وابن المغازلي في المناقب .

والزمخشري في الكشاف ٢ : ٣٣٩[1] والحموئي في الفرائد ١ : ٢٠ والنيسابوري في تفسيره وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص٨ وصححه ، والرازي في تفسيره[2]، وابو السعود في تفسيره (هامش تفسير الرازي) ٧ :٦٦٥ وابو حيان في تفسيره ٧ :٥١٦ والنسفي في تفسيره (هامش تفسير الخازن) ٤ :٩٩ والحافظ الهيثمي في المجمع ٩ :١٦٨ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص١٢ والحافظ الكنجي في الكفاية ص٣١ والقسطلاني في المواهب والزرقاني في شرح المواهب ٧ : ٣ و٢١ والحافظ الكنجي في الكفاية ص٣١ والقسطلاني في المواهب والزرقاني في شرح المواهب ٧ :٣ و٢١ وابن حجر في الصواعق ١٤٩ و١٦٩ والسيوطي في احياء الميت المطبوع في هامش الاتحاف ص ٢٣٩ والشبلنجي في نور الابصار ١١٢، والصبان في الاسعاف في هامش نور الابصار ص ١٠٥[3] وكذلك الطبري في تفسيره ٤ :١٦ ـ ١٧[4] .

---

(١) وعلى نسخة ٤ :٢٢٠ .

(٢) تفسير الرازي ٧ :٣٩ .

(٣) الغدير ٢ :٣٠٧ .

(٤) ن . م . ٢ :٣١٠ (بتصرف واضافة) وانظر ايضاً : الحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٣٠ وابن المغازلي في المناقب ٣٠٩ والطبري في الذخائر ١٣٨،٢٥ والخوارزمي في مقتل الحسين ١ :٥٧،١ والحاكم في المستدرك ٣ :١٧٢ والثعلبي في الاتحاف ٥ :١٣ والذهبي في تلخيص المستدرك ٣ ١٧٢ وابن كثير ٤ :١١٢ =

وقد اضاف الاميني (ره) الى رجالها جملة اخرى من الرجال منهم :

الواحدي والصفوري وابن ابي الحديد وابو عبد الله الملا وابن طلحة والبيضاوي والمناوي وابو الشيخ والنسائي والبزاز وابن عساكر وابو الفرج الاصبهاني والهيثمي والزرندي والسمهودي والحضرمي والسيوطي والنبهاني [1] .

* * *

ب ـ آية خير البرية : قوله تعالى :

﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ﴾ [2]

وقد روى الحمويني في فرائد السمطين عن جابر وبطريقين : انها نزلت في علي وكان اصحاب محمد اذا اقبل علي قالوا : قد جاء خير البرية [3]

وممن روى ذلك الطبري في تفسيره ٣٠ : ١٤٦ والخوارزمي في مناقبه ص ٦٢ و١٨٧ والكنجي في الكافية ص ١١٩ وابن الصباغ في الفصول المهمة ص ١٢٢ وابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٦١ والسيوطي في الدر المنثور ٦ : ٣٧٩ والشبلنجي في نور الابصار ص ٧٨

= والقرطبي ١٦ : ٢٢ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٦، ١٩٤ والشوكاني في فتح القدير ٤ : ٥٣٧، ٢٦١ وابو نعيم في حلية الاولياء ٣ : ٢٠١ .

(١) ب م ٣ : ١٧٢ فقد ذكر الزرندي في نظم درر السمطين ٢٤ والبيضاوي في التفسير ٤ : ١٢٣ والهيثمي في المجمع ٧ : ١٠٣ والسيوطي في الدر المنثور ٦ : ٧ .

(٢) سورة البينة / الآية : ٧ .

(٣) الغدير ٢ : ٥٧ فرائد السمطين (م . س) الباب ٣١ حديث ١١٧ ـ ١١٨ .

و١١٢ والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٣٥٦ ـ ٣٦٦ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين ٩٢ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤٤٢ والقندوزي في الينابيع ٦٢، ٧٤، ٢٧٠ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٧ والشوكاني في فتح القدير ٥ : ٤٧٧ والآلوسي في روح المعاني ٣٠ : ٢٠٧ والسيوطي في اللآليء المصنوعة ١ : ١٦٩ ـ ١٧٠ والمناوي في كنوز الحقائق ٨٢، ٩٢ وابن حجر في تهذي التهذيب ٩ : ٤١٩ والطبري في الرياض ٢ : ٢٢٠ وفي الذخائر ٦٩ .

ج ـ آية الإطعام : قوله تعالى :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا ﴾ [1] الخ .

وسبب النزول يعود الى أن الامام علياً (ع) وفضة جاريتهما نذروا اذا شفي الحسن والحسين (ع) من مرض ألم بهما أن يصوموا ثلاثة أيام . ولما شفيا استقرض امير المؤمنين (ع) ثلاثة أصواع من الشعير :

فطبخت فاطمة (ع) صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ؟ مسكين من مساكين المسلمين ، اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة . فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم

(١) فرائد السمطين (م . س) الباب ٣١ حديث ١١٧ ـ ١١٨

(٢) سورة الدهر (الانسان) / الآية : ٨ ـ ٩

فآثروه ،ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا أخذ علي (ع) بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله (ص) فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ؟ وقام فانطلق معهم ، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عينها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال : خذها يا محمد ؟ هنأك الله في اهل بيتك فأقرأه سورة هل أتى على الانسان . [1] .

والذي يقرأ السورة يجد أن سياقاً واحداً شكلاً ومضموناً يجمع ما بين الآيات ٤ الى ٢٢ وهي مختصة بتمجيد هذا الايثار . ومن جملة من رووا هذه القصة الحافظ ابو محمد العاصمي الذي ألف كتاباً من مجلدين اسماه (زينة الفتى في تفسير سورة هل أتى) وابو جعفر الاسكافي في رسالته التي رد فيها على الجاحظ والحكيم الترمذي في نوادر الاصول ص ٦٤ والحافظ الطبري في ذخائر العقبى ٨٩، ١٠٢ وابن عبد ربه المالكي في العقد ٣ : ٤٢ ـ ٤٧ والحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل ٢ : ٢٩٨ وابن مردويه والآلوسي في روح المعاني ٢٩ : ١٥٧ والثعلبي في الكشف البيان والواحدي في اسباب النزول ص ٢٩٦ والزمخشري في الكشاف ٢ : ٥٢١ والخوارزمي في المناقب ١٨٨ والرازي في التفسير ٨ : ٢٧٦ وابن طلحة في المطالب ص ٣١ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٨١ وابن ابي الحديد المعتزلي في الشرح ٣ : ٢٥٧ والكنجي الشافعي في الكفاية ٢٠١ والبيضاوي في التفسير ٢ : ٥٧١

(١) الغدير ٣ : ١١١ بتصرف توضيحي

والطبري في الرياض ٢ : ٢٠٧ والنسفي في تفسيره ٤ : ٤٥٨ (في هامش الخازن) والحمويني في الفرايد ١ : ٥٣ ـ ٥٦ والخازن في التفسير ٤ : ٣٥٨ والايجي في المواقف ٣ : ٢٧٨ وابن حجر في الاصابة ٤ : ٣٨٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦ : ٢٩٩ والشوكاني في فتح القدير ٥ : ٣٣٨ والبرسوي في روح البيان ١٠ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩ والشبلنجي في نور الابصار ١٢ ـ ١٤ . . الخ[1] .

د ـ آية شراء النفس : قوله تعالى :

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾[2] .

وقد نزلت في حق اميـر المؤمنين (ع) ليلة مبيته في فراش الرسول (ص) حينما هاجر الرسول (ص) الى المدينة . وقد روى ذلك ابن ابي الحديد في الشرح عن ابو جعفر الاسكافي ١٣ : ٢٦٢ والثعلبي في التفسير والغزالي في احياء العلوم ٣ : ٢٣٨ والكنجي في الكفاية ص١١٤ والصفوري في نزهة المجالس ٢ : ٢٠٩ نقلا عن النسفي وابن الصباغ في الفصول ص٣٣ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٤١ والشبلنجي في نور الابصار ص٨٦ واحمد في المسند ١ : ٣٤٨ والطبقات لابن سعد ١ : ٢١٢ واليعقوبي في تأريخه ٢ : ٢٩ وابن هشام

(١) ن م ٣ : ١٠٧ ـ ١١١ بتصرف واضافة . وانظر ايضاً ابن المغازلي في المناقب ٢٧٢ والقرطبي في التفسير ١٩ : ١٣٠ وابن الاثير في اسد الغابة ٥ : ٥٣٠ ـ ٥٣١ وابي السعود في تفسيره المطبوع في هامش الرازي : ٨ : ٣٩٣ والكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل ٤ : ١٦٧ والبغوي في معالم التنزيل (في هامش الخازن) ٧ : ١٥٩ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ٣٧٠ والقندوزي في الينابيع ٩٣، ٢١٣ .

(٢) سورة البقرة/ الآية : ٢٠٧

في السيرة ٢ : ٢٩١ وابن عبد ربه في العقد ٣ : ٢٩٠ وابي الفداء في التاريخ ١ : ١٢٦ والخوارزمي في المناقب ٧٤ والمقريزي في الامتاع ٣٩ وابن كثير في التاريخ ٧ : ٢٣٨ والحلبي في السيرة الحلبية ٢ : ٢٩ [١] . .

هـ ـ آية النصرة : قوله تعالى :

﴿ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ [٢] .

وفي ذلك ينقل ابن عساكر المحقق المعروف في تاريخه بطريقه عن ابي هريرة :

مكتوب على العرش لا اله الا الله وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي ايدته بعلي ، وذلك قوله عز وجل في كتابه الكريم : هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين علي وحده .

وممن ذهب الى نفس ذلك الكنجي في الكفاية ص ١١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٩٩ والقندوزي في ينابيعه ص ٩٤ ـ ٩٥

---

(١) الغدير ٢ : ٤٧ ـ ٤٩ وانظر ايضاً الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٩٦ وايضاً في المستدرك ٣ ، ٤ ، ١٣٣ والقندوزي في الينابيع ٩٢ والسرازي في التفسير ٥ : ٢٢٣ وابن دحلان في السيرة ١ : ٣٠٦ وابن الاثير في الكامل ٢ : ١٠٣ والطبري في ذخائر العقبى ٨٨ وابن الهيثمي في المجمع ٦ : ٥١ ، ٢٧ ، ٩ : ١٢٠ وابن ابي الحديد في شرح النهج ١٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ وابن عساكر في الترجمة ١٥٣ ـ ١٥٤ وابن طلحة في المطالب ٣٥ والطبري في الرياض ٢ : ٢٧١ ـ ٢٧٢ وابن الاثير في اسد الغابة ٤ ٢٥ والخطيب البغدادي في تاريخه ١٣ : ١٩١ .

(٢) سورة الانفال / الآية ٦٢ .

والخطيب في تاريخه ١١ : ١٧٣ والطبري في الرياض ٢ : ١٧٢ وفي ذخاير العقبى ص ٦٩ والحموييني في الفرايد في الباب السادس والاربعين والمتقي الهندي في الكنز ٦ : ١٥٨ والهيثمي في المجمع ٩ : ١٢١ والسيوطي في الخصايص الكبرى ١ : ٧ [١] . .

* * *

و ـ ونفس ذلك يجري على قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ [٢] .

□□□

إذ يجمعها السياق مع الآية السابقة وقد ذكر ابو نعيم في فضايل الصحابة انها خاصة بأمير المؤمنين . .

* * *

ز ـ قوله تعالى :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ [٣] .

قال الحافظ الكنجي الشافعي في الكفاية نقلا عن أبي جرير وبعض المفسرين أن الآية :

---

(١) الغدير ٢ : ٤٩ ـ ٥١ وايضاً : الحسكاني في الشواهد ٢ : ١ والقندوزي في الينابيع ٩٦ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ١٧ وابن الصباغ في الفصول ١١٦ والشبلنجي في نور الابصار ٩٨ والخازن في التفسير ٥ : ٢٠٣ .

(٢) سورة الانفال / الاية : ٦٤ .

(٣) سورة الاحزاب / الآية ٢٣ .

فمنهم من قضى نحبه في حمزة واصحابه كانوا عاهدوا الله تعالى لا يولون الادبار فجاهدوا مقبلين حتى قتلوا ، ومنهم من ينتظرعلي بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يبدل ولم يغير الاثار. . .

كما جاء ذلك في ص١٢٢ وقد ذكرها الخطيب الخوارزمي في المناقب ص١٨٨ وفي الصواعق لابن حجر ص٨٠ [٢] والقندوزي في الينابيع ٩٦.

ح ـ آية السقاية : قوله تعالى :

﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ [٣] .

وقد نزلت بعد مفاخرة جرت ما بين العباس وشيبة (ابن عثمان) وأمير المؤمنين (ع). إذ قال الاول : أنا ساقي الحجيج وقال الثاني : أنا أمين على بيت الله وخازنه وقال امير المؤمنين (ع) أنا أول من آمن بالوعيد وهاجر وجاهد. . فأخبروا الرسول (ص) فنزلت الآية .

وقد اعتمد هذه الرواية كل من الطبري في تفسيره ١٠ : ٥٩ والواحدي في أسباب النزول ص١٦٤ والقرطبي في التفسير ٨ : ٩١ والرازي في التفسير ٤ : ٤٢٢ والخازن في التفسير ٢ : ٢٢١ النسفي في التفسير ٢ : ٢٢١ والحموئي في الفرايد في الباب الواحد والاربعين ١ : ٢٠٣ وابن الصباغ في الفصول ص ١٢٣ والكنجي في الكفاية ص ١١٣ وابن كثير في التفسير ٢ : ٣٤١ والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢١٨

(١) الغدير ٢ : ٥١ ـ ٥٢

(٢) سورة التوبة / الآية : ١٩ .

والصفوري (مع ابدال اسم حمزة (ع) بدل شيبة) في نزهة المجالس ٢ : ٢٤٢ [١] والزمخشري في الكشاف ٢ : ٢٥٧ والعسقلاني في الكافي ٢ : ٢٥٧ والسيوطي في اسباب النزول المطبوع على هامش الجلالين ٤١٣ والحسكاني في الشواهد ١ : ٢٤٤ وابن المغازلي في المناقب ٣٢١ والشوكاني في فتح القدير ٢ : ٣٤٦ والبغوي في معالم التنزيل ٣ : ٥٦ والشبلنجي في نور الابصار ٧٠ والزرندي في نظم درر السمطين ٨٩ والقندوزي في الينابيع ص ٩٣ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤١٣ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ : ٤٧٧ .

ولا يسعنا هنا ذكر جميع الآيات الواردة بحق امير المؤمنين (ع) لكثرتها . . [٢] وكثرة مصادرها واسانيدها مفضلين ان يرجع المستزيد الى

(١) الغدير ٢ : ٥٣ ـ ٥٥ .

(٢) روى ابن ابي حاتم والطبراني كل باسناده عن ابن عباس قوله : ما انزل الله أيها الذين آمنوا الا وعلي اميرها وشريفها ولقد عاتب الله اصحاب محمد (ص) في غير مكان من كتابه العزيز وما ذكر عليا الا بخير.
انظر : نور الابصار ص ٨١ للشبلنجي وكذلك ابن حجر في الصواعق ١٢٧ والحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٤٩ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤٣٠ والطبري في الذخائر ٨٩ والكنجي في الكفاية ١٤٠ والزرندي في نظم الدرر ٨٩ والقندوزي في الينابيع ١٢٦ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧١ وابن الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٢ والصبان في اسعاف الراغبين ص ١٤٥ والطبري في الرياض ٢ : ٢٧٤ والهندي في منتخب الكنز ٥ : ٣٨ وابو نعيم في الحلية ١ : ٦٤ والخطيب في تاريخ بغداد ٦ : ٢٢١ والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ١ : ١٩٢ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٤ : ٢٨٤ .
ويذكر ابن عباس ان عليا قد نزلت في حقه : ثلاث مائة آية من كتاب الله عز وجل وقد نقل ذلك عنه كل من : ابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤٣ والكنجي في الكفاية ٢٣١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٧٢ والشبلنجي في نور الابصار ٧٣ والقندوزي =

الكتب المختصة في ذلك ككتاب الغدير وتاريخ دمشق لابن عساكر وفضائل الخمسة عن الصحاح الستة للفيروزآبادي والمراجعات لشرف الدين وسبيل النجاة للرضي .

الباب الثاني

قيادية أمير المؤنين في أحاديث الرسول(ص)

= في الينابيع ١٢٦ ، ٢٨٦ وابن حجر في الصواعق ١٢٧ والصبان في الاسعاف ١٦٠ وابن دحلان في السيرة ٢ : ١١ .

نحاول في هذا القسم متابعة التعرف على المصاديق الشرعية التي تدلل على المفاهيم التي تعرضنا لها حول القيادة الاسلامية . وهنا ستأتي محاولتنا أما لوضع النقاط على الحروف بشكل يوضح العديد من الالتباسات ، واما ان تأتي لتعزيز ما أشرنا إليه في القسم السابق . وما ينبغي الاشارة اليه قبل الشروع في هذه المحاولة هو أن السنة الشريفة التي تعني هنا : قول الرسول (ص) وفعله وتقريره ، لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تصدر عن بواعث لا تمت الى الوحي بصلة . وذلك ان الرسول (ص) لا يمكن أن يتصرف أو يقول أي شيء بمحض ارادته[1] أو وفقاً لاهوائه الشخصية بل أن القرآن الكريم صرح بواضح العبارة أن كل ذلك يتم بناء على توجيه مباشر من الوحي المقدس :

﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى ﴾[2] .

وبالتالي فان من الخطأ بمكان أن نحمل تصريحاته على محامل لا

---

(١) لا اعني هنا المفهوم الفلسفي لهذه الكلمة اي ان ارادته تابعة ومحكومة لعوامل خارجية عنها .

(٢) سورة النجم / الآية : ٣ ـ ٥ .

تتوافق مع هذه الحقيقة ، فضلا عن كونها تناقضه . بل يجب علينا ان نفسر هذه التصريحات بشكل يتلاءم مع اهداف النبوة ومع اغراض الرسالة . كما انه يجب أن يكون واضحاً ان أي عبارة او اي تصريح من قبله لا يمكن فهمه ضمن هذه الحقيقة لا بد أن يتضمن واحدة من حالتين لا ثالثة لهما . فالعبارة اما تفصلها عن هذه الحقيقة ثغرة خفيت على الناقل . واما ان تكون موضوعة على الرسول (ص) وما اكثر ذلك . وليس في ذلك اي شيء جديد إذ ان تسمية كتب الاحاديث بالصحاح ما هو الا تعبير واضح عن وجود موضوعات واكاذيب على الرسول(ص)،اضافة الى ان علم الحديث ما كان ليعتمد على علم الرجال لولا معاناته الحادة من كثرة الاكاذيب[1] بشكل جعله يحتاج الى العلم الذي من شأنه ان يكشف عن هوية رجال الاحاديث .

وما يبقى جديراً بالذكر هو ان من الخطأ بمكان اشراك الصحابة في السنة فيغدو فعلهم او تقريرهم او قولهم مصدراً أساسياً من مصادر التشريع . حيث ان ذلك يستدعي كونهم يتمتعون بخصيصة العصمة وبغيرها لا يمكن الاطمئنان الى كونهم يتصرفون تصرفاً يتلاءم مع الشريعة اساسا، كما رأينا موقف الخليفة الاول من خالد بن الوليد في قضية قتله لمالك بن نويرة وزواجه من زوجة مالك في الليلة التي قتل فيها ، وكذلك في موقفه من قضية الفجأة السلمي ، وموقف الخليفة الثاني من قضية التفاوت في العطاء بين المسلمين وما الى ذلك . وموقف الخليفة الثالث من عبيد الله بن عمر في قضية قتله للهرمزان .

ولا ينفع هنا القول بالاجتهاد لانه اجتهاد في قبال نص قرآن صريح

(١) من المستحسن ان يرجع القارىء الى مقدمة الكتاب للتعرف على مظاهر هذا الكذب .

وهو ما لا يوافق مطلقاً أهم قاعدة في علم الفقه والحديث التي تصرح بأن : ما وافق القرآن فخذوا به وما لا يوافقه فاتركوه .

وعليه فان السنة التي تخرج عن اطار المعصوم (ص) لا يمكن ان تكون سنة بالمعنى الشرعي المتعارف عليه .

١ ـ حديث الثقلين :

وقد روي بألفاظ متعددة ، كما انه قيل من قبل الرسول (ص) في مناسبات متعددة ، مما يؤكد اهميته . ومن جملة الفاظه اذكر ما يلي :

أ ـ قوله (ص) في خطبة الغدير :

يا أيها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

ذكره : الترمذي في الصحيح ٥ : ٣٢٨ (حديث ٣٨٧٤)، والزرندي في نظم درر السمطين ص ٢٣٢ والقندوزي في ينابيع المودة ، ٤٤٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ص ١٥٣ وابن كثير في التفسير ٤ : ١١٣ والبغوي في مصابيح السنة ص ٢٠٦ وابن الاثير في جامع الاصول ١ : ١٨٧ (حديث ٦٥) والطبراني في المعجم الكبير ص١٣٧، والسيوطي في الاحياء ١١٤ . . . الخ .

ب ـ قوله (ص):

اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

ذكر الترمذي في الحصيح ٥ : ٣٢٩ (حديث ٣٨٧٦) الزرندي في نظم درر السمطين ص ٢٣١ والسيوطي في الدر المنثور ٦ : ٧، ٣٠٦ وابن حجر في الصواعق ص ٢٢٨/١٤٩ والقندوزي في الينابيع ٣٢، ٤٠، والطبراني في المعجم الصغير ١ : ١٣٥، وابن الاثير في أسد الغابة ٢ : ١٢، وابن كثير في التفسير ٤ : ١١٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ١ : ١٥٤ والخازن في تفسيره. ١ : ٤ والبغوي في المصابيح ٢٠٦ . وابن الاثير في جامع الاصول ١ : ٨٧ (حديث ٦٦) وابن عساكر في الترجمة ٥ : ٤٢٦ . . الخ .

ج ـ قوله (ص) :

اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض (أو ما بين السماء الى الارض) وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . .

ذكره كل من : السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٦٠ وفي الاحياء ١١٦ والمتقي الهندي في الكنز ١ : ١٥٤ (حديث ٨٧٣) والسيوطي في الجامع الصغير : ١ : ٣٥٣ .

د ـ عن زيد بن ارقم (رض) قال :

قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعي خم بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ ، وذكر ، ثم قال : اما بعد الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله فيه ورغب فيه ثم قال :

واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله

في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي .

وقد ذكره كل من : مسلم في الصحيح ٢ : ٣٦٢ والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٧٨ الزرندي في نظم درر السمطين ٢٣١ والخازن في التفسير ١ : ٤ وابن كثير ٤ : ١١٣ والعمري في مشكاة المصابيح ٣ : ٢٥٥ والصبان في الاسعاف ١٠٠ والقندوزي في الينابيع ص ٢٩ ، ١٩١ ، ٢٩٦ وابن دحلان في السيرة ٣ : ٣٠٣ والنبهاني في الفتح الكبير ١ : ٢٥٢ وابن المغازلي في المناقب ٢٣٦ (حديث ٢٨٤) والشبراوي في الاتحاف ٦ والطبري الشافعي في ذخائر العقبي ١٦ والكنجي في الكفاية ٥٣ والحموييني في فرايد السمطين ٢ : ٢٦٨ (حديث ٥٢٥) .

هـ ـ وقد ذكر بألفاظ أخرى متعددة ولكنها تفيد ذات المعنى ، وتوجد في مسند احمد في المسند ٣ : ١٧، ٢٦، ٥٩ و٤ : ٣٦٦، ٣٧١ و٥ : ١٨١، والقندوزي في الينابيع ٢٠، ٢٩، ـ ٣٢، ٣٤، ٣٦ ـ ٤١، ١١٦، ١٨٣، ١٩١، ٢٤٥، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٦٠ وابن المغازلي في المناقب ٢٣٤ (حديث ٢٨١) والهيثمي في مجمع الزوائد ٥ : ١٩٥ و٩ : ١٦٢، ١٦٤، وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ : ١٣٠ وابو ريه في اضواء على السنة المحمدية ٤٠٤ والخوارزمي في المناقب ٢٢٣، ٩٣ وابن عساكر في ترجمة الامام علي ٢ : ٣٦ (حديث ٥٣٦)، ٢ : ٤٦ (الحديث ٥٤٧) والبلاذري في الانساب ٢ : ١١٠ (حديث ٤٨) والكنجي في الكفاية ٢٥٩ والخازن في التفسير ٦ : ١٠٢، ٦ : ٧ والسيوطي في الجامع الصغير ١ : ٥٥ والنبهاني في الفتح ١ : ٢٠٢، ٥٠٣، ٣ : ٣٨٥ وابن الاثير في النهاية ١ : ١٥٥ والبغوي في معالم التنزيل ٦ : ٧ وابن منظور في اللسان ١٣ : ٩٣ والنويري في نهاية الارب ١٨ : ٣٧٧ والزبيدي في تاج العروس ٧ : ٢٤٥ وابو نعيم في الحلية ١ : ٣٥٥ والشبراوي في الاتحاف ٦

والسيوطي في الاحياء ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٦ والفيروز آبادي في القاموس ٣ :٣٤٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ١ :١٥٨ (حديث ٨٩٩، ٩٤٣ - ٩٤٧ و٩٥٠ - ٩٥٣، ٩٥٨ و١٦٥١، ١٦٥٨ و١٦٦٨) و١٥ : ٩١ (٢٥٥ و٣٥٦) والطبري في الذخائر ١٦ والحموييني في الفرائد ١ : ٣١٧، ٢ :١٤٢، ١٤٦، ٢٣٤، ٢٧٤ وابن حجر في الصواعق ١٥٠، ١٢٦ والنسائي في خصائص امير المؤمنين (ع) ٩٣ والحاكم في المستدرك ٣ :١٠٩ الخ .

* * *

أما رواة هذا الحديث من الصحابة فهم : امير المؤمنين (ع) والامام الحسن (ع) والامام الحسين (ع) وسلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري ، ابن عباس، ابو سعيد الخدري ، جابر بن عبد الله الانصاري ، ابو الهيثم بن التيهان ، وابو رافع ، حذيفة بن اليمان ، حذيفة بن اسيد ، خزيمة ذو الشهادتين ، زيد بن ثابت، زيد بن ارقم ، ابو هريرة ، عبد الله بن خنطب ، جبير بن مطعم ، البراء بن عازب ، انس بن مالك ، طلحة بن عبد الله التيمي ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن ابي وقاص ، عمرو بن العاص ، سهل بن سعد الانصاري ، عدي بن حاتم ، ابو أيوب الانصاري ، ابو شريح الخزاعي ، عقبة بن عامر ، ابو قدامة الانصاري، ابو ليلى الانصاري ، ضميرة الاسلمي، عامر بن ليلى بن ضميرة ، الصديقة الزهراء (ع) ام سلمة زوجة الرسول ، ام هانيء (اخت أمير المؤمنين (ع)) .

* * *

وما يمكن ملاحظته بناء على هذا الحديث ما يلي :

أ - ان خلافة الرسول (ص) منوطة بكتاب الله وأهل البيت (ع) .

ب - ان الوثاق المربوط ما بين الاثنين لا يمكن ان يتزلزل أو يتحلحل مطلقاً، مما يفيد حتما بعصمة أهل البيت (ع) والا لما اطلق الرسول (ص) قوله على هذه الشاكلة التي تفيد الاطلاق والجزم والقطع . ومن البديهي اننا لا يمكن ان نتصور أن الرسول (ص) من الممكن ان يطلق أي قول على عواهنه او بشكل اعتباطي . والا لوجب رفع السنة الشريفة من مصادر التشريع الاسلامي . وهذا محال عقلاً . كما ان دلالتها على العصمة واشارتها الواضحة الى ذلك تحدد المعنيين باهل البيت (ع). ومن هنا يبرز توهم من توهم ان اهل البيت تعني عموم بني هاشم حتى ان البعض ذهب ابعد من ذلك فقال انها تعني عموم قريش . والقصد من هذا التوهم واضح . غير أننا عرفنا ان اهل البيت لا تعني غير علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)[1] وسنعرف ايضاً فيما بعد أن تسعة اولاد للحسين (ع) مشمولين بذلك .

---

(١) علاوة على ما ذكرناه في اثناء الحديث عن آية التطهير فقد ذكر اختصاص اهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) كل من : الترمذي في الصحيح ٥ :٣١ (حديث ٣٢٥٨)، ٥ :٣٦١ (حديث ٣٩٦٣) والحسكاني في شواهد التنزيل ١ :١٢٤ (حديث ١٧٢) ٢ :١٦ (الاحاديث ٦٤٧ - ٦٤٩، ٦٥٤ - ٦٥٩، ٦٧٠، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٨٢ - ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٩١ - ٦٩٣، ٧١٨ - ٧٢٢، ٧٢٤ - ٧٢٦، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٧، ٧٤١، ٧٤٣، ٧٥٤، ٧٥٨ - ٧٦١، ٧٦٥، ٧٦٨، وابن المغازلي في المناقب ٣٠٢ (الاحاديث ٣٤٦ - ٣٥٠ والنسائي في خصائص امير المؤمنين(ع) ١٤، ١٦ والحاكم في المستدرك ٢ :١٥٠، ١٥٢، ٣، ٤١٦ :١٠٨، ١٥٠، ١٥٨والطبري في التفسير ٢٢:٧ - ٨ وابن دحلان في السيرة ٣ :٣٣٠ والطبري في ذخائر العقبى ٢١ وابن كثير في التفسير ٣ :٤٨٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ :٩١، ٩ :١٦٧، ١٦٩ والعمري في مشكاة المصابيح ٣ :٢٥٤واحمد في المسند ١ :١٨٥، ٣ :٢٥٩، ٢٨٥ وابن الاثير في اسد الغابة ٢ :١٢، ٣ :٤١٣، ٤ :٢٦، ٢٩، ٥ :٦٦، ١٧٤، ٥٢١، ٥٨٩ والمتقي الهندي=

ج ـ ان الرواية في محتواها ودلالتها تتوافق مع الروايات السابقة وتعطي مصداقية اكيدة للمفاهيم المطروحة سابقاً .

د ـ أن الرواية بهذا الحشد العظيم من الرواة متواترة وبالتالي فانها تظهر مثالب الاكاذيب التي حاولت أن تحرف وجهة هذه الرواية كي تكون : كتاب الله وسنتي[1] بدلاً عن كتاب الله وعترتي اهل بيتي .

= في منتخب الكنز ٥ :٥٣ والبخاري في التاريخ الكبير ١ :٦٩ (حديث ١٧١٩ و٢١٧٤) والزرندي في نظم درر السمطين ١٣٣، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ والبغوي في معالم التنزيل ٥ :٢١٣ وفي المصابيح ٢ :٢٧٨ وابن حجر في الصواعق ١٢١، ١٤٣ ـ ١٤٥ ، ٢٢٩ واليافعي في مرآة الجنان ١ :١٠٩ وابن حجر في الاصابة ٢ :٥٠٣، ٤ :٣٦٧ والشبراوي في الاتحاف ٥ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ :٣٧ والكنجي في الكفاية ص ٥٤، ١٤٢، ١٤٤، ٢٤٢، وابن الصباغ في الفصول ٨والطبراني في المعجم الصغير ١ :٦٥ وابن عساكر في التاريخ ١ :٢٩ (حديث ٢٨) ١ :٢٠٣ (حديث ٢٤٩): ٥، ٢٢ ـ ٢٣١، ٢٧١ ـ ٢٧٤ والقندوزي الحنفي في الينابيع ١٠٧، ١٠٨، ١٩٤، ٢٢٨ ـ ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٩٤ والسيوطي في تأريخ الخلفاء ١٦٩ والشوكاني في الفتح ٤ :٧٩ والخوارزمي في المناقب ٦٠ وفي مقتل الحسين ١ :٧٥ وابن طلحة في المطالب ١ :١٩، ٢٠ والحلبي في السيرة ٣ :٢١٢ والحمويني في الفرايد ١ :٢١٦ (حديث ٢٥٠) ٣٦٨ (حديث ٢٩٦) ٢ :١٤ (حديث ٣٦٠) .

انظر سبيل النجاة في تتمة المراجعات (م . س) ٣٨ ـ ٤١ وقد ذكر المرحوم الشريف العسكري مصادر اخرى في كتابه محمد وعلي وحديث الثقلين وحديث السفينة ٧٩ ـ ٨١ و١٠٥ ـ ١٢٧ وقد بلغ حسب احصاء العسكري عدد رواة الحديث من العلماء والائمة الفقه والحديث ١٨٥ عالماً .

(١) من الواضح عدم صحة ذلك من خلال العديد من الملاحظات ، ولئن كان المجال غير مرتاح هنا لاظهار ضعف اسناد هذا الحديث ووهن رجاله . الا انه من الممكن الاشارة الى عدة ملاحظات تتبدى في ذهن الباحث في الوهلة الاولى . ومن جملة هذه الملاحظات :

أ ـ انه لا يتوافق مطلقاً مع الاحاديث السابقة ولا الاحاديث التي سنذكرها فيما بعد=

هـ ـ اذا ما تمعنا في عبارة : لن تضلوا من بعدي ابداً . وهي عبارة تفيد

= والخاصة بذلك . ونحن نعلم ان احاديث الرسول (ص) لا بد أن نجمعها وحدة هدف ووحدة اتجاه .

ب ـ ان جملة من الاحداث التي اعقبت حياة الرسول (ص) تشير الى أن زمن هذا الحديث لا يتجاوز الفترة التي لحقت بشهادة الامام امير المؤمنين (ع) وتولي معاوية لامرة المسلمين وهي فترة اشتهرت كثيراً بكثرة الوضع في حديث الرسول (ص) .

ومعلوم ان حديثاً بهذه الاهمية لا يمكن ان يغيب عن الساحة الاسلامية طوال هذه الفترة ، في قبال شيوع الحديث الاول الخاص بعترة آل محمد (ص) . ومن جملة هذه الاحداث موقف عمر من مسألة الشورى فلو انه كان هناك صحة لهذا الحديث لما كان بامكان عمر ان يتخذ وبهذه الجرأة سبيلا غير الذي سلكه الرسول (ص) في زعمه .. فلو انه (ص) لم يستخلف احداً ـ كما يزعمون ـ أو انه لم ينص على احد ، فلم يتخذ عمر سبيلاً آخر ؟ ونفس هذا الشيء يسري ايضا على موقف ابي بكر في تخليفه لعمر ولا يمكن الاحتجاج بالضرورة هنا . اذ لو قالوا بذلك لحاججوا بها انفسهم حيث ان الرسول (ص) هو اولى بمراعاة هذه الضرورة لا غيره ولو قالوا بذلك لاقروا بوجود نص من قبل الرسول على احد صحابته . وهذا الوجود لا منحى له غير علي بن ابي طالب (ع) تبعاً لما يظهر من جملة مواقف الرسول (ص) ومن قبله مواقف القرآن الكريم علاوة على مواقف ذات امير المؤمنين (ع) .

ج ـ أن اتجاهاً كهذا لا يفهم منه مراعاة لواحدة من اهم خصائص التشريع الاسلامي واعني بذلك خصيصة عالمية التشريع الاسلامي ، اذ انه من الواضح أن سنة الرسول (ص) تبعاً لهذه الخصيصة ، يتطلب منها تلبية حاجات المراحل اللاحقة للرسول (ص) وحتى يوم القيامة ، وبشكل تفصيلي . غير أن شيئاً كهذا لا يوجد في السنة الا على مستوى ما يمكن أن يؤدي الى استنباط قواعد عامة للتشريع . ومن الطبيعي أن تكون السنة كذلك لانها اهتمت أساسا بتلبية حاجات المرحلة التي عاشها الرسول (ص) . وهي مرحلة حساسة للغاية وكانت تتطلب عناية قصوى بها ، تتناسب مع حساسيتها . فهي مرحلة تاسيس دولة . وهذه الدولة مشغولة دوماً بحروب مع أقوى القوى في زمنها . وحالة كهذه تفرض مشاغل اضافية . مما يعني أن وقت الرسول (ص) كان معظمه مخصصاً لتلبية حاجة هذه المرحلة . الامر الذي يعني استحالة قدرته الفعلية (لا التكوينية) على تلبية حاجات ما سيعقب هذه المرحلة من =

مراحل .

نفي الضلال بشكل جازم وقطعي . وقارنا ذلك بواقع المسلمين الذين رأينا كيف دبّ الضلال فيهم وسارع اليهم بعد فترة وجيزة من وفاة الرسول(ص)،قد تصل في أبعد التقادير الى ثلاثين سنة أقول اذا ما قارنا بين ذلك وبين العبارة فاننا بامكاننا أن نعلم ان الجريان الذي حدث بعد وفاة الرسول(ص)،وبالذات منذ اللحظات الاولى للسقيفة هل كان جرياناً يتفق مع ما قاله الرسول (ص) أم كان جرياناً يختلف تماماً مع ما أمر به؟! . .

و ـ ان تعدد الفاظ الحديث واختلاف المناسبات التي طرح فيها تعطي لموضوعه اهمية اضافية ، اذ ان ذلك يفيد تعمد الرسول (ص) للتأكيد على محتواه وموضوعه ، وتأكيد الرسول (ص) هذا بدوره يعني حرصه على القاء الحجة وتوكيدها. على أن هذا التأكيد لم يكن على مستوى تعدد الاشارة الى محتواه في مناسبات متعددة فحسب بل اننا نجده في ذات النص فمرة يقول : اذكركم الله اهل بيتي ويكرر ذلك ثلاث مرات واخرى يقول فانظروا كيف تخلفوني فيهما ،وثالثة يقول فانظروا كيف تخلفوني في اهل بيتي . . الخ .

= وقد يقال هنا ان وجود قواعد عامة للتشريع كاف لصلاحية السنة وتلاؤمها مع متطلبات العصور اللاحقة . وهو قول صحيح عقلياً . الا انه ينطوي على الحاجة لضمانات بسلامة تأويل هذه القواعد من جهة ، وبسلامة عملية الاستنباط من جهة اخرى. وهي ضمانات لا يمكن ان تتوفر بشكل تلقائي . وما عملية الخلافات الشائعة اليوم بين المذاهب الاسلامية في احد وجوهها الا في تأويل هذا الحديث أو ذاك بل اننا قد نجد الاختلاف واسعاً وضارباً اطنابه بين ابناء المذهب الواحد فكيف بعموم المسلمين . .

٢ ـ حديث المنزلة :

وقد أطلق هو الاخر في مناسبات متعددة وجاء بألفاظ متعددة ، وقد عد الراضي* عدد المناسبات التي ورد ذكرها في كتب الحديث والتاريخ من كتب ابناء أهل السنة (١١) مناسبة غير المناسبة الاصلية ، وهي خروج الرسول (ص) الى غزوة تبوك وتخليفه علياً مكانه وقد ذكر ابن سعد الحادثة بهذا الشكل :

قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع): انه لا بد أن اقيم أو تقيم ، فخلفه فلما فصل رسول الله (ص) غازياً قال ناس : ما خلّف علياً الا لشيء كرهه منه . فبلغ ذلك علياً فاتبع رسول الله (ص) (فاستفهم الرسول (ص)) فضحك الرسول (ص) وقال : يا علي اما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى(١) . .

غير أن اللفظ الاكثر شيوعاً هو : أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي .

* انظر سبيل النجاة .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٤ (م . س .) .

وقد ورد ذلك عن مجموعة كبيرة من الصحابة منهم : سعد بن ابي وقاص ، معاوية بن أبي سفيان ، حبشي بن جنادة ، جابر بن عبد الله ، ابو سعيد الخدري ، سعد بن مالك ، اسماء بنت عميس ،عبد الله بن عمر ، عبد الرحمن ابن ابي ليلى ، مالك بن الحويرث ، الامام علي (ع) ، عمر بن الخطاب ، عبد الله بن عباس ، ام سلمة ، عبد الله ابن مسعود ، انس بن مالك ، زيد بن أرقم ، ابو ايوب ابو بردة ، جابر بن سمرة ، البراء بن عازب ، ابو هريرة ، زيد بن ابي أوفى ، نبيط بن شريط ، وفاطمة بنت حمزة .

وممن ذكر ذلك واعتمده كل من : البخاري في الصحيح ٦ : ١١٧ والقسطلاني في ارشاد الساري ٦ :١١٧ ومسلم في الصحيح ٩ :٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ٩ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ والترمذي في الصحيح ٥ :٣٠١ (احاديث ٣٨٠٨ ، ٣٨١٣، ٣٨١٤) واحمد في المسند ٣ :٥٠ (حديث ١٤٩٠)، ٥٦ (حديث ١٥٠٥) ،٥٧ (حديث ١٥٠٩) ٦٦ (حديث ١٥٣٢) ٧٤ (حديث ١٥٤٧)، ٨٨ (حديث ١٥٨٣)، ٩٤ (حديث ١٦٠٠) ، ٩٧ (حديث ١٦٠٨) و٥ :٢٥ (حديث ٣٠٦٢) ، وابن ماجه في السنن ١ :٤٢ (احاديث ١١٥، ١٢١) والحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٩، ٢ :٣٣٧ والطبري في التاريخ ٢ :٣٦٤ وابن عساكر في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ١ : الاحاديث ٢٩، ١٢٣ ١٤٨، ١٥٠، ٢٥١، ٢٧١ ـ ٢٨١، ٣٢٩ ـ ٣٣٠، ٣٣٦ الى ٣٩٤، ٣٩٦ الى ٤٥٦ والبلاذري في الانساب ٢ : ١٠٦ (حديث ٤٣) ٩٢ (احاديث ٨، ١٥ ـ ١٨) وابن حجر في الاصابة ٢ : ٥٠٧، ٥٠٩ وابن عبد البرفي الاستيعاب ٣ :٣٤ ـ ٣٥ والنسائي في الخصائص ٧٦ ـ ٨٥ وابن المغازلي في المناقب ٢٧ ، ٢٥٥ (الاحاديث ٤٠ الى ٥٦، ٣٠٣) وابو نعيم في الحلية ٧ :١٩٤ ـ ١٩٧ والخوارزمي في المناقب ١٩، ٢٤، ٦٠، ٧٤، ٧٦، ٨٣ ـ ٨٦، ١٣٠، ٢١٤ والطبري في الذخائر

٦٣ ـ ٦٤، ٧٩، ٨٧ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٦٨ والقندوزي في الينابيع ٣٥، ٤٤، ٤٩ ـ ٥١، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ٨٠، ٨٦، ٨٨، ١١٦، ١٣٠، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٥، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٥٤، ٤٠٨، ٤٩٦، وابن الاثير في اسد الغابة ٢ :٨، ٤ :٢٦ ـ ٢٧ والزرندي في نظم الدرر ١٠٧،٩٥ الكنجي في الكفاية ٢٨١ ـ ٢٨٥، ٢٨٧ وابن ابي الحديد ١٣ :٢١١ و١٨ : ٢٤ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٨ ـ ٣١، ٢٠، ٢٣ وابن الصباغ في الفصول ٢١ ـ ٢٢، ١١٠ الحسكاني في شواهد التنزيل ١ :١٥٠ (حديث ٢٠٤ ـ ٢٠٥) والخوارزمي في مقتل الحسين (ع) ١ :٤٨ ـ ٤٩ والصبان في اسعاف الراغبين ١٤٨ ـ ١٤٩ والطبراني في المعجم الصغير ٢ :٢٢، ٥٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ :١٠٩ ـ ١١١، ١١٩ والطبري في الرياض ٢ :٢١٤ ـ ٢١٦، ٢٤٨ والمتقي في الكنز ١٥ :١٣٩ (الاحاديث ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ، ٤١٠ ـ ٤١١، ٤٣٢، ٤٨٧، واليافعي في مرآة الجنان ١ :١٠٩ وابن عبد ربه في العقد ٤ :٣١١، ٥ :١٠٠، والبغوي في المصابيح ٢ :٢٧٥ والنبهاني في الفتح الكبير ١ :٢٧٧ ، ٣ : ٣٩٨ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ :٤٦٨ ـ ٤٦٩ ،العمري في مشكاة المصابيح ٣ :٢٤٢ والسيوطي في الجامع الصغير ٢ :٥٦ والمتقي منتخب الكنز ٥ :٣١، ٥٣، ٥٥، والحمويني في الفرايد ١ :١٢٢ ـ ١٢٤ ، ١٢٦ ـ ١٢٧، ٣١٧، ٣٢٩ والذهبي في الميزان ٢ :٣ وابن هشام في السيرة ٢ :٥١٩ ـ ٥٢٠ الخ . . .[1].

(١) سبيل النجاة (م.س) ١١٧ ـ ١٢٣ بتصرف . وقد اضفنا اليه بعض المصادر التي لم يذكرها . ويجدر أن نشير هنا الى أن أرقام الصفحات التي تخص المصادر التي ذكرناها منفصلة ـ فيما سبق ـ لا نعتمدها من سبيل النجاة أو من الغدير بل نذكر صفحات الطبعات التي تقع تحت اليد ، وانظر ايضاً كلاً من : العسقلاني في فتح =

ووفقا لهذا الحديث يمكننا ان نرى الامور التالية :

أ ـ ان الحديث يكاد يكون مورد اجماع ائمة الفقه والحديث والتفسير والتاريخ . ولا اعلم احدا قد شكك في صحة هذا الحديث ـ والله اعلم ـ .

ب ـ ان تعدد اطلاقه وفي مناسبات متعددة يفيد معنى التأكيد .

ج ـ ان محتواه يتلاءم ويتوافق مع الايات والاحاديث السابقة .

د ـ ان النبي (ص) هنا حريص على القول بان الامام امير المؤمنين (عليه السلام) امتداد رسالي له ، ويبدو ساذجاً قول اولئك الذين يقولون ان هارون كان اخا رحمياً لموسى . لذلك فان الرسول (ص) يرغب هنا في الاشادة بالاواصر الرحمية التي تجمع بينه وبين الامام علي (ع)[1] ولو صح ذلك ـ وهو محال ـ لكان بالامكان ان ينظر الى الرسول (ص) بمنظار غير طبيعي لا يبعث على الراحة ، اذ ما بال الرسول (ص) وهو يوقف جيشاً يربو عدده على عدة الاف[2] من اجل أن يخبرهم بان علياً تربطه به رابطة

= الباري ٧ : ٦٠ وابن عبد البر في بيان العلم ١٣٥ والخطيب البغدادي في التأريخ ١ : ٣٢٤ وفي موضح اوهام الجمع والتفريق ٢ : ٢٤٦ ، ٤٦٤ والطبري في المسترشد٩٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٨ : ٧٧ وابن داود في المسند ١ : ٢٨ والبيهقي في المحاسن والمساوىء ١ : ٣١ وابن ابي حاتم في علل الحديث ١ : ٣١٣ والغزالي في الاحياء ٣ : ٢٣٨ والشبلنجي في نور الابصار ٨٦ وابن الجوزي في لسان الميزان : ٣٢٤ والسيوطي في اللآلىء ١ : ١٧٧ والبخاري في التأريخ الكبير ١ : ١١٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٩ : ٤٠ وابو نعيم في تاريخ اصبهان ٢ : ٣٢٨ وابن سعد في طبقاته ٣ : ٢٤ والذهبي في تاريخ الاسلام ٤ : ٩٢١ .

(١) وقد أشار الى نحو ذلك القسطلاني في ارشاد الساري ٦ : ١١٧ (م . س) .

(٢) ذكر المجلسي في البحار نقلا عن تفسير علي بن ابراهيم أن عدد الجيش كان (٢٥) الف رجل سوى العبيد والنساء . انظر بحار الانوار (م . س) ٢١ : ٢١٨ .

رحم او نسب ؟ هذا مع العلم ان القاصي والداني يعرفون بتفاصيل الرابطة بين الاثنين بشكل دقيق .

علاوة على علم الجميع باستنكار واستهجان الرسول (ص) ومن قبله كتاب الله لكل علاقة تقوم على اساس هذه الرابطة من دون الله . حينها من البديهي ان يكون كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) (وحاشاه من ذلك) مستغرباً .

وقد يقال ان الرسول (ص) بقوله هذا لم يرد اكثر من اعلام المسلمين باستعماله لعلي (ع) على المدينة حيث كان قد بقي فيها النساء والاطفال والضعفاء علاوة على ارحام رسول الله (ص) واهله وذلك : لانه اولى من غيره . . . [1] .

مما يعني ان الامر لا ينطوي على أي معنى رسالي . بل هو مورد خاص بذاته غير أن واقع الحال الذي انبثنا بان الرسول (ص) استعمل : ابن ابي على المدينة في غزوة بدر الاخرة[2] . .

و : ابن عرفطة على المدينة في غزوة دومة الجندل[3] .

و : ابن ام مكتوم على المدينة في غزوة الخندق[4] .

و : ابن ام مكتوم في غزوة بني قريظة . . .[5] . .

و : ابن ام مكتوم في غزوة بني لحيان[6] . .

و : ابن ام مكتوم في غزوة ذي قرد[7] .

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (م . س) ٦ : ١١٧ .

(٢) السيرة النبوية (م . س) ٢ : ٢١٠ ابن هشام .

(٣) ن . م . ٢ : ٢١٣ .

(٤) ن . م . ٢ : ٢٢٠ .

(٥) ن . م . ٢ : ٢٣٤ .

(٦) ن . م . ٢ : ٢٧٩ .

(٧) ن . م . ٢ : ٢٨٤ .

و : ابا ذر في غزوة بني المصطلق[1] . .

و : نميلة بن عبد الله الليثي في امر الحديبية[2] .

و : نميلة في يوم خيبر[3] .

و : ابن الاضبط في يوم عمرة القضاء[4] .

و : ابارهم في يوم فتح مكة[5] .

و : ابن اسيد على مكة وقت العمرة[6] .

و : وابا دجانة على المدينة في حجة الوداع[7] .

ولكن هؤلاء جميعاً لم يسبق للرسول (ص) ان يوقف المسلمين بهذا الشكل ويطلعهم على تعيين هؤلاء . فضلا عن ان الرسول (ص) لم يقل لاحد من هؤلاء انه بالنسبة اليه كهارون من موسى (ع) .

هذا علاوة على ان الرسول (ص) لو كان قد أراد هذا المعنى لما كان يكرره في مناسبات متعددة اغلبها كانا معاً وظلا معاً ، دون أن يكون للاستعمال على شيء خاص كاستعمال على أهل أو اقارب أو ضعفاء أي معنى ؟ ثم ما له يقول للامام : اما أن تقيم أو أقيم ؟ .

فلو كان يريد معنى الاهل والضعفاء والاقارب، فلماذا لم يقل ذلك للصحابة الاخرين الذين استعملهم ؟ هذا مع العلم ان جميع الغزوات التي خرج الرسول (ص) اليها قد ترك خلفه ما يمكن ان يصح

---

(١) ن.م. ٢ : ٢٨٩ .

(٢) ن.م. ٢ : ٣٠٨ .

(٣) ن.م. ٢ : ٣٢٨ .

(٤) ن.م. ٢ : ٣٧٠ .

(٥) ن.م. ٢ : ٣٩٩ .

(٦) ن.م. ٢ : ٥٠٠ .

(٧) ن.م. ٢ : ٦٠١ .

عليه : الاهل والضعفاء والاقارب .

هـ ـ ان عبارة : اما ان تقيم أو أقيم فيها دلالات واضحة على تماثل دور الرسول (ص) ودور الامام (ع) ويتأكد ذلك اذا ما ربطنا ذلك ببقية الحديث الذي يتكون من عنصرين : أولهما ، الاشارة الى درجتي هارون وموسى (ع)، وثانيهما، اختتام النبوة بمحمد (ص) مما يعني حتماً ووفقاً لما عرضناه في السابق : ان مكان الرسول (ص) الرسالي ، لا يمكن ان يشغله الا الامام علي (ع) مثلما ان مكان موسى(ع) لم يكن احد بقادر على اشغاله غير هارون (ع). ولكن هل هذا يعني ان الامام (ع) يغدو بذلك نبياً ؟ كلا لان النبوة قد ختمت بمحمد(ع)،لذا من البديهي ان يفترض عندئذ وجود درجة مماثلة للنبوة في الدور غير انها مختلفة في المميزات ، وهو ما يصطلح عليه بالإمامة .

على أن لفظة : الا انه لا نبي بعدي فيها اشارة ضمنية الى ذلك حيث انه من الواضح ان غزوة تبوك حدثت بعد اكثر من ثلاث سنوات من نزول آية :

﴿ ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] .

مما يعني ان المسلمين قد سبق لهم وان علموا بان الرسول (ص) هو خاتم الانبياء بثلاث سنين او اكثر. وهنا لا يفهم تكرار كلمة الا انه لا نبي بعدي كتأكيد على محتوى ختم النبوة لخلو ذلك من القرينة التي تشعر بهذا التأكيد . .

---

(١) سورة الاحزاب / الآية : ٤٠ .

٣ ـ حديث الاداء :

وقد ورد هو الآخر في مناسبات متعددة غير ان ابرزها واشهرها ما كان عند ارسال الرسول (ص) لابي بكر كي يبلغ مشركي العرب ما جاء في سورة البراءة (التوبة) اثناء حجيج هؤلاء في مكة ، وعن ذلك يقول عبد الله بن عمر ان ابا بكر وعمر لما انطلقا بذلك لحق بهم راكب ، فقالا :

من هذا ؟

قال : انا علي يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك .

قال : وما لي ؟

قال : والله ما علمت الا خيرا.

فأخذ علي الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر الى المدينة ، فقالا :

ما لنا يا رسول الله ؟ . .

قال : ما لكما الا خير. ولكن قيل لي (أي الوحي) انه لا يبلغ عنك الا أنت أو رجل منك[1] . .

(١) المستدرك على الصحيحين (م.س) ٣ : ٥١ وانظر ايضاً: ارشاد الساري ٧ : ١٤١ والسيرة النبوية ٢ : ٥٤٥ ومسند احمد ١ : ٣ وابن ماجة في الحديث رقم ١٤٣=

وقد ورد بلفظ آخر : لا يؤدي عني الا أنا أو علي .

وممن ذكر كلا اللفظين وآخر قريباً منهما كل من : ـ ابن ماجة في السنن ١ : ٤٤ (حديث ١١٩) ، الترمذي في الصحيح ٥ : ٣٠٠ (حديث ٣٨٠٣) ، النسائي في الخصائص ٢٠ ، وابن عساكر في ترجمة الامام (تأريخ دمشق) ٢ : ٣٧٦ ـ ٣٩٠ (الاحاديث ٨٧٨ الى ٨٩٣) والخوارزمي في المناقب ١٠٠ ـ ١٠١ وابن المغازلي في المناقب ٢٢١ (الاحاديث ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣)، القندوزي في الينابيع ٥٥، ١٨٠ ـ ١٨١ ، ٢٧١ وابن حجر في الصواعق ١٢٢ ، والصبان في اسعاف الراغبين ١٤٠ ، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٤٢ ، ٤٣ .والشبلنجي في نور الابصار ٧٢ ، والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٧٥ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ : ٤٧١ (حديث ٦٤٨١)، والسيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٥٦ ، والطبري في الرياض ٢ : ٢٢٩ وابن طلحة في المطالب ١٨ والعمري في المشكاة ٢ : ٢٤٣ ، والحموييني في الفرايد ١ : ٥٨ ـ ٥٩ .

وايضاً :

الترمذي في الصحيح ٤ : ٣٣٩ (حديث ٣٠٨٥) واحمد في المسند ٢ : ٣١٩ والنسائي في الخصائص ٩١ ـ ٩٢ والحاكم في المستدرك ٢ : ٥١ ، ٣٣١ والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ والطبري في التفسير ١٠ : ٦٤ ٦٥ والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٩ وابن كثير في التفسير ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٤ والطبري في ذخائر العقبي ٦٩ ـ ٧٠ وابن الصباغ في الفصول ٢٢ والقندوزي في الينابيع ٨٨ ـ ٨٩ ، الجاوي في تفسير المنير في معالم التنزيل ١ : ٣٣٠ ، الذهبي في

= والكشاف ٢ : ٢٤٣ والكافي للعسقلاني ٢ : ٢٤٣ ـ ٢٤٥ وفي ظلال القرآن ٤ : ١٢٢ ، ١٣٥ .

تلخيص المستدرك ٣ :٥٢، الحسكاني في الشواهد ١ :٢٣١ (الاحاديث ٣٠٩ ـ ٣٢٨ ، ٣٢٢ ـ ٣٢٧) والبلاذري في الانساب ٢ :١٥٥ (حديث ١٦٤) وابن ابي الحديد في الشرح ٦ :٤٥ والكنجي في الكفاية ٢٨٥ والخوارزمي في المناقب ١٠٠ ـ ١٠١، ٢٢٣ وابن المغازلي في المناقب ٢١٦ والطبري في التأريخ ٢ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣ وابن الاثير في الكامل ٢ :٢٩١ والشهرستاني في الملل والنحل ١ :١٦٣ والطبري في الرياض ، ٢ :٢٢٧ ـ ٢٣٠ والخازن في التفسير ٣ :٤٧ والبغوي في معالم التنزيل ٣ :٨٩ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ :٤٧٥ والمتقي الهندي في الكنز ١٥ : ٩٥ والحموييني في الفرايد ١ :٦١، ٣٢٨ والذهبي في تذكرة الحفاظ ٣ :٣٨، ٤٥٤ وفي تأريخ الاسلام ٢ :١٩٥ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ :٢١٣ والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ :٣٠ والسيوطي في الجامع الصغير الرقم (٥٥٩٥) والسيوطي في تأريخ الخلفاء ١٦٩ والطبري في المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تأريخ الصحابة والتابعين ٦٧ وابن حجر في لسان الميزان ٤ :٣٩٣. الخ[1] . . .

وبملاحظة الحديث من الجدير ان نتمعن كثيراً في اصرار الوحي المقدس فيه على القول بان تتم عملية التبليغ الالهية اما بواسطة الرسول (ص) أو بواسطة الامام امير المؤمنين (ع). ومن المقطوع به ان محتوى قول الرسول (ص) يتجاوز في حدوده مهمة قراءة سورة البراءة والتي تعتبر من أشد السور القرآنية على المشركين والمنافقين .

ألا يوافق ذلك كون الامامة هي امتداد وحيد وطبيعي للنبوة ؟ .

---

(١) استفدنا هنا في بعض الموارد من كتاب سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

ويتجلى ذلك بشكل صريح في الحديث الذي يرويه الحاكم بطريقه عن انس بن مالك والذي يقول :

ان النبي (ص) قال لعلي : أنت تبين لامتي ما اختلفوا فيه بعدي[1] . . .

هذا مع العلم ان القرآن الكريم يجعل مهمة كهذه واحدة من اهم وظائف الرسول (ص):

﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾[2] .

ولئن كانت مهمة تبيان الاختلاف ليست هي المهمة الوحيدة للنبوة وبالتالي فان ذلك قد لا يدل على الامتداد المشار اليه، غير ان الاحاديث الاخرى اظهرت بما لا شك فيه ان بقية المهام قد اشير اليها . فالآية القرآنية الكريمة التي تجعل من مسألة تعليم الناس بعلم الكتاب والحكمة كواحدة اخرى من مهام الرسول (ص):

﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[3] .

---

(١) المستدرك (م.س) ٣ :١٢٢ وانظر ايضاً : ابن عساكر في ترجمة الامام المستخرجة من تاريخ دمشق ٢ :٤٨٨ (الاحاديث ١٠١٤ ـ ١٠١٨) والخوارزمي في المناقب ٢٣٦ وايضاً في مقتل الحسين (ع) ١ :٨٦ والمناوي في كنوز الحقائق ٢٠٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦ :١٥٦ وفي منتخب الكنز ٥ :٣٣ وابو نعيم في الحلية ١ :٦٣ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ :١٨٦ والذهبي في الميزان ١ : ٤٧٢ والقندوزي في الينابيع ١٨٢ .

(٢) سورة النحل/ الآية : ٦٤ .

(٣) سورة الجمعة / الآية : ٢ .

هـذه الآية يقـابلها مجمـوعة من الاحـاديث التي تشير الى أن علم الامـام علي (ع) يـأتي بـالـدرجـة الثـانيـة من حيث المـرتبـة بعـد الرسول (ص) ،وهذه الاحاديث هي الاخرى كغيرهـا متواتـرة ويشترك في روايتها واعتمادها جمع كبيـر من المحدثين والمفسـرين والمؤرخين ومن بينها قول الرسول (ص) :

« أنا مدينـة العلم وعلي بابهـا فمن أراد العلم فليأت الباب »[1] . .

وقوله (ص) :

« أنا دار الحكمة وعلي بابها . . »[2] .

---

(١) المستدرك (م.س) ٣ :١٢٦ ـ ١٢٧ وانظر ايضاً : ابن عساكر في الترجمة ٢ :٤٦٤ (الاحاديث ٩٩١ الى ١٠٠٦ والحاكم في الشواهد ١ :٣٣٤، وابن الاثير في اسد الغابة ٤ :٢٢ وابن المغازلي في المناقب ص ٨٠ ـ ٨٥ الاحـاديث ١٢٠ ـ ١٢٦ والكنجي في الكفـايـة ٢٢٠ ـ ٢٢١ والـزرنـدي في نـظم درر السمـطين ١١٣ والقنـدوزي في الينـابيـع ٦٥، ٧٢، ١٧٩، ١٨٣، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٨٢، ٤٠٠، ٤٠٧ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٠٧ والصبان في اسعاف الرغبين ١٤٠، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٤٧ ـ ٤٨ والخوارزمي في المقتل ١ :٤٣ والشوكاني في فتح القدير ٣ :٤٦ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ :٣٨ والذهبي في الميزان ١ :٤١٥، ٢ :٢١٥، ٣ :١٨٢ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ :٢٣٦، والطبري في الرياض ٢ :٢٥٥ وفي ذخائر العقبي ٧٧ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ :٤٧٣ والكـلابي في المسند ٤٢٧ والمتقي في الكنـز ١٥ : ١٢٩ وفي المنتخب ٥ :٣٠ والنبهاني في الفتح الكبير ١ :٢٧٦ والسيوطي في الجامع الصغير ١ :٩٣ والحمويني في الفرايد ١ :٩٨).

والسيوطي في اللآلىء ١ :١٧٠ وابن كثير في البداية والنهاية ٧ :٣٥٨ والطبراني في المعجم الكبير ٣ :١٠٨، ١١٠ والخطيب البغدادي في التاريخ ١١ :٤٦ ـ ٤٩ وابن حجر في الصواعق ٣٧ وفي لسان الميزان ٢ :١٢٣ وفي تهذيب التهذيب ٦ :٣٢٠ ـ ٣٢١ والنسري الحنفي في ارجح المطالب ١٢٢ .

(٢) انظر صحيح الترمذي ٥ :٣٠١ وابو نعيم في حلية الاولياء ١ :٦٣، وابن المغازلي =

ونفس الشيء نجده في مسألة الهداية والتي تعتبر ثالث مهام النبوة ووظائفها ، ويوضح ذلك قوله (ص):

« أنـا المنـذر وعلي الهـاد ، وبـك يـا علي يهتـدي المهتدون من بعدي . . . »[1] .

= في المناقب ٨٧ (حديث ١٢٩، وقريب منه ٨٦ » (حـديث ١٢٨) والصبان في اسعاف الرغبين ١٤٠، والطبري في ذخائر العقبى ٧٧ وابن حجر في الصواعق ١٢٢ والقـندوزي في الينـابيـع ٧١، ١٨٣وابن عسـاكـر في تـرجمـة الامـام ٢ :٤٥٩ (حديث ٩٠٠) والمناوي في كنوز الحقائق ص ٤٦ والبغوي في مصـابيح السنة ٢ :٢٧٥ والـطبري في الـرياض النضرة ٢ :٢٥٥ والسيـوطي في الجـامـع الصغير ١ :٩٣، والمتقي في منتخب كنز العمال ٥ :٣٠ والنبهاني في الفتح الكبير ١ :٢٧٢ والحمـويني في الفرايـد ١ :٩٩، هذا وقـد الف المغـربي كتـابـاً في هـذا الحـديث اسـماه : فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينـة العلم علي) انظر سبيـل النجاة ١٤٤ ـ ١٤٦ . وايضاً السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١ :١٧٠ والمتقي الهندي في الكنـز ٦ :١٥٢ والخطيب البغـدادي في التـأريخ ١١ :٢٠٤ وابن حجـر في لسـان الميزان ٤ :١٤٤، ٥ :١٩ .

(١) المستـدرك على الصحيحين (م.س) ٣ : ١٢٩ ـ ١٣٠ وانظر ايضـاً : الرازي في التفسير ٥ :٢٧١ والحسكاني في شواهد التنزيل ١ :٢٩٣ ـ ٣٠٣ (الاحـاديث ٣٩٨ الى ٤١٦ والكنجي في الكفاية ٢٣٣، والطبري في التفسير ١٣ : ١٠٨ وابن كثير في التفسيـر ٢ :٥٠٢، والشـوكـاني في التفسير ٣ :٧٠ وابن عسـاكـر في التـرجمة ٢ :٤١٥ ـ ٤١٧ (الاحاديث ٩٢٠ ـ ٩٢٣) ٤١٧ وابن الصباغ المـالكي في الفصول المهمه ١٠٧ والشبلنجي في نور الابصار ٧١ والسيوطي في الدر المنثور ٤ :٤٥ وابن الجوزي الحنبلي في زاد المسير ٤ :٣٠٧ والـزرندي الحنفي في نظم درر السمطين ٩٠ وصـديق حسن خان في فتح البيان ٥ :٧٥ والالـوسي في تفسير روح المعـاني ١٣ : ٩٧ والحمـويني في فرائـد السـمطين ١ :١٤٨ وقـد جاء ذلـك كله تفسيراً لـلآية الكريمة : انما انت منذر ولكل قوم هاد. سورة الرعد ١٣ :٧ .

ونفس ذلـك نجده في كنـز العمـال (م.س) ٦ :١٥٧ (٢٦٣١) وفي منتخب كنـز العمال ٥ :٣٤، واحمد في المسند ١ :١٢٦ والمناوي في كنوز الحقائق ٤٢ .

انظر سبيل النجاة (م.س) ٥١ .

وكذلك قوله (ص) في حديث قدسي عن الباري عز وجل أنه قال :

أن علياً راية الهدى ، وامام اوليائي ، ونور من اطاعني . . [1] .

ونجده رابعاً في مسألة القدوة والاسوة والتي تعتبر واحدة من أبرز خصائص ومميزات الرسول (ص) وسائر الانبياء والمرسلين :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [2] .

ففي هذا الصدد نجد مجموعة ضخمة من الاحاديث وهي تشير الى ذلك بشكل أو بآخر وفي جميعها اخبار للمسلمين بضرورة الاقتداء والتأسي بأمير المؤمنين (ع) ففي مرة نرى الرسول (ص) يقول :

اوحي الي في علي ثلاث : انه سيد المسلمين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين . . [3]

---

(١) انظر : حلية الاولياء ١ : ٦٧ لابي نعيم وابن ابي الحديد في شرح النهج ٩ : ١٦٧ والخوارزمي في المناقب ٢١٥ ، ٢٢٠ والزرندي في نظم درر السمطين ١١٤ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٢٣٠ (حديث ٧٤٢) وابن المغازلي في المناقب ٤٦ (حديث ٦٩) والكنجي في الكفاية ٧٣ والقندوزي في الينابيع ٣٢١ وابن طلحة في مطالب السؤول ١ : ٤٦ والحمويني في الفرائد ١ : ١٤٤ ، ١٥١ . والسيوطي في اللآلي ١ : ١٨٨ .

(٢) سورة الاحزاب / الآية : ٢١ .

(٣) انظر : الطبراني في المعجم الصغير ٢ : ٨٨ وابن المغازلي في المناقب ٦٥ (حديث ٩٣) (١٤) (الحديث ١٤٦ ـ ١٤٧) والخوارزمي في المناقب ص ٢٣٥ والزرندي في نظم درر السمطين ١٤٤ وابن الصباغ في الفصول ١٠٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٢١ وابن الاثير في أسد الغابة ١ : ٦٩ ، ٣ : ١١٦ وابن عساكر في ترجمة الامام من تاريخ دمشق ٢ : ٢٥٧ (حديث ٧٧٩ ـ ٧٨٢) والقندوزي في الينابيع ٨١ والحمويني في فرائد السمطين ١ : ١٤٣ وقريب منه في الرياض النضرة للطبري ٢ : ٢٣٤ وفي ذخائر العقبى ٧٠ ، والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ : ٣٤ =

وهو في مرة اخرى يقول مخاطباً جمعاً كان معه :

اول من يدخل من هذا الباب امام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين فدخل علي [1] . . .

وثالثة يقول (ص) : وهو يشير الى الامام (ع) :

ان هذا اول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الاكبر ، وهذا فاروق هذه الامة [2] . .

= ونفس الشيء ، ولكن مع حذف قائد الغر المحجلين في حلية الاولياء لابي نعيم ١ : ٦٦ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٩ : ١٧٠ والمتقي الهندي في الكنز ١٥ : ١٥٧ (حديث ٤٤٣) وابو نعيم في تاريخ اصبهان ٢ : ٢٢٩ والحاكم في المستدرك ٣ : ١٣٨ .

(١) انظر ابن ابي الحديد في شرح النهج ٩ : ١٦٩ وابي نعيم في حلية الاولياء ١ : ٦٣ والخوارزمي في المناقب ٤٢ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤٨٧ (حديث ١٠١٤) وابن طلحة في مطالب السؤول ١ : ٦١ والذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ٦٤ والكنجي في الكفاية ٢١٢ والقندوزي في ينابيع المودة ٣١٣ والحمويني الجويني في الفرائد ١ : ١٤٥ والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٢٧٢ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ١٨٦ .

(٢) انظر : ابن عساكر في ترجمة الامام ١ : ٨٧ ـ ٨٨ (حديث ١١٩ ـ ١٢١) والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ والكنجي الشافعي في كفاية المطالب ١٨٧ وابن حجر في الاصابة ٤ : ١٧١ وابن الاثير في أسد الغابة ٥ : ٢٨٧ والذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ٤١٧ والحمويني في فرائد السمطين ١ : ٣٩ ، ١٤٠ وابن عبد البر في الاستيعاب ٤ : ١٧٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٨ : ٣٩ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ٣٢١ والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ١٢٥ وابو جعفر الاسكافي في نقضه على عثمانية الجاحظ ٢٩٠ والبلاذري في انساب الاشراف ١ : ٣١٨

هذا علاوة على ان معظمها يؤكد ان مشاعر وسلوك الانسان المسلم مع امير المؤمنين (ع) يجب أن يكون هو عين السلوك والمشاعر التي اكتنفت تعامل هذا الانسان مع رسول الله (ص).

ثم نراه خامساً يعطي للامام صفة اخرى من صفاته ويضفي عليه خصيصة اخرى من خصائص النبوة وهي صفة كونه حجة الله على خلقه فقال (ص): وهو يشير الى الامام امير المؤمنين(ع):

أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة. . . . [1].

ونحن هنا يمكننا أن نتلمس من خلال هذه المجموعة الجليلة من الاحاديث أي دور كان الرسول (ص) يسعى لجعل الامام (ع) فيه . . .

(١) كنز العمال (ط. س) ٦ : ١٥٧ (حديث ٢٦٤٢) وانظر ايضاً ابن المغازلي في المناقب ٤٥ (حديث ٦٧) وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٢٧٤ (الاحاديث ٨٠١ ـ ٨٠٣) والقندوزي في الينابيع ٢٣٩ والمناوي في كنوز الحقائق ٣٨ والذهبي في ميزان الاعتدال ٤ : ١٢٨ والمتقي في منتخب الكنز ٥ : ٤٣ وقريب منه في رياض الطبري ٢ : ٢٥٤ والخطيب في تأريخ بغداد ٢ : ٨٨ والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ١ : ١٨٩.

٤ ـ أحاديث الاقتداء :

توجد مجموعة اخرى من الاحاديث النبوية الشريفة تشير جميعها الى ضرورة الالتزام بقيادية امير المؤمنين (ع) بعد الرسول (ص) فهي مرة تحاول ايضاح معنى قوله تعالى اطيعو الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم من خلال تشخيص مصاديق ذلك. وهي اخرى تنادي بضرورة التبعية لمسار امير المؤمنين (ع) وكون هذا المسار هو اصدق المسارات الاسلامية خلف رسول الله (ص)، وثالثة تحاول استقطاب مشاعر المسلمين باتجاه امير المؤمنين (ع)، ورابعة تسعى لتوحيد اتجاهات الولاء باتجاهه (ع). وجميعها يحاول بوضوح جعل منهج الامام (ع) وخطه هو المعيار والمقياس في صحة المسيرة وخطها بعد الرسول (ص). ومن جملة هذه الاحاديث الشريفة :

أ ـ قوله (ص): «من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع علياً فقد اطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني.»[1].

(١) المستدرك (م. س) ٣ : ١٢١، ١٢٨، والذهبي في تلخيص المستدرك ٣ : ١٢١ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ١٨٨، ٢٦٦ ـ ٢٦٨ (الاحاديث ٦٧٩، ٧٩٣ ـ ٧٩٥ مع اختلاف بسيط في اللفظ) والطبري في الرياض ٢ : ٢٢٠ والقندوزي في=

ومن اللازم هنا الرجوع بهذا الحديث الى بحثنا حول الآلاية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ . سورة النساء/ الآية: ٥٩ .

لنتمعن في مضمون ومدى انطباق وتوافق هذا الحديث مع ما ذهبنا اليه هناك .

أ ـ قوله (ص) : «**يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقني**»[1] .

ب ـ قوله (ص) : «يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله والويل لمن ابغضك بعدي»[2] .

= الينابيع ٢٠٥ ، ٢٥٧ والطبري في ذخائر العقبى ٦٦ والذهبي في تلخيص المستدرك ٣ : ١٢١ والحموئي الجويني ١ : ١٧٩ حديث ١٤٢ . وابو نعيم في الحلية ٥ : ٣٨ .

(١) المستدرك ٣ : ١٢٤ ، ١٤٦ والطبري في ذخائر العقبى ٦٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٥ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٢٦٨ (حديث ٧٩٦) وابن المغازلي في المناقب ٢٤١ (حديث ٢٨٨) والطبري في الرياض ٢ : ٢٢٠ والقندوزي في الينابيع ٩١ ، ١٨١ ، ٢٠٥ والذهبي في الميزان ٢ : ١٨ والحمويني في الفرايد ١ : ٣٠٠ (حديث ٢٣٨) وابن الاثير في اسد الغابة ٤ : ٣٨٣ وابن حجر في الاصابة ٣ : ٤٩٧ واحمد في الفضائل حديث ٨٥ والطبراني في المعجم الكبير ٣ : ٢٠٦ والخوارزمي في المناقب ص٥٧ والمتقي الهندي في الكنز ٦ : ١٥٦ الثري في ذخيرة المطالب ٥١١ وذلك بالفاظ مقاربة ، والمناوي في كنوز الحقائق ١٥٦ والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ : ٣٣ وابن حجر في تهذيب التهذيب ١ : ١٢ .

(٢) المستدرك ٣ : ١٣٧ ، وانظر ايضاً الخوارزمي في المناقب ٢٣٤ وابن المغازلي في المناقب ١٠٣ (حديث ١٤٥ ، ٤٣٠) والشبلنجي في نور الابصار ٧٢ والذهبي في الميزان ٢ : ٦١٣ والقندوزي في الينابيع ٩١ ، ٢٤٨ ، ٣١٤ وابن ابي الحديد في=

ج ـ وقوله (ص) : «من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي ، فليتول علي بن ابي طالب ، فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة » .

وروي بلفظ مقارب غير أنه أضيف اليه فليتول علياً وذريته من بعده[1] .

د ـ وقوله (ص) : « لعمار بن ياسر (رض) : يا عمار اذا رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ، ودع الناس ، فانه لن يدلك على ردي ، ولن يخرجك من هدى »[2] .

هـ ـ وقوله (ص) : «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه تولاني ،

= شرح النهج ٩ : ١٧١ والطبري في الرياض ٢ : ٢١٩ ، ٢٣٤ والحموئي في الفرائد ١ : ١٢٨ وبالفاظ مقاربة ما جاء في ترجمة ابن عساكر ٢ : ٢٣١ (الحديث ٧٤٤) والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤ : ٤١ واحمد في الفضائل (حديث ٢١٤) وابن حجر في تهذيب التهذيب : ١ : ١٢ .

(١) كنز العمال (م. س) ٦ : ١٥٥ (حديث ٢٥٧٨) وفي المنتخب ٥ : ٣٢ والحاكم في المستدرك ٣ : ١٢٨ ، وابو نعيم في الحلية ٤ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٩٩ (حديث ٦٠٥) والحموئي في الفرائد ١ : ٥٥ وابن حجر العسقلاني في الاصابة ١ : ٥٤١ والخوارزمي في المناقب ٣٤ .

(٢) المستدرك ٦ : ١٥٦ والخوارزمي في المناقب ٥٧ وابن عساكر في الترجمة ٣ : ٢١٤ (حديث ١٢١٩) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣ : ١٨٦ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ٢١٣ والحموئي في الفرائد ١ : ١٧٨ والقندوزي بلفظ مقارب في الينابيع ٢٥٠

ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن احبه فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ، ومن ابغضه فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله عز وجل»[1].

و ـ وقوله (ص): «وهو ممسك بيد أمير المؤمنين (ع) ومخاطب لجموع المسلمين : ـ هذا امام البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله»[1].

ز ـ وكذلك قول امير المؤمنين (ع): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي (ص): لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق .

وذلك اشارة لقوله (ص) لعلي :«لايحبك الا مؤمن ولا يبغضك

---

(١) كنز العمال ٦ : ١٥٤ (٣٥٧١) وفي المنتخب ٥ : ٣٢ وابن عساكر في الترجمة ٢ : ٩١ ـ ٩٤ (٥٩٤ ـ ٥٩٨) وابن المغازلي في المناقب ٢٣٠ (٢٧١ ـ ٢٧٩) والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠١ والقندوزي في الينابيع ٢١٢ والحسيني في الفرائد ١ : ٢٩١ والكنجي في الكفاية ص١٤ وابن حجر في الصواعق المحرقة ١٢ : ١٦٠

(٢) ابن المغازلي في المناقب ٨٠ ـ ٨٤ (حديث ١٢٠ ، ١٢٥) والخوارزمي في المناقب ١١١ وابن عساكر ٢ : ٤٨٩ (حديث ١٠٠٥) والكنجي في الكفاية ٢٢١ والقندوزي في الينابيع ٧٢ ، ١٨٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٤ وابن الصباغ في الفصول ١٨٠ والصفار في اسعاف الراغبين ١٥٨ وابن حجر في الصواعق ٢٥ وابن طلحة في مطالب السؤول ٣١ والذهبي في الميزان ١ : ١١٠ والسيوطي في الجامع الصغير ٢ : ١٤٠ والحمويني في الفرائد ج١ : ١٥١ (حديث ١١٩ وكنز العمال ٦ : ١٥٣ (حديث ٣٥٢٧) ومنتخب الكنز ٥ : ٢٩ ـ ٣٠) والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ١٧ والخطيب البغدادي في تاريخه ٤ : ٢١٩ (ج١٩١٤) ٢ : ٣٧٧ (٨٨٧) والعسقلاني في لسان الميزان ١ : ١٩٧

الا منافق»[1].

ط ـ وقوله (ص): «علي مع القرآن ، والقرآن مع

---

(١) صحيح مسلم ١ : ٣٨٩ (ط ص) والنووي في التعليقة ١ : ٣٨٨ والنسائي في السنن ٨ : ١١٦ ـ ١١٧ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ : ٣٧ وابن الصباغ في الفصول ١٠٩ وابن عساكر في الترجمة ١ : ٦٤ (حديث ٩١) ، ١ : ١٣٥ (حديث ١٦٦ ، ٢ : ١٨٨ ، ١٩٠ ـ ٢١٠) (الاحاديث ٦٧٩ ، ٦٨٢ ـ ٧١١) والشبلنجي في نور الابصار ٧٢ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٣٥ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٤ : ٢١٤ ، ٤٥١ والطبري في الذخائر ٩١ والقندوزي في الينابيع ٤٧ ـ ٤٨ ، ١٨٣ ، ٢١٣ ، ٢٨٢ وابن ماجة في سننه ١ : ٩٤ ، ١١٤ والنسائي الشافعي في خصائص امير المؤمنين (ع) ١٠٤ وابن طلحة في مطالب السؤول ١ : ٤٨ والزرندي في نظم درر السمطين ١٠٢ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٧٠ وابن حجر في الصواعق ١٢٥ وفي مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ وفي لسان الميزان ٢ : ٤٤٦ والصفار في الاسعاف ١٥٤ وابن المغازلي في المناقب ١٩٠ ـ ١٩٢ (الاحاديث ٢٢٥ ـ ٢٣٢) واللالكائي في السنة ١ : ٣١٥ ، ٣٢٦ (حديث ٢٠) والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٧٥ وفي المعالم ٦ : ١٨٠ والطبري في الرياض ٢ : ٢١٤ والساوي في كنوز الحقائق ٣٦ ، ١٩٢ وابن الاثير في جامع الاصول ١ : ٤٧٣ (حديث ٦٤٨٨) وفي اسد الغابة ٤ : ٢٦ والبغوي في المشكاة ٣ : ٤٢٠ والمتقي الهندي في الكنز ١٥ : ١٠٥ ، ١٥٧ وفي منتخب الكنز ٥ : ٣٠ والحمويني في الفرائد ١ : ١٣١ ـ ١٣٣ وابي نعيم في الحلية ٤ : ١٨٥ والذهبي في الميزان ٢ : ٤١ ، وفي تذكرة الحفاظ ١ : ١٠ وابن حنبل في مسنده ١ : ٨٤ ، ٦ : ٢٩٢ وابن حاتم في علل الحديث ٢ : ٤٠٠ والهيثمي في السنن ٣ : ٢٧١ وفي طبقات الحنابلة ١ : ٣٢٠ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨ : ٤١٧ ، ١٤ : ٤٢٦ وفي موضح اوهام الجمع والتفريق ٤٦٨ والحسكاني في شرح ديوان امير المؤمنين ١٩١ والقاضي عياض في الشفاء ٢ : ٤١ والهيثمي في مجمع الكبير ١ : ٤٤٦ وفي منهج الشموس والانوار ٢١٠ ، ومحمد بهجت في غنية ابن البيزار ١٤ والشرمذي في السنن ١٣ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، وابو العوارس في الاربعين (الحديث ١٥) والحاكم في معرفة علوم الحديث ٢٢٣ والكنجي في كفايته ١٦٨ الشيرازي الحنفي في ارجح المطالب ٥١٣ والصبحاوي في مشكل الآثار ١ : ٤٨ وقد ذكر هذا الحديث وصححه الى درجة ان جملة من الصحابة كانوا يتحصنون بهذا و نفاق الاشخاص بمدى حبهم لعلي او بغضهم اياه كناس =

علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »[1] . .

ومثل هذه المزايا لا يمكن التفكير بانها تأتي من اجل لا شيء بل

= عباس وابن مسعود وابي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله الانصاري بن الصامت الانصاري ومالك بن انس وام سلمة وغيرهم انظر ابن عساكر في الترجمة ٢١٨ ـ ٢٢٥ (الاحاديث ٧٢١ ـ ٧٣٨) والحافظ ابي نعيم في كتاب صفة النفاق (الاحاديث ٧٠ ـ ٨٠) واحمد في الفضائل (حديث ١٠٣) والبلاذري في الانساب ١ ٣١٥ وابو نعيم في الحلية ٦ : ٢٩٥ والترمذي في السنن ١٣ : ١٦٨ وابن ابي الحديد ٤ : ١١٠ والسيوطي في كتاب اللآلىء ١ : ١٨٤ وابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ : ٤٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ والذهبي في الميزان ١ : ١٥١ ، ٢ : ٣١٣ والعسقلاني في لسان الميزان ٢ : ٢٨٥ والكنجي في الكفاية ٣١٩ وابن كثير في البداية والنهاية ٧ : ٣٥٤ .

(١) انظر نور الابصار (م . س) ٧٣ وايضاً : الخوارزمي في المناقب ١١٠ والطبراني في المعجم الصغير ١ : ٢٥٥ والكنجي في الكفاية ٢٥٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٤ وابن حجر في الصواعق المحرقة ١٢٤ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٦٧ وفي الجامع الصغير ٢ : ٥٦ والصنعاني في اسعاف الراغبين ١٥٧ والقندوزي في ينابيع المودة ٤٠ ، ٩٠ ، ١٨٥ ، ٢٣٧ ، ٢٨٥ والشوكاني في فتح القدير ٤ : ٣٥٨ والحمويني في الفرائد ١ : ١٧٧ (حديث ١٤٠) وابن مردويه في المناقب والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ : ٣١ ، وفي الكنز ١٥ : ٢٠٣ والنبهاني في الفتح الكبير ٢ : ٢٤٢ وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ٣٤٠ ، ٥٩٧ ـ ٥٩٨ والحاكم في المستدرك ٤ : ١٢٤ وبالغاط تؤدي الى نفس المعنى : انظر : الخطيب في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢١ وابن عساكر في الترجمة ٣ : ١٥١ ـ ١٥٣ (حديث ١١٦٩ ـ ١١٧٢) المتقي من منتخب الكنز ه : ٣٠ ـ ٦٢ والترمذي في الصحيح ٥ : ٢٩٧ (حديث ٣٧٩٨) والمستدرك للحاكم ٣ : ١٢٤ والخوارزمي في المناقب ٥٦ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ : ٥٧٢ والنبهاني في الفتح الكبير ٢ : ١٣١ وابن الاثير في جامع الاصول ٩ : ٤٢٠ والحمويني في الفرائد ١ : ١٧٦ والبيهقي في المحاسن والمساوىء ٤١ والنافلاني في الانصاف ٥٨ والذهبي في تاريخ الاسلام ٢ : ١٩٨ وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ٥٩٩ ، والذهبي في تلخيص المستدرك ٣ : ١٤٥ وابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠ : ٦٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٤٣ .

لا بد أن تأتي وهي تستهدف ايجاد الارضية الموضوعية والنفسية لدى المجتمع الاسلامي لقبول قيادية امير المؤمنين . وهو مجتمع في عدة قطاعات منه بغض شديد لامير المؤمنين (ع) نتيجة ما فعله بقريش وامثالها ولعل ما في قول امير المؤمنين (ع) ما يفصح عن هذه الحقيقة حيث يقول :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بروا وما ظفروا[1]

هذا علاوة على عوامل الحسد والمشاعر العشائرية والقبائلية والعوامل النفسية الاخرى . وهو أمر أعرب عنه الرسول (ص) بكل جلاء ووضوح فالمتقي الهندي في الكنز ينقل في حديث صححه بان النبي (ص) رأى :

بنور الله ما سوف يحدث بعده فاحزنه ما رأى واعتنق علياً يوماً فبكى فقال له علي : يا رسول الله ما يبكيك ؟ .

فقال : ضغائن في صدور رجال لن يبدوها لك الا من بعدي . . [2] .

---

(١) مروج الذهب (م . س) ٢ : ٤١٧ .

(٢) كنز العمال (م . س) ٥ : ٤٠ ـ ٦ : ٤٠٨ ، ١٥ : ١٤٦ ونفس المحتوى يوجد في منتخب الكنز ٥ : ٥٣ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٦ : ٤٥ . والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢ : ٣٩٨ وابن كثير في البداية والنهاية ٦ : ٢١٨ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ : ١٣٩ ونظم درر السمطين للزرندي ١١٨ والفرائد للحمويني ١ : ٣٨٧ (الحديث ٣١٨) وابن عساكر في الترجمة ٣٢١ ـ ٣٢٧ (الاحاديث ٨٣٤ ـ ٨٣٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٨ والطبراني في المعجم الكبير ٣ : ١٠٩ واحمد في الفضائل (الحديث ٢٣١) والذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ٣٣١ والخوارزمي في المناقب ٢٦ وفي المقتل ١ : ٣٦ والكنجي في الكفاية ٢٧٣ والطبري في الرياض ١ : ١٣ ، ٢ : ٢١٠ .

وبغير ذلك لا يمكن فهم مؤديات احاديث الرسول (ص) وهو يتحدث بهذا الشكل الاطلاقي غير المقيد والذي لا بد أن يكون مصدره أحد شيئين او كليهما . فهو اما أن يكون قد اخبر من قبل الباريء عز وجل بعصمة الامام امير المؤمنين (ع) بشكل جعله يقول من اطاعني او من عصاني او ابغضني ، او احبني أو... الخ ويجعل كل ذلك من مختصات امير المؤمنين (ع) او أن يكون قد اخبر من قبل الباريء عز وجل ـ على افتراض نفي العصمة التكوينية ـ بان عليا لا يمكن ان يحيد عن الهدى ولا يمكن ان ينحاز الى ضلال .

ولو قالوا ان احاديث كهذه لا تفيد العموم وانما تتعلق بموادها الخاصة والتي تنتهي بانقضاء تلك الموارد، قلنا : فلماذا يأتي حديث الرسول (ص) بهذه الضخامة والكثرة ـ ولو شئنا استقصاء كل ما ورد لما تركنا لبقية بحثنا من مجال ـ ولا يأتي ولو لمرة واحدة على شاكلته لاي صحابي آخر ؟ هذا اذا توخينا الدقة العلمية في تمحيص الاحاديث .

ان هذه العصمة هي الجواب الواقعي للاستفسار الذي اطلقناه في بداية بحثنا في ماهية وشخصية اولي الامر المشار اليها بلزوم الطاعة بعد طاعة الله ورسوله .

٥ ـ حديث خلفائي كلهم من قريش :

وفي هذا الحديث المتواتر نعثر على حقيقة اخرى ، وهي ان الرسول (ص) يصرح بان الائمة من بعدي اثنا عشر وكلهم من قريش [١] ونحن اذا ما اردنا تفسيره بواقع ما جرى فاننا لا نظفر مطلقاً باجابة وافية اللهم الا بالاخذ بمذهب الامامية الاثني عشر . فهم يحدثون

---

(١) قال مسلم في الصحيح نقلا عن (٧ طرق) تنتهي الى جابر بن سمرة قال
دخلت مع ابي على النبي (ص) فسمعته يقول ان هذا الامر لا
ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة قال . ثم تكلم بكلام
خفي علي قال فقلت لابي ما قال قال : كلهم من قريش
وقال الترمذي في السنن نقلا عن الرسول (ص) انه قال :
يكون من بعدي اثنا عشر اميرا وان ابا جابر (بن سمرة) قال
كلهم من قريش
وقد ورد هذا الحديث بنفسه او بمعناه في كل من صحيح مسلم ٨ : ٤ ـ ٧ بسبعة طرق والبخاري في الصحيح ٩ : ١٠١ والترمذي في السنن ٢ : ٣٥ والنووي في تعليقه على مسلم ٨ : ٩ والقندوزي في الينابيع ٧ ، ١٠٧ ، ٣٠٨ والحاكم في المستدرك ٤ : ٥٠١ واحمد في المسند ٥ : ٨٦ ، ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٨ وابن حجر في الصواعق ٢١ ، ١٨٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥ : ١٩٠ والمناوي في فيض القدير ٢ : ٤٥٨ وابو نعيم في الحلية ٤ : ٣٣٣ والمتقي الهندي في الكنز ٣ : ٢٠٥ ، ٦ ، ٢٠١

عن رسول الله بانه نص بصراحة على هؤلاء الاثني عشر[1] ، هذا علاوة على انهم يقولون بان معنى قوله (ص) الائمة من بعدي اثنا عشر لا ينطبق على جميع الحكومات التي تعاقبت بعد الرسول الا على مستوى العرض حيث لم يلحظ الا القليل جداً ممن اخذ بسنة الرسول (ص) اما الآخرون فقد كانوا جميعاً تحريفيين لهذه السنة او على الاقل غير مهتمين بتطبيقها ، ويتجلى كل ذلك اذا ما تفحصنا حقيقة المزايا والصفات التي اختصها الرسول (ص) لهم فهو في مرة من المرات يصفهم بالقول بانهم :

فيكم مثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق[2] .

---

(١) هذا الحديث وسائر الاحاديث الاخرى هي من المستفيضات لدى شيعة اهل البيت ولكن تحصيلا للفائدة نطلب من القارىء الكريم مراجعة كتاب اصول الكافي ١ : ٢٨٦ وما بعدها لثقة الاسلام الكليني (من علماء القرن الرابع) وكفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر لابي القاسم علي بن محمد بن علي الرازي (من علماء القرن الرابع) وكذلك بحار الانوار في مجلده (٢٣) وما بعده للمجلسي

(٢) المستدرك (م . س) ٣ : ١٥١ ، والذهبي في التلخيص ، والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٥ والقندوزي في الينابيع ٢٩٨ وابن حجر في الصواعق ١٨٦ ، ٢٣٦ والصبان في الاسعاف ١٠٩ والحموئي في الفرائد ، وقريب منه في : الكنجي في الكفاية ٣٧٨ والهيثمي في المجمع ٩ : ١٦٨ ، والطبراني في المعجم الصغير ٢ : ٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣ : ١٥٠ والسيوطي في الاحياء ١١٣ وابي بكر الحضرمي في رشفة الصادي ٧٩ والحنفي في ارجح المطالب ٣٣ وابي نعيم في الحلية ٤ : ٣٠٦ والطبري في ذخائر العقبى ٢٠ والسيوطي في الجامع الصغير ٢ : ١٣٢ والنبهاني ١ : ٤١٤ ، ٣ ، ٢ : ١٣٣ ، والخوارزمي في مقتل الحسين ١ : ١٠٤ والزرندي في نظم الدرر ٢٣٥ وابن حجر في الصواعق ٩١ ، ١٨٤ ، والشبلنجي في نور الابصار ١٠٤ وابن المغازلي في المناقب ١٣٢ ـ ١٣٤ (الاحاديث ١٧٣ ـ ١٧٧) وابن قتيبة في عيون الاخبار ١ : ٢١١ والمتقي في منتخب الكنز ٥ : ٩٢ ، ٩٥ وابن ابي الحديد في شرح النهج =

وهو في مرة اخرى يصفهم بانهم : امان لامتي [1] .

وهم في مرة ثالثة :

مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له[2] . .

وهم في مرة رابعة :

حينما سئل الرسول (ص): ما بقاء الناس بعدهم قال : بقاء الحمار اذا كسر صلبه[3] . .

وفي كل ذلك نجد أن دورهم لا ينحصر بالجنبة التشريعية من

= ١ : ٧٣ والمناوي في كنوز الحقائق ١١٩ والقندوزي في الينابيع ٢٧ ـ ٢٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٣٦١ ، ٢٩٨ والحموئي في الفرائد : ٢ : ٢٤٢ (الاحاديث ٥١٦ ، ٥١٩) .

(١) انظر ابن حجر في الصواعق ، ١٥٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ والسيوطي في الاحياء ١١٢ ، ١١٤ ، وفي الجامع الصغير ٢ : ١٦١ والمتقي الهندي في منتخب الكنز ٥ : ٩٢ ـ ٩٣ والقندوزي في الينابيع ١٩ ـ ٢١ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٩٨ والنبهاني في جواهر البحار ١ : ٣٦١ وفي الفتح الكبير ٣ : ٢٦٧ والطبري في ذخائر العقبى ١٧ والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٤ والصبان في اسعاف الراغبين ١٢٨ والحموئي في الفرائد ١ : ٤٥ ، ٢ : ٢٤١ ، (حديث ٥١٥) ٢٥٢ (حديث ٥٢١ ـ ٥٢٢) والحاكم في المستدرك ٢ : ٤٤٨ ، ٣ : ١٤٩ ، ٣ : ٤٥٧ والهيثمي في المجمع ٩ : ١٧٤ .

(٢) الكنجي في الكفاية ٣٧٨ والهيثمي في المجمع ٩ : ١٦٨ والطبراني في المعجم ٢ : ٢٢ والسيوطي في احياء الميت ١١٣ والقندوزي في الينابيع ٢٨ ، ٢٩٨ وابي بكر الحضرمي في رشفة الصادي ٧٩ وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ٣٣ وابن حجر في الصواعق ٢٣٦ والحموئي في فرائد السمطين ٢ : ٢٤٢ (حديث ٥١٦ ، ٥١٩) .

(٣) انظر ابن حجر في الصواعق ٢٣٧ .

الامامة كما قد يحلو للبعض أن يفسروا ذلك، او اولئك الذين يأخذون بالمنهج العلماني في التفسير فيفصلون الحبة التشريعية عن الحكم والسلطة .

بل ان جملة هذه الاحاديث ووضوح الآيات السالفة تشير مجموعها الى انهم يمتلكون الصفتين في آن واحد فهم مشرعون وهم في نفس الوقت حكام وولاة .

ولكن لماذا حدث الذي حدث!؟ :

ولعل من الضروري هنا ان يتساءل القارىء اذا كان كل ذلك قد ورد في حق الامام (ع) فلماذا لم يستلم الخلافة بعد الرسول (ص) فيبدو ان خلافة ابي بكر كانت تشير الى اجماع المسلمين ؟ .

وانا هنا سوف لن اعمد الى كثير تعليق بل سأكتفي بذكر بعض النصوص واترك للقارىء المتفحص ان يخرج بالنتيجة التي يتوصل اليها هذا مع العلم اني أشير هنا إلى أن هذه النصوص تمثل خطوطاً عامة للاحداث التي جعلت الامام امير المؤمنين (ع) بعيداً عن الخلافة .

وبداية اجد من اللازم الاشارة الى ان خلافة ابي بكر لم تحظ بالاجماع وانما تخلف عنها جمع لا يستهان به من كبار الصحابة، فعلاوة على الامام علي (ع) وبني هاشم فقد تخلف كل من : سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والعباس بن عبد المطلب وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود الكندي والبراء بن عازب وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وخزيمة بن ثابت وسعد بن عبادة والفضل بن العباس وابي بن كعب وغيرهم من ابي لهب والزبير بن العوام وفروة بن عمرو الانصاري وخالد بن سعيد بن العاص[1] .

---

(١) انظر ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ وابن ابي الحديد في شرح =

وبعد ذلك بايع اغلب هؤلاء بشكل او بآخر وان كان معظمهم قد بايع اكراها كما تظهر لنا ذلك الوثائق التأريخية الموضوعة في هذا الخصوص[1] .

١ - لما قيل للامام علي (ع) ان الخليفة الاول انما انتخب لاجل قرابته ولاجماع الشورى عليه حينها اجاب مخاطباً الخليفة بقوله :

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك اولى بالنبي وأقرب
وان كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب[2]

وذلك إشارة الى احتجاج الخليفة الاول بكون المهاجرين أقرب الى رسول الله (ص) فلما انتخب وحوجج بأن هناك من المهاجرين من هو أقرب قال انما ذلك كان لقبول أهل الحل والعقد . والامام هنا واضح بكلامه فلو كانت القربى هي مصدر التقييم فمن هو أقرب منه ؟ وان كان قبول أهل الحل والعقد هو الحجة فلقد كانت عناصر اساسية من اهل الحل والعقد غائبة عن ذلك .

= النهج ١ : ١٣١ ـ ١٣٤ والمسعودي في مروج الذهب ٢ : ٣٠١ واسد الغابة لابن الاثير ٣ : ٢٢٢ والطبري في تأريخه ٣ : ٤٤٤ ـ ٤٤٨ وابن الاثير في الكامل ٢ : ٣٢٥، ٣٣١ واليعقوبي في تاريخه ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٥ وعبد الملك العاصمي المكي في سمط النجوم العوالي ٢ : ٤٤٤ والسيرة الحلبية ٣ : ٢٥٦ وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١ : ١٠ ـ ١٧ .

(١) انظر على سبيل المثال : الامامة والسياسة ١ : ١٠ ـ ١٧ وهو اكراه من شأن قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم العمرية المشهورة ان تشعرنا ببعض مظاهره حيث يقول :

اكرم بسامعها اعظم بملقيها ... وقولة لعلي قالها عمر
ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها ... احرقت دارك لا ابقي عليك بها
امام فارس عدنان وحاميها ... ما كان غير ابي حفص يقالها

(٢) انظر ابن ابي الحديد في شرح النهج المجلد الرابع ٣١٩

٢ ـ وهذا النص مقتطف من محاورة لابن عباس والخليفة الثاني عمر جرت حول هذه المسألة بالخصوص :

عمر : يا ابن عباس اتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد (ص)؟ قال ابن عباس فكرهت ان اجيبه ، فقلت له : ان لم اكن أدري فان امير المؤمنين يدري .

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا (من تبجح وهو الفرح والفخر بالشيء) فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت (قال): فقلت : يا امير المؤمنين ، ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب ، تكلمت .

قال : تكلم .

قال ابن عباس : اما قولك يا امير المؤمنين : اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لانفسها من حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، واما قولك : انهم ابوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل ، وصف قوماً بالكراهة فقال : ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم .

فقال عمر : هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكسره ان اقرك عليها فتزيل منزلتك مني .

فقلت : ما هي يا أمير المؤمنين ؟ فان كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وان كانت باطلاً فمثلي اماط الباطل عن نفسه . فقال عمر : بلغني

انك تقول : انما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً.

فقلت : اما قولك يا امير المؤمنين : ظلماً ، فقد تبين للجاهل والحليم واما قولك : حسداً فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون .

فقال عمر : هيهات... هيهات... أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول .

فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش فان قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم .

فقال عمر : اليك عني يا ابن عباس .

فقلت : افعل. فلما ذهبت لاقوم استحيا مني فقال : يا ابن عباس مكانك فوالله اني لراع لحقك محب لما سرك .

فقلت : يا امير المؤمنين ان لي عليك حقاً وعلى كل مسلم ، فمن حفظه اصاب ، ومن اضاعه فحظه اخطأ[1] . .

وهي محاورة غاية في الاهمية وتحتاج الى المزيد من التمعن والتفكر.

٣ ـ وهو محاورة اخرى جرت ما بين الاثنين ، إذ يقول ابن عباس ان عمر قال له : كيف خلفت ابن عمك ؟

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ٣ :٦٤ ـ ٦٥ لابن الاثير الجزري ، وابن ابي الحديد في شرح النهج ١٢ :٥٣ ـ٥٤ والطبري في التاريخ ٣ :٢٨٨ ـ ٢٩٠ .

قال : فظننته يعني عبد الله بن جعفر (بن أبي طالب) ، قال : فقلت :

خلفته مع الترابة قال : لم أعن ذلك انما عنيت عظيمكم اهل البيت .

قال : قلت : خلفته يمتح بالغرب وهو يقرأ القرآن .

قال : يا عبد الله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ .

قال : قلت : نعم .

قال : أيزعم ان رسول الله نص عليه ؟ . .

قال : ابن عباس : قلت وأزيدك سألت ابي عما يدعي ـ من نص رسول الله عليه بالخلافة ـ فقال : صدق .

فقال عمر : كان من رسول الله في امره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربع في امره وقتاما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فصنعته من ذلك[1] . . . .

وهنا يريد عمر كأن لرسول الله (ص) في حق علي (ع) مدحاً وثناء عظيماً وسامياً جداً ـ وهو مؤدى الذرو ـ وقد كان الرسول (ص) يحاول بذلك ان يمتحن الامة في انها هل تقبله خليفة ام لا ـ وهو مؤدى كلمة يربع ـ غير انه اي عمر أبى أن يصرح (ص) باسم امير المؤمنين (ع) اثناء مرضه ـ بابي وامي ـ وذلك اشارة الى حادثة رزية يوم الخميس والتي ستأتي وان اشرنا اليها وستأتي على تفصيلها بعد قليل .

---

(١) ابن ابي الحديد في شرح النهج ١٢ : ٢٠ .

٤ ـ وهذا النص هو محاورة اخرى بين الاثنين : قال عمر :

يا ابن عباس ما ارى صاحبك الا مظلوماً .

فقلت : يا امير المؤمنين فاردد اليه ظلامته . قال (اي ابن عباس) فانتزع يده من يدي ومضى بهمهم ساعة ، ثم وقف فلحقته ، فقال : يا ابن عباس ما اظنهم منعهم عنه الا انه استصغره قومه ،

قال : فقلت له : والله ما استصغره الله ورسوله حين امراه ان يأخذ براءة من صاحبك ، قال : فأعرض عني واسرع . . . .[1] .

أقول : هنا يعني تكليف الرسول (ص) للامام علي (ع) بأخذ سورة البراءة من ابي بكر ـ كما اشرنا الى ذلك قبلاً ـ

وفي مكان آخر قال عمر لابن عباس :

لقد كان علي فيكم اولى بهذا الامر مني ومن ابي بكر . .[2] .

وفي مكان آخر قال :

يا ابن عباس اما والله ان صاحبك هذا (اشارة للامام) لاولى الناس بالامر بعد رسول الله (ص) الا انا خفناه على اثنين ـ الى ان قال ابن عباس ـ فقلت ما هما يا امير المؤمنين ؟

قال : خفناه على حداثة سنه وحبه بني عبد المطلب[3] . .

---

(١) ن م ، ١٢ : ٤٦ .

(٢) محاضرات الراغب الاصفهاني ٧ : ٢١٣ .

(٣) شرح النهج ٦ : ٥١ ـ ٥٢ .

٥ ـ وهذا النص هو الذي يتضمن رأي الامام فيما حدث في السقيفة وما بعدها :

أما والله لقد تقمصها [١] فلان (ابن ابي قحافة) وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحا . ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فسدلت [٢] دونها ثوباً وطويت عنها كشحا [٣] وطفقت ارتئي بين أن أصول بيد جذاء [٤] او اصبر على طخية عمياء [٥] يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه . . فرأيت أن الصبر على هاتا احجى [٦] فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا [٧] ارى تراثي [٨] نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان (عمر) بعده فيا عجبا بينا هو يستقيلها [٩] في حياته إذ عقدها لآخر

(١) تقمصها : لبسها كالقميص .
(٢) فسدلت دونها ثوبا : ارخيت ثوبا بيني وبينها اشارة الى غض نظره عنها .
(٣) وطويت عنها كشحا : ملت عنها .
(٤) بيد جذاء : بيد مقطوعة .
(٥) طخية عمياء : ظلمة .
(٦) احجى : ادعى .
(٧) شجا : ما اعترض في الفم من عظم ونحوه .
(٨) التراث : الميراث والحق .
(٩) يستقيلها : يطلب اعفاءه منها . اشارة لطلب ابي بكر المتكرر من اجل اعفائه من الخلافة : اقيلوني فلست بخيركم غير ان الامام (ع) يتعجب من هذا الطلب ، ومن نقيضه المبني على تعيين عمر كخليفة له . حيث ان ذاك الطلب كان من المسلمين ، وعن رغبة في ان تكون المسألة بيد المسلمين فكيف يأمر عليهم خليفة له ؟ .

بعد وفاته ـ لشد ما تشطرا ضرعيها [١] فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها [٢] ويخشن مسها ويكثر العثار [٣] فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة [٤] ان اشنق لها خرم [٥] وان اسلس لها تقحم [٦] . . . . فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم ، فيالله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر [٧]

٦ ـ والنص الآخر هو جوابه (ع) حينما قال قائل :

انك على هذا الامر يا ابن ابي طالب لحريص فقلت : بل انتم والله لاحرص وابعد وانا اخص واقرب ، وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي [٨] دونه فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما

(١) تشطرا ضرعيها : اقتسماه فأخذ كل منهما شطرا . والضرع ثدي الابل .
(٢) حوزة خشناء يغلظ كلمها : اشارة لعمر حيث كان معروفاً بالغلظة الشديدة ويغلظ كلمها تعني الجرح العظيم .
(٣) العثار : السقوط .
(٤) راكب الصعبة : راكب الابل غير الذلولة والتي تستعصي على صاحب زمامها .
(٥) ان اشنق لها خرم : ان شدد عليها شنقها او قطع عليه الزمام .
(٦) وان ارخى لها تقحم : وان ارخى لها الامور اقحمته في الهلاك .
(٧) نهج البلاغة (م . س) ٤٨ ـ ٤٩ .
(٨) كناية عن الرد والمنع .

يجيبني به . . اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي أمرا هو لي[1] . . .وقالوا : الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تأخذه وفي الحق ان تمنعه (بفتح النون والعين اي تمنع عنه) فاصبر مغموماً او مت متأسفاً فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجا وصبرت مس كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار[2] . .

٧ ـ واما النص السابع فهو ما يمكن أن نعرفه من خلال خطاب عمر ابن الخطاب وتقييمه لبيعة ابي بكر بقوله :

ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها[3] . . .

٨ ـ عن ابن عباس انه قال : لما حضر رسول الله (ص) (الموت) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) :

(١) ن . م . ٢٤٦

(٢) وخز الشفار الضرب الخفيف بحد السيف الشفار جمع شفرة ن . م ٣٣٦

(٣) الكامل في التاريخ (م . س) ٢ . ٣٢٨ وايضاً في كل من . صحيح البخاري ٤ ١٧٩ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ ٢٣، ٢٦، ٢٩ وابن هشام في السيرة ٤ ٢٢٦ وابن الاثير في النهاية ٣ ٤٦٦ والطبري في التاريخ ٣ ٢٤٦ وابن حجر في الصواعق ١٠ والزبيدي في تاج العروس ١ ٥٦٨ وابن منظور في لسان العرب ٢ ٢٧١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٦٧ وبرهان الدين الشافعي في السيرة الحلبية ٣ ٣٦، ٣٦٣ والبلاذري في الانساب ٥ ١٥ واحمد في المسند ٦ ٥٥ وابن البديع في =

هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده .

فقال عمر : ان النبي قد غلب عليه الوجع (وفي بعض الروايات ان النبي ليهجر)[1] وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت (من كان موجوداً) فاختصموا ،منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي (ص) كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله (ص) قوموا عني[2] .

وينبغي هنا التأكيد على ضرورة مطابقة هذا النص مع النص الثالث .

= تيسير الوصول ٢ : ٤٢ ـ ٤٤ والطبري في الرياض ١ : ١٦١ وابن كثير في التاريخ ٥ : ٢٤٦ والصفدي في تمام المتون ١٣٧ .

ويوجد في المصادر التالية قول عمر بهذا النص :

ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه .

انظر : ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ : ٢٦ وابن حجر في الصواعق ٣٦ والشهرستاني في الملل والنحل ١ : ٢٤ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٦٤ .

(١) انظر : تذكرة الخواص ٦٤ ـ ٦٥ (م . س) لسبط ابن الجوزي وايضاً سر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ٢١ والهجر : هو الهذيان والكلام الذي يصدر من الانسان المريض بشدة من دون أن يعيه .

(٢) صحيح مسلم ١١ : ٩٥ وانظر ايضاً البخاري في الصحيح ٤ : ٧ واحمد فس المسند ٤ : ٣٥٦ (حديث ٢٩٩٢) ونفس الحادثة ولكن بألفاظ اخرى يوجد في كل من : ابن ابي الحديد في شرح النهج ٦ : ٥١ و١ : ١٣٣ البخاري في الصحيح ١ : ٢٢، ٢ : ١٧٨ ومسلم في الصحيح ١١ : ٨٩ ـ ٩٥ واحمد في مسنده ٥ : ٤٥ (حديث ٣١١١) ٥ : ١١٦ (حديث ٣٣٣٦) والطبري في التاريخ ٢ : ٤٣٦ وابن الاثير في الكامل ٢ : ٣٢٠ والشهرستاني في الملل والنحل ١ : ٢٢ وابن سعد في طبقاته ٢ : ٢٤٢ ـ ٢٤٤ انظر سبيل النجاة ٢٦٢ ـ ٢٦٧ .

٩ ـ وهذا النص هو قصيدة عمرو بن العاص المعروفة بالجلجلية والتي يبتدئها بقوله :

نصرناك من جهلنا يا ابن هند ... على النبا الاعظم الافضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس ... نزلنا الى اسفل الاسفل
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة في علي
وفي يوم (خم) رقى منبرا ... يبلغ والركب لم يرحل
وفي كفه كفه معلنا ... ينادي بأمر العزيز العلي
ألست بكم منكم في النفوس ... بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل
فأنحله امرة المؤمنين ... من الله مستخلف المنحل
وقال : فمن كنت مولى له ... فهذا له اليوم نعم الولي
فوالي موالية يا ذا الجلال وعاد معادي اخ المرسل
ولا تنقضوا العهد من عترتي ... فقاطعهم بي لم يوصل
فبخبخ[1] شيخك لما رأى ... عرى عقد حيدر لم تحلل

(١) اشارة الى قول عمر يوم الغدير للامام (ع): بخ بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مسلم .
انظر : ابن عساكر في ترجمة الامام ٢ : ٧٥ الاحاديث ٥٧٦، ٥٨٠ ـ ٥٧٨) وابن المغازلي في المناقب ١٩ (حديث ٢٤ والخوارزمي في المناقب ٩٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨ : ٢٩٠ والحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ١٥٨ (حديث ٢١٣) وابي حامد الغزالي في سر العالمين ٢١ والحمويني في الفرائد ١ : ٧٧ وسبط ابن الجوزي في التذكرة (١٨) وبخ وبخ : اداة تستخدم للتفخيم والتعظيم .
وفي رواية اخرى انظر : ابن عساكر في ترجمة الامام (ع) ٢ : ٥٠ (حديث ٥٤٨ ـ ٥٥٠) والخوارزمي في المناقب ٩٤ واحمد في المسند ٤ : ٢٨١ وابن الصباغ في الفصول ٢٤ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ١ : ١٢٢ والطبري في ذخائر العقبى ٦٧ والذهبي في تاريخ الاسلام ٢ : ١٩٧ والخواجة الحنفي في علم الكتساب ١٦١ والزرندي في نظم درر السمطين ١٠٩ والقندوزي في الينابيع ٣٠ ـ ٣١، ٢٤٩ والفخر =

فقال : وليكم فاحفظوه ... فمدخله فيكم مدخلي
وانا وما كان من فعلنا ... لفي النار في الدرك الاسفل

* * *

وان عليا غدا خصمنا ... ويعتز بالله والمرسل
يحاسبنا عن أمور جرت ... ونحن عن الحق في معزل
فما عذرنا يوم كشف الغطاء ... لك الويل منه غدا ثم لي

الى قوله مطالباً بمصر كثمن لكل ذلك .

منحت لغيري وزن الجبال ... ولم تعطني زنة الخردل
وأنحلت مصراً لعبد المليك ... وأنت عن الغي لم تعدل[1]

= الرازي في التفسير ٣ : ٦٣ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٣٦، والعمري في مشكاة المصابيح ٣ : ٢٤٦ والحمويني في الفرائد ١ : ٧٧ والطبري في الرياض ٢ : ١٦٦ والشنقيطي في كفاية الطالب في حياة علي بن أبي طالب ٢٨ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ٢١٢ والمظفري في الخطط ٢٢٣ والاذرعي في بديع المعاني ٧٥ والميبذي في شرح الديوان ٤٠٦ والمتقي الهندي في الكنز ٢ : ١٧٣
(١) نقلها الاميني عن . فهرست المكتبة الخديوية بمصر لعام ١٣٠٧هـ ، ٤ : ٣١٤ وقال روى جملة منها ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢ : ٥٢٢ وادرجها الاسحاقي في لطايف اخبار الدول ٤١ وكذلك الشيخ محمد الازهري فقد ادرجها بكاملها في شرح مغني اللبيب ١ : ٨٢ وابن شهرآشوب في المناقب ١٦٣ والحرالشري في الانوار النعمانية ص٤٣ . . الخ .
انظر الغدير ٢ : ١١٧ ـ ١١٨

١٠ ـ وهذا النص هو ارجوزة اطلقت في يوم الجمل الا ان روحها كانت تياراً يشيع وجوده في صفوف المجتمع الاسلامي :

نحن بنو ضبة اعداء علي ذاك الذي يعرف قدما بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي

هذه النصوص تولت كل واحدة منها الافصاح عن عامل أو اكثر من العوامل التي ساهمت بشكل أو بآخر في نسج الاحداث التي تلت وفاة رسول الله (ص) وعلى الرغم من ان بعضها بعيد نسبياً عن زمن هذه الاحداث غير أن مضمون الحدث له امتداد بذات الروح التي كانت سائدة .

القسم الثالث

استنتاجات لواقعنا المعاصر

لم يكن بحثنا في مسألة القيادة بعد الرسول (ص) في واحدة من مهماته الا تسليطاً للاضواء حول النمط القيادي الذي يجب الالتزام به في وقتنا المعاصر، سواء على مستوى الاطار أو على مستوى محتواه . وما نجده جديراً بالاشارة هنا هو اننا لما عرفنا أن القيادة الاسلامية ضرورة ملحة وهذه الضرورة لا تمليها الظروف الموضوعية فحسب وانما يمليها اصل الالتزام بالاسلام . ولهذا قال الرسول (ص) من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، وان من الطبيعي أن هذا الاصل لا يخص من اسلم في زمن رسول الله (ص) بل هو يعم جميع مسلمي العالم في اي زمان وجدوا وفي اي مكان كانوا . واننا لو قدرنا ان تعبيد الانسانية الى الله هي وظيفة كل مسلم تبعاً لقوله تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾[1] .

فان ذلك يستدعي بداهة وجود من ينذر ومن يبشر فأرسل الله الانبياء منذرين ومبشرين ، غير أن ارسالاً كهذا يستتبع دواماً مستمراً . وحيث ان الرسول (ص) كان آخر المبشرين والمنذرين من الانبياء وهو خاتمهم فان هذه الضرورة تبقى موجودة خصوصاً ان القرآن يتحدث كثيراً

(١) سورة الذاريات / الآية ٥٦

عن اختلاف الناس واتجاه قطاعات منهم نحو الضلال حتى مع وجود الانبياء والمرسلين :

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . . ﴾[1] .

وهنا تشير الآية الكريمة بوضوح الى وقوع الخلاف واشتداده بعد بعث الانبياء وحاشا لله ان يترك البشرية من دون عوامل ومشاعل الهداية واستكمال هدف الاسلام الاعلى : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون .

ولهذا لا بد من بقاء القيادة الالهية في ساحة المعركة ما دام ان المعركة لم تصل الى نتيجة حاسمة على مستوى تحقيق اغراضها . ولهذا جاء دور الامامة ليكمل دور النبوة ويسير وراء اهدافها فهما هو خطاب القرآن للرسول (ص) يقرر بوضوح هذه الحقيقة بقوله :

﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾[2] . .

ولا يتصور احد ان الامامة تعني النبوة فهذا ما لا يقوله احد بل ان الإمامة هي اتمام لدور النبي (ص) :

اذا ترك النبي الساحة وبعد لا تزال المعركة قائمة ولا تزال الرسالة بحاجة الى مواصلة هذه المعركة[3]

---

(١) سورة البقرة/ الآية : ٢١٣

(٢) سورة الرعد / الآية : ٧ انظر اسباب نزولها حيث ورد ذكرها سابقاً .

(٣) ، المدرسة القرآنية ١٩٦ للسيد الشهيد الصدر ـ دار التعارف بيروت ـ ١٩٨١ .

وقد وجدنا أن الامامة لم تأت مراعاة للظروف الموضوعية فحسب، وانما كانت نصباً شرعياً الهياً . وان يكون النص الشرعي قاسماً مشتركاً ما بين الامامة والنبوة ، فان من البديهي بمكان أن نرى أن النمط القيادي بعد انتفاء الحضور الفعلي للامامة على الساحة البشرية لا بد أن يكون هو الاخر ثابتاً بنص شرعي . وهذا النص من محاسن الحظ ان نجده مشتركاً لدى الشيعة والسنة على حد سواء بين معتدليهم ومتطرفيهم . فلئن كانت الشيعة تعتقد ان الامام الثاني عشر وهو الامام المهدي (عج) قد زال مبرر حضوره الفعلي على الساحة الزمنية ـ لاسباب وبراهين لا مجال لذكرها هنا[1] ـ وبالتالي فانه أمر بان تكون القيادة من بعده الى رواة الحديث[2] . ويتفق ذلك مع ما أمر به جملة من اجداده وآبائه حيث امروا بالرجوع الى : رواة الحديث ممن نظر في الحلال والحرام وعرف احكامهما[3] .

---

(١) من المستحسن الرجوع الى كتاب : بحث حول المهدي (عج) وهو على رغم الايجاز الذي فيه غير انه واف للالمام بالموضوع

(٢) قال الامام المهدي (عج) : أما الحوادث الواقعة ـ اي المستحدثة ـ فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم

ولم يكتف الامام(عج) بذلك بل عمد الى تعيين احد الفقهاء كي ترجع اليه الامة وقت عدم وجود امكانية لاستحصال الامام (عج) فقال وما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن ابيه من قبل فانه ثقتي وكتابه كتابي . وقال في مكان آخر :

العمري وابنه ثقتان فما ادى اليك عني يؤدي عني . [illegible] الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (كتاب القضاء ١٩٦ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ للمحقق العاملي قدس سره ـ تحقيق المرحوم الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت

(٣) قول الامام الصادق (ع) لاحد اصحابه حينما سأله عن رجلين بينهما منازعة فتحاكما الى السلطان والى القضاء يحل لهما ذلك ؟ قال : من تحاكم اليهم في حق

امر عند أهل السنة فالحديث عن ذلك لا حاجة له لاستفاضته . فهم يرون ان أولي الامر ـ كما قد مر ـ هم العلماء والفقهاء ومغاليهم يرى ان الرسول (ص) قال : اني تارك فيكم كتاب الله وسنتي . الخ . وكل ذلك يستدعي الرجوع بعد الرسول (ص) الى العلماء لا الى شيء آخر .

وأياً كان موقف الشيعة أو السنة فان القرآن ذاته هو الذي بين ان الرجوع الى العلماء كقيادة للامة في حالة غياب البشير النذير والهادي أمر شرعي وواجب وذلك لقوله تعالى :

﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ [1] .

وقوله تعالى :

﴿ انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [2] .

ويقول السيد الشهيد الصدر (رض) ان :

الاحبار هم علماء الشريعة والربانيون درجة وسطى بين النبي والعالم وهي درجةالامام [3] .

وذات التقسيم نجده مرة اخرى في الآية الكرمية :

﴿ وإذا جاءهم امر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين

= او نظل قاتلنا نحاكم الى الطاغوت . قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكماً . فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا رد . والراد علينا الراد على الله . نفس المصدر ١٨ : ٩٩

(١) سورة النحل الآية ٤٣ وسورة الانبياء الآية ٧

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤

(٣) نظر خلافة الانسان وشهادة الانبياء (م س) ٣٠

يستنبطونه منهم ﴾ [1] .

فهم هنا على التوالي الرسول ثم اولي الامر الذين قلنا عنهم بانهم الائمة فيما سلف لنا من حديث، وثالثاً : العلماء القادرون على استنباط الحكم الشرعي ونظراً لاهمية هذا الخط ووجوب وجوده نرى حث القرآن على ضرورة تفقه طائفة من المسلمين من اجل ان يقوموا بمهمة التحذير والانذار وما شاكل من مهام القيادة الاسلامية فقال الباريء عز وجل :

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ [2] .

وهذا هو الذي جعل مسألة وجود المرجع الفقهي العالم بالاحكام والقادر على استنباط واستخراج الحكم الشرعي من مضانه ومصادره الشرعية،واجب وجوباً كفائياً بمعنى انه اذا وجد واحد قادر على القيام بمهام المرجع سقط التكليف عن جميع المسلمين . ولكن اذا فقد هذا الواحد عم التخلف عن اداء الواجب الشرعي جميع المسلمين .

وكل هذا من شأنه أن يجعل القيادة العلمائية او بتعبير آخر ، العلماء هم المحور القيادي الثالث بعد النبوة والامامة وهذا المحور يتجلى كلما كان اكثر تمثيلاً لدور النبوة والامامة . وحال هذا المحور هو حال المحورين السالفين له ينتفي بوجود ما قبله .

وهذا الامر يجعلنا نقف قبالة هذا السؤال :

ولكن ما هو الموقف من المحاور الاخرى كالاحزاب الاسلامية والشخصيات التي لا يصدق عليها صفة العلماء ؟ .

---

(١) سورة النساء / الآية : ٨٣

(٢) سورة التوبة/ الآية ١٢٢

والجواب على ذلك يختلف باختلاف المراد من ذلك . فلئن اريد قيادية هذه المحاور، فهذا امر مخالف لما نفهمه من تعاليم اسلامية فالدين دين الله ، والعباد عباد الله ولا يمكن ان يقود هؤلاء العباد غير العارفين والعالمين بدين الله . وليس المراد هنا العلم الاجمالي بدين الله بل هو العلم التفصيلي باحكام الله . وما لدينا من نصوص واحداث لا تشير الى هذا المعنى لا من قريب ولا من بعيد . بل تشير الى تبعية هذه المحاور للقيادة العلمائية او قيادية الامام او النبي هذا اذا أريد تطويع بعض النصوص لصالح هذه المحاور .

ولئن اريد القول بشرعية محورية هذه المحاور فهو متوقف على مدى قبولها بالقيادة العليا ومدى تبعيتها الى تلك سواء على مستوى المفاهيم او على مستوى السلوك والتبني . ولا يرى السيد الشهيد الصدر (رض) المحاور ـ على افتراض صحة مفاهيمهما ونظافة اتجاهات ولائها وانطباق سلوكها على ذلك ـ غير كونها وسيلة لا اكثر لخدمة اهداف القيادة العلمائية المرجعية[1]، وان تكون الاحزاب وسيلة فبمعنى انها قد تصح في فترة معينة وقد لا تصح مطلقاً لذا فشرعية وجودها اساساً يبقى مرتبطاً بالقيادة المرجعية سلباً أو ايجاباً دون فرق بين الوجود الشكلي او المضموني ـ ان صح التعبير ـ ودون ان يعني ذلك منح اي اطار ثابت من الشرعية للاحزاب . ومن هنا نعرف أي خطأ ينطوي في الرؤية التي تفصل ما بين الاحزاب والمرجعية فتجعلهما خطين متوازيين وتلك التي تحاول أن تعطي الاولوية للاحزاب لا للمرجعية فتعمد الى المناداة بتحول المرجعية الى حزب أو مساقة من قبل حزب [2] . إذ أن ذلك يحتوي على مغالطة فاحشة وتقديم للتابع على المتبوع ، ولا أنوي

(١) انظر : اطروحة المرجعية الصالحة ٧ ـ ٩ للسيد الشهيد الصدر (طهران ١٤٠٢) .
(٢) انظر : كراس العمل الحزبي ص ٥٤ وما بعدها .

هنا التوسع اكثر من ذلك [1] فذلك له مكانه الاخر في فرصة أخرى ـ ان شاء الله ـ .

ولربما يتبادر الى الذهن سؤال عن صفات المرجع فهل هي ذات صفات الامام ؟ وهل أن وظائفه ومهامه متماثلة مع وظائف ومهام الامام أم لا؟ .

في الواقع ان المرجعية تشترك مع النبوة والامامة بلعب دور الشهادة المشار اليه في الآية الكريمة :

﴿ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [2] .

والشهيد هو : مرجع فكري وتشريعي من الناحية الايديولوجية ويشرف على سير الجماعة وانسجامه ايديولوجياً مع الرسالة الربانية التي يحملها ، ومسؤول عن التدخل لتعديل المسيرة او اعادتها الى طريقها الصحيح اذا واجه انحرافاً في مجال التطبيق . [3].

وكونها كذلك فان ذلك يستدعي ابطال جميع الانماط القيادية التي تتخلف عن ذلك . مما يعني حصرها باكثر الناس علماً باحكام الشريعة . وكونه اعلم باحكام الشريعة يتضمن كونه :

اعرف واقدر على تطبيق احكامها في مواردها مع فهم للحياة وشؤونها بالقدر الذي تتطلبه معرفة

(١) من اجل التوسع في ذلك يستحسن مطالعة كتاب بحوث في خط المرجعية للسيد صدر الدين القبانجي اضافة الى البحث الاول والرابع من سلسلة الاسلام يقود الحياة للسيد الشهيد الصدر (قدس) .
(٢) سورة المائدة/ الآية : ٤٤ .
(٣) خلافة الانسان وشهادة الانبياء ٢١ .

احكامها من تلك الادلة[1]

ولكن هل ان كل عالم بالشريعة هو الذي يستحق مثل هذا المنصب ؟

لقد دلنا التأريخ ومن قبله القرآن الكريم على عدم صحة ذلك :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾[2] .

وفي حياة العديد من الصحابة علامات سوداء نتيجة لعصيانهم أمر الرسول (ص) او تخلفهم عنه على الرغم من علمهم بالامر وبوجوب الطاعة . ومن البديهي حصول ذلك لان العلم والمعرفة حالة محايدة تماما فهي كالسيف من الممكن ان يستعمل لاسعاد البشرية ومن الممكن ان يستخدم لاشقائها . وطالما رأينا العلم كيف اسدى خدمات عظيمة للمجتمع الاسلامي . رأينا العلم المعاصر قد ترك وراءه جنايات سوداء لا يمكن أن تنساها البشرية مطلقاً . لذا فهو يبقى تابعاً للمحتوى الداخلي للانسان وباعتبار ان الشهادة عهد الله وان المرجع شهيد او ان **عهد الله لا ينال الظالمين ﴾**[3] .

لذا فان العالم العادل الذي يمتلك : ورعاً معمقاً يروض نفسه عليه حتى يصبح قوة تتحكم في كل وجوده وسلوكه[4] .

---

(١) الفتاوى الواضحة ١ : ١٠٥ للسيد الشهيد الصدر ، الطبعة السادسة دار التعارف بيروت

(٢) سورة التوبة / الآية ٣٤

(٣) سورة البقرة / الآية ١٢٤

(٤) خلافة الانسان وشهادة الانبياء : ٢١ .

هو الذي يكون أقرب الى استحقاق هذا المنصب ، ولكن ليس ذلك هو كل شيء . بل ان هناك شيئاً آخر وهو مسألة التصدي لتطبيق احكام الشريعة ، الا فالعلم بها دون سعي للتطبيق ماذا يؤتي من ثمرة للاسلام . ولا اعني هنا التطبيق الفردي للاحكام بل ما اعنيه تطبيق الامة للاسلام . وتطبيق الامة للاسلام لا يمكن الا بإشادة الحكومة الاسلامية التي تضمن تطبيق الاسلام بشكل كامل دون نقص أو تجزئة . فنحن ان كنا نتصور ان من الضرورة على النبي (ص) أن يطبق الاسلام كاملاً فمن البديهي ان تبقى هذه الضرورة قائمة حتى بعد وفاة النبي (ص) :

لان الاسلام لا يحد بزمان او مكان لانه خالد فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيد به الى الابد . واذا كان حلال محمد حلالا الى يوم القيامة ، وحرامه حراما الى يوم القيامة فلا يجوز ان تعطل الحدود وتهمل تعاليمه ، ويترك القصاص ، او تتوقف جباية الضرائب المالية او يترك الدفاع عن امة المسلمين واراضيهم . واعتقاد ان الاسلام قد جاء لفترة محدودة او لمكان محدود ، يخالف ضروريات العقائد الاسلامية وبما ان تنفيذ الاحكام بعد الرسول الاكرم (ص) والى الابد من ضرورات الحياة . لذا كان ضرورياً وجود حكومة فيها مزايا السلطة المنفذة المدبرة . اذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج والفساد الاجتماعي ، والانحراف العقائدي والخلقي ، فلا سبيل الى منع ذلك الا بقيام حكومة عادلة تدير جميع اوجه الحياة .[1] .

---

(١) انظر : الحكومة الاسلامية او ولاية الفقيه ص ٢٥ ـ ٢٦ للامام القائد المرجع المفدى السيد الخميني (روحي فداه)

ومثل هذا القيد لا يفيدنا في اضفاء شرط آخر لشروط المرجع فحسب،وانما انه يحدد معنى جديداً للعالمية وذلك لان المتصدي للحكومة الاسلامية من المحتوم أن يكون أكفأ من غيره في معرفة تطبيق الحكم الشرعي بشكل تفصيلي وهذا بحد ذاته يفرض زيادة في العلم لان العلم لا ينتهي بمعرفة الحكم الشرعي،فمداه يمتد الى الكيفية التفصيلية في تطبيقه . وهو امر لا يتسنى في العادة لغير المتصدين من الفقهاء .

كما انه يساهم بشكل طبيعي في ايجاد الشرط الرابع من شروط المرجع وهو شرط تحقق مرجعيته وسط الامة بالطرق الطبيعية المتبعة تاريخياً،حيث ان التصدي يسهل على الامة تعرفها على المرجع ويعمق من علاقته بها وبالعكس مما يجعل مرجعيته متحققه بشكل طبيعي .

والمرجع تبعاً لكل ما مر تنتقل اليه جميع صلاحيات النبوة والامامة بالقدر الذي يتصل بضمان تطبيق الشريعة على الحياة فانه :

> يلي من امور المجتمع ما كان يليه النبي (ص) منهم ، ووجب على الناس ان يسمعوا ويطيعوا ويملك هذا الحاكم من امر الادارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وامير المؤمنين(ع)،وقد فوض الله الحكومة الاسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة [1] نفس ما فوضه الى النبي (ص) وامير المؤمنين (ع) من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات وتعيين الولاة والعمال ، وجباية الخراج وتعمير البلاد . . [2] .

(١) زمن غيبة الامام المهدي (ع ج)

(٢) الحكومة الاسلامية ٤٩ .

وهذا ما يتجلى واضحاً في قول الامام المهدي (عج): واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة احاديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم[1] .

وكذلك من جملة كبيرة من الاحاديث ـ لا يسع المجال لذكرها ـ .

وفي هذا الصدد يقول المقدس النراقي في كتابه عوائد الايام ما نصه :

> كلما كان للنبي والامام الذين هم سلاطين الانام وحصون الاسلام ، فيه الولاية وكان لهم فللفقيه ايضاً ذلك الا ما اخرجه الدليل من اجماع ، أو نص ، أو غيرهما . . [2] .

(١) وسائل الشيعة ١٨ ، ١٠١ ـ ١٠١ وعلى هذا الحديث يعلق المقدس صاحب الجواهر بالقول : ضرورة كون المراد منه انهم حجتي عليكم في جميع ما أن حجة الله عليكم الا ما خرج

انظر : جواهر الكلام ٤٠ : ١٨ للشيخ محمد حسن النجفي

(٢) عوائد الايام للشيخ احمد محمد مهدي النراقي نقلا عن مجلة دراسات وبحوث في عددها الاول ص ١٦٠

الفصل الثاني

أمير المؤمنين (ع)في أخلاقية القيادة والِانقياد

نجسد في بداية هذا الفصل من الضروري أن نشير الى أن استعراضنا لمواقف الامام كقائد ـ وهو ما سيكون مكانه في القسم الثاني من هذا الفصل ـ لا تعني استعراضاً لموقفه كحاكم للفرق الحائل بين القائد والحاكم بل اننا سنقتصر في كلامنا على استجلاء مواقفه القيادية تاركين مواقفه كحاكم لفرصة اخرى ان وجدت .

كما أن من اللازم الاشارة الى أن الحديث في هذا الفصل له جنبة موضوعية لا روائية مما يعني اننا في مهمتنا هنا سوف لا نحاول استقصاء جميع الاحداث التي تعبر عن هذا الموقف او ذاك بل قد نلتجيء إلى الاكتفاء ببعض الاحداث التي تعبر بشكل او بآخر عن هذا الموقف أو ذاك .

ويبقى علينا أن نذكر أن القسم الاول من هذا الفصل سوف ينظر الى الامام علي (ع) حينما كان يعيش مع رسول الله (ص)، من خلال علاقتهما كقائد مع منقاد له لنستجلي بعضاً من حقوق القيادة وواجبات المنقادين لها، وفي القسم الثاني من الفصل سوف نأخذ فيه الامام (ع) كقائد مع الامة ومن خلال ذلك سوف نكمل الحديث عما انتهينا اليه في القسم الاول حول حقوق القيادة وواجبات الانقياد، هذا علاوة على أننا في هذا القسم سوف نعنى باكتشاف صفات القائد وواجباته كما يراها وعمل بها الامام سلام الله عليه .

اما في القسم الثالث والذي ينتهي به بحثنا هذا فسوف يعالج الجوانب الايجابية والسلبية التي افرزها تعامل الامة مع الامام علي(ع) وكذلك نقاط الضعف والقوة التي كانت تكتنف المجتمع الذي قاده الامام (ع) .

وفي كل ذلك وعوداً على بدء فان ما نتوخاه هو ملاحظة هذه التجربة العظيمة ملاحظة المعتبر والمستفيد من اجل أن ندفع بعجلة ثورتنا الاسلامية المظفرة نحو الامام . فالامام (ع) كان محوراً قيادياً عظيماً لا يمكن أن يعدل به احد سوى الرسول (ص)، غير أن مما لا شك فيه أن مجموعة من الضغوط والعراقيل التي تراكمت أمام وجهه جعلت هذا المحور يقال عنه بأنه لا يحسن فن القيادة . ما هي تلك الضغوط ؟ وما هي تلك العراقيل ؟ ولماذا قيل ذلك ؟ وكيف قيل ؟ .

كل هذه الاسئلة وعشرات غيرها تفيدنا الاجابة عليها من اجل أن لا تتكرر تلك السلبيات التي أودت بأعظم حكومة اسلامية شهدها الزمان بعد حكومة رسول الله (ص) .

وما دمنا نملك قائداً يتوخى خطى الامام (ع)، ونملك حكومة تسعى لانتهاج ذات سبيل حكومة الامام (ع)، ولدينا امة حريصة على تلافي كل المشاكل التي اعترضت سبيل حكومة الامام (ع) وما دام العديد من العوامل المضادة التي حاول اعداء الامام (ع) بثها في جسم المجتمع الاسلامي تعرقل مسير الامام (ع)، هي ذاتها وان اختلفت الصورة تحاول بثها اجهزة الاستكبار العالمي الشرقي والغربي أو تحاول تكريسها وتعميقها من اجل شل حركة الامة السائرة على نهج الامام .

أقول ما دام كل ذلك وغيره موجوداً في الفترتين فما احوجنا لان نستفيد من دروس وعبر الفترة الماضية لكي تأتي مرحلتنا المعاصرة وهي

خالية من كل العراقيل او على الاقل واعية لكل العراقيل التي قد تعترض مسيرها، وما دمنا نسمي انفسنا بحزب الله وامتنا بأمة حزب الله فهذا الرسول (ص) يقول للامام (ع): لولا أنت لم يعرف حزب الله[1] .

(١) بحار الانوار ٤١ : ١٨ نقلا عن مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٣٢٥ .

القسم الأول

واجبات الانقياد وعناصره

القيادة الاسلامية تختلف عن نظيراتها من القيادات الأخرى شكلاً ومضموناً . ولهذا فان الروابط التي تبنى بينها وبين قواعدها التحتية تختلف هي الاخرى عن تلك الروابط التي تمتد بين القيادات الاخرى وبين قواعدها .

ولعل السبب الرئيسي يكمن في الطبيعة المناقبية أو القيمة الجمالية التي تقف وراء هذه الروابط او تلك . فالقيم الكامنة وراء الروابط الممتدة ما بين القيادة الاسلامية وما بين قواعدها التحتية وبالعكس في الاساس لا تنبع من الواقع الاجتماعي أو تنعكس كافراز منه بل انها تنبع في الاساس من قيم شرعية بحتة[1]، غير ان طبيعتها تضفي عليها منذ

(١) من البديهي ان هذا لا يعني نفي أو الغاء دور الواقع والظرف الاجتماعي في فرز القيادات وتكريس وجودها القيادي أو على العكس، بل ان ما نعنيه هنا هو ان الانماط القيادية محددة سلفاً أمام الامة المسلمة . فالنبوة والامامة والمرجعية ـ كخط ـ محددة سلفاً أمام هذه الامة وهي غير مخيرة مطلقاً في اختيار انماط اخرى لقيادتها ودلك لان مسيرة هذه الامة بما أنها يفترض بها أن تكون باتجاه تحقيق وانجاز مصالح وأهداف التخطيط الالهي .

وبما أن هذه المصالح وتلك الاهداف لا يمكن أن تقاد اليها الامة الا عبر من اختصه الله ـ سبحانه ـ بمعرفة ذلك، وكون الذين اختصهم الباريء القدير ـ عز وجل ـ لهذه =

اللحظات الاولى الواقعية المطلوبة هذا على عكس القيادات الاخرى التي تبقي هذه الروابط والعلاقة في حدود الواقع الموضوعي . والناتج العملي للاثنين واضح للغاية ففي القيادة الاسلامية تكون قيم القيادة والانقياد ذاتية ثم يأتي الواقع ليكسبها قوة على ما فيها من القوة .

أما في القيادات الاخرى فان قيمها تظل مكتسبة وهي بالتالي معرضة للقوة والضعف في آن واحد . ولقد لاحظنا على مر الزمن ـ قديمه وحديثه ـ كيف أن القيم الاسلامية تبقى في جوهرها قوية وصلبة

= ولكن كيف يمكن توجيه هذا الامر بالنسبة للمرجعية ؟

ان المرجعية ـ تبعاً للسيد الشهيد الصدر ـ هي عهد رباني الى الشخص اي أن المرجع محدد تحديداً نوعياً لا شخصياً . وليس الشخص هو طرف التعاقد مع الله ، بل المركز كموصفات عامة ومن هذه المواصفات العدالة بدرجة عالية تقرب من العصمة، فقد جاء في الحديث عن الامام العسكري (ع) (فمن كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لامر مولاه فللعوام أن يقلدوه) انظر وسائل الشيعة ١٨ ـ ٩٤

ولكن هذه العدالة ليس من الضروري أن تبلغ الى درجة العصمة ولا أن يكون المرجع معصوماً من الخطأ بخلاف الامام ومن هنا كان هو بدوره بحاجة الى شهيد ومقابل موضوعي

﴿ ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ الحج ٢٢ ـ ٧٨

انظر خلافة الانسان (م . س) ٢٧

ولهذا عدت المرجعية (كخط) قرارا إلهياً (ـ ـ ٢٦

غير انها كتشخيص وتجسيد يصدق على شخص معين ، محدد تاريخياً بعدد من الامة . ن . م . ٢٦ .

وهنا يأتي دور الواقع الاجتماعي في فرز الفقيه المرجعي وتشخيصه ومن ثم تحقيق العظيم انما حينما تلحظ التكاتف سياسية أو عملية لدى مرجع من المراجع بشكل

للغاية فيما وجدنا ان العديد من انماط العلاقات التي اخترعتها القيادات الاخرى بينها وبين قواعدها كالديكتاتورية (Dictatorism) أو الديمقراطية (Democracy) أو الديمقراطية المركزية (Centralism Democracy) أو اللامركزية (Decentralization) . الخ لم تفلح في ابقاء هذه القيم على حيويتها وقوتها ، وظلت هذه المفاهيم والقيم نسبية صعوداً ونزولاً .

ولا أظن أن ثمة حاجة هنا لذكر الامثلة التي تبرهن على فشل هذه الاساليب لوضوح ذلك .

ولهذا . . . فاننا حينما سنبحث في ظواهر ومصاديق القيادة والانقياد في تجربة الامام امير المؤمنين (ع) سنجد أن المحرك الاول هو القيم الشرعية ، وهذا الأمر من شأنه أن يدلنا بوضوح على ترجمة اسلامية حقيقية للعلاقات القائمة بين قيادتنا المعاصرة وبين قاعدتها التحتية وبالعكس .

وهذا الامر بحد ذاته يعتبر أول درس للامة في التعرف على حقوق قيادتها وواجباتها تجاهها .

= المهمة لا يتعدى حدود الانماط الثلاثة الآنفة الذكر ـ اي النبوة والامامة والمرجعية ، لذا فان الامر متعين بهم لا سواهم

وقد يقال ان الامر لا اشكال فيه بالنسبة للنبوة والامامة باعتبار أن كلا منهما كخط وكمصداق علاوة على حيازتهما لصفة العصمة .

بجعل أمر التسليم لقيادته للامة معرضا ذات الامة للخطر، بمثابة ضوء شرعي اخضر للتنصل من خط المرجعية، او للابتعاد من المراجع ـ كما عمدت الى ذلك بعض الاحزاب والتنظيمات الاسلامية ـ فالخط يبقى هو الخط ـ على الصعيد الشرعي ـ والامة في العادة فيها اكثر من مرجع أو عالم بامكانه أن يتمثل دور المرجع . كما أن من المعتقد أن هؤلاء تكمن فيهم مظاهر التصدي لقيادة الامة ـ سواء أكان ذلك على مستوى القوة أم على مستوى الفعل

١ ـ الطاعة المطلقة :

حياة امير المؤمنين مع الرسول القائد (ص)، تقدم نموذجاً رائعاً لما ينبغي أن تبتني عليه العلاقة بين القائد والمنقاد . ونحن لو قرأنا تصرفات الامام امير المؤمنين (ع) مع الرسول (ص) لوجدناها تعكس صوراً متعددة للطاعة المطلقة التي كان يوليها الامام (ع) للرسول (ص) وهي طاعة لم تكن تعبر عن حالة الاذعان لامر القيادة فحسب وانما كانت تبلور مفهوم التسليم المطلق لهذه القيادة . وهي حالة بالتأكيد تحتل موقع القمة في سلم الطاعة والانقياد . فلم تكن مقصورة على الامر التشريعي للرسول (ص) فحسب وانما كانت تعم الامر التكويني ايضاً . وهو في كل هذه التصرفات قد قوم ارادته فيها على روح الآية الكريمة :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[1].

---

(١) سورة النساء / الآية ٦٥ .
وفي تفسير هذه الآية ينقل عبد الله بن يحيى الكاهلي عن الامام الصادق (ع) قوله : لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له ،

والتي تطالب الانسان المسلم بايجاد حالة التسليم المطلق في قبال أمر القيادة الاسلامية . إذ أن أي خلل في ايجاد هذه الحالة ـ وتبعاً للآية ـ قد يعصف بالايمان كله . والا لما أقسم الباريء عز وجل بذاته المقدسة

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم جاؤا النبي فصنعه الله أو صنعه النبي (ص) : الا صنع خلاف الذي صنع ، ووجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ ثم قال (ع) فعليكم بالتسليم .

ينظر المصدر السابق ٢ ، ٤٠٥ (ط . س) والصافي الكافي (ط . س) ٢ ، ٣٩٨ وعن عمرة عن الامام الصادق (ع) انه قال

امر الناس بمعرفتنا والرد الينا والتسليم لنا . ثم قال : وان صاموا وصلوا وشهدوا ان لا اله الا الله وجحدوا في انفسهم ان لا يردوا الينا كانوا بذلك مشركين

ينظر الصافي الكافي ٢ ، ٣٩٨

وفي حديث اخر جعل الامام الصادق (ع) مصداق التمسك بالعروة الوثقى التسليم لقيادة الامامة وجعل ذلك طريقا للنجاة حيث يقول (ع) :

كل من تمسك بالعروة الوثقى فهو ناج ، قلت : (اي الراوي) ما هي ؟ (اي العروة الوثقى) قال : التسليم

ينظر البحار (ط . س) ٢ ، ٢٠٤

ان الامام الرضا (ع) قد جعل القسم الاعظم من عبادة الله منوطاً بالتسليم لامر القيادة الاسلامية إذ يقول (ع) :

ان العبادة على سبعين وجها فمنها وضوء ومنها في الرضا بالتسليم لله عز وجل وترك الرد على الامر (صلوات الله عليهم) ينظر البحار ٢ ، ٢١٣

على أمر كهذا . وهو قسم ـ في العادة ـ لا يستعمل في القرآن ، مما يعظم موضوعه ويجلل محتواه . وفي عقيدتي فان هضم هذه القضية ليس عسيراً . فلقد سلمنا من قبل بان الله ـ سبحانه وتعالى ـ بمقتضيات لطفه أرسل للمجتمع البشري رسالة هداية مع رسول هاد . وان هذا الرسول الذي نصبه الله ـ عز وجل ـ بمثابة القائد الاعلى في الارض لا يمكن أن يأمر بأمر أو ينهى عن شيء إلا بموجب وحي يوحى . وان هذا القائد حينما انسحب من الوجود الزمني خلف صلاحياته وحقوقه لمن جاء من بعده قائداً بأمر السماء[1] . لذا فعلام التشكيك بأمر القيادة الاسلامية ما دامت تنطوي ولايتها على هذه الحيثية ، كائناً ما كان الامر ، وربما يفهم من ذلك أن أمر الطاعة والتسليم للقيادة الاسلامية هو أمر مفروغ منه من دون عناية لان يكون هذا الامر مورد قناعة ذاتية لدى المأمور أم لا ، مما قد يفهم منح صلاحيات تعسفية للقائد الاسلامي .

ان هذا الفهم هو أمر منطقي ولكن نتيجته خاطئة . فهذا الاتجاه لا يعبر عن تعسف هذه القيادة بل انه شيء طبيعي طالما أن الوصول الى اقناع كل افراد المجتمع بالامر القيادي شيء مستحيل في الوقت الذي قد تتطلب عملية الاجراء سرعة كبيرة من اجل تفويت الفرصة على العناصر المضادة للتحرك الهادف الى عرقلة عمل هذه القيادة .

غير انه من الطبيعي ان ذلك لا يعني عدم اجتهاد القيادة لايضاح اوامرها للرأي العام او للامة بمجملها . إذ أن هذا الوضوح بلا شك ينطوي على اسهام كبير في زيادة فهم الامة لقيادتها ، وبالتالي يعمق من ارتباطها بها والتحامها مع توجيهاتها ومشاريعها .

ازاء كل ذلك نجد أمير المؤمنين (ع) الذي يعتقد أن التسليم لامر

---

(١) امامة ومرجعية

القيادة الاسلامية واحد من أعظم الاعمال عند الله عز وجل[1]، يتصرف مع اوامر الرسول (ص) بمثل هذه الروح التي توحيها هذه الحادثة التي يرويها انس حيث يقول :

كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله (ص) باسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل ، قلنا : ـ هو هذا ،

قال (ص): انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان .

فاقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله (ص): انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في القوم احد أفضل مني أو خير مني ؟ .

قال : اللهم نعم ثم دخل يصلي .

فقال رسول الله (ص): من يقتل الرجل ؟

فقال ابو بكر : انا . فدخل عليه فوجده يصلي فقال : سبحان الله اقتل رجلاً يصلي . فخرج .

(١) بقول زيد بن صوحان انه سأل امير المؤمنين (ع) عن : أي الاعمال أعظم عند الله .
قال : التسليم والورع .
انظر : البحار٢ : ١٨٨ .

فقال رسول الله (ص): ما فعلت ؟

قال : كرهت أن اقتله وهو يصلي ، وأنت قد نهيت عن قتل المصلين ! !.

قال (ص): من يقتل الرجل ؟
قال عمر : انا، فدخل فوجده واضعاً جبهته،
فقال عمر : ابو بكر افضل مني فخرج.
فقال له النبي (ص): مهيم؟ (كلمة استفسار)
قال : وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن اقتله .
فقال (ص): من يقتل الرجل؟
فقال علي (ع): أنا
فقال (ص): أنت ان ادركته.

فدخل عليه فوجده خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال (ص): مهيم ؟ .

قال : وجدته قد خرج ، قال : لو قتل ما اختلف من امتي رجلان[1].

وهنا تظهر هذه الحادثة مدى التسليم الذي يكتنف قلب علي (ع) لامر الرسول (ص)، وما نراه هنا من تأكيد على اهمية التسليم المطلق ليس شيئاً عجيباً . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقسم بذاته انه لا يؤمن به من

(١) الاصابة لابن حجر ١ : ٤٨٤ والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤ وقريب منه في مسند احمد ٣ : ١٥ كما انه متواتر في كتب شيعة آل محمد (ص). ومما يذكر ان الذي أمر الرسول (ص) بقتله في هذه الحادثة هو ذو الثدية الذي قتل واصحابه في معركة النهروان على يد امير المؤمنين (ع) .

لا يسلم بأمر الرسول (ص) .

وما يمكن ملاحظته هنا في تصرف امير المؤمنين (ع) في هذا الشأن عن هذه الحادثة وغيرها ان أي صيغة للتعامل المشروط مع قيادية الرسول (ص) لم تكن واردة في ذهن الامام (ع)، وهو أمر من شأنه أن يشكل حتى واحدة من أهم الاخطار التي تهدد أي مشروع قيادي .

فالقيادة الاسلامية اذا ما تعاملت مع قاعدة هي التي تضع شروطاً للعمل معها لا يرضاها بأي حال من الاحوال ان تصل الى النتائج المرجوة من اعمالها ومشاريعها القيادية . لانها في هذه الحال لا تغدو قيادة بل هي للابتعاد اقرب منها الى القيادة[1] علماً بان هذه الصفة هي واحدة من اهم سمات المنافقين الذين تذكرهم الآية الكريمة بقولها :

﴿ فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾[2] .

(١) حينما نقول ذلك لا نقصد به الشروط التكوينية لهذه القيادة لان ذلك تحصيل حاصل . فهذه الشروط بعينها تمثل من القائد والمنقاد على حد سواء . حيث ان امتلاك هذه الشروط هو الذي جعل هذا المنقاد المنقاد القائد ، وبتوجه قبل المنقاد بأن يسميه بقائد له . وانما ما نقصده هو الشروط التي يجب ، إذا صح التعبير ـ كأن يقال للقائد افعل كذا وافعل كذا ـ الا فلا يسير في العمل ذلك مع امير المؤمنين (ع) في معركة صفين . إذ حسبه معه القائد بالتأني والتأني . وهذا هو فحوى كلام امير المؤمنين (ع) يومذاك : لا ، اني لست لا يقنع

(٢) سورة التوبة / الآية ٥٨ .

٢ ـ التضحيـة :

القيادة من دون قاعدة مضحية تبقى مشروعاً معطلاً .

والقيادة من دون فدائيين حقيقيين يذبون عن حرمة اطروحاتها في العمل الثوري تبقى في عالم مغمور .

والقيادة من دون وجود عطاء حقيقي يمتزج فيه الدم مع الجهد المثابر ويختلط فيه الاستعداد الدائم للتضحية والبذل، مع السعي المتواصل من قبل القاعدة تبقى في أحسن ظروفها اطروحة في الثورة ولكنها مثالية وطوبائية في عالم يعج بالواقعية والحيوية .

والقيادة في قبال الهجمة العاتية التي تشن عليها في العادة من قبل العناصر المضادة لها، تبقى مشروعاً جميلاً للانتحار اذا لم تتمكن من ايجاد انصار حقيقيين لاطروحتها بحيث يمكن أن يقال عنهم ان همومهم الكبيرة كلها ـ معكوسة من الثورة مفروزة عنها، وعملهم وسلوكهم كله يحكي عن اصالة ثورية وانطباق مع القيم والمثل التي تبشر بها الثورة .

ولكن اذا قلبنا الصورة وقلنا ان القيادة اذا ما وفرت او توفرت لديها هذه القاعدة، فانها هذه القيادة مهما كانت امكاناتها وقدراتها القيادية ومهما كانت نسبة توفير عناصر النجاح والانتصار، سلباً أو ايجاباً ، زيادة

او نقصاناً ، كثرة او قلة فانها على أقل تقدير سوف تستطيع أن تخلق تياراً من الرفض للواقع القائم وسوف تساهم في تمزيق صورة الابهة التي حاول الواقع القائم أن يحيط نفسه بها كي يخفي ضعفه أو عجزه .

وبامكاننا أن نذكر مثالين في هذا الصدد في كل منهما يمكننا أن نلحظ الاثر العظيم الذي تخلفه القاعدة المضحية والفدائية على الاعمال الثورة وان كانت القيادة لا تتمتع بقدرات قيادية متميزة . وكذلك ما يمكن للقاعدة الحاملة والجامدة التي تضن على قيادتها بجهدها وجهادها ، ان تفعله بالقيادة مهما كانت هذه القيادة تتمتع بقدرات عظيمة وامكانات هائلة في العمل القيادي .

مثالنا الاول في هذا الصدد لنختاره من التاريخ الروماني وبالذات من قصة ثورة العبيد المشهورة (٧٣ ـ ٧١ق . م .) (Slaves Revolution)، فالذي جعل هذه الثورة تترك بصماتها بشكل بارز في تاريخ المجتمع الروماني لم يكن فضله عائداً لسبارتكوس (Spartecos) قائد هذه الثورة الذي لم يكن يمتلك من القدرات القيادية الشيء الذي يستحق الذكر ، ولكن الذي كان له الفضل كل الفضل في الذي افرزته الثورة كان يتمثل في تلك الاندفاعة الحماسية المتوهجة لدى القاعدة التي كانت تقاتل بامرته نحو التضحية والفداء لقضية حرية العبيد . ونحن هنا أمام مثال بارز في أن القاعدة التي تمتلك مثل هذا الاندفاع وهي مستعدة لان تضحي من اجل قيمها ومثلها وطموحاتها فانها قد توفر فرصة لقياديها مهما كانت امكانات هؤلاء متواضعة للبروز، فسبارتكوس الذي لم يكن قادراً حتى على تشخيص هدفه الحقيقي[1]. يمثل هذه القاعدة استطاع

(١) انظر الموسوعة العسكرية ١ : ٣٩٠ مادة (ثورة سبارتكوس) اعداد مجموعة من الباحثين المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١ ـ بيروت

ان يبرز الى مصاف القادة المؤثرين في حركة شعبه .

أما مثالنا الثاني فصورته معكوسة تماماً فلقد كان المجتمع الذي عاشه امير المؤمنين (ع) كقائد له ، من الخمول بدرجة ادت الى تقييد حركة ذات امير المؤمنين (ع). فهو على رغم الامكانات الهائلة التي كانت متوفرة لديه في فن القيادة والسياسة غير ان خمول القاعدة وعدم زعبتها في التضحية والمعاناة من اجل اطروحة هذه القيادة ، وعدم تحملها مسؤوليتها الشرعية جعل مثل هذا النمط القيادي محروماً من ابراز قدراته القيادية فيما ظلت البشرية محرومة من تطبيق اطروحته في الثورة والحكم وما الى ذلك .

أما بالنسبة للرسول (ص) فلقد كانت الصورة متغيرة تماماً . ولنستمع الى الامام امير المؤمنين (ع) وهو يحدثنا عن تفاصيل هذه الصورة :

> ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا : ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ، ومضياً على اللقم[1] وصبراً على مضض الالم ، وجداً في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا تصاول الفحلين ، يتخالسان انفسهما[2] أيهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت[3] وانزل علينا النصر[4].

(١) اللقم : الطريق والجادة .

(٢) يتخالسان انفسهما : كل منهما يطلب قتل الآخر .

(٣) الكبت : الهزيمة .

(٤) نهج البلاغة (م . س) (٩ ـ ٩٢) الخطبة رقم ٥٦ .

لحيظات معدودة تكمن وراءها صورة هي الاروع من نوعها في عالم التضحية من اجل المبدأ والفداء من اجل العقيدة ، ولقد افرزت من قبل معاناة مريرة كان في اغلبها يكاد الزمن يتوقف فيها نتيجة لحراجة مواقفها وهي المواقف التي عبرت عن شدة اغلبها، الآية الكريمة :

﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾[1] .

ولكن هذه المواقف وامثالها كان امير المؤمنين (ع)، في معظم الاحيان اذا لم يكن في جميعها، هو الذي يجلي فيها الهم والكرب عن وجه رسول الله (ص) ـ بعد توفيق الله ولطفه ـ ، ففي كل ذلك كان هو النجم اللامع الذي يتلألأ تضحية وفداء على الرغم من ان اوضاع الساحة السياسية كانت بحد ذاتها تنذره بخطر كبير . ولكن هذا الخطر الكبير لا يبقى له موضوع او معنى ، اذا كان تحمله وركوبه يعني انقاذ الرسالة الاسلامية وكتلتها الناشئة في عالم الثورة الواقعية والثوار الحقيقيين لا معنى للخطر ، ولا موضوع للالم والمعاناة . وحينما يكون الامام امير المؤمنين (ع) علماً اساسياً من اعلام الثورة ورمزاً عظيماً من رموزها فمن البديهي أن تغدو حياته وهي حافلة بأسمى دروس الفداء وأروع نماذج التضحية . وفي كل ذلك كان رائده حسن الانقياد وتحمله الكامل لكل ما يستتبع اتباعه لقيادة الرسول (ص). فحينما لم يكن الرسول (ص) يملك من الانصار والاعوان الشيء الذي من الممكن ان يكون عدداً معتداً به ، وكانت العناصر المضادة لتحركه لا تألوا جهداً من محاولة

(١) الاحزاب / الآية ١٠ ـ ١١

بمثل هذه الصورة كانت قاعدة الرسول (ص) فلقد كان (ص) يمتلك منذ البداية النواة الحقيقية للقاعدة المضحية وللانقياديين الفدائيين .

هذا فضلاً عن امتلاكه اعظم صفات القيادة . ولا أعدو الحقيقة ولا اصل حد المبالغة ان قلت ان القيادة ان كانت لها حدود وان كانت تقاس بمعيار فينبغي ان يبحث عن هذه الحدود وتلك المعايير بسلوكية الرسول (ص) مع امته . ولا اريد هنا الاسهاب في هذا الموضوع فلست في صدده .

لقد كانت هذه النواة بهذه الروح العظيمة التي جعلتها ترتفع بهمومها فوق الهموم الصغيرة فلم يكن الاب والابن وسائر الصلات الرحمية ذات معنى لها ان كانت تقف عقبة امام طريق العقيدة والرسالة . وفي هذه النواة المباركة ترى ابن كان موقع الامام امير المؤمنين (ع) منها ؟ .

في حديث له (ع) يوضح موقعه فيقول :

وايمّ الله لقد كنت من ساقتها[1] حتى تولت بحذافيرها[2] واستوسقت في قيادها[3] ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت[4] .

ولكن هذه الكلمات التي قد لا تأخذ وقتاً او جهداً من ألسنتنا الا

(١) من قادة مسيرة الاسلام

(٢) انحسرت القوى المضادة تماما

(٣) استسلمت تماما .

(٤) ن.م. : ١٥٠ الخطبة ١٠٤ .

محاصرته والقضاء على حركته ، وباتت فيه قريش ملزمة وفقاً للقيم والمعايير السائدة فيها بأن توظف جميع امكانياتها من اجل القضاء على هذه الحركة الوليدة من دون تفريق بين قمتها وقاعدتها ، وهو الامر الذي انعكس على شكل الاجراءات القمعية التي استخدمتها قريش ضد هذا التحرك . وهي الاجراءات التي كانت تتصاعد درجتها وفقاً لتصاعد واقع هذا التحرك واتساع نفوذه ، في خضم هذه الاجواء تتلمس لامير المؤمنين (ع) موقفين عبر منهما عن حقيقة انتمائه وكشف فيهما عن واقع ان الذي ينتمي لثورة لا يخاف على سواها ، وان الذي يريد أن يلتحق بالجهد التغييري للواقع الفاسد ما عليه الا ان يتحداه مهما خلف هذا التحدي من ثمن ، حتى لو كان هذا الثمن يعني حياته . ففي غمرة المعركة مع قريش قبل الهجرة استطاع الصحابي الجليل مصعب بن عمير (ر ض) وبتوجيه من الرسول (ص) ان يتمكن هو وأسعد بن زرارة من ادخال اعداد مهمة من اهالي المدينة في الاسلام . وبناء على توجيه الرسول (ص) فقد بادر مصعب بن عمير (ر ض) الى ارسال (٧٠) شخصاً من وجهاء المدينة لمقابلة الرسول (ص)، وقد كان الرسول (ص) قد خطط لان تكون هذه المقابلة بمثابة تعاهد من شأنه ان يمهد لقيام الكيان الاسلامي الذي يأخذ على عاتقه الدفاع عن الاسلام والمسلمين في مواجهة الاخطار المحدقة .

ولما حضر هؤلاء كان مع الرسول (ص) علي (ع) والحمزة والعباس (رضوان الله عليهما) وفي هذا اللقاء تمت المبايعة للرسول (ص) بالشكل الذي أراد . وهي مبايعة رغم ان شروطها المباشرة تبدو للوهلة الاولى سهلة على أهل يثرب ، إلا أن هؤلاء لم يتأخروا في فهم محتواها الحقيقي وأبعادها الواقعية ، فقام من بينهم العباس بن نضلة وكان من الاوس فقال :

- يا معشر الاوس والخزرج تعلمون ما تقدمون عليه ؟

انما تقدمون على حرب الاحمر والابيض ، وعلى حرب ملوك الدنيا فان علمتم انه اذا اصابتكم المصيبة في انفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه ، فان رسول الله وان كان قومه خالفوه فهو في عز ومنعة .

فقال له عبد الله بن حرام (والد جابر بن عبد الله الانصاري)، واسعد بن زرارة وابو الهيثم بن التيهان : مالك وللكلام ؟ يا رسول الله : بل دمنا بدمك ، وانفسنا بنفسك .

وابان ما كان الرسول (ص) يعقد اجتماعه مع اهالي يثرب من الاوس والخزرج ، أحست (قريش) بما يجري ، ولم يكن صعباً عليها أن تفسر ما يجري بتحالف حرب ضدها ، إذ هي التي أذت المسلمين واضطهدتهم ومصالحها هي التي سيصيبها الضرر اكثر من غيرها لو انتصر هذا الدين ، فخرجت عن بكرة ابيها حاملة السلاح لقتل المجتمعين ، حينها امر الرسول (ص) الانصار بالتفرق، على الرغم من ان الانصار طالبوا الرسول (ص) بان يأذن لهم بالقتال دونه . الا انه امتنع . وامام هياج الحشود القريشية ارتقى كل من حمزة بن عبد المطلب (ع) عم الرسول (ص) وسيد الشهداء ، وامير المؤمنين الامام علي (ع) صخرة العقبة واستل بطلا عدنان سيوفهما على الرغم من ان الامام (ع) كان قد امضى حوالي العشرين سنة من عمره الشريف ، واستعدا للذود عن قيادتهم المباركة، وصرخ حمزة في جموع الاوباش الجامحة :

والله لا يجوز احد هذه العقبة الا ضربته بسيفي .

فاسقط ما في يدي قريش[1] . لانها تعلم من هم اصحاب السيوف .

وفي هذا الحادث يدخل امير المؤمنين (ع) على حداثة عمره في معترك المواجهة المسلحة مع اعظم القوى المادية في المنطقة . صحيح انه كانت له مواقف معارضة وصريحة قبل هذا الحادث - من قبيل حادثة يوم الدار[2] ومواقفه اثناء محاصرة شعب ابي طالب[3] ولكن لم تكن لتأخذ

(١) البحار ١٩ : ١٢ ـ ١٣ .

(٢) ملخص ما حدث يوم الدار ان الله حينما طلب من رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ان ينذر عشيرته الاقربين (الشعراء ٢٦ : ٢١٤) بادر الرسول (ص) لاقامة وليمة دعا لها بني هاشم، فلبى دعوته (٤٠ رجلا) فيهم اعمامه ابو طالب والحمزة والعباس وابو لهب، وفي تلك الوليمة قام الرسول (ص) وخطب في المدعوين قائلا :

يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فأيكم يؤازرني على هذا الامر، على أن يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم .

وما بين استخفاف ابي لهب واستهزائه وما بين تربص اخرين اعلن الامام علي (ع) وكان اصغر القوم تحمله لهذه المسؤولية كاملة . فقال الرسول (ص): ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا . غير ان القوم عودا على بدء بادروا بالضحك والاستهزاء وراحوا يغمزون ابا طالب بالقول : لقد امرك أن تسمع لابنك وتطيع . . .

والحدث متواتر واذكر على سبيل الايجاز بعض من أورد ذلك : انظر ابن عساكر في الترجمة ١ : ٩٧ ـ ١٠٥ وابن الاثير في الكامل ٢ : ٢٤ والطبري في التاريخ ٢ : ٦٢ ـ ٦٤ والمتقي الهندي في الكنز ٦ : ٤٠١ و١٥ : ١١٣، ٥ : ٤٢ ـ ٤٣ ، ١٥ ـ ١١٥ ، ١٣٠ ـ ١٣١ واحمد في المسند ٢ : ١٦٥ وابن كثير في التفسير ٦ : ٢٤٦ والحلبي في السيرة ١ : ٢٨٦ والطبري في التفسير ١٩ : ٧٤ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ : ٢٦٣ وابا الفداء في التاريخ ١ : ١١٦ والخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض ٣ : ٣٧ والخازن في التفسير ٣٩٠ والحسكاني في الشواهد ١ : ٣٧١ والطبري في كتاب المسترشد ١٣٧ والحمويني في الفرائد ١ : ٨٩ والكنجي في الكفاية ٨٩ .

(٣) البحار (م . س) ١٩ ـ ٢٥ .

مثل هذا المجرى العنيف، والذي سنراه فيما بعد يتصاعد بشكل يغدو معه الامام (ع) عقدة قريش التي لا تغل واكثر اعدائها شدة والدهم بأساً . فيما تراه في الجانب الآخر يبيت عمله مورد ثناء الله ومدح ملائكته ومورد اطمئنان رسوله (ص) وعصابة المؤمنين .

وقد كانت بداية الرحلة الجادة على هذا الصعيد موقفه ليلة الهجرة فلقد احتل موقفه هذا محل الذروة في سلم التضحية والفداء، الى درجة عبر عنها الله العلي القدير بانها كانت عملية شراء لنفس علي (ع) من قبل الباريء عز وجل في مقابل مرضاته ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءمرضاتالله** ﴾[1] .

ففي المرحلة التي تصاعدت فيه حدة الصراع بين الرسول (ص) وانصاره من جهة وبين قريش وحلفائها من جهة اخرى، بحيث ما عادت وسائل الحوار بين الارادتين متكافئة ، فمن جهة كان الرسول (ص) واصحابه منطقهم في الحوار التفاهم العقلي والسلوكية الصالحة ومن جهة كانت قريش تتفاهم عبر عنجهيتها ووسائل قمعها وتفكر بسيفها وسوطها، حينذاك امر الله رسوله (ص) بان يهجر مكة ويهاجر منها الى المدينة عبر قوله تعالى :

﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[2] .

(١) سورة البقرة/ الآية : ٢٠٧ .
بالاضافة الى ما ذكرناه آنفاً في اسباب نزولها - في القسم الثاني من الفصل الاول فقد ذكر نزولها بحق علي (ع) ايضاً ابن عساكر في الترجمة ١ : ١٥٣ ـ ١٥٤

(٢) سورة الانفال/ الآية : ٣٠ .

فلقد كانت قريش قد اتفقت على قتل الرسول (ص) بالطريقة التي يوضحها ابو جهل (لع) في مؤامرة دار الندوة :

أرى لكم ان تعمدوا الى قبائلكم العشرة فتنتدبوا من كل قبيلة منها رجلا نجدا، ثم تسلموه حساماً عضباً ، وتمهل الفتية حتى اذا غسق الليل وغوّر بيتوا بابن ابي كبشة (اشارة للرسول (ص) بياتا فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً ، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم ، فيرضون حينئذ بالعقل منهم ، فقال صاحب رأيهم : أصبت يا ابا الحكم[1] . .

وحينما علم الرسول (ص) بهذه المؤامرة عن طريق الوحي دعا عليا لوقته واخبره بالتفاصيل والتي كان منها قول الرسول (ص) لعلي أن الوحي قد أمر الرسول (ص):

أن الله أمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه اثري فما أنت قائل وصانع ؟

فقال علي (ع): أوتسلمن بمبيتي هنالك يا نبي الله ؟

قال (ص): نعم .

فتبسم علي (ع) ضاحكاً وأهوى الى الارض ساجداً شكراً لما انبأه به رسول الله (ص) من سلامته،ثم لما رفع رأسه قال للرسول (ص): امض لما امرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي

(١) البحار ١٩ : ٥٩ .

ومرني بما شئت اكن فيه كمسرتك واقع منه بحيث مرادك وان توفيقي الا بالله[1] .

وفي ذلك يقول الامام (ع) فيما ينسب اليه من شعر :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبت اراعيهم متى ينشرونني وقد وطنت نفسي على القتل والاسر[2]

وقد كانت قريش قد انتخبت من بينها اشد اجلافها واكثرهم بأساً على الرسول (ص) وأصحابه وكان من هؤلاء : أبو جهل، والحكم بن أبي العاص ، وعقبة بن ابي معيط ، والنضر بن الحارث ، وامية بن خلف ، وابن الغيطلة ، وزمعة بن الاسود وابو لهب ، وابي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج هذا علاوة على خالد بن الوليد بن المغيرة[3] فلما اسدل الليل سدوله وانقطع اثر المارة من شوارع مكة اقبل هؤلاء يقذفون علياً (ع) النائم في فراش الرسول (ص) بالحجارة وهم يحسبون انه الرسول (ص). اما على الجانب الاخر فقد كان امير المؤمنين (ع) ينسج :

قصة من أروع ما عرفه تأريخ الفداء والتضحيات ، فالشجعان يثبتون في المعارك وينازلون الابطال والشجعان وهم يدافعون بما لديهم من سلاح وعتاد ويعتمدون في الغالب على من يحميهم في حالات الشدة،والضيق وقد تضطرهم المعارك الى ان يثبتوا في مقابل العدو منفردين ، اما ان يخرج الانسان

(١) ن.م ١٩ : ٦٠ .
(٢) ن.م ١٩ : ٦١ .
(٣) ن.م ١٩ : ٣٩ ، ٦١ .

الى الموت طائعاً بدون سلاح ولا عتاد وكأنه يخرج ليعانق غادة حسناء وينام على فراشه اعزل من كل شيء الا من ايمانه وثقته بسلامة من يفدي نفسه في سبيله،كما حدث لعلي فهذا ما لم يحدث في تاريخ البطولات وما لم يعرف عن احد في تاريخ المفادات في سبيل الحق والعقيدة [1].

حينها كان امير المؤمنين (ع) في منتهى الصبر والانضباط . فهو على رغم الآلام التي كان ينجرعها من جراء قذف القوم له بالحجارة والتي تطورت فيما بعد الى وخز بالسيوف،غير انه كان يجهد نفسه من اجل أن لا تنكشف هويته ولا تشخص شخصيته لانه كان يحسب ان اي تشخيص في هذا المجال أو أي احساس أن الراقد غير الرسول (ص) فقد يعرض حياة الرسول (ص) الى الخطر . وربما يكون من السهل على الكاتب أو المؤرخ أن يصف أو يصور هذه العملية . غير ان ممارستها تنطوي على معاناة عظيمة لا يمكن ادراك معانيها الحقيقية بأي حال من الاحوال اللهم الا من اولئك الذين مروا بحالات مشابهة ـ وما اقلهم ان وجدوا ـ .

هذا هو حال امير المؤمنين (ع) قبل الهجرة وقبل ان تكون هناك قوة نصر حقيقية بالمعايير المادية . وقبل ان يغدو هناك كيان دولة للاسلام . فهل تغير حاله بعد ما تغيرت هذه الامور ؟ أي بعد هجرة الرسول (ص) وتنامي قوة المجاهدين وارساء اسس الدولة الاسلامية ما يتوفر لدينا من حوادث ووثائق في هذا المجال يثبت ان الامير (ع) قد صعد من واقعه كرجل فريد في عالم التضحية اذ كان يشعر ان مهام بناء

(١) سيرة الائمة الاثني عشر (م . س) ١ : ١٧٩ .

مؤسسات الثورة يتطلب جهداً اكبر من مهام الانطلاق ضمن مسيرة الثورة . فوجود دولة ووجود قاعدة شعبية يجب ان لا يكون باعثاً لتخفيف الحماسة الثورية والاندفاع باتجاه اهدافها . والاتكال على الآخرين في عملية تحقيق مستلزمات الوجود وفي هذه المرحلة نجد الامام (ع) في موقفه في معركة احد ومعركة الاحزاب ومعركة حنين رجلاً لا كسائر الرجال وبطلاً لا كباقي الابطال . فلقد كان ازاء المحنة لا يقف موقف الخائف المحترس ولا موقف الآيس المبتعد عنها . بل كان يرمي نفسه في قلبها لا ليسايرها بل ليحطمها لانه يعلم ان المحن لا يمكن ان تزول الا بزوال عناصر وجودها ، ولا سبيل لازالة عناصر وجود المحنة المعادية الا بالتضحية والثبات . اذ تراه في معركة أحد بعد أن استطاع خالد بن الوليد ان يغير من المعادلة العسكرية من خلال استماره للمخالفة الشرعية التي ارتكبها المسلمون المرابطون على الجبل مع الصحابي الشهيد عبد الله بن جبير (ر ض) [1] وثبات ثلة قليلة مع الرسول (ص) [2] ، وتعرض الرسول (ص) حينذاك الى عدة جراح كان منها أن كسرت رباعيته الشريفة وانفه وسيلان الدم من رباعيته على وجهه [3]،وحوصر الرسول (ص) من قبل اجلاف قريش التي كان يقودها

(١) امره الرسول (ص) ان يقود سبعين مسلماً في مهمة حفظ الجبل الذي يحمي مؤخرة جيش الرسول (ص) غير أن أصحابه لما رأوا النصر يتحقق على يد المسلمين والذين راحوا يجمعون الغنائم التي تركها الجيش القرشي المهزوم،بدأ هؤلاء بالانسحاب من اجل المشاركة في عملية جمع الغنائم . وكانت عملية الانسحاب قد تركت مع عبد الله بن جبير (١٢) صحابياً استشهدوا جميعا بسيف خالد بن الوليد بعد مقاومة مستميتة .

(٢) ذكرنا اسماءهم في الفصل الاول فراجع .

(٣) كان عبد الله بن قمئة (لع) قد رمى الرسول (ص) بحجر فحصل ما ذكرناه اعلاه . وقد حاول ان يتقدم باتجاه الرسول (ص) بعد ذلك من اجل أن يقتله . غير أن الصحابي الجليل مصعب بن عمير (ر ض) ذاد عن الرسول (ص) الا أنه استشهد على يد ابن

عسكر بنا خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، وحاولت اوباش قريش أن تزحف باتجاه الرسول (ص) من اجل أن تقتله . غير أن علياً المضحي المنقاد كان لهم بالمرصاد . ومثلما أراهم اللوعة في بداية المعركة تلك اللوعة التي حققت النصر للمسلمين [1] ، أراهم اللوعة في صدهم عن الوصول الى الرسول القائد (ص)، فبعدما انهزم الناس عن الرسول (ص) وأصبح الرسول يواجه ضغطاً كبيراً من قبل المشركين سجل التاريخ في هذه البرهة الحساسة حواراً مختصراً بين الرسول (ص) وامير المؤمنين (ع) عبره يتجلى لنا الامام في سموه وفدائيته العظيمة اذ قال له الرسول (ص) :

ما لك لا تذهب مع القوم ؟

قال (ع) : ـ اذهب وادعك يا رسول الله ؟ والله لا برحت حتى اقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة . . [2]

ولم يكن هذا الكلام لتمضي عليه لحظات حتى بادر الامام (ع) لتطبيقه عملاً وسلوكاً فلقد بدأ زحف الكتائب المشركة باتجاه

قيمة وقد تصور الاخير انه قد قتل الرسول (ص) فهتف بهتاف : ألا انني قد قتلت محمداً ؟ وهو الهتاف الذي انتشر انتشار النار في الهشيم ، مما ادى الى فرار اصحاب الرسول (ص) !!.

(١) قتل الامام امير المؤمنين (ع) اصحاب الالوية جميعا ، وكانوا من بني عبد الدار ، وهم طلحة بن ابي طلحة العبدري ويلقب بكبش الكتيبة (لقوته وضخامته) واخوته ابو سعد مسافع وعثمان والحارث هذا علاوة على عبد الله بن حميد بن زهير وصواب مولى بني عبد الدار وأرطاة بن شرحبيل عزير بن عثمان (على اختلاف طفيف في الاسماء بين الروايات) .

(٢) البحار (م. س) ٢٠ : ٨٧ .

الرسول (ص) فقال له :

احمل على هذه يا علي .

فحمل امير المؤمنين (ع) عليها فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم . ثم اقبلت كتيبة اخرى فقال له النبي (ص): احمل على هذه. فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي وانهزمت ايضاً ثم اقبلت كتيبة اخرى فقال له النبي (ص): احمل على هذه، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة ولم يعد بعدها احد منهم . . [1] .

وقد ادى هذا النمط من التضحية الى أن يكون مورد اعجاب الملائكة وعلى رأسهم جبرائيل الذي قال للرسول (ص): يا رسول الله ان هذه لهي المؤاساة [2] . . .

اما المسلمون فلقد عبر الحجاج بن علاط السلمي عن احاسيسهم حينما ذكر هذه الوقفة الشامخة بقوله :

لله أي مذبب عن حرمة ... اعني ابن فاطمة المعم المخولا

جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا

(١) ن . م ٢٠ : ٨٨ وقريب منه انظر ابن عساكر في الترجمة (م . س) ١ : ١٦٨ والطبري في التأريخ ٢ : ٢٩٣ والكامل .

(٢) علاوة على ما تورده كتب الامامية انظر ايضا : ابن عساكر في الترجمة ١ : ١٦٧ ـ ١٦٨ والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١ : ١٨٩ ، والعسقلاني في لسان الميزان ٤ : ٤١٦ والذهبي في الميزان ٢ : ١٧ والمتقي الهندي في الكنز ١٥ : ١٣٦ والطبري في التاريخ ٢ : ١٩٧ وابن الاثير في اسد الغابة ٤ : ٢٠ .

وشددت شدة باسل فكشفتهم بالحق اذ يهوين اخول اخولا
وعلمت سيفك بالدماء ولم تكن لترده حران حتى ينهلا[1]

وقد كانت نتيجة ذلك أن خرج الامام من المعركة وهو مصاب في :

وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة[2] ولكن على الرغم من كل ذلك فان سيفه (الذي ابدله عدة مرات من كثرة الاستعمال) حينما انتهت المعركة كان لا يزال يقطر من دماء المشركين وفيه يقول لفاطمة (ع): خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم . ثم انشأ قائلا :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد اعذرت في نصر احمد وطاعة رب بالعباد عليم
اميطي دماء القوم عنه فانه سقى آل عبد الدار كأس حميم . .

فقال رسول الله (ص) : خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك ما عليه ، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش[3] .

وتراه ثانية في معركة الاحزاب التي جاءت فيها قريش بقوة هالت لها نفوس المسلمين الا عليا (ع) ولقد زاد هذا الهول عبور عمرو بن عبد ود العامري في ثلة من صناديد قريش هم هبيرة بن ابي وهب وضرار بن الخطاب ونوفل بن المغيرة المخزومي وعكرمة بن أبي جهل الى معسكر المسلمين .

(١) انظر ترجمة الامام (م س) ١ : ١٦٦ والبحار ٢٠ : ٨٩ ـ ٩٠
(٢) البحار ٢٠ : ٤٥
(٣) ن م ٢٠ : ٨٨

وذلك لانهم يعلمون بأن عمرو بن عبد ود العامري هو فارس قريش هذا علاوة على وجود كل من عكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب الذي من شأنه أن يرسم لهم مدى الضرر الذي الحقاه بهم يوم احد . ناهيك عن قرب يوم احد والانعكاسات النفسية السلبية التي من شأن هذا القرب أن يتركها في نفوسهم . ولعلنا نستطيع أن نتلمس الاجواء المعنوية التي كانت سائدة في وسط الجيش من خلال تمعن جاد بقوله تعالى وهو يصفهم :

﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾[1] .

في هذا الجو العصيب لا نحتاج الى طول تفكير في الاسباب التي تجعل عمرو بن عبد ود العامري يخاطب المسلمين بهذا الخطاب المتهكم المؤنب والمستهزىء الساخر فلقد خرج وهو ينادي من يبارزه. فلما لم يخرج له احد على الرغم من تكراره الطلب صاح بالجموع مؤنبا :

أين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزوا الي رجلا ؟ .

غير ان عدم خروج احد اليه جعله يقول :

(١) سورة الاحزاب/الآية: ١٠ ـ ١١ . ويقول حذيفة بن اليمان (رض) وهو احد المشاركين في المعركة حينما استفهمه ربيعة بن مالك السعدي عن حقيقة ما يقال عن شجاعة علي (ع) فلما اجابه قال : هذا المدح الذي لا يقام له ويقعد ولا يحمل فقال له حذيفة : كيف لا يحمل ؟ وابن كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر اليهم عمرو واصحابه فملكهم الهلع والجزع ودعا الى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز اليه علي فقتله .
انظر شرح النهج ١٩ : ٦١ .

ولقد بححت من النداء لجمعكم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
وكذاك اني لم ازل متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

وكان علي (ع) وحده يطالب الرسول (ص) في كل مرة ينادي عمرو بن عبد ود العامري مبارزته غير أن الرسول (ص) كان يطلب منه الجلوس، في مهمة لاختبار واقع اصحابه ولاسقاط جميع انواع المزايدات التي تقال في ايام الترف ولكن علياً (ع) يبقى يصر فيقول له الرسول (ص) اختباراً : انه عمرو فيجيبه اجابة اطمئنان قلما يظفر التاريخ بذكر مثيل لها : وان كان عمرو!! وحينما يأذن له يخرج مسرعاً الى الميدان وهو يقول :

لا تعجلن فقد اتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فائز
اني لارجو أن اقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز[1]

ثم تدور معركة ما بين الاثنين سرعان ما تنتهي بقطع رأس عمرو بن عبد ود العامري لتخلف من بعدها ذهولا يتحول بسرعة البرق الى هزيمة شنيعة بصفها مسافع بن عبد مناف بن وهب الجمحي بقوله وهو يؤنب انصار عمرو :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيل تقاد له وخيل تنعل

(١) ابن عساكر في الترجمة ١ : ١٧٠ ـ ١٧١ وابن ابي الحديد في شرح النهج ١٩ : ٦٢ ـ ٦٣ .

اجلت فوارسه وغادر رهطه ركنا عظيما كان فيها اول
عجبا وان اعجب فقد ابصرته مهما تسوّم على عمر اينزل
لا تبعدن فقد اصبت بقتله ولقيت قبل الموت امر يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبرا عند القتال مخافة ان يقتل
وضرار كأن البأس منه محضرا ولى كما ولى اللئيم الاعزل

الى أن يقول :

فاذهب علي فما ظفرت بمثله فخرا ولا لاقيت مثل المعضل[1]

أما هبيرة المهزوم فتراه يخاطب الامام (ع) بقوله :

فعنك علي لا أرى مثل موقف وقفت على نجد المقدم كالفعل
فما ظفرت كفاك فخرا بمثله امنت به ما عشت من زلة النعل[2]

ومثل هذه المعاناة وهذه التضحية جعلته يسمو بها الى انها لو قيست بأعمال امة محمد (ص) بمجملها لرجحت عليها وفقا لحديث رسول الله (ص) :

لمبارزة علي بن ابي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من عمل امتي الى يوم القيامة[3] .

ثم تراه ثالثا يكرر نفس الموقف في غزوة حنين التي يصف الله موقفها العصيب بقوله :

﴿ ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً

(١) السيرة النبوية (م . س) ٢ : ٢٦٧ .
(٢) ن . م . ٢ : ٢٦٨ .
(٣) انظر تاريخ بغداد ١٣ : ١٨ (تحت الرقم ٦٩٧٨) وايضا الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٢ والحنفي في ارجح المطالب ٤٨١ والخوارزمي في المناقب ٥٨ وفي المقتل ٤٥ وقريب منه انظر شواهد التنزيل ٢ : ٥ وانظر ابن ابي الحديد ١٩ : ٦٠ ـ ٦١ .

وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ [1] .

وفي هذه الوقعة التي بدأت بهزيمة شنيعة للمسلمين كان عنصرها الاول المفاجأة التي استخدمتها كتائب هوازن التي كان يقودها مالك بن عوف والتي اثمرت عن انهزام بني سليم الذين كانوا يتقدمون جيش رسول الله (ص) بقيادة العباس بن مرداس السلمي ، ثم جرت الى انهزام بقية القبائل المقاتلة مع رسول الله (ص) ولم يبق معه الا علي وثلة من بني هاشم هم : العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ونوفل ابن الحارث وربيعة بن الحارث وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب والفضل بن العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب يضاف لهم الصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب المازنية وايمن ابن ام ايمن[2] هذا علاوة على ام سليم وزوجها ابي طلحة على بعض الروايات[3] وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي :

لم يواس النبي غير بني هاشم ... عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط ... فهم يهتفون بالناس اين
ثم قاموا مع النبي على الموت ... فأتوا زينا لنا غير شين
وسوى ايمن الامين من القوم ... شهيدا فاعتاض قرة عين[4]

اما الامام فأين كان في هذه اللحظات الحاسمة ؟

(١) سورة التوبة / الآية . ٢٥
(٢) البحار ٢١ : ١٥٠ نقلا عن اليعقوبي
(٣) فقه السيرة (م . س) ٣٨٦ ولم يذكر غير ما ذكرناه
(٤) البحار ٢١ : ١٥٦ .

يقول الفضل بن العباس (رض) ان اباه في خضم وقت الهزيمة افتقد علياً (ع) فتصور انه انهزم مع الناس فقال : شوهة بوهة (ادوات ذم) .

أفي مثل هذا الحال يرغب ابن ابي طالب بنفسه عن رسول الله (ص) وهو صاحب من هو صاحبه ؟ (يعني صاحب المواقف المشهورة) .

فقلت ـ اي الفضل : نقص قولك لابن اخيك يا ابه ـ اما تراه في الرعيل الاول ؟ اما تراه في الرهج ـ الغبار ـ ؟ .

فطلب مني أن ادليه عليه فقلت له :

ذو كذا ذو البردة فقال لي :
فما تلك البرقة (الوهج) .
قلت : سيفه يزيل به بين الاقران .
فقال : بربن بر فداه عم وخال
قال الفضل : فضرب علي يومئذ اربعين مبارزا كلهم يقده حتى انفه وكانت ضرباته بكسر (أي يضرب واحدة لا يثني عليه إذ في الواحدة كفاية)[1] .

وحينما نعلم ان يوم حنين لم يستطع احد ان يصل الى الرسول (ص) على الرغم من العدة الضخمة التي اعدها له اعداؤه ، فليس لسبب الا لتلك التضحية الرائعة التي نسج فصولها ابن ابي طالب (ع) حينما تقدم هو وثلة معه لا تتجاوز عدد اصابع اليد الواحد ليقابلوا زحف ثقيف وهوازن والذي عاد

(١) ن . م . ٢١ : ١٧٩ نقلا عن امالي الطوسي والتوضيح من الكاتب .

منكفئاً من نصر لهم الى هزيمة عليهم نقش سطورها الذهبية بتوفيق الله بطل بني هاشم وفدائي دين محمد (ص) .

ان هذه القصص وعشرات من مثيلتها دروسٌ رائعة في الانقياد وتقدم مداليل قيمة في هذا الشأن خصوصا اولئك الذين يتصورون انهم مدعوون للمحافظة على انفسهم وعدم الزج بها في المعتركات الجهادية خوف ان يقضى عليهم والامة لا زالت بعد في حاجة لهم .

اولئك الذين يتصورون ـ سذاجة او واقعا ـ أن لديهم اشياء يجب أن يعطوها للامة لذا فهم يحاذرون من الوصول الى عتبات المخاطر والاهوال خوف ان تحرم الامة من عطائهم .

الى هذه التصورات الساذجة والعقليات التي لم يتمرس فيها الايمان بالله بشكل جيد، نقدم هذه الدروس التي قدمها الامام (ع) كي يعوا حقيقة مستوياتهم وان لا يتخذوا من ذلك غطاء يبرروا به انهزاميتهم وتخلفهم عن ساحة الزحف الاسلامي المقدس .

فمما لا ريب ان كان لهذه التصورات ثمة مجال في الافكار والقيم الاسلامية ، فمن هو اولى من امير المؤمنين (ع) بامتلاكها وهو اعلم اصحاب رسول الله (ص) واعدلهم واشجعهم واكفأهم وافقههم و . . . الخ فلماذا لم يخبىء نفسه الى زمن ما بعد الرسول (ص)؟ ولماذا تراه في كل احوال حروبه وجهاده ومواقفه لا يخوض الا في الاخطار ، ولا تجده الا حيث توجد الاهوال ؟ .

والامام في كل ذلك ينطلق من عدة ابعاد عقائدية خصوصا تلك التي تتعلق بمفاهيم الجزاء ومفاهيم المسؤولية . إذ أن مفاهيم الجزاء ليست مرتبطة بالنتيجة التي يخلفها العمل بل على العكس مربوطة ببواعث هذا العمل ، الامر الذي يعني أن النتيجة لا ينظر لها مطلقاً في حسابات الاجر ،

حتى يمكن ان نقول بان النتيجة حينما تكون بعيدة نسبياً عن واقع العمل الحاضر،فان ذلك قد يوفر اجواء تسلب العمل قيمته في المرحلة الحاضرة ، فيما قد يكون العمل يضفي عليه قيمة اضافية اذا ما كان قريباً من النتيجة ، فتفكيرنا ليس تفكيراً ذرائعياً قائماً على حساب منفعة العمل وفقاً لما يستدر من نتائج ، بل ان تفكيرنا قائم اساساً على قاعدة العمل اولا سواءاً كان هذا العمل مؤدياً الى النتجية ام بعيدا عنها :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [1] .

﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [2] . .

أما الاجر والجزاء فهو مؤجل سواءاً أكان هذا التأجيل دنوياً ام اخروياً وعلى الرغم من ان القرآن تحدث مراراً عن الاجر والجزاء غير انه لم يتحدث في مرة واحدة عن ما يشعر بانه يولي النتيجة اهمية في تقييم الاعمال . ومن المؤكد ان هؤلاء الذين يتصورون مثل هذه التصورات سيعتبرون من السذاجة القول بأن آدم وسائر الانبياء (ع) كانوا مدعووين لذخر تجاربهم وطاقاتهم وارادتهم الى زمن الرسول (ص) باعتبار أن الحاجة لهم اكثر واكثر .

غير ان واقعهم من حيث المحتوى متشابه مع محتوى القول ومضمونه .

ومن خلال جملة من المضامين الشرعية يمكن القول بأن المفاهيم

---

(١) سورة التوبة / الآية : ١٠٥

(٢) سورة التوبة / الآية . ٩٤.

الاسلامية في هذا الخصوص تجعل الاصالة للباعث أولاً ومن ثم للعمل ثانياً . على ان ذلك يجب ان لا يكون مدعاة للقول بان الاسلام ضد التخطيط في العمل ، لان مرادنا هنا ليس هو هذا بل ان كل ما ينبغي قوله هنا هو ان الاسلام طلب من الانسان ان يعمل واكد عليه ان لا ينتظر النتيجة المباشرة لعمله مشعراً اياه ان هذا العمل قد يفضي الى نتائجه المطلوبة بعد عدة اجيال في الوقت الذي يكون هو فيه قد غادر الساحة الزمنية .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان السنة الابدية التي جرت عليها الحياة البشرية تأخذ موقعها الحساس والجوهري في هذا المجال ، فبما ان النفس الانسانية تعي انها في لحظة من لحظات الحياة القريبة او البعيدة سوف تموت : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [1] .

دون فرق في ذلك بين طبائع الناس أو هوياتهم ، كما ان هذا الموت يأتي في وقته المحدد دون زيادة او نقصان حتى ان حاول الانسان المستحيل لمنع حدوثه :

﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ [2] .

ووفقاً لذلك فقد أكدت المفاهيم الاسلامية ان هذه الحياة ما هي الا حياة من اجل العمل وبذل الجهد وان الحساب على هذا العمل سلباً كان أو ايجابا ثواباً أوعقابا ،سوف يأتي بعد ختام هذه الحياة وبدء مرحلة الموت وما بعده . وبما ان الانسان لا يعلم بموعد موته ، لهذا فقد وظف القرآن والسنة اجزاء مهمة من مهمتهما لجعل الموت والمعاد بمثابة هاجس دائمي يدفع بالانسان باتجاه العمل الى مستوى نجد فيه بعض الاحاديث تطالب الانسان

(١) سورة آل عمران / الآية: ١٨٥ .سورة الانبياء/ الآية : ٣٥العنكبوت / الآية :٥٧ .

(٢) سورة النساء / الآية : ٧٨

أن يستمثر حتى اخر لحظة من لحظات عمره في سبيل تحقيق عمل اكثر . ومثل هذا التأكيد الذي لا نحتاج الى بذل جهد من اجل ان نعثر على مظاهره في متون الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة ، بحد ذاته يرد على هذه التصورات المريضة . فهل تيقن هؤلاء أن بادخارهم لما يسمى بجهودهم وانفسهم الى المراحل الاصعب عن حياة الامة انهم سوف يظلون الى تلك المرحلة ؟ .

وهل حصل احدهم على صك خاص بالبقاء يضمن له طول الحياة للمرحلة القادمة ؟ .

بل هل ملك احدهم نفسه أن يظل لغده ؟ .

انه تصور مجانف لحقائق بسيطة من حقائق الايمان ،غير انه وللاسف يسري في مرحلتنا المعاصرة في اوساط العديدين الذين يشخصون في أنفسهم كفاءات وملاكات غير عادية .

ومن جانب ثالث فان مثل هذه التصورات تبتعد عن بديهية موضوعية من بديهيات العمل وهي مسألة الاسبقية في تحمل المسؤولية . إذ أن هذه المسألة تضفي على ذات العمل قيمة مضافة هي التي أشارت اليها الآية الكريمة :

﴿ **والسابقون السابقون، اولئك المقربون** ﴾ [1] .

فالعمل التكراري أو الكمي عادة ما يحظى بقيمة هي اقل بكثير مما يحظى به العمل النوعي او الابتكاري ، فالقرآن نراه يمجد كثيراً بحالة تصدق الامام (ع) بخاتمه اثناء الركوع ، غير انه لا يتحدث بمثل هذا

(١) سورة الواقعة / الآية : ١٠ ـ ١١ .

التمجيد عن حوادث اخرى تفوق قيمة ما تصدق به امير المؤمنين (ع) اضعافا مضاعفة، كصدقات عثمان وعبد الرحمن بن عوف وامثالهما. ومما لا شك فيه ان واحداً من الاسباب التي أدت الى ذلك يعود الى الاسبقية في هذا الاتجاه وفي هذا اللون من التصدق .

٣ : التأسي والاقتداء :

لاحظنا في ظاهرة الطاعة والتسليم المطلق كيف يتلون سلوك أمير المؤمنين (ع) مع تلون أوامر الرسول (ص) فيغدو مطيعاً بشكل يثير الاعجاب والدهشة ويضحي مسلماً بشكل يبعث على فغر الأفواه وحبس الانفاس . غير ان حياة الرسول (ص) لم تكن كلها اوامر حتى تكون حياة الامام علي (ع) كلها اطاعة وتسليم ، وانما احتلت هذه الخاصية جانباً من جوانب شخصية امير المؤمنين (ع) بالقدر الذي احتلت اوامر الرسول (ص) جانباً من جوانب حياته (ص) .

كما اننا رأينا في ظاهرة التضحية سمو الامام (ع) في المواقف المحرجة والمآزق الشديدة التي كانت تستدعي المغامرة بحياته وبروحه من اجل حفظ الاسلام ورسوله (ص)، تلك المغامرة التي استدرت المدح والثناء من اعدائه قبل أن ينطق بها أصحابه وانصاره . الا انه من الواضح ان حياة الرسول (ص) لم تكن كلها محفوفة بتلك المخاطر . الامر الذي يعني ان الصورة التي رسمتها حوادث هاتين الظاهرتين عن سلوكية الانقياد عند امير المؤمنين (ع) تبقى غير مكتملة . وهذا ما يدعونا الى أن نتعرف على ظاهرة اخرى من شأنها ان توضح جزءاً مما تبقى من هذه الصورة . وهذه الظاهرة هي ظاهرة التأسي والاقتداء ، والتي تمثل بدورها شموخاً يندر العثور على مثيل له في مظاهر انقياد

الامة وروادها الى قيادتهم العليا إذ انه من المعتاد ان تكون مظاهر الانقياد متجلية في العمل الاجتماعي ، اي في تطبيق اوامر القيادة وتوجيهاتها على صعيد التحرك الاجتماعي . أما أن تنتقل الى السلوكية الذاتية لتكون انعكاساً حقيقياً لسلوكية القائد فهي حالة من النادر العثور عليها في صفحات التأريخ . ولكن هذه الغرابة التي تتمخض من خلال هذه الظاهرة ترتفع حينما يكون نموذج الانقياد هو امير المؤمنين(ع) الذي ينظر الى قائده (ص) بمنظار يوضحه لاحد اصحابه حينما يقول له :

> فتأس بنبيك الاطيب الاطهر (صلى الله عليه وآله) فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره . [1] .

ففي عبادته تجده صورة حية لما كانت عليه عبادة الرسول (ص) وفي سلوكه الاخلاقي تجد فيه سلوك رسول الله (ص) ومثل ذلك تجده في كرمه وعدله ، في احسانه ولطفه ، في اخلاقه العائلية كما في اخلاقه الاجتماعية . ولن اطنب هنا بذكر الامثلة على ذلك فرجوع بسيط الى الكتب التي ترجمت حياته (ع) تعطينا انطباعاً تاماً عن ذلك . ولكن حيث انه لا بد من الاستشهاد ببعض الامثلة لنلحظ الامير (ع) اذن وهو يقتفي اثر رسول الله (ص) في عبادته ونزوعه نحو السمو والكمال إذ يحدث ابو الدرداء عن ذلك فيقول انه قد شهد الامام (ع) وهو منزو عن مواليه مختفياً عنهم بين احراش ونخيل لا يرى احداً ولا يراه أحد فاتبعه

---

(١) نهج البلاغة (م . س) ٢٢٧ ـ ٢٢٨ الخطبة ١٦٠ .

غير أن الامام (ع) بعد عنه فظن انه قد ذهب الى منزله فبينما هو منشغلٌ في البحث عن الامام سمع صوتاً حزيناً وبنغمة شجية وهو يقول :

الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك وكم
من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، الهي ان
طال في عصيانك عمري وعظم الصحف ذنبي فما
انا مؤمل غير عفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك . .

يقول ابو الدرداء بأنه حينما سمع ذلك انشغل بالصوت عن البحث عن امير المؤمنين (ع)، مما دفعه الى تعقيب الصوت تكتنفه مشاعر واحاسيس هي مزيج من الفضول وحب التطلع . غير أنه وجد أن صاحب الصوت لم يكن غير الامام (ع)، فاستتر خلف نخيلة كانت هناك كي لا يراه الامام (ع) فيقطع عبادته . اما الامام فقد استمر على حاله منقطعاً الى الله يخاطبه خطاب من اقترف الذنوب العظام ويبكي بكاء النادم على كثير من الآثام وكل ذلك في وهدة من الليل ونأي عن الناس ، هذا على الرغم من أنه المعصوم عن ارتكاب أي اثم والمطهر من التلوث بأي ذنب ، من هذا الواقع يقتطع لنا ابو الدرداء هذه الصورة بقوله عن فعل الامام (ع) في تلك اللحظات :

فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فرغ الى الدعاء والبكاء والنيب والشكوى فكان مما ناجى به الله ان قال : الهي افكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي . . آه ان انا قرأت في الصحف سيئة انا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول : خذوه . . فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته . . آه من نار تنضج الاكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من

غمرة من ملهبات لظى . . .

بعد هذه المناجات ينغمر الامام (ع) في بكاء شديد ثم ينخفض صوته شيئاً فشيئاً فيعم الوجود سكوت وسكون لا يبدده غير تصاعد انفاس أبي الدرداء الذي ظن لاول الامر أن الامام (ع) قد غلب عليه النعاس غير ان حيان موعد صلاة الفجر دفعت به الى أن يعمد الى محاولة ايقاظ الامام (ع)فاذا به يجده كالخشبة الملقاه لا تتحرك ان حركها احد،فتصور أن الامام (ع) قد قضى نحبه فركض هلعا الى بيت الامام (ع) ينعاه اليهم ، ولكن أهل البيت كانوا يعرفون طبيعة حال الامام فأخبرته فاطمة (ع) قائلة :

هي والله يا ابا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله . . [1] . .

ان هذا النوع من انواع الانقطاع الى الله إذ يمثل درجة رائعة من درجات العلاقة مع الله فانه في نفس الوقت يعكس مدى تأسي واقتداء الامام (ع) بالرسول (ص) اذ أن مثل ذلك هو في الواقع تصوير تقريبي لما كانت عليه حالة العبادة عند الرسول (ص) .

ولئن يلحظ الانسان أن الرسول (ص) لم يكن في يوم من الايام ذا علاقة بالدنيا لذاتها فان نفس هذا الشيء يلحظه عند تلميذه الوفي الذي اشتهر القول عنه في وصف الدنيا حتى غدا منارا لكل العارفين ومصبى امل لكل العاشقين لله :

يا دنيا غري غيري ، الي تعرضت ام الي تشوقت ،
هيهات هيهات ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ،

(١) بحار الانوار ٤١ : ١١ ـ ١٢ .

فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير. آه..
من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق[1].

ولقد كان لشدة تشبهه بالرسول (ص) أن الفضل بن العباس بن عبد المطلب قال :

سألت ابي عن ولد رسول الله الذكور أيهم كان لرسول الله (ص) له أشد حباً ؟
فقال : علي بن أبي طالب (ع).
فقلت له : سألتك عن بنيه .

فقال : انه كان احب اليه من بنيه جميعا وارأف ، ما رأيناه زايله يوما من الدهر منذ كان طفلا الا أن يكون في سفر لخديجة ، وما رأينا ابا ابر بابن منه لعلي ، ولا أبنَ أطوع لاب من علي له.. [1].

ولعل في قصة الامام مع سويد بن غفلة ما يمكنه ان يظهر لنا مدى تعلقه بمسألة التأسي والاقتداء لرسول الله (ص)، إذ يقول سويد :

دخلت على علي (ع) بالكوفة وبين يديه رغيف من شعير وقدح من لبن والرغيف يابس. فشق عليّ ذلك.

فقلت لجارية له يقال لها فضة : الا ترحمين هذا الشيخ وتنخلين له هذا الشعير؟.

فقالت : انه عهد الينا الا ننخل له طعاما قط...

(١) انظر تذكرة الخواص (م. س) ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) البحار ٣٨ : ٣٢٣.

فالتفت الامام الي وقال : ما تقول لها يا ابن غفلة، فأخبرته.. وقلت : ـ يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك .

فقال لي : ويحك يا سويد ؟ ما شبع رسول الله (ص) من خبز بر ثلاثا تباعا حتى لقي الله ، ولا نخل له طعام قط[1].

(١) تذكرة الخواص ص١٢٠ لسبط بن الجوزي .

٤ ـ التبني لمشاريع القيادة :

في كل ما مر من ظواهر سلوكية الانقياد لدى الامام امير المؤمنين (ع) تظهر بنحو أو بآخر مدى تبني الامام لافكار ومشاريع وسلوكيات الرسول (ص) . وهو الامر الذي يشكل بحد ذاته ظاهرة اخرى من ظواهر سلوكية الانقياد لدى انسان حزب الله . وهي ظاهرة التبني لمشاريع القيادة الاسلامية بالشكل الذي يكون معه المشروع القيادي مشروعاً لا يختص بالقائد، وانما يمتد الى عموم فئات الامة حتى يغدو هم مسؤولية هذا المشروع هما يشترك بأعبائه كل اركان التحرك الاسلامي ابتداء من القائد وانتهاء بآخر الفئات الاجتماعية . وذلك لانه يعلم أن المشروع القيادي اذا لم تتحمله كل فئات الامة وبالشكل الذي يغدو فيه هماً اساسياً من همومها فان القيادة مهما كانت ملكاتها وصفاتها فانها لا يمكنها ان تحقق امتدادا جماهيرياً لاهداف تحركها واسناداً شعبياً لدعم سعيها نحو تحقيق هذه الاهداف، ومن خلال سلوكية الامام (ع) مع الرسول (ص) فان مما يبدو فيه ان الامام يسعى لان تكون ظاهرة التبني شاملة لكل ما يصدر عن القيادة، سيان في ذلك الشيء الصغير والشيء الكبير . فقد يمكن القول بان حمل هم اشاعة صلاة الليل في وسط الامة من الامور الصغيرة ازاء المسائل الكبيرة من قبيل مسائل الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و. . الخ غير ان هذا الامر

حينما يكون مشروعاً قيادياً من اجل تربية الامة واعداد نفسيتها بالشكل الذي تكون فيه بواعث اعمالها تنطلق من قواعد خيرة وأسس صالحة. حين ذاك نجد سلوكية التبني عند الامام لمثل هذا المشروع كما يحدث الامام (ع) ابن الكواء عن ذلك حيث يقول :

ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله : صلاة الليل نور.
فقال ابن الكواء : ولا ليلة الهرير ؟
قال : ولا ليلة الهرير. . [1] .

والذي يتمعن في ما تعنيه صلاة الليل في ليلة الهرير اثناء معركة صفين يمكنه ان يعرف أي مدى ذهب اليه الامام (ع) في تبنيه لمسائل ومشاريع القيادة الاسلامية . وهو في ذلك حريص كل الحرص على ان يبين لنا سلوكية حزب الله ومواصفات الانسان المنتمي له . وما اجدرنا في اتباعه بذلك فهو الانسان الذي جعل الرسول (ص) سلوكيته واخلاقه منهاجاً لكل حزب الهي حيث قال له : لولا أنت لم يعرف حزب الله .

* * *

وليست هذه الظواهر هي وحدها التي تتمحور حولها حقوق القيادة وواجبات الانقياد، بل ان هناك العديد من المظاهر الاخرى التي يمكن أن نستلهمها مما سبق بشكل أو بآخر كمسألة الاخلاص في الولاء والصدق في التعامل والتصديق، وقد اجلنا الحديث فيها الى القسم الآخر باعتبار انها مطلوبة لدى القائد والمنقاد .

* * *

(١) البحار ٤١ : ١٧ .

القسم الثاني

واجبات القائد وشروطه

العلاقة بين القيادة والقاعدة عادة ما تكون مشابهة الى حد بعيد بالمعادلة الطردية التي كلما اقبل احد طرفيها اقبل معه الطرف الآخر وكلما أدبر الاول أدبر الثاني . فالقيادة كلما وفرت من الشروط التي لا بد للقائد من الالتزام بها وتوفيرها في ذاته وفي عمله وسلوكه ، كلما كانت القاعدة اكثر استعداداً لاتباعها . وعادة ما نجد الامر على العكس فكلما تقاعست القاعدة كلما دفعت القيادة الى التقاعس ، او كلما تسامحت القيادة في ايجاد الشروط القيادية كلما كانت القاعدة متسامحة في اتباعها لمثل هذه القيادة . ولكن حينما نلحظ السلوكية القيادية لدى الامام أمير المؤمنين (ع) فاننا يمكننا ان نقول باننا نعثر على واحد من اندر النماذج القيادية في التاريخ ولعله يعد فريداً من نوعه . فعلى الرغم من قدرة الامام الشرعية والموضوعية على إبراز مؤهلاته القيادية أمام الامة وهو الامر الذي ساهم فيه الولي الشرعي على هذه الامة وهو الرسول (ص) ـ كما عرفنا ذلك من قبل ـ وعلى الرغم من احساس الامة انه يتميز بالفعل بكافة المؤهلات القيادية وانه لا يعدله في ذلك أي شخصية صحابية اخرى ، وعلى الرغم من أن كل ذلك قد جوبه بصدود جعلته بعيداً عن ممارسة الحكم بعد رسول الله (ص) ، غير انه ظل يمارس واجباته القيادية بشكل او بآخر من دون ان ينزوي بعيداً عن الامة ، وقد ظل يبرهن خلال هذه الفترة حرصه على تحقق اهداف

المسيرة الاسلامية ، وحينما كان المجتمع يتعرض لخطر خارجي كان يبادر بشكل أو بآخر للاسهام في انقاذ المجتمع من هذا الخطر ، وكل هذه المسائل ان برهنت على شيء فهي تبرهن على خصوصية مناقبية تمتاز بها القيادة الاسلامية دون غيرها من القيادات . ولعل طبيعة المفاهيم والمعايير التي ابتنيت عليها القيادة الاسلامية هي التي أفرزت مثل هذه الخصوصية التي نراها متجلية في فهم القيادة لدورها كتكليف ومسؤولية لا تشريف وتسلق على اكتاف الآخرين من اجل الهروب من اداء حق المسؤولية وتحمل تبعاتها . والذي يطالع فكر الامام وتصرفاته يجد مثل هذه الظاهرة متجلية بوضوح فهو لا يرى الممارسة القيادية او المناصب القيادية ، او كل شيء يترتب على اعتلاء منصب القيادة ما يمكن أن يكون داعياً للشرف او الفخر او التقاعس عن ممارسة المسؤوليات الثقيلة . بل على العكس تماماً فممارسة القيادة باديء ذي بدء تكليف شرعي لا مناص منه . وهذا التكليف انما وضع فمن اجل تحقيق اهداف المسيرة الاسلامية ، وعملية التحقيق هذه لا يمكن أن تتم إلا من خلال التحمل الكامل للمسؤولية وحمل اعبائها بشكل جدي ، اما من لا يتمتع بمثل هذه الخصيصة فليس له اي مكان في هذا المقام . ويمكننا أن نقول بكلمة اخرى ان المجتمع اذا مثلناه بالهرم وافترضنا ان من يعتلي قمة الهرم الاجتماعي هو قائده فان الاسلام يرى ان القرب من الهرم او البعد عنه يتناسب تناسباً طردياً تماماً مع تحمل المسؤولية او التخلف عنها ، ولدينا الكثير من المحاور القيادية في التاريخ الاسلامي قد انحدرت الى اسفل الهرم وغدت يشار اليها كما يشار الى عوام الناس نتيجة لتخلفها عن اداء المسؤولية ، كما أننا نمتلك العديد من الشخصيات التي سرعان ما اعتلت مراتب متقدمة في الهرم الاجتماعي بعد أن كانت تعيش ضمن اطار عوام الناس ، غير انها بتحملها لاعباء المسؤولية ولتقدمها في ميدان العمل والعطاء للامة ولاهداف رسالتها اعتلت تلك المناصب والمراتب .

ويمكننا ان نتعرف على طبيعة ما يراه الامام في ذلك من خلال حديثه مع عبد الله بن عباس (رض) عن طبيعة المعايير التي يجب ان تقوم عليها القيادة . فحينما يدخل عليه ابن عباس ويجده يخصف نعله يبادره الامام بالقول : ما قيمة هذا النعل ؟ .

فيجيبه ابن عباس : لا قيمة لها .

حينها يقول له الامام عليه السلام :

والله لهي احب الي من امرتكم ، الا ان اقيم حقا أو ادفع باطلاً[1] .

فالمعيار الاساسي هو المسؤولية وبانتفاء هذا المعيار القيادي في نظر الامام (ع) لا تساوي حتى قيمة نعل عتيق !! .

ونراه يؤكد هذا المعنى في دعائه عليه السلام :

اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك . .[2] .

وكذلك في قوله (ع) عن مستحقي القيادة :

أيها الناس ان أحق الناس بهذا الامر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه . .[3] .

---

(١) انظر نهج البلاغة ٧٦ الخطبة ٣٣ .

(٢) ن . م ١٨٩ الكلام ١٣١

(٣) ن . م ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ الخطبة ١٧٣

ولعلنا ان سبرنا اغوار حياة الامام عليه السلام وقلبنا صفحات تاريخه المشرق لوجدنا ان عمله في ذلك قد سبق قوله ، وسلوكه قد تقدم على نطقه ، وليس في الامر ثمة غرابة فهو الذي كان يخاطب الناس بهذا القسم :

ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها . .[1] . .

وهو بناء على هذه المناقبية العالية يرسم لنا دستوراً عظيماً في واجبات القيادة وحقوق الانقياد وفي الظواهر المنتخبه من سلوكه وفكره التالية ما فيه درس لقائد . . . ، وهداية لمنقاد . . . .

---

(١) ن . م ٢٥٠ الخطبة ١٧٥ .

١ ـ المبادرة :

التخلص من رتابة العمل في أي ساحة يعتبر من اهم المشاكل التي تعترض ادارة وقيادة هذه الساحة . فساحة العمل حينما يكون العمل فيها قد اتخذ نسقاً واحداً في الطول والعرض ، فان هذا النسق سرعان ما يعكس جملة من الاثار والمترتبات على النفسية العامة التي تعيشها مثل هذه الساحة .

وهذه الآثار كلما تنامى عمر هذا النسق كلما تجذرت وتعمقت بشكل يكون من الصعب تغييرها وبالتالي فان ادارة العمل الجادة نحو تحقيق اهداف هذه الساحة ، يفترض بها ان تكون في مواجهة دائمة ومستمرة مع هذه الاثار والمترتبات ، خصوصاً اذا كانت هذه الادارة ليست هي الوحيدة التي تمتلك القرار والتأثير فيه .

فمثلاً لو افترضنا ان نسق العمل في الساحة الاسلامية في يوم ما ، هو العمل الثوري الهائج ، فان هذا النسق سيخلق حالة معنوية تتناغم أوتارها مع طبيعة هذا النوع من العمل . فيما نجد انه يخلق طبيعة معينة تتحكم في اتجاهات السلوك في هذه الساحة . وازاء ذلك فان من يريد ان ينقل ساحة كهذه من هذه المرحلة الى مرحلة اخرى ـ تقدماً أو تأخراً ، وطولاً أو عرضاً ـ فانه من البديهي سوف يواجه جملة من المشاكل والازمات يعود قسم منها الى كيفية اقناع هذه الساحة بالانتقال

الى المرحلة الجديدة ، وآخر يتعلق بكيفية الوصول الى متطلبات هذه المرحلة ، وثالث يرتبط في كيفية التخلص من الاثار الناجمة من المرحلة السابقة والتي لا تتناسب مع المرحلة الجديدة . . الخ .

وفي حالة من هذا القبيل فان مثل هذه المشاكل قد تتضاعف في هذه الساحة اذا ما كانت عوامل التأثير سلباً على القرار القيادي فاعلة كعوامل الزمن والطاغوت وما الى ذلك ، وتتخذ اشكالاً اكثر تعقيداً واستعصاء . الامر الذي يجعل شكل المبادرة التي يفترض بادارة العمل في هذه الساحة أن تتخذها لكي تلبي حاجات ذلك ، تحتاج الى الكثير من الدقة ، كي لا تؤدي الى مضاعفة الازمات في هذه الساحة .

هذا من جهة . . . .

ومن جهة اخرى فان من طبيعة الساحة التي عاشت نسقاً واحداً من العمل لفترة طويلة واعتادت عليه ، ان يختلط فيها الهدف العام بالهدف الخاص ، فيتحول الهدف الخاص بالنتيجة الى هدف عام رئيسي فيما تزداد حالة الضبابية والغموض تغطية للهدف الاساسي الاصلي ، وفي احسن الحالات فان ساحة من هذا القبيل تبقى تعيش الهدف الاصلي ، وفي احسن الحالات فان ساحة من هذا القبيل تبقى تعيش الهدف الاصلي على مستوى النظرية والطموح ليس الا . اما كل الوسائل العملية والجهود المعنوية فانها توظف من اجل ارواء حاجات الهدف الخاص في أحسن الحالات . هذا اذا لم نقل بأن مثل هذه الوسائل وتلك الجهود مكرسة بشكل عملي :

للهياكل والنظم الاجتماعية الاقتصادية والسياسية القائمة في الاطار القومي ـ الرأسمالي أو الشيوعي (أو أي شكل طاغوتي آخر) والذي يرعاه الغرب ويؤيده ،

في حين ان الاسلام يتطلب التكريس التام لجميع الموارد ، فان ما نقدمه للاسلام هو : وقت فراغنا والفائض من جهودنا أو مواردنا الهامشية لا غير[1] . . .

وهذا الامر اذا ما تطور او تعقد بشكل اكبر فانه قد يؤدي الى ضياع الهدف العام الاكبر كلية[2]، وعليه فان هذه الساحة لا خلاص لها الا من خلال الحرص على اتخاذ جملة من الاجراءات والممارسات التي تجعل الهدف العام والاساسي يعيش وضوحاً دائمياً في ارجاء الساحة . وهو ما يعني ان المبادرة التي يفترض قيام القيادة بها لا ينبغي ان تأتي وهي تخلو عن ملاحظة الهدف . أي أن لا تأتي من اجل ذاتها بل يجب أن تتسم بالهدفية القصد . . .

---

(١) انظر . الحركة الاسلامية قضايا واهداف ص٢٨ ـ٢٩ للدكتور كليم صديقي . ترجمة ظفر الاسلام خان المعهد الاسلامي في لندن ١٩٨١ . والاضافة من المؤلف .

(٢) من المناسب الاشارة الى أن معظم المسيرات التي انحرفت من دون قصد او وعي في بادىء الامر عن اهدافها الاصلية قد بدأ انحرافها من هذه المحطة . فالانحراف الذي يقول بانه ولد هذا الواقع اما أن يتم بفعل عوامل ذاتية خاصة بنفس المسيرة لفقدان الوعي الكافي أو لعقلة القيادة ، وأما بفعل عوامل خارجية معادية . فالعدو الذي يهمه دوما ان يشغل هدف هذه المسيرة او تلك الى هدف اقل تهديدا لمصالحه ومواقعه ، او عديم التهديد كلية لا يمكنه امام حالة هجومية تدافعية تتمثل بديمومة بقاء المسيرة في حالة ثائرة متعطشة لتحقيق هدفها الاصلي ان يمتلك القدرة على الهجوم ـ في العادة ـ بل يكون غالباً في موضع دفاعي ، ولكنه ـ اي العدو ـ يتمكن بسهولة من التغلغل في ارجاء هذه المسيرة او تلك اذا ما اتسمت حركة المسيرة بالسكون او الرتابة أو أن هذه الحركة غدت حركة افقية قياساً الى الهدف الاصلي لها، لانه والحالة هذه يمتلك القدرة على التفكير والتخطيط للمواجهة ، في حين انه مسلوب القدرة على ذلك في الحالة الاولى .

وعلى اي حال فان عامل المبادرة في الانتقال بالساحة من موقع لآخر يبقى واحداً من اهم عوامل نجاح القيادة .

فالساحة حينما تجد ان عملها الحاضر قد استوعب كامل الهدف الذي كانت تسعى اليه في السابق ، فانها تكون بأمس الحاجة الى القيادة التي تنقلها من هذا الهدف الى هدف اكثر تقدماً من خلال عملية المبادرة لسحب عمل الساحة من موضعه لنقاط اكثر تقدماً .

وكذلك فان العمل قد يصل في مرحلة الى نقطة متقدمة غير أن الحالات الطارئة غير المتوقعة أو غير القابلة للاستيعاب ، تستدعي ضرورة التراجع الى نقاط خلفية او الانتقال الموضعي في نقاط الخط الافقي المقابل للهدف ، وذلك من اجل الحفاظ على المسيرة التي من شأن سلامتها أن يبقى الهدف قابلاً للتحقيق .

وبناء على ذلك يمكننا ان نقرر الحقيقة التالية وهي :

أن المبادرة تعد من أبرز العناصر التي يجب توفرها في المحور القيادي . ولا يمكن تصور قيادة من دون أن يتوفر فيها عنصر المبادرة . فاذا ما صح ان واحدة من اهم وظائف القيادة هي تحريك المجموعة المنقادة نحو هدفها الخاص او العام ،فان وظيفة كهذه لا يمكن تحققها الا من خلال توفر قدرة حقيقية على اتخاذ المبادرات التي من شأنها ان تنقل العمل من الصفة التكرارية والكمية الرتيبة الى الصفة النوعية التحريكية الساثرة نحو الهدف والمحافظة على امكانية تحقيقه .

وازاء جميع ذلك . . . ترى ما هو رصيد الامام علي (ع) من كل ذلك ؟ ان مطالعة أقواله ، وقراءة أفكاره ، ومتابعة قراراته ترشدنا الى أنه كان رجل المبادرة الاول وضمن الصعيدين النظري والتطبيقي ، وتدلنا مبادراته على حرصه العظيم على الرسالة الاسلامية واهدافها المقدسة .

ولقد كان بودي هنا استقصاء مبادراته السياسية لكي يتسنى لنا رؤية أفضل لمتابعاته للهدف الذي تطمح لتحقيقه الرسالة الاسلامية ـ آنذاك ـ سواءا أكان ذلك ضمن انسحاباته ـ اذا صح التعبير ـ بعد حادثة السقيفة ، أم ضمن سعيه لسحب حركة الامة نحو الامام . غير أن محدودية المجال ومنهجية البحث هنا تحول دون ذلك أملاً تحقق ذلك في كتابنا الثاني عن أمير المؤمنين (ع) والذي سيتكفل الحديث عن حياته السياسية بعون الله . . .

على الصعيد التنظيري فان كلمات الامام (ع) تشير الى انه يولي عنصر المبادرة اهمية خاصة سواء على مستوى تحركه القيادي ، أو على مستوى وصاياه للمحاور القيادية الثانوية اثناء تحركها في الوسط الجماهيري ، والاجتماعي ، ففي قوله (ع) :

> فرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير[1].

نجد الامام (ع) يشير الى المعادلة التي تحكم القيادة التي تتخلف عن المبادرة ، فهي حين لا تبادر تصاب بالحرمان والخيبة والحسران . ولهذا فان أفضل طريق للتخلص من ذلك هو انتهاز فرص الخير واستثمارها للخروج بمبادرة من شأنها أن تؤدي الى حصول تقدم في الحركة القيادية .

والإمام (ع) باشارته الى ضرورة اغتنام كل فرصة وعدم تضييعها ، وحينما نراه يشجب ويدين أي تردد أو تلكؤ أو تهاون في التعامل مع الاحداث ، فانه يشير الى واحد من أهم عناصر المبادرة

(١) نهج البلاغة ٤٧١ ح ٢١

القيادية ،وهو عنصر الاقدام وعدم الفرار من الحدث بل واقتحامه . ومثل هذه المعاني اشار اليها الامام (ع) في العديد من الاحيان . ففي وصيته للامام الحسن (ع) التي كتبها اثناء توجهه الى صفين قال له : بادر الفرصة قبل أن تكون غصة[1].

وفي كتابه الى كميل بن زياد النخعي (رض) عامله على هيت قال له :

> اما بعد ، فان تضييع المرء ما ولى ، وتكلفه ما كفى لعجز حاضر ورأي متبر . [2].

وفي كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري (رض) عامله على البصرة قال له : لو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت اليها[3] .

وهو حين يرى الفرصة يانعة والظروف مهيأة يدعو الامة للاقتداء به ومتابعته في مبادرته التي اتخذها هو والتي كانت تتمثل في جهاد المحلين . ونجده يحذر الامة من عواقب عدم نجاح هذه المبادرة . ففي كتابه الى أهالي مصر حينما ولى عليها مالك الاشتر (رض) خاطب الامة قائلا :

> انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف ـ اي تعترفوا بالضيم ـ تبوؤا بالذل ـ اي يعود اليكم الذل ـ ويكون نصيبكم

(١) ن . م ٤٠٢ ك ٣١ .
(٢) ن . م ٤٥٠ ك ٦١ والرأي المتبر هو الرأي الذي يهلك صاحبه ، وهي كلمة وردت في القرآن : تبره تتبيرا
(٣) ن . م ٤١٨ ك ٤٥

الاخس ـ الادنى ـ وإن أخا الحرب الارق ـ من لا ينام ـ ومن نام لم ينم عنه[1] .

ان الامام (ع) إذ نجد منه كل هذا التأكيد على توفير عامل المبادرة في القيادة فانه يقيد ذلك بجملة من القيود التي من شأنها أن تجعل أية مبادرة ، مبادرة ناجحة ومثمرة ، فهو يرى اولاً أن المبادرة يجب ان تأتي في وقتها وفي ظروفها المشجعة ، أما اذا لم يحن وقتها ، او كانت ظروفها غير مهيأة ، أو حدوث حالات طارئة قد تستدعي الانتقال من موضع الى موضع آخر ، فانه يأمر بالتوقف ريثما تتبدل هذه الظروف ففي عهده الى مالك الاشتر (ر ض) نجده يخاطبه بذلك :

ايـاك والعجلة بالامـور قبـل ادائهـا ، او التسقط ـ التهـاون ـ فيهـا عنـد مكـانهـا ، أو اللجاجـة ـ الاصرار ـ فيها اذا تنكرت ـ لم يعرف موضعها ـ أو الـوهن عنها اذا استـوضحت . فضع كـل أمـر موضعه ، واوقع كل أمر موقعه[2] .

كما انه يؤكد على أن المبادرة يجب أن تأتي بقدر الامكانات المتاحة لدى القائد ، وتهدف لتحقيق تقدم بامكان الامة أن تستوعبه ولو بشكل بدائي في أول الامر . ففي وصية للامام الحسن (ع) كتب له يقول :

واعلم ان امامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة ، وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد ـ

(١) ن . م ٤٥٢ ك٦٢ .
(٢) ن . م ٤٤٤ ك٥٣

حسن ابتيانه من وجهه ـ وقدر بلاغك ـ الكفاية ـ من الزاد مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك[1] . .

فالفرص قد تأتي بشكل جيد ، والمبادرة قد تنخذ ، ولكنها على أي حال يجب أن تبقى مقيدة بمقدار الاستعداد لاستيعابها ، فحجم المبادرة اذا ما كان اكبر مما يسمح به واقع الامة والقائد ، قد يترك اثاراً سلبية قد لا تقل عن الآثار التي تنجم عن عدم المبادرة ، وهو لذلك نجده يحذر دوماً من ترك التهيؤ حتى اذا ما جاءت الفرصة أمكن الاستفادة منها بشكل أكبر ، وبما أن المبادرة تقوم في احد أسسها على عنصر المغامرة ، فانه يرى أن التهيؤ يقلل الاحتمالات السلبية لهذا العنصر أو يخففها على الاقل . فهو يقول للامام الحسن (عليه السلام) :

واعلم أن امامك عقبة كؤوداً ـ صعبة الاجتياز ـ المخف فيها أحسن حالاً من المثقل ، والمبطىء عليها انجح حالاً من المسرع ، وان مهبطك بها لا محالة اما على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ووطىء المنزل قبل حلولك . .[2] . .

ولان عنصر المغامرة يبقى يهدد القائد ويحذره ، فانه عليه اثناء تفكيره باتخاذ المبادرة ان يولي الاحتمالات السلبية اهميتها التي تستحقها فيهيء نفسه اليها ، فليس كل من اتخذ مبادرة كان النجاح نصيبه بل :

(١) ن . م ٣٩٨ ك٣١ .
(٢) ن . م ٣٩٨ ك٣١ .

انه رب طلب قد جر الى حرب ، فليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم[1] . .

ولهذا فان المبادرة قرنت بالاستعداد قبلها ولما بعدها تحينا للفرص وتأهباً لحجمها ، وتهيؤاً لمخاطرها ومزالقها .

هذا على صعيد الطرح النظري ، اما على صعيد السلوكية العملية فان مبادراته متعددة جداً ، وليس في نيتنا هنا الاطناب ، بل سنأخذ موقفه من قضية البيعة للخليفة الاول كمصداق على ذلك باعتبار أن فيها عدة مفاهيم تدخل بشكل أو بآخر برسم آفاق المبادرة . فكما هو معلوم انه رفض البيعة منذ البداية معتبراً اياها عملاً غير شرعي ينطوي على مخالفة جوهرية لتعاليم الرسول (ص) ووصاياه . والمحاورة التالية تؤكد هذا المعنى : يقول ابن قتيبة بأن ابن الخطاب قد أتى الى الخليفة الاول : فقال له :

الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال ابو بكر لقنفد وهو مولى له : اذهب فادع لي علياً ، فذهب الى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة . قال فبكى ابو بكر طويلاً . فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال ابو بكر لقنفد : عد اليه . فقل له : امير المؤمنين يدعوك لتبايع ، فجاءه قنفد ، فأدى ما امر به . فرفع عليّ صوته فقال

(١) ن م ٤٠١ ك٣١

سبحان الله ؟ لقد ادعى ما ليس له[1] . .

ان رفض الامام (ع) للبيعة علاوة على انه مطالبة بحقه ، وحرصاً على اجراء تعاليم الله ورسوله ، فانه في نفس الوقت يعتبر مبادرة من اجل توجيه الامة نحو عوامل الانحراف ، وتنبيهها الى الخطر الذي اعتلى ناصيتها ، ولهذا فانه ما أن أعلن رفضه البيعة فيها تعضيداً كثيراً لايمانهم بهذا حتى بادر الى جملة من الاجراءات كان من ابرزها محاججاته المتعددة للصحابة ومواقف الزهراء (ع) الصريحة ، واعتزاله اخيراً في بيته في جمع من كبار الصحابة كسلمان المحمدي ، وابي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود و . . الخ وكل هذه المواقف قد أدت الى ارجاع الكثير من الناس عن موقفهم الانفعالي الاول حيث انه : لما بويع ابو بكر واستقر امره (ندم قوم كثير من الانصار على بيعته) ولام بعضهم بعضاً ، وذكروا علي بن أبي طالب ، وهتفوا باسمه [2] .

ولا ريب أن الامام (ع) في مواقفه هذه كان يبغي فيما يبغي تعليم الامة على رفض أي نوع من انواع الظلم والتجاوز على اصحاب الحق . ولعل سرد المحاججة التي تمت بين الامام (ع) وبين ارباب الحزب المقابل امام الأمة ما يشير الى هذه الحقيقة . فبعد أن اجبر الامام (ع) على القدوم على ابي بكر قيل له بايع أبا بكر فقال لهم حسب ما يقول ابن قتيبة :

أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم اولى

(١) الامامة والسياسة ١ : ١٣ (م . س)

(٢) السقيفة والخلافة ١٧٩ (م . س) ويقول الطبري بأن النتيجة التي آل اليها الانصار انهم قالوا . لا نبايع الا عليا . انظر تاريخ الطبري ٣ : ٤٤٣ (م . س)

بـالبيعـة لي ، اخـذتم هـذا الأمـر من الانصـار واحتججتم عليهم بـالقـرابـة من النبي (ص)، وتـاخـذونـه منـا أهـل البيت غصباً ؟ ألستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الأمر منهم لمـا كان محمـد منكم ، فاعطوكم المقـادة وسلموا اليكم الامـارة وأنا احتج عليكم بمثل مـا احتججتم به على الانصـار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فانصفونـا ان كنتم تؤمنون ، والا فبوؤا بالظلم وانتم تعلمون . فقـال له عمر : انك لست متـروكـاً حتى تبـايـع ، فقـال لـه علي : احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم امره يـردده عليك غـدا . ثم قال : والله يـا عمر لا أقبـل قولك ولا أبايعه . . . فقال ابو عبيدة بن الجراح لعلي كـرم الله وجهـه : يـا ابن عم ، انـك حـديث السن وهؤلاء مشيخـة قومـك ، ليس لك مثـل تجـربتهم ، ومعرفتهم بالامور ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك وأشـد احتمالا واضـطلاعا بـه فسلم لابي بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء ، فأنت لهـذا الامر خليق وبـه حقيق ، في فضلك ودينـك ، وعلمك وفهمك ، وسـابقتك ونسبـك وصهرك فقـال علي كرم الله وجهه : الله الله يا معشر المهـاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمـد في العرب عن داره ومقـر بيته ، الى دوركم وقصور بيوتكم ، ولا تدافعوا اهله عن مقـامه في النـاس وحقـه ، فـوالله يـا معشـر المهاجرين لنحن احق الناس به ، لانا اهل البيت ،

ونحن احق بهـذا الامر منكم مـا كـان فينـا القـارىء لكتـاب الله الفقيـه في دين الله العـالم بسنن رسـول الله ، المضـطلع بأمر الرعيـة المدافـع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بـالسويـة ، والله انه لفينـا فلا تتبعـوا الهـوى فتضلوا عن سبيـل الله ، فتـزدادوا من الحق بعـداً فقال بشير بن سعد الانصـاري[1] : لو كـان هذا الكـلام سمعته الانصـار منك يـا علي قبل بيعتها لابي بكر ما اختلف عليك اثنان[2] .

وهـذه المحـاجـات قـد فعلت فعلهـا في وسط الامـة آنـذاك الى الدرجة التي جعلت الخليفة الثاني يظهر امتعاضه الشديد من ذلـك حينما قـال : فلا يغـرن امرؤ أن يقـول ان بيعة ابي بكـر كانت فلتـة فقد كـانت كذلك غير أن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع اليه الاعناق مثـل ابي بكر[3] .

ان هذا النمط من انماط المبادرة السياسية على الرغم من انه أدى خدمة عظيمة للاسلام لانزال نرتشف ليومنا هذا من انجازه غير انه سرعان ما واجه جملة من العوائق ، فالمسيرة الاسلامية التي كان الامام بمبادرتـه الاولى يحاول أن يحافظ على سـلامتها ويصـونها من الانحـراف واجهت مخاطر متعددة كخطر الردة وتحامي الاعـداء عليها في الـداخل والخـارج

(١) بشير بن سعد الخزرجي الانصاري كبير الخزرج ، وقد كان له دور عظيم لصالح ابي بكر يوم السقيفة فحينما مالت الكفة الى قول سعد بن عبادة كبير الاوس يـوم السـقيفة بين الانصار بايع هو ابن أبي قحافة حـسداً لا ايمانـاً بحق ولا تسليمـاً لمنطق، الامر الذي قلب المعادلة فتمت البيعة لابي بكر . انظر الكامل في التاريخ ٢ : ٣٣١ .

(٢) الامامة والسياسة (م . س) ١ : ١١ ـ ١٢ .

(٣) تاريخ الطبري (م . س) ٢ : ٤٤٦ .

الامر الذي يجعل الامة بحاجة شديدة الى الظهور بمظهر التلاحم خصوصاً ان الطرف المقابل بدا مصراً على المضي في طريقه مهما كانت النتائج ،هذا في الوقت الذي بدا المهاجرون والانصار يعيدون النظر فيما اقدموا عليه في السقيفة . ولهذا وبناء على دوافع تتركز على مراعاة مصلحة المسيرة الاسلامية التي كانت تواجه مخاطر كبيرة آنذاك فقد اقدم الامام (ع) على القيام بمبادرة جديدة هي انهاؤه لاعتزاله واقدامه على مبايعة ابي بكر وقد اوضح الامام علي (ع) الاسباب التي دعته لذلك بخطابه الى اهل مصر والذي وجهه اليهم مع مالك الاشتر (رض) لما ولاه امارتهم :

اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نذيراً للعالمين ، ومهيمناً على المرسلين ، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الامر من بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعي ، ولا يخطر ببالي ، أن العرب تزعج هذا الامر من بعده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن اهل بيته ، ولا انهم منحّوه ـ مبعدوه ـ عني من بعد فما راعني الا انثيال ـ انصبابهم ـ الناس على فلان يبايعونه ،فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام ، يدعون الى محق دين محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم . . . فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه . .[1] .

(١) نهج البلاغة ٤٥١ ك٦٢ ويذكر ابن قتيبة ـ رواية مشابهة لكنها اطول لهذه الخطبة

وهنا لا بد من الاشارة الى ان الامام (ع) حينما اقدم على هذه المبادرة ، فمما لا شك فيه أن الامام لم يفعل ذلك ايماناً منه بخلافة ابي بكر وهذا ما يظهر بوضوح من كلامه مع ابي بكر اثناء مبايعته له حيث قال له :

اما بعد يا ابا بكر : فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك ، ولكن كنا نرى ان لنا في هذا الامر حقاً فاستبددت علينا[1] .

بل فعل ذلك لدوافع تكتيكية بحتة ، والا لو كان ايماناً منه ، فلم يظل طيلة ٦ أشهر رافضاً للبيعة ومعتزلاً لاصحابها[2] ، وهو في كل ذلك يحرص تمام الحرص ان تأتي مبادراته محاكية لمسؤوليته الرسالية ، ولهذا تسمعه يقول لهم :

علمتم اني احق الناس بها من غيري، ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جور الا عليّ خاصة ، التماساً لاجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه[3].

وكل ذلك ليس لسبب الا لان :

= ويقول بانها كانت موجهة الى اهل العراق انظر (الامامة والسياسة) ١ : ١٥٥ .

(١) انظر الامامة والسياسة (م . س) ١ : ١٤ .

(٢) انظر الكامل في التاريخ (م . س) ٢ : ٣٢٥ وتاريخ الطبري ٢ : ٤٤٨ .

(٣) نهج البلاغة (م . س) ٢ ١٠خ : ٧٤ .

المسؤولية وحدها هي التي تعنيه . وموضوع المسؤولية ـ أية مسؤولية ـ هو الحق ولا شيء سواه . .
فاذا رأى الحق، حمل مسؤوليته عنه من فوره ، واذا حمل مسؤولية ما فان العواقب لا تدخل في حسابه ابداً[1] . .

ونحن من خلال كل ذلك يمكننا أن نفهم أن مكاسب المبادرة القيادية في سلوكية الامام امير المؤمنين (ع) ليست من الضروري ان تكون عاجلة ، بل انها قد تأتي آجلة ، او أن عواقبها العاجلة قد تكون سلبية المظهر غير انها في الاجل تنطوي على محصلة فيها خير عظيم للرسالة والمسيرة الاسلامية . ومن خلال موقفه من البيعة يمكننا ان نلمس أن الهجوم والانسحاب رغم انه كان يوحي بمظهر سلبي الا أن مكاسبه في الآجل كانت عظيمة البركة ، ومثل ذلك مبادراته الخاصة بوقف توزيع العطاء على طريقة عمر وارجاعها الى سابق عهدها في زمن رسول الله (ص) او موقفه من تأمير طلحة والزبير ومعاوية وامثالهما . فهي على الرغم من انها أودت الى حصول العديد من الازمات الآنية لامير المؤمنين (ع) ، غير انها خلدته عبر التاريخ كرائد عظيم من رواد الالتزام الرسالي وكقمة شامخة في اجراء العدالة والمساواة وتحمل المسؤولية بشكل مطلق . . . وهذا الامر الذي كان بسببه وبسبب امثال هذه المواقف ان خلدت مفاهيم الاسلام السامية وسلوكياته الفذة مصداقاً وعملاً . . .

* * *

(١) الكتاب الرابع من كتب خلفاء الرسول : في رحاب علي ٤١٤ لخالد محمد خالد . دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣ .

وعلى أي حال فان بامكاننا أن نفهم المبادرة في فكر امير المؤمنين (ع) وسلوكياته مؤطرة ضمن هذا الاطار ومحددة في هذه الحدود التي يفصح عنها بقوله :

من الخرق المعاجلة قبل الامكان ، والاناة بعد الفرصة[1] .

(١) نهج البلاغة ٥٣٨ ح : ٢٦٣ .

٢ ـ الشجاعـة :

الشجاعة هي الاخرى عنصر أساسي من عناصر القيادة ، اذ لا معنى لقيادة لا تتصف بصفة الشجاعة ، ولا معنى لقائد لا يتوفر فيه هذا الشرط . فالقائد الذي تتوفر فيه قابلية الهزيمة من الظروف المعاكسة لا يمكنه أن يسير بأمته نحو تحقيق آمالها وطموحاتها واهدافها ، بأي حال من الأحوال .

والشجاعة التي نعتبر احد ابرز صفات القيادة السليمة والناجحة ، لا يقصد بها شجاعة البدن فحسب ، إذ أن مفهومها القتالي والحربي هو احد مفرداتها .

بل ان معناها يصل الى الشجاعة في اعلان الموقف السياسي المطلوب في المرحلة المناسبة ، وتحمل جميع ما يرتبط بذلك نظرياً وعملياً من دون مباهاة ، ومن دون أي تردد أو تقاعس ، مهما كلف ذلك من ثمن .

هذا بشكل عام ، أما من وجهة النظر الاسلامية فان سلوكية الشجاعة تنضبط ضمن ذات المعايير التي تحكم جميع السلوكيات الاجتماعية في الاسلام ، أي أن الشجاعة لها معيارها الخلقي ، وتسير وراء الحاجة السياسية للمصلحة الاسلامية ، وبعبارة اخرى ـ جعلت

الشجاعة في الاسلام ما بين معيارين اساسيين اولهما المعيار الخلقي وثانيهما ، معيار الحكمة . وفي سلوكية الامام امير المؤمنين (ع) نجد سلوكية الاسلام في الشجاعة متجلية بأسمى صورها وظاهرة بأبهى اشكالها . فشجاعته القتالية ظلت على الدوام منضوية في ظل هذين المعيارين . وقد وجدنا ذلك حتى في احلك صور القتال وفي اصعب ظروفه . ففي معركة الاحزاب ، وحينما كانت القلوب بأسرها مشدودة الى مشهد الصراع بين بطل الأحزاب عمرو بن عبد ود العامري ، وبين امير المؤمنين(ع)،وفي الوقت الذي كانت شهقة هذه القلوب قد علت الى اعلى نقطة حينما اعتلى الامام (ع) صدر عمرو العامري وهو يستهدف قطع رأسه ، وذلك ضمن فرصة يندر حصولها مع مثل عمرو بن عبد ود ، نرى الامام (ع) في مثل هذه اللحظات الحرجة والحساسة يقوم مبتعداً عن عمرو بن عبد ود ثم ما يلبث أن يعود لتكملة مهمته . بعد أن يقطع رأسه وبعد أن يهزم الاحزاب ويولون الدبر تقبل الجموع الاسلامية من اجل أن تسأل الامام (ع) عن سبب قيامه عن جسد عمرو بن عبد ود قبل قتله ، فيأتيهم الجواب انه على رغم حراجة الموقف ، وعلى الرغم من أن الدهر في تلك اللحظات كاد أن يتوقف ، لم يكن مستعداً ولو في مثل هذه اللحظات الدقيقة أن تكون شجاعته غير مخلصة لهدفه السامي ، فلقد كان اللعين عمرو بن عبد ود قد بصق في وجه الامام الشريف . لهذا وقف الامام (ع) هنيهة ليوقف الزمن معه وهو يقول : لقد خشيت أن اقتله فيأتي قتلي إياه ثأراً لنفسي وانتقاماً لشخصيتي وكياني ، ولهذا لم يعد لقتله الا بعد أن اطمأن لنفسه كونها غير غاضبة الا لدين الله ورسوله (ص). حينها وجه له ضربته التأريخية .

انه حتى في مثل هذه الاحوال لا يعطي لشجاعته جماحها ، بل

يعطي لمبدئه جماح شجاعته فيسخرها له .

ثم تراه ثانية ، وفي معركة صفين ، وفي لحظات كانت غاية في الحساسية يلتقي امير المؤمنين (ع) مع عمرو بن العاص الرجل الثاني لدى أهل الشام ويطعنه الامام (ع) فيوقعه أرضاً ، غير أن ابن العاص الذي يعرف اخلاق امير المؤمنين (ع) سرعان ما يلجأ الى وسيلة تنجيه من القتل ، إذ ابدى للامام (ع) عورته فانصرف عنه الامام :

فقال القوم : أفلت الرجل يا امير المؤمنين .

قال : وهل تدرون من هو ؟

قالوا : لا .

قال : فانه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه ولقيه معاوية قائلاً : احمد الله وعورتك

ثم أنشد قائلاً :

الا لله من هفوات عمرو ... يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى ابا حسن عليا ... فآب الوائلي مآب خازي
فلو لم يبد عورته لملاقى ... به ليثاً يذلل كل نازي
له كف كأن براحتيها ... منايا القوم يخطف خطف بازي[1]

وقد كررها الامام (ع) مع واحد من ابرز اعدائه واكثرهم اذية له وهو بسر بن ارطاة فما أن سقط امام أمير المؤمنين حتى كشف له عورته الامر الذي جعل مالك الاشتر (رض) يتندر بذلك اثناء حملته على بسر بقوله :

(١) اسطر وقعة صفين ٤٠٧ لنصر بن مزاحم تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٣٨٢ المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ١٣٨٢ .

اكل يوم رجل شيخ شاغرة ... وعورة وسط العجاج ظاهرة
تبرزها طعنة كف واترة ... عمرو وبسر رميا بالفاقرة[1]

هذا على صعيد معاييره الاخلاقية ، اما على صعيد الحكمة ، فان شجاعته كانت موزونة تماماً بدواعي المصلحة الاسلامية ، فالامام الذي رأيناه في معركة احد يجابه زخم هجوم قريش المعادي على رسول الله فيرد عنه الكتيبة تلو الاخرى حتى امتدحه جبرائيل (ع) على ذلك بقوله (ع) : هذه والله المؤاساة يا محمد[2] .

والامام الذي رأيناه في معركة الاحزاب يبارز ويقتل من جفلت قلوب جميع المسلمين عن مبارزته حتى قال عنه الرسول (ص) :

لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من اعمال امتي الى يوم القيامة[3] .

والامام الذي وجدنا رسول الله (ص) يهدد المشركين والكفار بشجاعته بقوله :

يا معشر قريش لتنتهين أو لابعثن عليكم رجلاً مني أو كنفسي فيقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم . . . ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : هو هذا[4] .

(١) ن . م ص٤٦١ .
(٢) ترجمة الامام في تاريخ دمشق (م . س) ١ : ١٩٧ .
(٣) المستدرك (م . س) ٣ : ٣٢ .
(٤) ترجمة الامام ٢ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥ وهو متواتر وقد رواه بشكل أو بآخر جمع كبير من الرواة والمحدثين منهم الحاكم في المستدرك ٢ : ١٢٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٤ والترمذي في السنن ٥ : ١٠٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥ : ١٥٣ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٤٠ و . . . الخ .

هـذه الشجاعـة التي شهد لهـا الاعداء قبـل الاصدقـاء لم تكن الا وسيلة للوصول الى تحقيق المصالح الاسلاميـة ، اما حينمـا تقتضي هذه المصـالح ان يتـدرع الامام (ع) بـالصبر ، ويغمـد سيفـه ، ويبقي على رمحه ساكناً من دون حراك ، فلقد رأيناه لا يمد يده الى سيفـه في أوقات كـان الاعتداء عليـه غايـة في المرارة ، وفي وقت كـان قلبه يحتـرق المـاً ويشتعـل ناراً من شـدة ما اصـابه من اعتـداء ، وتجاوز على حـرمـاته ، وانتهـاك لقـدسيته . . . وعلى الـرغم من شـدة الاستفـزازات التي كـان الـطرف المقابـل يوجههـا اليه . . . غيـر انه حفـظاً لمصلحة الاسلام ، وصيـانـة لانجـازاتـه ظـل محـافـظاً على صبره وتجلده . فبعـد جـريـان السقيفـة ، مرت على الامـام (ع) عدة احـداث مأسـاويـة كـان في كـل واحـدة منها مـا فيه الكفـاية لان يخـرج الحليم عن حلمه ، والصـابر عن صبره ، فبيته يحاصر من اجـل اخراجـه واخراج من كـان معه ممتنعـاً من البيعة لابي بكر حيث كان هو وجمع من الصحابـة فيهم : طلحة والـزبير ورجـال من المهاجـرين [1] ، وجميع بني هـاشم [2] ، قد رفضـوا البيعة واعتبروهامؤامرة على اصحاب الحق الشـرعي ، ومخالفـة صريحـة لاوامر رسول الله (ص) وتوصياته .

واثناء ذلك يصعّد جناح الخليفة الاول المواجهـة فيهددون بـاحراق البيت [3] ، ويمتشط رائد هذا الجناح سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبايع علي ومن معه . وقد لخص عمر بن الخطاب اهداف هذه المهمة بقوله :

لتبـايعـان وانتمـا طـائعـان ، أو لتبـايعـان وانتمـا

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٤٣ (م . س) .
(٢) الامامة والسياسة ١ : ١٠ (م . س) .
(٣) ن . م ١ : ١٢ .

كارهان [1] . .

بعد ذلك يرى الامام (ع) بأم عينيه بيتـه يقتحم بالقـوة على الرغم من رفض الزهراء (ع) لدخول من اراد دخوله واظهارها غضبهـا الشديـد وتصريحها لهم بذلك حينما قالت :

لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم [2] . .

وهي حينما لاحظت عدم فائدة ذلك هتفت بصريح القـول مناشـدة اباها رسول الله (ص) :

يـا أبت يا رسـول الله ، ماذا لقينـا بعدك من ابن أبي الخطاب ، وابن ابي قحافة ! [2] .

وعلى الـرغم من أن قـولهـا قـد أدى الى أن يعلو بكـاء النـاس ، فانصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تنصدع واكبادهم تنفطر ـ على حد تعبير ابن قتيبـة [2] الا ان عمر بن الخـطاب الـذي بقي معـه قـوم فيهم قنفـذ مولى ابي بكر والمغيرة بن شعبة وخالد بن الوليد اقتحم البيت بالقوة بعـد أن تم احـراق البـاب ثم حصـل مـا حصـل للزهـراء (ع) من اعتصـاره جسدها خلف الباب ثم وجأها أحدهم بالسيف على جانبهـا وضربهـا آخر بـالسـوط على ذراعهـا ودفعهـا آخـر فكسـر ضلعهـا ثم اسقـطت جنينهـا (المحسن) . وكل ذلك الجـأها بعـد ذلك الى الفـراش الى أن صعدت روحها الى السماء [3] ثم اخرجوا الامام وهو مقيد بالحبل من بيته :

فمضوا به الى ابي بكر فقالوا له : بايع .

(١) تاريخ الطبري ١ : ٤٤٤ .
(٢) الامامة والسياسة ١ : ١٣ .
(٣) بحار الانوار (م . س) ٤٣ : ١٩٧ ـ ١٩٨ .

فقال : ان أنا لم افعل فمه ؟
قالوا : اذا والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك .
قال : اذا تقتلون عبد الله واخا رسوله [1] .

علي هذا الرجل الشجاع الذي لم يدع لصناديد المشركين والكفار هيبة الا وأذلها بنصل سيفه وبسنان رمحه ، ترى هل يمكنه أن يتحمل ذلك ؟ .

لسنا في صدد استيعاب كل ابعاد خطوات الامام هنا وتسليط الاضواء على اسبابها ، غير أننا يمكننا أن نلمس بوضوح حرص الامام على حفظ مصالح الاسلام والابقاء على مكاسبه . ولهذا غض النظر عن كل ذلك رغم ما في ذلك من معاناة ومشقة وهو امر اشار اليه (ع) في خطبته الشهيرة المعروفة بالشقشقية بوضوح حينما قال :

اما والله لقد تقمصها فلان ـ اشارة الى ابي بكر ـ وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحا ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى الي الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت ارتئي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن يلقى ربه .
فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا [2] . . .

(١) الامامة والسياسة ١ : ١٣
(٢) نهج البلاغة (م ـ س) ٤٨ خ : ٣٥ .

هذا هو نمط من انماط الشجاعة لدى أمير المؤمنين (ع) . أما النمط الآخر فيتمثل بشجاعته في اتخاذ مواقفه السياسية والتعبير عنها وتحمل كامل مسؤوليتها حتى لو كان ذلك ينطوي على مخاطر جمة . وخذ مثلاً على ذلك موقفه من تولية معاوية بن أبي سفيان على الشام ورفضه لذلك ، وكذلك موقفه من قضية الاموال التي وزعها الخليفة الثالث على بني امية حيث أعلن رأيه فيه بقوله :

والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ، فان في العدل سعة . ومن ضاق عليه العدل ، فالجور عليه أضيق [1] .

وكذلك موقفه من مسألة توزيع العطاء حيث الغى الطريقة التي اعتمدها عمر في التوزيع وارجع الامر الى ذات الطريقة التي كان الرسول (ص) يعتمدها ، ونراه حينما عوتب من قبل البعض على ذلك يقول مخاطباً هؤلاء :

أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ! والله لا أطور به ـ لا أقاربه ـ ما سمر سمير ـ مدى الدهر ـ وما أمّ نجم في السماء نجما ! لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله [2] .

وكل هذه المواقف حينما تجرد عن جميع الظروف التي تكتنف المرحلة التي اعلن فيها الامير (ع) رأيه فيها ، وتعزل عن حيثياتها فقد تبدو تكتيكات مرحلية لا شجاعة فيها ، الا أن الذي يعي هذه المواقف

(١) ن م ٥٧ خ : ١٥
(٢) نهج البلاغة ١٨٣ خ ١٢٦

بكامل ظروفها وحيثياتها، يجد عظمة الموقف الشجاع الذي تبناه الامام (ع)، هذا على الرغم من ادراكه الاكيد لحجم المضار الآنية التي ستلحق بحكومته . ولكن هذا الامر الذي جعل الامام مصباً لذم الكثير من العقليات الميكافيلية والبراجماتية يبقى درساً خالداً لكل قائد اسلامي ، فالخسارة الآنية لا توازي الربح العقائدي الدائم ، بأي شكل من الاشكال .

هذا على المستوى السلوكي ، اما على مستوى التنظير فان الامام يشير الى عدة مسائل يجب على القائد الذي يريد أن يرتدي رداء الشجاعة الواقعية ان يتمثلها دائما. ومن هذه المسائل نشير الى ثلاثة منها :

أولاً - الشجاعة نصرة حاضرة[1] :

هذا القول يشير الى حقيقة أن الموقف الشجاع ، هو الموقف الذي يلبي حاجة الحاضر ، لا الذي يحاكي مرحلة مضت أو مرحلة ستأتي . اي أن الشجاعة هي الانتصار لحالة ما زال حدثها يعيش مرحلة العنفوان . أما استعمال الافعال الماضية مشفوعة بكلمة لو أو استخدام كلمة سوف واخواتها في التعامل مع الاحداث الماضية أو المحتمل وقوعها في المستقبل فانها لا تعبر عن موقف شجاع ، ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك لان شجاعة المرء ليست في اقواله بل هي حالة ميدانية تكتشف في المحك العملي .

ثانياً - آفة القوي استضعاف الخصم[2] :

واحدة من القضايا التي ظلت جديرة بالاهتمام على مدى تأريخ

(١) ميزان الحكمة د ٢٦ للشيخ محمدي الريشهري نقلا عن غرر الحكم - مكتب الاعلام الاسلامي - طهران ١٤٠٤هـ

(٢) ن.م د ٢٨

الثورات والحركات التحررية ، هي قضية النظرة الى الخصم وتقييم مدى قوته ، ولقد لاحظنا العديد من المعارك التي بان فيها الظفر لقوة صغيرة وضعيفة على قوة كبيرة وقوية نتيجة للاستهزاء والاستضعاف الذي توليه القوة الكبيرة للقوة الصغيرة .

أما الامام (ع) في كلمته هذه فهو لا يشير الى خطأ عدم عناية القائد الاسلامي بخصمه فحسب وانما يحتسب ذلك خطراً وآفة من شأنها ان تلتهم اي قوة مهما بدت كبيرة ، ومهما أبرزت لنفسها من قوة وقدرة . فما دام الخصم لديه القدرة على التفكير والادراك ، فانه ليس من المستبعد ان يعمد الى اللجوء الى اساليب قد تكون بعيدة تمام البعد عن مخيلة القوة الكبيرة الامر الذي قد يجعلها في معرض التهديد الجدي او الانكسار الحقيقي من قبل القوات المعادية .

ولهذا فان من الضروري بمكان ان لا يتم استضعاف أية قوة مهما بدت ضعيفة وضئيلة ، وفي حال المجابهة يجب الاستعداد لها بالشكل الذي يجعل مصداق القوة والقدرة والغلبة محفوظاً بشكل ميداني ، وهذا الشيء يشبه الى حد بعيد المبدأ العسكري الذي تعتمده حرب العصابات التي تدعو مجاميعها الى مهاجمة الخصم في الوقت الذي تكون فيه قوتها النارية اكثر من قوته من اجل حسم النصر وتأكيده.

ان مثل هذا المبدأ ما هو الا دعوة لابقاء الجدية في التعامل مع الاحداث المسيطرة دائماً على تفكير القائد الاسلامي ، من اجل سد أي ثغرة قد يتخلل منها الضعف ويجد له طريقاً في جسم القيادة الاسلامية .

ثالثاً - آفة الشجاعة اضاعة الحزم : [1]

الحزم بحد ذاته أحد العوامل الاساسية التي ينبغي توافرها لدى

(١) ن.م د ٢٨ .

القائد الاسلامي ، غير أنها تمثل في نفس الوقت احد الاركان الجوهرية للشجاعة ، فشجاعة من دون حزم ، تبقى بداية جيدة لمسيرة مظلمة قد تكون سيئة للغاية على مستوى النتيجة والنهاية ، فالشجاع ما لم يتابع بشكل صارم اهدافه ، ويتعامل مع الاحداث التي تواجهه بشكل لا يتهاون معه ، فانه على الرغم من كونه قد خطا في البداية خطوة جيدة على مستوى ارعاب الخصم وردعه ، الا ان هذه الخطوة قد تنقلب الى بلاء مبرم عليه . والتأريخ كشف لنا عن عشرات الامثلة على ذلك .

٣ ـ المواساة :

الامام (ع) في تحليله لمسؤولية القيادة يجعل المواساة كأحد الحقوق الاساسية التي تجب على القائد وتحق للمنقاد ، فهو يرى أن تحميل القائد لمسؤولية القيادةيجب أن يرافقه قدرة على مواساة الضعفاء والفقراء والفئات ذات الاوضاع الاجتماعية المتدنية عن المستوى الطبيعي ، وبغير ذلك فانه لا يعرف أي مفهوم لقيادة اسلامية ، وهو الأمر الذي يتجلى واضحاً من خلال قوله الشهير :

هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ـ ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ـ او ابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى (جائعة) واكباد حرى (عطشى) أو اكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة
وحولك اكباد تحن الى القد .

أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا امير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش . .

امير المؤمنين (ع) الذي يقول هذا القول كانت لديه امكانات

اقوى دولة في العالم آنذاك ، وهو الذي كان يملك تمام القدرة على ان يتخذ من الشراب احلاه وأصفاه ، ومن الطعام ألذه وأطيبه ، ومن اللباس انفسه واغلاه فهو القائل :

ولو شئت لاهتديت الطريق ، الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ[1] .

غير انه آثر كل ذلك ،أسوة بأفقر انسان يعيش في عصره وضمن ظل قيادته وصار يكتفي بالرغيف اليابس يبله بالماء اذا وجده ويغمسه بالملح اذا لقيه ، وعن حالة كهذه يكتب الى واليه بالبصرة عثمان بن حنيف الانصاري(ر ض) يقول له :

وايّم الله لاروضن نفسي رياضة تهش (تفرح بشدة) معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً (غموسا) ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها[2] . . .

وقد بلغ به الحد ، ان العديد من اصحابه اشتكى من هذه الحالة بصورة أو باخرى حتى كان آخرها انهم قالوا له ان مواساته للفقراء الى هذا الحد قد تؤدي بجسمه الى الضعف بشكل لا يقدر معه على القتال والجهاد فقال لهم :

كأني بقائلكم يقول : اذا كان هذا قوت علي بن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة

(١) ن.م ٤١٧ ـ ٤١٨ ك ٤٥
(٢) ن.م ٤١٩ ـ ٤٢٠ ك ٤٥

الشجعان ، الا وان الشجرة البرية اصلب عوداً واليوانع الخضرة ارق جلوداً ، والنابتات العذية أقوى وقوداً وابطأ خموداً وانا من رسول الله كالضوء من الضوء والذراع من العضد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت عليها[1] .

وقصته مع عاصم بن زياد توضح لنا مقداراً من وضع المؤاساة الذي كان امير المؤمنين (ع) عليه ، فلقد جاء الربيع بن زياد الى امير المؤمنين (ع) وهو يشتكي اخاه عاصماً الذي اتخذ طريق الزهد الصوفي الامر الذي غم اهله وأحزن ولده :

فقال أمير المؤمنين (ع): عليّ بعاصم بن زياد فجيء به ، فلما رآه عبس في وجهه ، فقال له : اما استحييت من اهلك ، اما رحمت ولدك ؟ اترى الله احلّ لك الطيبات وهو يكره اخذك منها . . . الى آخر المحاججة[2] .

ولقد جاءت اقوال الامام (ع) بمثابة مفاجأة لعاصم الذي كان يحاول في افعاله ان يكون متأسياً بالامام (ع) حينما رآه يعيش شظافة في الحياة مأكلاً وملبساً ، . . . الامر الذي دفعه الى القول للامام (ع):

يا امير المؤمنين فعلامَ اقتصرت في مطعمك على الجشوبة ، وفي ملبسك على الخشونة ؟ .

(١) ن.م ٤١٨ ك ٤٥ .
(٢) البحار ٤١ : ١٢٤ ـ ١٢٣ .

فأجابه الامام (ع) :

ويحك ان الله تعالى فرض على ائمة العدل أن يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ (يهتاج) بالفقير فقره .

ولم يكن الامام (ع) بفعله هذا مقتصراً على نفسه فحسب ، وانما كان يطالب جميع ولاته بذلك ، وقصته مع عثمان بن حنيف واليه على البصرة ، خير نموذج على ذلك ، فلقد رقي الى سمع امير المؤمنين (ع) يوماً ان واليه قد دعي الى وليمة في البصرة لم يدع لها فقراء المدينة بل اقتصرت على اغنيائها ، فلامه وعاتبه ثم قال له :

يا ابن حنيف : بلغني ان رجلاً من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة ، فأسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان (الصحون الملأى بالطعام) وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو[1] .

وهو لمثل هذه السلوكية ، سمي بأبي اليتامى ، وامام المستضعفين و . . الخ والذي يسأل نفسه اليوم عن أسباب ولائه لامير المؤمنين (ع)، فانه ولا ريب انه سيجد اضافة الى البعد الشرعي لهذه المسألة،فان مثل هذه السلوكية القيادية هي التي تجعل القلب يهوى عليّ ابن ابي طالب بعد أن قدم الشرع المقدس الى العقل والفكر البرهان على حبه وولايته .

* * *

(١) نهج البلاغة ٤١٨ . ك ٤٥

٤ ـ الحـــزم :

الحزم والقيادة صنوان لا يفترقان ، فالقيادة غير الحازمة لا يمكنها بأي شكل من الاشكال ادارة المسيرة التي تقودها ، لا على المستوى الداخلي والذاتي لهذه المسيرة ، ولا على مستوى عالمها الخارجي .

فعلى المستوى الداخلي عادة ما تواجه القائد ضمن هذا المجال أربعة قضايا :

أولها : قضية اولئك الذين يسيرون ببطء ،ويركنون الى الترف ، ويحنون الى الراحة وعالمها ، او اولئك الذين لا يبالون كثيراً بتقدم أو تأخر المسيرة ، والقائد الذي يقود هؤلاء اذا لم يكن حازماً في تعامله مع هؤلاء بالشكل الذي يجعلهم يواكبون حركة المسيرة ، فانه من الطبيعي عليه أن يستعد لمواجهة حقيقة تزايد عدد هؤلاء بحيث قد يشمل جميع ابناء المسيرة ، أو مواجهة حقيقة تحول هذا العالم لمستنقع تعيش فيه جميع العوامل المضادة ، لتجعله منطلقاً للقضاء على عموم المسيرة . وهؤلاء الذين يسميهم الامام امير المؤمنين عليه السلام بالهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق في حديثه الشريف :

الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع ينعقون مع كل ناعق ، يميلون

مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق[1] .

هؤلاء يقول عنهم السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بأنهم :

مشكلة بالنسبة الى أي مجتمع صالح وبقدر ما يمكن للمجتمع الصالح أن يستأصل هذا القسم الثالث بتحويله الى القسم الثاني، بتحويله الى متعلم على سبيل النجاة على حد تعبير الامام ، الى تابع باحسان على حد تعبير القرآن ، الى مقلد بوعي وتبصر على حد تعبير الفقه ، بقدر ما يمكن تحويل هذا القسم الثالث الى القسم الثاني يمكن للمجتمع الصالح أن يستمر وأن يمتد .

ولهذا كان من ضرورات المجتمع الصالح في نظر الامام عليه الصلاة والسلام هو شجب هذا القسم الثالث ، هؤلاء همج رعاع ينعقون مع كل ناعق ليس لهم عقل مستغل وارادة مستغلة كان الامام (ع) يرى ان هذا القسم الثالث يجب تصفيته من المجتمع الصالح ، ذلك لا بالقضاء عليه فردياً بل بتحويله الى القسم الثاني . . لكي يستطيع المجتمع الصالح أن يواصل ابداعه ، ولكي يستطيع كل افراد المجتمع الصالح ، أن يشكلوا مشاركة حقيقية في مسيرة الابداع[2] .

---

(١) ن م ٤٩٦ ج : ١٤٧

(٢) المدرسة القرآنية ص ٢٣٣ محاضرة للسيد الشهيد الصدر (قدس سره) دار التعارف للمطبوعات الطبعة الثانية بيروت ١٤٠١هـ.

وهذا الوسط عادة ما يعتبر من اخطر الاوساط في المسيرة فهو في الوقت الذي يمكنه ان يلعب فيه دوراً عظيماً في تقديم ورفد هذه المسيرة ، فانه يمكن ايضاً أن يكون عاملاً اساسياً من عوامل عرقلة مسيرتها ، وما بين هذا وذاك يلعب القائد دوراً جوهرياً في توجيه مسيرة هذا الوسط، وفقاً لحزمه أو تراخيه .

وثانيها : الوسط الاجتماعي الذي يمتلك احساسات خاصة تجاه قضايا المسيرة بالشكل الذي يجعله دوماً يقف موقف المتطرف الجامح . ولمثل هذا الوسط يلعب حزم القائد دور الكابح لجماح هذا الوسط بالشكل الذي يجعله لا يتقدم على حركة المسيرة بحيث هو الذي يلعب دور القائد الامر الذي يجعل الزمام يفلت من القائد الاصلي لتتسلمه مجموعة من الناس ،قد تؤدي بالمسيرة الى الانتحار او تورطها في مطبات لا يسهل عليها معها الخروج منها، او توقعها في مهالك محققة .

وثالثها : الوسط الذي يمثل العوامل المضادة في داخل المسيرة من منافقين ومهادنين ومساومين او ما يصطلح عليه في وقتنا الحاضر بالطابور الخامس . وقوة هؤلاء وضعفهم تتوقف بكل تأكيد على مدى حزم القائد معهم . فمع حزم هذا القائد لا يمكن لهذا الوسط أن يظل داخل المسيرة ، فهو اما أن يقبع الى الهدوء والسكون واما أن يخرج خارج المسيرة ، اما مع ضعف القائد وتراخيه فانه من المؤكد أن هذا الوسط سيكون مرشحاً للتنمو والتفاقم ليجر الويلات ، والمصائب على المسيرة من داخلها ، وليس ثمة ضرورة لان يمارس هذا الوسط دوره المخرب بشكل سريع أو دائم فقد يقبع هادئاً الى أن تواتيه الظروف المناسبة ،خصوصاً ان هذا الوسط لا بد ان يربط نفسه أو يرتبط مع القوى المضادة الخارجية الأمر الذي يجعل حركته في بعض الاحيان متوافقة مع حركة تلك القوى .

ورابعها : الوسط الاجتماعي العام والخاص المؤمن بالمسيرة

والساعي لديمومة حركتها هو الآخر يظل حجمه متأثراً بحزم القائد في تعامله مع متطلبات المسيرة واعدائها ، فاذا كان متراخياً فقد يهتز ايمان هذا الوسط بهذه الاهداف ، او على الاقل يسير هو الآخر في عالم التراخي والتداعي ، والعكس صحيح ايضاً .

أما على المستوى الخارجي فان مسيرة المجتمع نحو اهدافه بالاضافة الى مصاعب تشخيص الطريق الذي يؤدي فعلاً نحو الهدف ، فان العوامل المضادة الخارجية ليست بالقليلة بالشكل الذي يجعل بالامكان التقدم نحو الهدف بشكل طبيعي ، ولهذا فان الاتجاه نحو الهدف يحتوي على العديد من المستلزمات التي تحتاج الى مكابدة كبيرة ومجاهدة عظيمة ، ويحتل في ذلك القائد دوراً مميزاً ، وخاصة حزمه واصراره على السير نحو اهداف المسيرة ، والسعي للوصول بها الى مراكز متقدمة من اهدافها أما القائد المتراخي او المفرّط او المتماهل فانه ولا ريب سيعرض المسيرة الى مشاكل عظيمة ،هذا اذا لم نقل بأنه يترك لاعدائها الفرص الكبيرة للنيل منها أو العمل على انحرافها وتغيير اتجاهها. وما اكثر ما لمسنا في التأريخ من تجارب من هذا القبيل .

لهذا وذاك بات الحزم معدوداً من ضمن أهم الشروط التي ينبغي توفرها في القائد . ونحن لو تركنا لذهننا أن يتذكر نماذج القادة الحازمين ، فليس من الغريب ان نجد الامام امير المؤمنين (ع) من اوائل هؤلاء تداعياً في ذهننا ، فلقد بلغ بالحزم تنظيراً وسلوكاً شأواً بعيد المدى لم يصل اليه أي قائد عرفته البشرية ،اللهم الا ما تمثل بحزم الرسول (ص) وقاطعيته في حسم الامور ، ومن يلاحظ الامام (ع) في فكره وسلوكه يجده يولي الحزم في الأمور اولوية خاصة في شروط القيادة . بل انه يعتبره احد العناصر الاساسية في نجاح المسيرة وذلك ما نجده واضحاً في قوله (ع): ثمرة

التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة[١] . .

ولهذا تجده في سلوكه حازماً الى الدرجة التي جعلته مضرب الامثال في ذلك ففي حلوله للمشاكل ، لا تجد انصاف الحلول أو تبعيضاتها ، وفي اجوبته لا تعثر على نصف جواب أو بعضه ، وفي اقدامه لا تجد اثراً للتردد ، وفي عمله لا يوجد أي تلكؤ ، وفي حمله للمسؤولية لا يجعل مجالاً للتراخي والدعة و. . الخ فهو الذي يقول ان الحق لا يدرك الا بالجد[٢] . . فمع معاوية اشترط الاخير أن يوليه على الشام لقاء تنازله له . فجاء موقف الامام حازماً في تحمله للمسؤولية وفي مجاهدة اعداء الاسلام وهو لهذا يقول في هذا الصدد : ولم يبايع حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا . . . .

> فلا ظفرت يد البائع وخزيت امانة المبتاع . . فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها ، فقد شب لظاها وعلا سناها[٣] .

ومع طلحة والزبير كان الشيء ذاته فحينما عرضا عليه البيعة لقاء اشراكهما في امر الولاية حيث قالا :

> نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر فقال لهما (ع): لا . . . ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز[٤] . .

(١) نهج البلاغة ٥٠٢ خ ١٨١ .
(٢) ن . م ٧٣ خ ٢٩ .
(٣) ن . م ٦٨ خ ٢٦ .
(٤) ن . م ٥٠٥ خ ٢٠٢

وحينما يحس العديد من اصحابه فرار الناس باتجاه معاوية سعياً وراء المال وهرباً من عدالة الامام (ع) الذي كان قد ارجع توزيع العطاء الى سابق عهده برسول الله (ص) ، اي التقسيم بالتساوي دون فرق بين المهاجرين والانصار، أو بين قريش وغيرها ، أو بين العرب والموالي و. . الخ كما كان قد عمد الى ذلك الخليفة الثاني حيث كان يفرق في العطاء بين المسلمين . أقول حينما احس اصحابه بهذا الوضع مشوا اليه ، فقالوا :

يا أمير المؤمنين اعط هذه الاموال وفضّل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن نخاف عليه من الناس فراره الى معاوية ، فقال لهم امير المؤمنين (ع) : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ؟ لا والله ما افعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم والله لو كان مالي لواسيت بينهم وكيف وانما هو اموالهم [1] . .

وهو في تعامله مع المحقين والظالمين كان من الحزم بشكل يوضحه قوله :

الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له . والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه [2] .

وهو في جهاد اعداء الحق لا يهادن ولا يساوم مطلقاً وهذا قوله يترجم سلوكه حيث يقول :

(١) البحار ٤١ ١٠٨ ١٠٩
(٢) نهج البلاغة ٨١ ح٣٧

ولعمري ما علي من قتال من خلف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان [1] .

وهو يرسم تعامله مع عموم المجتمع بهذا المنطق :

اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المريب ابداً حتى يأتي عليّ يومي . . [2]

وهو في الاموال التي وزعها عثمان على اهل بيته ، يمارس حزماً شديداً مع شيء يعتبره مخالفاً لله ولرسوله ولهذا نراه يقول وهو يوزع ما استرده على المسلمين :

والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ، فان في العدل سعة ،ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق [3] .

وهو نراه يقول بأن سلوكه هذا مثلما كان في عهد رسول الله (ص) في قتال المشركين والكفار دون مهادنة ولا مساومة سعياً وراء الحق ، وجهداً من اجل ازهاق الباطل ، وحرصاً على احقاق كلمة الرسالة الاسلامية وتقدم مسيرتها ، وتجذير مفاهيمها ، وتكريس معاييرها ومناقبها، . . . فانه سيظل في ولايته مثلما كان من قبل عملاً دؤوباً ، وممارسة حازمة واقداماً لا يكل ولا يتسرب اليه التعب من اجل الوصول الى ما يطمح من اهداف ومثل ، ولهذا فحين يسير الى قتال اصحاب الجمل من الناكثين يذكر بقتاله ضد

(١) ن.م ٦٦ خ٢٤ .
(٢) ن.م ٥٣ خ٦ .
(٣) ن.م ٥٧ خ١٥ .

القوى المضادة في زمن الرسول (ص) للرسالة الاسلامية ويقول :

اما والله ان كنت لفي ساقتها (قائد الجيوش) حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت . . . وان مسيري هذا لمثلها ، فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه[1] . .

(١) نهج البلاغة ٧٦ خ٣٣ .

٥ ـ القدرة الإدارية والتنظيمية :

القدرة الادارية والتنظيمية التي يحسب لها اليوم حسابٌ خاصٌ في تشخيص القدرات القيادية ، لم تكن بالامس هكذا ، فلم تكن تولي أهمية تليق بمكانتها في هذا اليوم ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك باعتبار أن الحاجة الى الادارة والتنظيم* تتزايد كلما تزايد الوضع الاجتماعي تعقيداً او كلما ازدادت مفرداته ومفاصله واتسعت طولاً وعرضاً . غير أن الذي يلحظ فكر الامام أمير المؤمنين (ع) يجده من الاوائل الذين اشاروا الى أهمية العمل المنظم والابتعاد عن الفوضى ،والسعي لتجميع الطاقات الفردية لتكون تياراً جماعياً عاماً . وكذلك ايجاد سلسلة من الاجراءات الادارية والتنظيمية التي تعين القائد على تحريك الامة والاشراف عليها[1] ومن

(*) ما نقصده هنا ليس التنظيم بمعناه الحزبي . بل ان الكلمة اوسع من ذلك وأشمل.

(١) واحدة من الاخطاء البارزة والشائعة التي نرتكبها بعض القيادات والمحاور الجماهيرية ، وكذلك بعض الحركات الاسلامية ، هي جعلها للجهاز التنظيمي بمثابة حلقة وصل بينها وبين الامة بشكل كلي وشامل ، الأمر الذي يجعل القائد ينظر الى الامة بمنظار هذا الجهاز ، كما أنه يجعل الامة تنظر الى القائد عبر هذا الجهاز ، وهو شيء ينطوي على مخاطر عديدة نذكر منها الأمور التالية على سبيل المثال :
فالقائد الذي ينظر الى الأمة عبر هذا الجهاز فقط اعتمادا على تقارير، وتقييماته =

يتمعن في عهده لمالك الاشتر (ر ض) حينما ولاه ـ امارة مصر خلفاً

= الخاصة ، ومثل هذه التقارير والتقييمات قد توقعه في اخطاء مهلكة في تعامله مع الامة ، او مع فصيلها ، أو قد تؤدي به الى الانعزال كلية عن حركة الأمة لان القيادة الفعلية في هذا الحال تكون للجهاز التنظيمي وليست له ، ومن لديه تجربة في الاجهزة التنظيمية يعلم علم اليقين أن هذا الجهاز يعتمد في مصادر تقييماته في الاصل على افراد عاديين . وحيث ان امكانية الاختراق المعادي في هذه الاجهزة واردة دوما ، فان على مثل هؤلاء القادة أن لا يستغربوا اذا ما اعتقدوا بتقييمات مصدرها مفردات ذلك الاختراق هذا علاوة على أنه سينظر الى هذا الجهاز وكأنه هو الامة ، الأمر الذي يجعله اسيراً لتقييمات هذا الجهاز .

كما ان الأمة بدورها ستنظر الى هذا القائد عبر هذا الجهاز وستعكس في تقييماتها لقائدها كل الممارسات التي يمارسها اعضاء هذا الجهاز الأمر الذي يعني بالضرورة : أولاً تحجيم القاعدة الشعبية بحجم هذا الجهاز ، وبالتالي انعزال الفئات الجماهيرية الاوسع عن هذه القاعدة ، وثانياً تقلص حجم هذه القاعدة بالتدريج نتيجة لتلك الممارسات ، خصوصاً المجتمع الاسلامي الذي يعتبر التنظيم في شكله الحزبي المعاصر ظاهرة وافدة عليه من الغرب ، وبالتالي فانه يتعامل معها تعامل المرتاب!!
ان الامام سلام الله عليه على الرغم من احكامه لجهازه الاداري والتنظيمي وعلى الرغم من ارساله للعديد من الولاة والوكلاء ، غير انه ما كان ليكتفي بتقييمات هؤلاء بل كان يرسل العيون على هؤلاء ويبعث بمن يقيم له الاوضاع في هذه المنطقة او تلك ، ولم يكن يكتفي بكل ذلك بل كان يستنطق افراد هذه المناطق تحريرا ومشافهة ، حتى انه كان بنفسه يراقب الحركة الاجتماعية ويشرف عليها بشكل مباشر ، ويتابع بنفسه القرارات التي يصدرها والتعليمات التي يوجهها ، وهو في كل ذلك يوصي واليه على مصر مالك الاشتر (ر ض) ويقول :

أما بعد فلا تطوّلن احتجابك عن رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية مبعثة من الضيق ، وقلة علم بالامور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ،=

لمحمد بن أبي بكر (ر ض) يجد فيه حذاقة بارعة في الفن الاداري والتنظيمي ، وهكذا الى سائر ولاته ،لمحمد بن أبي بكر ، وابن عباس ، وعثمان بن حنيف و . . . الخ ، بشكل عام فان بالامكان ملاحظة هذا الفن عبر هذه الفقرات الادارية والتنظيمية المنتخبة وأقول هنا منتخبة لأنني لو اردت حصر كل هذه الفقرات فقد يحتاج هذا المقطع من البحث الى فصل كامل وبشكل مستقل .

أ ـ ضرورة التنظيم :

وصيته لاهل بيته : اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم[1] .

ب ـ تقسيم المسؤوليات وتوزيع الاعمال والتي تعتبر في الفكر الغربي من مبتدعات القرن الثامن عشر، كان امير المؤمنين (ع) قد أشار اليها في وصيته للامام الحسن (ع) حيث يقول له :

واجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه به فانه

= وانما انت احد رجلين : اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فصميم احتجابك من واجب حتى تعطيه ، او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع ، فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من ذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب انصاف في معاملة
ثم ان للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة . فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال .
نهج البلاغة ٤٤١ : ٥٣

(١) ن م ٤٢١ : ٤٧

احرى الا يتواكلوا في خدمتك [1] .

فالقائد الذي يحاول ان يمارس بنفسه جميع الاعمال لا يمكنه مطلقاً ـ في أحسن الاحوال ـ إلا ان يلبي حاجة اليوم دون أن يفكر أو يخطط للمستقبل ، ولهذا فانه من الضروري ان يجهد القائد نفسه من اجل العثور على اشخاص يكونون محاور لتنفيذ اعماله واجراء مقرراته .

هذا بالاضافة الى أن ترك العاملين من دون عمل مدعاة لليأس ، وموجب للملل ، كما ان عدم استيعاب طاقة هؤلاء ، وتوظيفها ، يعني التفريط بجهود بامكانها ان تساهم في دفع عجلة المسيرة نحو الامام ، وأي تفريط من هذا القبيل لا شك انه ينبأ عن ضعف في القدرة الادارية للقائد .

هذا علاوة على ان تقسيم الاعمال وايكال مهامها لمن يستطيع القيام بها أو على الاقل لمن لديه امكانية لحملها ولو بشكل تدريجي ، يحل واحدة من المشاكل المهمة في ادارة العمل وتخفيف كاهل المسؤوليات عن القيادة حيث ان ذلك يساهم في تسريب المسؤوليات الى الدرجات الادنى ، مما يساعد في تفرغ القيادة للمسؤوليات الاكثر اهمية ، علاوة على انه يعطي زخما جديدا وروحا متدفقة الى ساحة العمل من خلال اناطة مسؤوليات جديدة بعاتق اناسها .

هذا على ان القائد حتى لو اطمأن لمن معه من انصار واعوان في أن يتحملوا مسؤولياتهم الشرعية ازاء ساحة العمل ، غير أن عدم تشخيص اعمالهم وتحصيصها مدعاة لتواكلهم واعتمادهم على الآخرين في تنفيذها مما يؤدي الى خلل واضح في اجراء الاعمال .

ج ـ ومن يمعن في النص الثاني يجد الامام حاذقاً تمام الحذاقة في

(١) ن . م ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ ك٥٣ .

تأسيس الدولة وبناء هيكلها الاداري ، وهو الامر الذي لم يكن مورد تعارف اهل زمانه ، ولشد ما يشبه تقسيم الامام (ع) (وهو في ذلك الزمان الذي لم يكن فيه التعقيد الحضاري قد بلغ مبلغاً كثيراً) لوظائف الدولة التقسيم المعاصر ، حيث يقول :

> واكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، واقامة ما استقام به الناس قبلك .
>
> واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار واهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة [1] .

وهو حينما يشرع بتفصيل وظائف وحاجات كل صنف من هذه الاصناف يحس المرء انه يتحدث عن جهة تشريعية مهمتها التقنين للبلد وتتولى الارشاد وتعبئة طاقات الجماهير نحو استصلاح المجتمع وهو ما قصده بالعلماء والحكماء ، ثم عن جهة تتولى مهمة الدفاع عن البلاد والمسيرة ، وجهة ثالثة اشبه ما تكون بالجهاز الاداري للدولة ، ورابعة تمثل السلطة القضائية ، وخامسة جهة اجرائية تنفيذية وسادسة تماثل وزارة المالية ، وسابعة تناظر وزارة التجارة والصناعة والاقتصاد وثامنة تضاهي وزارة الداخلية والشؤون الاجتماعية ، وهو في كل ذلك يجمل القول

فيقول :

فالجنود بإذن الله، حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الامن ، وليس تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الآ بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم [1] .

وهو سلام الله عليه بعد ذلك يشرع بتفصيل كل فقرة من هذه الفقرات ويرسم امامها الطريقة التي ينبغي اتباعها عند التعامل مع هذه الفقرة او تلك .

(1) ن.م ٤٣٢ لـ٥٣.

٦ : سعة الصدر :

سعة الصدر هو الاخر عامل اساسي من عوامل نجاح القيادة ، وحق جوهري يترتب على كل قائد بطمح لجعل القاعدة الشعبية تقبل عليه ، وتتبنى مشاريعه فالقائد الذي يستوعب الآراء المضادة ، ويتقبل الحوار في ما لا يتبناه فكرياً وسياسياً ، والقائد الذي يمتص فورة الغضبان ، وهياج المنفعل ، هو الذي يتمكن دوماً من أسر قلوب الاخرين ، وتحطيم الحواجز التي تقف بينه وبين الاخرين ، خصوصاً ان اغلب الخصومات او العوامل التي تسرب البرود الى العلاقة بين طرف واخر ناجمة في العادة في حساسيات نفسية ، وتفسيرات غالباً ما تكون انفعالية اكثر مما تكون موضوعية ، وكل ذلك من شأن الحوار ، واستيعاب الرأي الآخر ، وعدم الايحاء بمصادرة الاراء المضادة أن يذوب جميع هذه العوامل ، أو على الاقل يخفف من حدتها أو يحجمها ، كما أن الاراء الموضوعية هي بالنتيجة تقف دوماً في مصلحة القائد لذا فان الاستماع اليها والاخذ بالجيد منها او ادامة الحوار حول جدواها ومبرراتها كله يسهم في تحصين البناء القيادي ، ونمتين الاواصر بين القائد وقاعدته .

على أن ضيق الصدر نفسه والديكتاتورية في الاراء فيها من الايحاءات والدلائل السلبية على مدى فهم القائد ما يكفي لتنفير الاخرين

عنه وابعادهم من محوريته .

ومن الطبيعي ان المسألة لا تتوقف عند مسائل الحوار والآراء المعارضة بل ان القضية اكبر من ذلك ، ففي العديد من الاحيان تواجه القائد مشاكل متعددة ، او ظروف طارئة سواء تلك الناجمة عن ظروف داخلية او عن ظروف خارجية يوجهها الاعداء او غيرهم . وهذه الظروف اذا لم تواجه بسعة صدر كافية فانها قد تساهم في مضاعفتها ، او تجعل القائد اضعف قدرة على مواجهتها والتخلص من آثارها السلبية وهو الامر الذي ينعكس حتماً على شكل علاقته مع القاعدة الشعبية التي تولي قرار القيادة او موقفها في مثل هذه الظروف ، عناية خاصة . ولهذا فان أي ضعف ناشيء من الانفعال اللاعقلي من الممكن ان يلمس ويشخص من قبل هذه القاعدة ، باعتبار حساسيتها واهتمامها بذلك . على العكس من بقية القرارات التي تصدر في الايام العادية ، حيث لا ترى مثل هذه الاهمية .

ومن الواضح ان الغضب والتشنج والانفعال وسائر الحالات النفسية المشابهة تؤثر بشكل اكيد على سلامة القرار وحكمته وموضوعيته ، الامر الذي قد يضع المسيرة ضمن احراجات هي في تمام الغنى عنها ، وقد يمنح اعداءها فرصة اكبر على النيل منها ، كما انها تجعل القرار القيادي خالياً من المبادرة وخاضعاً للفعل الذي تشكله هذه الظروف والمشاكل ، مما يجعل المسيرة في احسن ظروفها متوقفة عن التقدم نحو تحقيق اهدافها ، هذا اذا لم نقل بأنها منذ هذه اللحظة ستكون في مسار انحطاطي وتقهقري نحو الوراء ، فيما يكون لعدوها القدرة على التقدم او العمل على تحصين مواقعه وتوثيق تحصيناته المعنوية والمادية .

من جهة الامام امير المؤمنين (ع) فانه يعتبر سعة الصدر اساس الفن القيادي حيث يقول في هذا الخصوص : آلة الرياسة سعة

الصدر[١] . وهو ضمن سلوكه وفكره قد برهن على باع واسع في هذا المجال فحلمه وسعة صدره قد ملكت قلوب من عاصره ، حتى ان خادمه حينما يترك اجابته ويسأله عن السبب يقول له :

أمنت عقوبتك[٢] . .

ويمر يوماً بسوق التمر :

فاذا هو بجارية تبكي ، فقال : يا جارية ما يبكيك ؟ فقالت : بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمرا فأتيتهم به فلم يرضوه ، فلما اتيته به ابى أن يقبله ، قال : يا عبد الله انها خادم وليس لها امر ، فاردد اليها درهمها وخذ التمر فقام اليه الرجل فلكزه ، فقال الناس : هذا امير المؤمنين ، فربا ـ من الربو وهو صعوبة التنفس ـ الرجل واصفر واخذ التمر ورد اليها درهمها ثم قال : يا امير المؤمنين ارض عني ، فقال : ما ارضاني عنك ان اصلحت امرك واذا وفيت الناس حقوقهم[٣] .

وفي افكاره ووصاياه لاصحابه يحاول الامام (ع) من مجموعة من التعليمات ان يوجد لديهم حالة سعة الصدر ، لما في هذه الحالة من توسيع لمحوريتهم الجماهيرية ، وبالتالي توسيع القاعدة الجماهيرية للمسيرة التي يقودها ، إذ أن سعة الصدر مبتناة على عدة أمور أهمها ما

---

(١) ن.م ٥٠١ ح١٧٦ .
(٢) البحار ٤١ : ٤٨ .
(٣) البحار ٤١ : ٤٨ .

بلي :

أ ـ طرق تلقي الحكمة : ومن خلال اقواله (ع) نجد انه يدعو الآخرين لطلب الحكمة حتى ان كانت من المعارضين ، حتى ان كانت لدى اكثر هؤلاء خطراً وهم اهل النفاق ، وهو في هذا الصدد يقول : ـ خذ الحكمة انى كانت[1] .

ويقول ايضاً : الحكمة ضالة المؤمن . فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق[2] .

ومن البديهي ان هذا النوع من التربية يجعل القلب اكثر مرونة لمعرفة الراي المعارض والاستفادة من حسناته .

ب ـ الصبر : وفي ذلك نجد ان الامام (ع) لديه احاديث وحكم واقوال كثيرة الا أن ما يعنينا هنا هو تفسيره للصبر في مواجهة الازمات والمشاكل والمكاره على انه طريق النجاة ، وسبيل الخلاص من كل ذلك . فتراه يقول مرة :

ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور ، وان
جزعت جرى عليك القدر وانت مأزور[3] .

وفي قوله هذا يهدف الى مواجهة الازمة بما يمكن استيعابها واحتواءها من دون انفعال قد يؤدي الى الخروج بقرار ارتجالي يجر من بعده ويلات مع العلم أن الازمة هي الأزمة ، لا يبعدها انفعال ، ولا يردها هياج .

---

(١) نهج البلاغة ٤٨١ ح٧٩
(٢) ن . م ٤٨١ ح٨٠
(٣) ن . م ٥٢٧ ح٢٩١

أما من يصبر فان النجاح في القضاء على المكاره أو تخفيف حدتها هو مصيره ولا ريب فالصبور لا يعدم : الظفر وان طال به الزمان[1] .

أما من لم يصبر فلا سبيل له الا الهلاك اذ : من لم ينجه الصبر ، اهلكه الجزع[2] .

ج ـ الحلم ، هو الآخر يمثل احد الاركان التي تساهم باشادة الصدر الواسع ، وبالتالي في بناء علاقة محبة بين القائد وقاعدته ، أو في فضح اعدائه وتجريدهم من الكثير من هيبتهم ومهابتهم . وفي ذلك يقول الامام (ع): اول عوض الحليم من حلمه أن الناس انصاره على الجاهل[3] .

اما مصدره فيوضحه الامام بقوله (ع): الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة[4] .

وهناك أمور أخرى لم نشر اليها خوف الاطالة والاطناب .

---

(١) ن . م ٤٩٩ ح١٥٣ .
(٢) ن . م ٥٠٢ ح١٨٩ .
(٣) ن . م ٥٠٥ ح٢٠٦ .
(٤) ن . م ٥٥٦ ح٤٦٠ .

٧ ـ وضوح الهدف ، والإيمان به . . :

لا يمكن تصور قيادة لا تملك وضوحاً في الهدف الذي تسعى اليه ، لان ذلك يستدعي نفي اسباب وجودها . فانما يوجد القائد من اجل ان يهدي المسيرة التي تحدو وراءه الى هدف مشخص . ولا ريب ان القائد الذي لا يمتلك وضوحاً في الهدف لا يمكنه في أي حال من الاحوال أن يكون ناجحاً في ممارسته لفن القيادة ، حتى وان اوتي من القدرات والامكانيات المادية والمعنوية الشيء الكثير .

كما أن عدم وجود ايمان كاف بهذا الهدف يسلب القيادة الكثير من مصداقيتها باعتبار أن ذلك سيخلف بداهة تردداً في القرار ، وارتباكاً في المسعى ، وضعفاً في الهمة والعزم ، وكلها موجبة لتردي وضع القائد سواء على صعيد نظرته الذاتية أو على صعيد نظرة الآخرين اليه .

وفي كلا الحالتين سنجد القائد سريع الملل ، وكثير اليأس ، خصوصاً اذا فاجأته المصاعب ، أو داهمته المشاكل ، وهي مسألة طبيعية في كل مسيرة .

ولو نظرنا الى الامام (ع) لوجدناه عظيم الايمان بهدفه ، وواضح الرؤية في مسعاه . ولرأيناه ايضاً كثير التوصية لولاته بضرورة تحصيل ذلك ، وتوفيره في نفوسهم ، ولعل تمعن بسيط في قوله الشريف :

اني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي واني لعلى الطريق الواضح القطه لقطا . . . [١] .

يكون كافياً للتعرف على مدى وضوح الهدف الذي يسعى اليه ، وعلى مدى ايمانه بهذا الهدف ، وها هو يؤكد ذلك في خطبة اخرى امام الجماهير المحتشدة لسماع كلامه وهو يحفزها نحو الجهاد ويعلمها بحقانية القتال معه :

فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم ، فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق ، وانهم لعلى مزلة الباطل [٢] .

ويلحاظ ان هدف الامام (ع) هو الاسلام وتعبيد طريقه فان من يقرأ وصاياه لعماله على البلاد وهم القادة في تلك البلاد يجد فيها تعضيداً كثيراً لايمانهم بهذا الهدف من خلال تشخيصه لهم على الرغم من أن عماله قد اختارهم واغلبهم من اعلام الدين وابطال المسلمين . غير انه (ع) يجد ذلك ضرورة، فها هو يخاطب ـ محمد بن أبي بكر (رض) بالقول :

واعلم اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي ، اهل مصر ، فأنت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ، ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ، ولا تسخط الله برضى احد من خلقه [٣] .

---

(١) ن.م ١٤٢ خ٩٧.
(٢) ن.م ٣١١ ـ ٣١٢ خ١٩٧.
(٣) ن.م ٣٨٤ ك٢٧.

وها هو يوصي مالك الاشتر (ر ض) ويقول له في مطلع عهده المعروف :

هذا ما أمر به عبد الله علي امير المؤمنين ، مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه ، حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها واستصلاح اهلها ، وعماره بلادها .

فهو بعد ان يشخص له الهدف بشكل واضح يشرع بترسيخ الايمان بهذا الهدف باعتباره جهداً من اجل اعلاء كلمة الله فيقول له : امره بتقوى الله وايثار طاعته ، واتباع ما امر به في كتابه : من فرائضه وسننه ، التي لا يسعد احد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها ، وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جلّ اسمه ، قد تكفل بنصر من نصره ، واعزاز من أعزه .
وامره ان يكسر نفسه من الشهوات ، ويوزعها عن الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله[1] .

(١) ن م ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ؛ ك ٥٣ .

٨ ـ الاعتداد المناسب بالنفس :

الاعتداد بالنفس لدى القائد هو الآخر عنصر مهم من عناصر نجاح قيادته ، على ان لا يكون هذا الاعتداد طريقاً نحو الديكتاتورية وتأليه هذه النفس وتقديسها ، بل ان المطلوب هو وجود قدر مناسب من الاعتداد من شأنه ان يمنع عليه وجود حالة من عدم الثقة بالنفس ، وبالتالي لتفوده الى واحدة من مظاهر انفصام الشخصية ، الامر الذي يعني ان القرار القيادي سيبقى محكوماً بعوامل التردد والشك ، وتسلب من القائد صفة الحزم والقطع في قراراته وتوجيهاته .

ومن الضروري ان تسود نفس القائد طمأنينة كافية لكفاءاته وقدراته ، لأن عدم وجود ذلك سيجعله بالنتيجة مقوداً من قبل الآخرين ، ومن ثم تسلب القيادة منه ، ومعها قد تضيع المسيرة ، وتفقد الزخم في اندفاعها .

على ان ايجاد مثل هذا النوع من عناصر القيادة ينطوي على خطر كبير لا تقل خطورته عن عدم وجود هذا العنصر ، وذلك لان اي زيادة عن الحد المعقول لوجود هذا العنصر سيقود القائد الى مهالك مريعة ، فيما يجعل المسيرة التي يقودها نهباً للانانية التي ستتولد في نفسه من جراء ذلك ، وللنزعة الديكتاتورية التي ستعمل عمل الهشيم بالنسبة الى

وجود العناصر الاخرى ، وستكون كفاءات القائد الاخرى وقدراته مسخرة لتحقيق هالة قدسية له بدلاً من أن توضع هذه الكفاءات وتلك القدرات في خدمة اهداف المسيرة الاجتماعية ، وتحقيق طموحاتها وآمالها ، وتخليصها من آلامها ومعاناتها .

ولهذا فلا بد من ان يقترن ذلك بتربية خاصة من شأنها أن تشذب ذات القائد وتمنع عليها كل الانحرافات والسقطات ، وتجعلها في حذر دائم من كل انزلاق نحو تحول الاعتداد بالنفس الى حب جارف لها ، واطمئنان عظيم لرغباتها .

وفي تفحصنا لتراث امير المؤمنين(ع) نجد انه كان يمتلك قدراً عالياً من الاعتداد بالنفس بالشكل الذي لم يجعله خاضعاً ولو لمرة واحدة لعوامل الشك والتردد . غير انه في نفس الوقت كان قد سلط عليها سوط التربية الصارم ، وجعلها خاضعة الى نفس الاهداف التي يطمح للوصول اليها في مسيرته نحو الكمال المطلق ، ففي الجانب الاول يمكننا أن نتلمس هذاالاعتداد من خلال جملة من اقواله الشريفة التالية :

ما شككت في الحق مذ رأيته . . [1]

ان معي لبصيرتي ما لبست عليّ نفسي ولا لبس علي [2] . .

اني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني [3] .

غير انه في الجانب الثاني كان قد سما بنفسه من خلال تربيته

(١) ن.م ٥١ خ٤ .
(٢) ن.م ٥٤ خ١٠ .
(٣) ن. م ٦٤ خ٢٢

الصارمة لها الى اعلى عليين حتى باتت خاضعة تماما لاهدافه المقدسة .

حيث يقول (ع): وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي امنه يوم الخوف الاكبر ، وتثبت على جوانب المزلق [1] .

وهو ايضاً يقسم بالله ويقول :

وايم الله - يميناً استثني فيها بمشيئة الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ، ولادعن مقلتي كعين ماء ، نضب معينها ، مستفرغة دموعها [2] .

وهو يوصي الامام الحسن (ع) بذلك ويبرر له هذا الامر بقوله :

واكرم نفسك عن كل دنية ، وان ساقتك الى الرغائب ، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً [3] .

وقد كانت نتيجة هذه التربية انه في الوقت الذي نلمس منه تحقيراً لنفسه ولدنياه يبلغ الحد الذي يقول فيه وهو يتحدث عن خطورتها واثرها على الامم والقادة :

اليك عني يا دنيا ، فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك ، وافلت من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك ، اين القرون الذين غررتهم

(١) ن.م ٤١٧ ك٤٥ .
(٢) ن.م ٤١٩ ك٤٥ .
(٣) ن.م ٤٠١ ك٣١ .

بمداعبك، اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك فها هم رهائن القبور ، ومضامين اللحود . والله لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسياً ، لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف وأوردتهم موارد البلاد اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطىء دحضك زلق ، ومن ركب بحجبك غرق ، ومن ازور عن حبائلك وفق ، والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه .

اعزبي عني ! فوالله لا اذل لك فتذليني ، ولا اسلس لك فتقوديني [1] .

في مثل هذا الوقت تجد اعتداده بنفسه وبشخصيته قد بلغ به الحد الذي يجعله يقول بكل اطمئنان :

ايها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض ، قبل ان تشغر برجلها (اشارة الى قدوم الفساد والفتنة) تطأ في خطامها (كناية عن تعثر الامة بدون قائدها) وتذهب باحلام قومها [2] .

(١) ن م ٤١٩ ك ٤٥

(٢) ن م ٢٨٠ ـ ١٨٩

٩ ـ القدرة على تشخيص المرحلة :

ضمن هذا العنصر تندرج عدة امور قد تبدو للوهلة الاولى غير مترابطة بشكل كامل ، ويجب ان تبحث بشكل مستقل ، غير انها كلها لكونها تتعلق بتشخيص الظروف ، لذا فقد اثرت التعرض لمجموعها ضمن هذا الحيز .

تعتبر عملية تشخيص طبيعة المرحلة ، واستخدام الاساليب التي تتناسب مع هذه المرحلة مهمة اساسية من مهام القائد ، وهذا الامر يتوقف بشكل كامل على امتلاك القائد للقدرة التي تمكنه من هذا التشخيص وسعة افق وتفكير لازمين وشدة انتباه لكافة تفاصيل الواقع الحاضر ، باعتبار ان المستجدات التي تحبل بها الساحة متوقفة على مقدماتها ، وهذه المقدمات يمكن العثور عليها في الواقع المعاش ، ولهذا فان القدرة القيادية في هذا الصعيد تبرز حينما يبادر القائد الى جمع اوصال هذه المقدمات ، وترتيب اشتاتها . وقائد كهذا لا بد ان يكون موفقاً في عمله القيادي باعتبار انه سيكون اكثر قدرة على استغلال واستثمار الواقع لمعالجة المستجدات القادمة السلبية منها والايجابية . ومن البديهي أن المسألة لا تنحصر بالمستجدات فحسب ، وانما تشمل نفس الواقع الحاضر ، فالقائد الذي لا يتمكن من تشخيص متطلبات هذا الواقع ، لا يمكنه أن يقود المسيرة التي يقف في طليعتها نحو تحقيق

اهدافها ، اما غيره فانه ولا شك من خلال هذا التشخيص سيتمكن من تعيين افضل الاساليب لمواجهة متطلبات هذا الواقع ومثله هنا مثل الطبيب الحاذق عن غيره ، فالطبيب الحاذق الذي يتميز بكونه اكفأ على تشخيص الداء بشكل دقيق ، هو وحده الذي يتمكن من تشخيص الدواء الذي من شأنه أن يرفع الحالة المرضية او يخفف من حدتها .

ومثلما ان الطبيب لا تنحصر كفاءته بقدرته على تشخيص الداء فحسب ، وانما المطلوب هو ان تقرن هذه القدرة بالسرعة التي تكفي لانقاذ المريض ، والا لا قيمة لتلك القدرة اذا ما جاء بعد فوات الاوان . كذلك القائد فانه ليس مطالباً ان يوفر قدرة على هذا التشخيص فحسب ، وانما لا بد من ان يقرن هذه القدرة بالسرعة التي من شأنها أن تتيح فرصة اكبر للعمل لمواجهة متطلبات هذا التشخيص ، وبغيره فان تلك القدرة مهما كانت تتضمن كفاءة عالية ، غير انها اذا لم تكن سريعة فانها قد تعرض الوضع القيادي الى عدة ازمات يتناسب صغرها او كبرها مع صغر وكبر الاوضاع المستجدة .

ومن كل ذلك نجد ان القائد ضمن هذا الصعيد يجب ان يتميز بالصفات التالية :

أ) القدرة على تشخيص ظروف المرحلة ، ومستجداتها .

ب) حسن وحكمة هذا التشخيص .

ج) سرعة التشخيص .

وحينما يكون الحديث عن امير المؤمنين (ع) فان تراثه ينبىء عن وجود قدرة عالية على التعرف على المرحلة ومستقبلها وبما تحبل به الايام من احداث ومستجدات ، وكذلك فان تشخيصه للحلول كان يتسم دائماً بالحكمة والموضوعية . كما انه كان سريع التشخيص ، وهذه

السرعة لم تكن محصورة في عملية تشخيص طبيعة المرحلة فحسب ، وانما كانت تشمل السرعة في اعطاء الحلول وكذلك السرعة في اصدار القرار لمواجهة متطلباتها ، ومن خلال النصوص التالية يمكننا ان نتعرف على ذلك :

أ) ففي مجال تشخيص اوضاع المرحلة المقبلة ، يمكننا معرفة براعة الامام (ع) في ذلك من خلال قوله للناس لما ارادوه للبيعة بعد قتل عثمان :

> دعوني والتمسوا غيري ، فانامستقبلون امراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وان الآفاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت [1] .

ب) وفي مجال تشخيص التحركات السياسية وواقعها الحقيقي نلمس في قوله حينما سمع شعار الخوارج : لا حكم إلا لله ، ما يشعرنا بقدرة فائقة في التعرف على جميع التحركات السياسية حتى ان كانت تلتحف برداء من شأنه أن يغطي على واقعها الحقيقي فحينما سمع قولهم قال (ع):

> كلمة حق يراد بها باطل : نعم انه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله ، وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيه الاجل ويجمع به الفيء ، ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ للضعيف من القوي [2]

(١) ن ، م ١٣٦ ـ ٩٢

(٢) ن ، م ٨٢ ـ ٤٠

ونفس الشيء نجده في تقييمه لأمر المصاحف يوم التحكيم في صفين ، فحينما جاءه خبر المصاحف قال (ع) لمن معه :

هذا أمر ظاهره ايمان ، وباطنه عدوان ، وأوله رحمة ، وآخره ندامة ، فأقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا الى ناعق نعق [1] .

ج) أما تشخيصه للازمة وطرق حلها فيمكن تلمسه من خلال حديثه مع الخليفة الثاني الذي استشاره مرة في الخروج لغزو الروم ، وثانية لغزو الفرس بنفسه فقال له في المرة الاولى :

انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك ، فتلقهم فتنكب ، لا تكن للمسلمين كانفة (من كنف بمعنى العصمة) دون اقصى بلادهم . ليس لهم مرجع يرجعون اليه ، فابعث اليهم رجلا مجرباً ، واحفز معه اهل البلاء والنصيحة ، فان اظهر الله فذاك ما تحب ، وان تكن الاخرى ، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين [2] .

اما في المرة الثانية ، فقد قال (ع) له ان : مكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه :

فان انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع

(١) ن . م ١٧٩ خ ١٢٢
(٢) ن . م ١٩٣ خ ١٣٣

بحذافيره ابداً ، والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فهم كثيرون بالاسلام ، وعزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً واستدر الرحا بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك .
ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك ، وطمعهم فيك [1] .

د) اما فيما يتعلق بتشخيصه لامراض الواقع وخصائصه ، وتوقعه للاحداث المستقبلية وفقاً لهذه الأمراض ، فيمكن معرفة ذلك من خلال قوله (ع) حينما تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معاوية على بعض انحاء البلاد ، أو تعرضهم لحياة المسلمين في انحاء اخرى ، فنجده مرة يقول لأهل الكوفة :

واني والله لأظن ان هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل ، وبأدائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم [2] .

وثانية يخاطبهم بالقول :

(١) ن . م ٢٠٣ خ ١٤٦ .
(٢) ن . م ٦٧ خ ٢٥ .

الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً ، وسراً وعلانية ، وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم ، وتخاذلتم ، حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان [1] .

ومن جراء ذلك وتفاقم اوضاع الواقع ووخامته ، يخاطب الامة ثالثة فيقول :

الا وان اخوف الفتنة عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها ، وحضت بليتها ، واصاب البلاء من ابصر فيها ، واخطأ البلاء من عمي عنها ، وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس [2] . .

وكل ما قاله قد تحقق !! .

(١) ن . م ٦٩ خ٢٧

(٢) ن.م ١٣٧ خ٩٣.

١٠ ـ قوة الارادة وهيبة الشخصية :

الحياة بالنسبة لأي شخص تنطوي على العديد من المشاكل والمصاعب ، وهذه المشاكل والمصاعب اذا لم تواجه بارادة تحتوي سلبياتها ، ومن ثم لتواجهها بما يتناسب وطبيعتها من اجراءات ومواقف ، فان هذه الحياة تغدو بالنسبة الى صاحبها كالجحيم ، وفي هذه الصورة فان انسان جان بول سارتر (J.P.sarter) في غثيانه وفلسفته الوجودية ، المعروف بكرهه للحياة ، ويأسه وقلقه المستمر من المستقبل ، يغدو هو الانسان السائد في مثل هذه الحياة .

فالحياة بالنسبة لأي فرد من افرادها ، مملوءة بالعوامل التي تتضمن اثراً تعويقياً على حركته ، وهذه العوامل منها الطبيعية كالظواهر الفيزيائية وغيرها ، ومنها المادية ، ومنها المعنوية المربوطة مرة بحياته ضمن الجماعة ، وأخرى في حدود فردانيته الذاتية . وكل هذه العوامل تعتبر في احدى واجهاتها عوامل اعاقة لحركة الانسان ضمن هذه الحياة ، الا أنه من الواضح يمكن في اغلب الاحيان تجريدها من عنصر التعويق ، او تخفيف حدته في احيان أخرى .

ولكن شريطة أن يتمتع هذا الانسان بارادة تقاوم هذه الامور وتجابهها بما يليق . ومن الطبيعي عندئذ أن الانسان يحصل على امكانية

تحويل العديد من عناصر الاعاقة الى عناصر مساعدة تعمل لخدمته ومصلحة حركته « كما لاحظنا ذلك في تمكن الارادة الانسانية من تحويل الكثير من الظواهر الفيزيائية التي كانت في القديم تعتبر من الكوارث العظيمة على حياة الانسان ، الى عوامل مساعدة لحياة الانسان ومفيدة له . وكذلك فان الانسان الذي يعاني من مشاكل في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه يمكنه من خلال ارادة خاصة تطويع هذه المشاكل وتبديد آثارها السلبية على حركته في هذا الوسط . وهكذا .

وبالعكس فان عدم وجود ارادة قوية من شأنها ان تذلل هذه المشاكل مما لا شك فيه ان هذه المشاكل اذا لم تتضاعف حدتها فانها على الاقل ستهزم هذا الانسان وتحيله الى وجود تنهم فيه كل عوامل اليأس والقلق والملل ومن ثم لتقوده الى الانتحار الحضاري ، او الانتحار الواقعي . وما نشهده اليوم في المجتمع الاوروبي أو السائر باتجاهه ما هو الا مصداق على صحة ذلك .

حينما يصح ذلك على الانسان العادي فانه يتعاظم بشكل كبير على القائد الذي أخذ على عاتقه تحمل مسؤولية مواجهة جميع المشاكل ومجابهتها ، وهو ما لم يتمتع بارادة قوية فانه ولا شك سيعرض المسيرة التي يقودها الى مخاطر ومهالك هي في تمام الغنى عنها . والا فانه لا يتمكن بأي حال من الاحوال أن يوصل هذه المسيرة الى تحقيق اهدافها وبلوغ طموحاتها وامالها . لانه لا يمكن تصور وجود مسيرة اجتماعية ترمي لبلوغ اهداف محددة ، وهي بعيدة عن المعوقات والمفاوز والعثرات . وحيث يكون ذلك فانه لا يمكن اجتياز ذلك كله الا من خلال تمتعها بارادة قوية ، وهذه الارادة ترتبط حصتها الاكبر بارادة قائد هذه المسيرة .

الى جانب ذلك فانه لا بد لمثل هذا القائد ان يتمتع بهيبة في

الشخصية تمكنه من قود الاخرين لارادته ، وتطويعهم للعمل بمقرراته ، وبغير ذلك فان هذه الارادة تبقى محرومة من سوق ارادة الاخرين باتجاه مسارها .

والامام امير المؤمنين (ع) الذي كان يتمتع بارادة صلبة شهد لها الاعداء قبل الاصدقاء ، علاوة على تمتعه بهيبة عظيمة ومهابة زرعها في قلوب المبغضين والمحبين على حد سواء ، فانه في وصاياه وارشاداته كان يولي هذا الامر عناية خاصة واهمية فائقة ، فعلى صعيد ارادته نجد في قوله التالي خير معين للتعرف على عظمتها وقوتها حيث يقول :

> اني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت[1] .

وفي مكان آخر يقول (ع):

> والله ان امرءاً يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه (يأكل لحمه فلا يبقي على العظم شيئاً) ويهشم عظمه ، ويفري جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره . أنت فكن ذاك ان شئت . فأما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية (كناية عن السيف) تطير منه فراش الهام (الرؤوس) وتطيح السواعد والاقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء[2] .

وفي قوله هذا مقارنة بين صاحب الارادة القوية وبين الاعزل منها .

---

(١) ن . م ٤٥٢ ك٦٢ .

(٢) ن . م ٧٨ ـ ٧٩ ح٣٤ .

على صعيد آخر ها هو يخاطب اصحابه ويريهم طريق النصر واسبابه ، وفي محتوى قوله التالي نجد عظمة الدور الذي تلعبه الارادة القوية في تذليل المشاكل وتحويلها الى نصر وظفر :

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ، ما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً ، ومضياً على اللقم (الطريق) ، وصبراً على مضض الالم ، وجدًا في جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان انفسهما : ايهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت ، وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه (كناية عن التمكن بعد الحاجة) ومتبوئاً أوطانه [1] .

وقد قرنت هيبة شخصيته مع قوة ارادته ، وفرضت مهابته على كل من عاشرهم وعرفوه حتى اسماه غالبية اعدائه بالموت الاحمر [2] . اما اصحابه فان ابن عباس وهو من المقربين جدا للامام كان يقول : كان امير المؤمنين (ع) اذا اطرق هبنا أن نبتدئه بالكلام .

وقد قيل له مرة :

بم غلبت الاقران ؟ فقال لهم (ع) : بتمكن هيبتي

(١) ن . م ٩١ـ٩٢ ـ ج٥ .
(٢) البحار ٤١ : ٦٣ .

في قلوبهم [1] .

وفيه يقول ضرار بن ضمرة الليثي احد اصحابه :

كان والله فينا كأحدنا يدنينا اذا اتيناه ، ويجيبنا اذا سألناه ، وكان مع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته ، ولا نرفع عيناً لعظمته [2] .

(١) ن . م ٤١ : ٧٢ .
(٢) ن . م ٤١ : ١٢٠ ـ ١٢١ .

١١ ـ جذب حب الجماهير :

حينما تسود المحبوبية بين القائد والمنقاد تزول العديد من الموانع التي قد تقف دون اجراء توجهات هذا القائد ، هذا في الوقت الذي يكون فيه المنقاد اكثر قدرة على العطاء والبذل واكثر اندفاعاً في ذلك ، وقد اعتبر علم الاجتماع السياسي قدرة القائد على ايجاد رابطة محبوبية بينه وبين قاعدته الجماهيرية ، وايجاد العوامل التي تجذب هذه القاعدة باتجاه الهرم القيادي شرطاً اساسياً من شروط القيادة السليمة ، ومن البديهي ان يكون شرطاً اساسياً وذلك لان القيادة من دون قاعدة جماهيرية لا يمكنها بأي شكل من الاشكال ان تنجح ، وهذا الامر لا يكون الا من خلال تعميق اواصر الولاء الى القيادة ، وهذه الاواصر مرتبطة بمجموعة من العوامل الفكرية والعاطفية والسلوكية ، وحيث يكون ذلك فان عامل المحبوبية ينفرد بثلث هذه العوامل باعتباره مهيمناً على الجانب العاطفي لدى الانسان ، وهو علاوة على ذلك فانه يؤثر على العاملين المتبقين .

وبعيداً عن افكار علم الاجتماع السياسي (Sociology - Politiq) فان الامام علياً (ع) كان في اخلاقه وسلوكياته قد اوقع محبوبية في قلوب قاعدته الجماهيرية بشكل عجيب ، وهو فوق ذلك فقد كان يوصي وكلاءه وولاته بالعمل على زرع المحبة في قلوب الجماهير ، وليس من العسير

ادراك ذلك ، فمن الواضح ان الاخلاق الاسلامية اذا ما تسامى المرء الى مستواها فانه ينتزع حب الناس له شاء أو أبى . واحلال هذه الاخلاق في وسط المجتمع الاسلامي كان الامام يعتبره احد اهدافه الرئيسية ، ومن البديهي انه اذ يسعى لاحلال ذلك في وسط المجتمع ، فانه يبدأ بنفسه ، وبالفعل فقد كان مثال الاخلاق الحسنة ، والسلوك المناقبي الرائع ، وحال كهذا لا بد ان يزرع حبه في وسط الجماهير ، ففي مجال تواضعه كان متواضعاً الى درجة لا تصدق ، وفي مجال حسن اخلاقه ومكارمها كان على منزلة عظيمة من ذلك ، وفي مجال العفو ، كما في مجال المواساة ، كما في مجال الصدق ، كما في مجال العدل ، كما في مجال بشاشة الوجه . الخ كان قد ملك من خلالها قلوب من عاشروه ، ولعله هو الوحيد الذي لم يعثر شانؤوه على علة يعيبونه بها فما وجدوا الا دعابته وبشاشة وجهه التي لم تكن تفارقه في اغلب الاحيان ، ولا انوي هنا الاطالة اذ يكفي ان اذكر عهده لمالك الاشتر (ر ض) حيث يوصيه بحب الناس وجلب اعتمادهم وذلك بقوله :

> واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم [1] .

اما في خصوص ايجاد عوامل جذب الافراد والقاعدة الجماهيرية ، فان الامام كان قد اعتمد تحمله الكامل للمسؤولية ، وجديته في التعامل مع الامور ، واخلاقه الجمة في ايجاد هذه العوامل ، اما غير ذلك من وسائل ميكافيلية فقد اعلن عن رأيه فيها بكل صراحة ولأكثر من مرة اذ يقول الامام الصادق (ع) عنه (ع): كان امير المؤمنين (ع) يقول

---

(١) نهج البلاغة ٤٢٧ ك٥٣ .

للناس بالكوفة :

يـا أهل الكـوفة اتـروني لا أعلم ما يصلحكم ؟ بلى ولكني اكره ان اصلحكم بفساد نفسي[1] .

وعن ذلك ايضاً يقول الاصبغ بن نباتة (ر ض) :

قال امير المؤمنين (ع) ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكـوفة : يـا ايها النـاس لولا كـراهية الغـدر لكنت من ادهى النـاس ، الا ان لكل غـدرة فجرة ، ولكل فجرة كفرة ، الا وان الغدر والفجـور والخيانـة في النار[2] .

وسنتوسع في هذا الحديث في الفصل القادم ـ بحول الله ـ .

(١) البحار ٤١ : ١١٠ .

(٢) ن . م ٤١ : ١٢٩

١٢ ـ التقـــوى :

وآخر شروط القيـادة الناجحة في الاسلام ، واهمهـا على الاطلاق هو شرط التقوى ، ومن الواضح ان هذا الشرط لا يختص بالقيادة فحسب وانمـا يمتـد الى كـل مسلم ، حيث يـلاحظ وجـوده بسهـولـة في كـافـة التوصيات التي يوجهها الاسلام الى الفرد والمجتمع الاسلامي .

ومن خـلال الملاحـظة الدقيقـة نجد ان عنصـر التقوى يمثـل ركنـاً اساسياً في عملية التغيير الاجتماعي الاسلامية فقوله تعالى :

﴿ ان الله لا يـغيـر مـا بـقـوم حتى يغيـروا مـا بأنفـسهم ﴾[1] .

والذي يظهر ان عملية التغيير مرهونة بتغيير الذات الانسانية ، الامر الذي يشيـر الى ان هـذه الـذات تمثـل البنـاء التحتي لعمليـة التغيير الاجتماعي ، ولكن هذا البناء التحتي لا يعني عدم وجود اي شيء قبله ، فهـو بحاجـة الى من يلونه ويعـطيه الشكـل الذي بموجبـه يتحـرك نحـو التغييـر ، ولا يوجـد من يلعب هذا الـدور غيـر الـدين وفق وجهـة النـظر

(١) سورة الرعد / الآية : ١١ .

الاسلامية[1] فالله هو الذي يغير ، ومما لا شك فيه ان الله لا يمارس عملية التغيير بذاته حيث ان الامر مركول الى البشر انفسهم ، ولكنه جعل امام البشر طرق الهداية والضلال :

﴿ انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً ﴾ [2] .

ولكن :﴿من يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل﴾ [3] .

وحينما يلعب الدين مثل هذا الدور الخطير في عملية التغيير الاجتماعي فان الانسان يبقى معرضاً لخطر اهتزاز او ضعف الالتزام الديني الامر الذي قد يعرض عملية التغيير الاجتماعي ذاتها الى خطر الانحراف عن اتجاهها الصحيح ، ولا يوجد من يبقي جذوة الالتزام الديني متوهجة وحيوية مثل عامل التقوى ، وتتعاظم هذه المسألة بشكل حاد حينما تكون مختصة بالشخص الذي يتولى قيادة الحركة التغييرية اذ أن مغريات القيادة ومخاطرها في آن واحد تجعل هذا الشخص بأمس الحاجة الى عنصر التقوى ، كما ان الدور الخطر الذي يمكن ان يلعبه شخص القائد في انحراف او صيانة الحركة التغييرية ، تعطي لعامل التقوى وجوداً مركزياً في شخصية أي قائد ، فالتقوى هي وحدها التي تستطيع الوقوف امام الانحراف ، وها هو القرآن الكريم يحدثنا عن امكانية الانحراف في الشخصيات التي قد توفر سائر شروط القيادية غير انها تنحرف حينما تفقد عنصر التقوى في حياتها :

(١) لمزيد من الاضلاع بتفصيل مراجعة فصل عناصر المجتمع في القرآن الكريم من كتاب المدرسة القرآنية للسيد الشهيد (قدس سره)

(٢) سورة الدهر / الآية : ٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٠٨

﴿ واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون * ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام * واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[1].

ومن شأن ذلك أن يدلنا على الاسباب التي جعلت الرسول (ص) يعطي لعملية القتال والجهاد في سبيل الله صفة الجهاد الاصغر ، غير انه يختص صفة الجهاد الاكبر لعملية تكريس التقوى في النفس الانسانية ، فالرسول (ص) حينما ترجع احدى سرايا جيشه يستقبلهم بقوله :

مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس [2] .

والامام امير المؤمنين (ع) يسمي جهاد النفس بانه افضل انواع الجهاد : ان افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه [3] .

فيما نجد ان الامام الصادق (ع) يصفه بانه اعظم اصناف الجهاد :

الجهاد على اربعة اوجه ، فجهادان فرض ، وجهاد سنة لا تقام الا مع الفرض ، وجهاد سنة ، فاما احد

(١) سورة البقرة / الآية : ٢٠٣ ـ ٢٠٦

(٢) وسائل الشيعة (ط س) ٦ : ١٢٢ ، ١٢٤ .

(٣) م . م ٦ : ١٢٤

الفرضين ، فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عز وجل وهو من اعظم الجهاد[1] .

ولهذا كله فانه ليس غريباً اذا ما عرف عنصر التقوى باهم الشروط التي يجب أن يوفرها القائد في وجوده الذاتي والاجتماعي ، اذ يعتبر هذا الشرط بمثابة عامل جذب ودفع في آن واحد ، فالقائد الذي يتراخى ، او يتهاون في عمله ومتابعة اهدافه ، او يضعف عن مقابلة المخاطر والاهوال ، أو ينكل بقاعدته الشعبية ، أو يتهرب من حمل المسؤولية أو . . الخ تلعب معه التقوى دور الدافع عن هذه الامور وتدفع به نحو تركها والعمل بما يرضى الله حيث تمثل مضادات هذه الأمور ، مصاديق عظيمة من مصاديق رضى الله عز وجل .

وهي في نفس الوقت تلعب دور التشجيع والتحفيز والحث على المزيد من اجل خدمة اهداف الرسالة الاسلامية .

وهي بذلك تحل واحدة من اهم الاشكالات التي تواجه القادة غير الاسلاميين منهم ان ضعفوا ، أو تخلفوا ، او تهاونوا ، أو تهربوا ، او . . . الخ فمن الذي سيردهم عن ذلك كله . فالشعور الوطني ، او الشعور القومي او الشعور الاممي او الشعور الاصغر من ذلك أو الاكبر مهما كان عظيماً فانه يبقى ـ محدوداً لذلك فان القائد قد يجد نفسه في وقت من الاوقات خارج هذه الحدود فمن هو الذي يرده اليها .

ونفس هذا الامر يتعلق بالوجه الثاني لعامل التقوى ، فلقد ثبت ان عوامل التحفيز والتشجيع والحث في الفكر اللااسلامي هي الأخرى محدودة ، الأمر الذي يعني تعطيل الطاقة والقدرة الانسانية عند حدود

(١) د م ٦ : ١٦

هي اكبر منها بكثير .

ووفقاً لمباديء الاسلام فقد اولى الامام (ع) مسألة التقوى اهمية قصوى وجعلها في اوائل الاولويات . وكيف لا وهو الذي عرف بامام المتقين ، ونجد الامام في العديد من احاديثه وخطبه ورسائله وكتبه يشير الى عاملي الدفع والجذب في التقوى ، ونذكر هنا جملة من هذه الاحاديث والخطب لنختم بها هذه الفقرة . ففي خطبته المعروفة بالغراء يقول (ع):

اتقوا الله تقية من سمع فخشع ، واقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وايقن فاحسن وعبّر فاعتبر ، وحذر فحذر ، وزجر فازدجر ، واجاب فأناب ، وراجع فتاب واقتدى فاحتذى ، واري فرأى ، فأسرع طالباً ، ونجا هارباً ، فأفاد ذخيرة ، واطاب سريرة وعمّر معاداً ، واستظهر زاداً ، ليوم رحيله ، درجة سبيله ، وحال حاجته ، وموطن فاقته ، وقدم امامه لدار مقامه . فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له ، واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه ، واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجّز لصدق ميعاده والحذر من هول معاده[1] .

وفي خطبة اخرى له يقول (ع):

عباد الله ، ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه ، والزمت قلوبهم مخافته ، حتى اسهرت لياليهم ،

(١) نهج البلاغة ١٠٩ ـ ١١٠ خ٨٣.

واظمأت هواجرهم ، فأخذوا الراحة بالنصب والرّي بالظمأ واستقربوا الآجل فبادروا العمل ، وكذبوا الامل فلاحظوا الآجل[1].

وفي كلام آخر له يقول (ع):

ولو ان السماوات والارضين كانتا على عبد رتقا ، ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهما مخرجا[2] .

وفي خطبة اخرى كان قد خطبها في اوائل خلافته يقول (ع):

اتقوا الله في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله ولا تعصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوا به ، واذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه[3] .

(١) نهج البلاغة ـ ١٧٠ ـ ج ١١٤

(٢) نهج البلاغة ـ ١٨٩ ـ ج ١٣٠

(٣) نهج البلاغة ـ ٢٤٢ ـ ج ١٦٧

خاتمة الفصل :

قبل أن نختتم هذا الفصل ، يجدر بنا أن نشير الى جملة من الامور والملاحظات التي لوحظت على طبيعة ما ساد الحديث في الباب الثاني من هذا الفصل . وذلك تلافياً لما قد يحصل من ايحاءات لدى القارىء الكريم لا نرغب بتولدها في شعوره أو ذهنه ، وهي مما لا يخفى على اللبيب . وهذه الملاحظات هي :

أولاً : قد يشعر الكلام في هذا الباب بأننا كنا نستهدف اجراء مقارنة ما بين عناصر القيادة الناجحة والمقررة بشكل موضوعي وعلمي ، وبين ما توفر في شخصية وتراث الامام امير المؤمنين (ع) وهل انه وفر مثل هذه العناصر والشروط ام لا ؟ .

غير أننا لا نستهدف ذلك مطلقاً ، بل اننا استهدفنا الاشارة الى ما ينبغي لقادتنا ان يوفروه من عناصر النجاح في القيادة ، او ما يجب ان يضعوه دوماً في عين اعتبارهم من عناصر وعوامل لانجاح مسيرتهم القيادية ، واننا حيث نعتبر الامام امير المؤمنين (ع) في شخصيته وتراثه الفكري والسلوكي يمثل خير انموذج وقدوة للقائد المنتمي الى حزب الله .

ولم لا وهو الذي قال عنه الرسول (ص): بأنه مصداق التعرف

على حزب الله وحزب رسوله : يا علي لولا انت لم يعرف حزب الله وحزب رسوله .

ولهذا فقد ابتدأنا الحديث عن ما يمكن أن يسمى بالاطار الموضوعي لهذا العنصر أو ذاك ثم اردفناه بما يؤيده ويقومه مما وجدناه في تراث الامام امير المؤمنين (ع).

ثانياً : لا شك ان القاريء لمس أننا في عدة فقرات اشرنا الى ايجابيات هذا العنصر أو ذاك ، أو تحدثنا عن سلبيات عدم وجوده في الرمز القيادي وآثار ذلك على المسيرة التي يقودها هذا الرمز . وما نجده ضروري الاشارة هنا هو أننا لم نستهدف استعراض جميع ايجابيات هذا العامل كما أننا لم نتوخ الوصول الى ذكر جميع سلبياته ، بل ان كل ما رمنا الوصول اليه ، هو الاكتفاء بتبيان اهمية الموضوع المعروض ضمن هذه الفقرة او تلك ، ليس الا . ونحن على كامل الاطمئنان بأن الايجابيات المذكورة ضمن كل فقرة هي اكثر بكثير مما ذكرناه . وهذا الامر بدوره يسري ايضاً على السلبيات .

ثالثاً : ان ما ذكرناه من عوامل وعناصر وشروط القيادة والانقياد ، قد استهدف اهم الامور واساسياتها ، ولهذا فقد يتصور القاريء الكريم أننا لم نشر الى عناصر اخرى قد تدخل في حيز الانقياد ، او في اطار القيادة ، ونحن في الوقت الذي لا نؤكد فيه وجود عناصر اخرى، فاننا ندرك تماماً ان العديد من العناصر التي قد يشعر البعض بأنها مستقلة تمام الاستقلال عما ذكر من عناصر وعوامل، يمكن ادخالها منهجياً ضمن هذا العامل او ذاك ، خصوصاً فيما يتعلق بعناصر القيادة فقد يقال بأن العديد من العناصر التي يلزم وجودها في القيادة الناجحة لم يشر لها من قبيل : منح المسؤوليات لمن يناسب من الافراد أو العمل على توسيع القاعدة المؤمنة بنفس الاهداف التي يؤمن بها القائد ، او الاستعداد

لاحتياطات الخسارة والهزيمة والتراجع . . . وغيرها . غير أننا لاحظنا ان ما تركناه من هذه العناصر ينضوي بالضرورة بشكل أو بآخر ضمن هذا العنصر أو ذاك . فبالنسبة الى منح المسؤوليات فان هذا يدخل ضمن اطار تقسيم الاعمال والقدرات الادارية والتنظيمية . وكذلك فان العمل على توسيع القاعدة المؤمنة يدخل ضمن عدة عوامل منها المواساة والمحبوبية لدى الجماهير وسعة الصدر وامثال ذلك . كما اننا تحدثنا عن الاستعداد لاحتياطات التراجع والانكسار في عنصر المبادرة .

آملاً من القاريء الكريم أن نكون واياه في مواقع حسن الظن .

وما توفيقنا الا بالله .

الفصل الثالث

أسباب عدم بلوغ قيادة الإمام (ع) بعدها الحقيقي .

لا بد ان الحديث عن توفر عناصر القيادة الناجمة في شخصية الامام امير المؤمنين (ع) قد طرح في اذهان العديدين تساؤلات عديدة بشكل تلقائي ، لعل اهمها يتعلق بالاسباب التي جعلت تجربة الامام (ع) لا تتمخض عن الوصول الى ما كان يطمح إليه من اهداف بل ان هذه التجربة غدت مورد ملاحقة شديدة من قبل الاجهزة الحاكمة بعد اغتيال الامام (ع) ،وعدم تمكن الامام الحسن (ع) من البقاء لاكثر من ٦ أشهر في الحكم ليتسلم الحكم من بعده الدّ اعداء الامام امير المؤمنين (ع)، ومن ثم لتمنى المسيرة التي قادها الامام امير المؤمنين (ع) بانتكاس رهيب ، جعلت اتباعها ما بين قتيل وسجين وشريد حتى تكلل ذلك بقتل الامام الحسين (ع) على يد طاغوت زمانه يزيد بن معاوية (لع).

وعلى الرغم من شعوري بأن مكان الحديث عن ذلك ليس في هذا الكتاب بل في كتاب آخر ومستقل لكثرة التعقيدات المرتبطة بهذا الموضوع ، الا انه ليس من الانصاف خلو الكتاب من حديث مجمل ومختصر عن ذلك لا سيما أن القاريء الكريم قد غمرنا بلطف كبير حينما تجشم قراءة ما سبق من اوراق .

ولهذا فان الحديث عن ذلك سيكون اقرب الى الاجمال منه الى الاستيفاء ، وأقرب الى الاختصار منه الى التفصيل والاطناب . . . . راجياً

من الله أن يوفقني لاستعراض ذلك بتفصيل واستيفاء اكبر ضمن كتاب الحياة السياسية لامير المؤمنين (ع) الذي أرجو أن يكون الحلقة الثانية من هذه السلسلة .

وجلّ ما يدفعني الى كتابة ذلك هو الاشارة الى ما يمكن للأمة أن تصاب به حركتها وآمالها من انتكاس من جراء تعاملها غير الطبيعي مع قيادتها .

ومن خلال ذلك ارمي الى الوصول الى استعراض السبل التي تجعل مسيرة الأمة تتجه نحو الانتكاس والتردي ، كي نتخلص من ذلك ، والى السبل التي تساعد هذه المسيرة على التقدم نحو اهدافها وطموحاتها كي نتمسك بذلك . خصوصاً ونحن نشهد في يومنا هذا اقسى صراع يخوضه الاسلام ضد قوى الاستكبار العالمي ، لذا فما احرانا أن نعرف على الاسباب التي تجعلنا نخسر هذا الصراع كي نحسبها ، وما اولانا ان نشخص جميع نقاط القوة التي تجعلنا في هذا الصراع اكثر قوة واشد عزماً من أجل أن نحسمه لصالح الاسلام وعقيدتنا المقدسة .

نعم ما احرانا . . ! ومن هو اولى منا بذلك . . ؟ .

القسم الأول

الحياة الاجتماعية والسّياسية قبل خلافة أمير المؤمنين (ع)

مما لا شك فيه أن الاوضاع الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي كانت سائدة قبل تسلم امير المؤمنين (ع) للخلافة ، قد لعبت دوراً اساسياً في أن لا تتخذ قيادة امير المؤمنين (ع) شكلها الحقيقي الذي يتناسب والصفات القيادية التي يتمتع بها الامام (ع). ومطالعة هذه الاوضاع تتيح لنا فرصة التعرف على الخارطة السياسية في المجتمع الاسلامي والتي كانت موجودة عشية تسلم امير المؤمنين (ع) للخلافة ، لأن ذات القوى التي نمت وترعرعت في هذه الاوضاع ، أو التي تسببت هذه الاوضاع في نشأتها ونموها هي التي لعبت دور المعارضة لقيادته وحكم الامام (ع). بل ان الذي اودى بخلافة امير المؤمنين (ع) كان قد نشأ ونما في هذه الاوضاع . ولذلك فان اجراء مطالعة سريعة في ذلك يعتبر امراً لا مندوحة عنه ، ولا بد أن يلمس هنا صعوبة في اجراء استقصاء لاوضاع تلك المرحلة ، ولكن باعتبار أن ما يعنينا هنا هو الوصول الى العوامل التي اثرت على قيادية امير المؤمنين (ع) بشكل سلبي ، لهذا فان باعتقادنا أن النقاط والامور التالية كفيلة بتسليط الاضواء على تلك الاوضاع ضمن الحدود التي يرسمها الهدف من هذا البحث . وهذه الأمور هي :

والرسول (ص) حينما يصرح بأن :

من مات وهو لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية [1].

فانه ليس من المنطقي ولا من المعقول أن يتركوا الامة الاسلامية من دون تعيين وتشخيص لهذه الطريقة ، والا فان ذلك خلاف ما يعنيه مفهوم الهداية الذي يعتبر احد أهم وظائف النبوة :

﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾[2].

بل ان ما يشير اليه هذا كله هو هيمنة العقلية القبائلية والمفاهيم المتعلقة بذلك علاوة على السلوكيات المترتبة على هذه العقلية وهذا الامر ليس من العسير على المرء ملاحظته في يوم السقيفة وما جاء بعدها ، وقد افرز هذا المنطق عدة مظاهر سلوكية هيمنت على المجتمع الاسلامي ـ آنذاك ـ يمكن الاشارة اليها وبشكل سريع من خلال النقاط التالية :

أ) أن هذا الفهم الخاطيء عن القيادة قد جرد الامامة من بعدها الديني والتشريعي ليجعلها اسيرة للتقييم البشري وهذا ما أدى الى انسحاب نفس الفهم على الكثير من السلوكيات والمفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذا الفهم يمكننا تلمسه من خلال اقوال الانصار والمهاجرين المجتمعين في السقيفة ، فخطيب الانصار الحباب ابن المنذر بن الجموح وجدناه يقول للانصار :

---

(١) مسند ابن حنبل ٩٦ وكنز العمال ١٠٣ خبر ٤٦٣ ـ ٤٦٤

(٢) سورة التوبة / الآية : ٣٣.

١ ـ الفهم الخاطيء للإسلام ، ومفاهيم القيادة وسلوكياتها :

من يلقي نظرة سريعة على الطريقة التي تم من خلالها تعيين الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام (ع) لا بد أن يخرج بنتيجة مؤكدة وهي أن طريقة تعيين الخلفاء كانت تعاني من قلق وارتباك ظاهر من قبل الايادي التي كانت وراءها . فالخليفة الاول تم تعيينه بطريقة انتخاب الاغلبية من الناس المجتمعين لذلك ، والثاني تم تعيينه عن طريق النص عليه من قبل من سبقه ، والثالث قد تم تعيينه من قبل شورى رمزية كان فوزه بها امراً حتمياً وفقاً للاسماء التي عينها الخليفة الثاني ، كل هذا يشير الى ارتباك وقلق طريقة تعيين القائد في ذهن العامة من المسلمين ، لا سيما انهم لم يكونوا قديمي عهد بهذه المسألة الحضارية المعقدة ، ومن البديهي ان هذا لا يشير بأي شكل من الاشكال الى أن الاسلام لم يعين للمسلمين طريقة انتخاب قائدهم ، وذلك لان الله سبحانه وتعالى حينما يجعل اولي الأمر بمثابة القادة بعد الرسول (ص) في الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾[1].

---

(١) سورة النساء / الآية : ٥٩.

يا معشر الانصار ، املكوا ايديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه (عمر وجماعة المهاجرين معه) فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان ابوا عليكم فاجلوهم من هذه البلاد فأنتم احق بهذا الأمر منهم ، فانه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين ، انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب انا ابو شبل في عرينة الاسد ، والله ان شئتم لنعيدنها جذعة[1].

وقد قال الحباب قوله هذا والذي ينم عن روح عصبية قبائلية فجة بعد أن سمع خطيب المهاجرين من اصحاب السقيفة وهو عمر بن الخطاب الذي كان قد تكلم بكلام لا تقل خطورته على هذا الصعيد من خطورة قول الحباب حيث قال حينما سمع هتاف منا امير ومنكم امير :

هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ، والله لا ترضى العرب امرها من كانت النبوة منهم ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن اولياؤه وعشيرته[2].

والذي يراجع المشاحنات والمهاترات التي حدثت بعد يوم السقيفة وخصوصا بين شعراء الانصار حسان بن ثابت وثابت بن قيس وشعراء اصحاب السقيفة من المهاجرين وخطبائهم كعمرو بن العاص وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو ، ليجد في الكثير من متونها روحا قبلية فجة لا تمت الى الاسلام بصلة ، وقد ساعد على ذلك

(١) انظر شرح النهج ٢ : ٣٨ ، ٣٩ والطبري في تاريخه ٢ : ٤٥٨.
(٢) انظر شرح النهج ٢ : ٣٨ ، الطبري في تاريخه ٢ : ٤٥٧.

أن خطباء وشعراء المهاجرين كانوا جميعاً من اولئك الذين وترهم الاسلام على يد علي(ع)،أو على يد الانصار فاذا كان عمرو بن العاص على حال معروف (كفرا ونفاقاً) فان ابن ابي الحديد يعرف من تبقى بالقول :

وكان اشد قريش على الانصار نفر فيهم : وهو سهيل بن عمرو واحد بني عامر ابن لؤي والحارث بن هشام ، وعكرمة بن ابي جهل المخزوميان ، وهؤلاء اشراف قريش الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله ، ثم دخلوا في الاسلام ، وكلهم موتور قد وتره الانصار ، اما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر ، واما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو ، فجرحه يوم بدر ، وهو فار عن اخيه ، واما عكرمة بن ابي جهل ، فقتل ابناه ابنا عفراء ، وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد ، وفي انفسهم ذلك[1].

وكيفما يكن فان معرفة الدوافع التي دفعت باتجاه عقد أمر السقيفة يكفي للكشف عن ابعاد هذا الفهم ، ويكفينا هنا الاشارة الى قول المغيرة بن شعبة احد اعلام قريش في حزب السقيفة - ان صح التعبير - ، وكذلك قول عمر بن الخطاب لابن عباس حيث يعلل له الاسباب التي جعلته واصحابه يندفعون في امر الترشيح والبيعة لابي بكر ، فالمغيرة كما يؤكد ابن ابي الحديد كان قد مر :

(١) انظر شرح النهج ٦ : ٢٣

بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي حين قبض ، فقال : ما يقعدكما ؟ .

قالا : ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ـ يعنيان علياً ـ .

فقال : اتريدون ان تنظروا حبل الحبلة (كناية عن صغر سن علي) من اهل هذا البيت ! وسعوها في قريش تتسع . . فقاما الى سقيفة بني ساعدة . .[1] .

وهو هنا يطلب منهم حرفها عن بني هاشم والمعني بذلك هو علي ابن ابي طالب (ع) الى اي بيت من بيوت قريش من اجل ان تتسع لكافة بيوتاتها .

اما عمر بن الخطاب فمن خلال محاوراته المتعددة مع ابن عباس يظهر بصراحة دوافع امر السقيفة وهنا نذكر نموذجين من هذه المحاورات :

ففي الاولى يقول ابن عباس :

اني لاماشي عمر في سكة من سكك المدينة ، يده في يدي ، فقال : يا ابن عباس ، ما أظن صاحبك الا مظلوماً ـ يعني الامام علي (ع) ـ .

فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها ،

فقلت : يا امير المؤمنين ، فاردد اليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ثم مر يهمهم ساعة ثم وقف . فلحقته فقال لي :

(١) ن.م ٦ : ٤٣ ـ ٤٤ .

يا ابن عباس ، ما أظن القوم منعهم من صاحبك الا انهم استصغروه ، فقلت في نفسي : هذه شر من الاولى .

فقلت : والله ما استصغره الله حين امره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر[1] .

وفي الثانية يقول ابن عباس :

مر عمر بعلي ، وانا معه بفناء داره فسلم عليه ، فقال له علي :

اين تريد ؟

قال : البقيع .

قال : افلا تصل صاحبك ، ويقوم معك .

قال : بلى .

فقال لي علي : قم معه ، فقمت فمشيت الى جانبه ، فشبك اصابعه في اصابعي ، ومشينا قليلا ، حتى اذا خلّفنا البقيع . قال لي : يا ابن عباس ، اما والله إن صاحبك هذا ـ يعني علياً ـ لاولى الناس بالامر بعد رسول الله (ص) ، الا انا خفناه على اثنين ، فقال ابن عباس : فجاء بكلام لم اجد بداً من مسألته عنه ، فقلت : ما هما يا امير المؤمنين ؟ .

قال : خفناه على حداثة سنه ، وحبه بني عبد المطلب[2] .

(١) ن.م ٦ : ٤٥ .

(٢) ن.م ٦ : ٥٠ ـ ٥١ .

اذن فان المسألة ليست امراً إلهياً للاسلام دخالة اساسية به حتى دخالة ثانوية ، وهو موقوف لتقييم البشر من بيوتات قريش الخارجة عن اطار بني هاشم !

ب) حينما يكون امر الولاية والامامة ، أمراً لا علاقة للاسلام كدين وتشريع به ، فمن البديهي أن ينعكس هذا الأمر على الكثير من المسائل والامور الاخرى ذات الاهمية الاقل ، وقد شهدنا الامر قد اتسع حتى اقتحمت رابياته جملة كبيرة من القضايا التشريعية والفقهية ، ومن ثم ليمنع على التشريع الاسلامي اخطر باب عليه ، وهو باب التقييمات الشرية للاحداث والمواقف والذي تمثل ذلك عبر نشأة ونمو ما سمي فيما بعد بمدرسة الرأي الفقهية ، حيث يعتبر الخلفاء الثلاثة الاوائل من أهم روادها ورموزها، فهم اول من فسر بالرأي الشخصي ، بل تجاوز البعض هذا الحد ليخالف النص الشرعي الواضح ، ليضع في قبالة رأيه ، وقد تمثل ذلك في العديد من الاحداث والمواقف منها موقف الخليفة الاول من الفجاءة السلمي الذي امر باحراقه خلافاً لصريح الكتاب والسنة ، حيث يقول الرسول (ص) :

> لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا باحدى ثلاث : زنا بعد احصان فانه يرجم ، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فانه يقتل ، او يصلب أو ينفى من الارض ، أو يقتل نفساً فيقتل بها [1] .

والخليفة لم يعمد الى أي واحدة من هذه ، بل جاء بفعل كان

(١) انظر مصابيح السنة للبغوي (م . س) ٢ : ٥٩ وابي داود في سننه ٢ : ٢١٩

الرسول (ص) تكرارا ومرارا قد نهى عنه وحرم الالتجاء اليه :

لا يعذب بالنار الا رب النار ،

وقوله ايضاً : ان النار لا يعذب بها الا الله[1] .

ومن هوان الدنيا على الله أن القوشجي يدافع عن فعل الخليفة بقوله : احراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاد فكم مثله للمجتهدين [2] .

ومثل ذلك ترى الخليفة في موقفه من خالد بن الوليد بعد وقيعة يوم البطاح وقتله للصحابي الجليل مالك بن نويرة (رض) والى رسول الله (ص) على صدقات قومه بني يربوع من بني تميم ، ومن ثم وضعه لرأسه ورؤوس من معه كأثافي تحت القدور وبالتالي نزوه على : زوجة مالك ام تميم ليلى بنت المنهال والتي كانت تعرف بأنها من اشهر نساء العرب بالجمال وجهاً وجسداً . وهو الامر الذي ادى الى ثورة كل من ابي قتادة الانصاري (رض) والذي كان يكنى بفارس رسول الله (ص) وعمر على الخليفة الاول وضغطهم عليه من اجل أن يقتص من خالد على جرم قتل النفس المحترمة تعمداً وعن قصد ، وعلى جريمة الزنى بالقوة بامرأة كانت محصنة أو على الاقل لم تطهر بعد[3] ! فلقد قال عمر

(١) ن . م ٢ : ٥٧ والبخاري في صحيحه ٤ : ٣٢٥ .

(٢) شرح التجريد ٤٨٢ .

(٣) يلخص ابو نمير السعدي القصة واهدافها في ابياته الشعرية المشهورة :

الا قل لنحي اوطؤا بالسنابك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه بعرسه	وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف	عنان الهوى عنها ولا متمالك
واصبح دا اهل واصبح مالك	الى غير اهل هالكا في الهوالك

لأبي بكر :

ان خالدا قد زنى فاجلده(*) .

فقال ابو بكر : لا ، لانه تأول فأخطأ .

قال : فانه قتل مسلما فاقتله .

قال : لا انه تأول فأخطأ[1] .

وبعد أن الح عمر على ابي بكر بالاقتصاص من خالد قال له بغضب : هيه يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد [2] .

وقد كان هذا الامر هو ديدن الخليفة الاول ففي قضية الكلالة نراه واضحاً تمام الوضوح فحينما سأل عن الكلالة الوارد ذكرها في الآية الكريمة :

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ﴾ [3] .

فقال : اني سأقول فيها برأيي فان يك صوابا فمن الله وان يك خطأ

(*) كان الاحرى به أن يقول له ارجمه لأن جناية خالد كانت جناية زنا وحكمها الرجم كما هو واضح .

(١) تأريخ ابو الفدا ١ : ١٥٨ .

(٢) انظر الطبري ٢ : ٥٠٣ ولعمري ابن يضع الخليفة الاول ذلك في قبال النص القرآني الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض :
﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما . ﴾ سورة النساء/ الآية : ٩٣ .
والعجيب أن الخليفة بدلا من ان يغضب عليه نحل عليه صفة سيف الله المسلول!! .

(٣) سورة النساء / الآية ١٧٦ .

فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه ، اراه ما خلا الولد والوالد[1] .

وذلك بعد ان كان يقول بأنها ما لا ولد له[2] .

وقد اورد ابن القيم في اعلام الموقعين قولاً مماثلاً لابي بكر حيث : نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها اصلا ، ولا في السنة أثراً فاجتهد رأيه ثم قال :

رأيي فان يكن صواباً فمن الله ، وان يكن خطأ فمني واستغفر الله[3] .

وهذا نزر من فيض ، ومثله كان الخيفة الثاني والثالث ، بل اكثر منه[4] .

ج) وحيث بات التشريع خاضعاً للرأي البشري ، فان ملاحظة الانحراف السلوكي ، والفساد والبغي ، واستخدام القوة وصولا الى الاهداف النبيلة والشريرة ، هو امر لا مندوحة عنه ، فلقد طفحت به ساحة المجتمع الاسلامي ، حتى ساد هذا المجتمع الذي الف الاستقرار الامني في مجتمع الرسول (ص) جو من الارهاب والقمع وصل في العديد من الاحيان الى استعمال وسائل العنف والارهاب ضد من لا

(١) انظر سنن الدارمي ٢ : ٣٦٥، وابن كثير في تفسيره ١ : ٢٦٠ ـ والخازن في تفسيره ١ : ٣٦٧ وابن القيم في اعلام الموقعين ٢٩ .

(٢) الحاكم في المستدرك (م. س) ٢ : ٣٠٤ وابن كثير في التفسير ١ : ٥٩٥ .

(٣) اعلام الموقعين لابن القيم الجوزية ١٩ .

(٤) يمكن للمستزيد مراجعة كتاب النص والاجتهاد لشرف الدين والجزء الاول من مقدمة مرآة العقول للعسكري ، والاجزاء ٦، ٧، ٨ من موسوعة الغدير للاميني ففيها ما يذهل على هذا الصعيد .

يرضخ لرغبات من بيده القوة والقدرة ، ومن نماذج ذلك يمكننا الاشارة الى الامور التالية على سبيل المثال ، لا الحصر :

١) وطأ الاصوات المعارضة في سقيفة بني ساعدة ، فقد تم وطء سعد بن عبادة من قبل عمر ، وقد كان مريضاً جداً ، وذلك حينما عارض البيعة لابي بكر ، وقد كان عمر يهتف يومذاك :

اقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً[1].

ونفس الشيء حصل مع الحباب بن المنذر الذي :

اخذ ووطيء في بطنه ودسوا في فيه التراب[2].

ويمكن معرفة هذه الاجواء بشكل كامل من خلال وصف ابن ابي الحديد لحالة شخص واحد هو الخليفة الثاني ، وكيفية تصرفه مع من عارض بيعته يوم السقيفة حيث يقول :

عمر هو الذي شد بيعة ابي بكر ووقم* المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرده ودفع في صدر المقدار ، ووطيء في السقيفة سعد بن عبادة . . . وحطم انف الحباب بن المنذر . . . وتوعد من لجأ الى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين ، واخرجهم منها . ولولاه لم يثبت لابي بكر أمر ولا قامت له قائمة[3].

(١) شرح النهج ١ : ١٧٤ .
(٢) ن . م ٦ : ٤٠ .
(*) وقم : ـ اذل وقمع .
(٣) شرح النهج ١ : ١٧٤ .

٢) قتل مالك بن نويرة الصحابي المشهور من قبل خالد بن الوليد .

٣) الاعمال التي حدثت في بيت فاطمة عليها السلام ومن اجتمع فيه .

٤) قتل سعد بن عبادة شيخ الانصار والصوت المعارض الاقوى في يوم السقيفة ، ولما قتل رمي في بئر . وقد اشاع الجهاز الحاكم وهو الامر الذي تجده يملأ كتب التأريخ أن الجن هي التي قتلت سعداً حيث نادى هاتف الجن بهذين البيتين الشعريين :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم تخط فؤاده

والثابت أن خالد بن الوليد قائد جيوش الخليفة الاول في الشام هو الذي قتل سعد بن عبادة وذلك في طريق رحيل سعد الى الشام حيث التقى بجيش خالد ووجد مقتولاً في نفس معسكر خالد . ودرءاً للرأي الذي يقول بأن الخليفة الاول هو الذي امر بقتل سعد يقول ابن ابي الحديد المعتزلي ما نصه :

اما انا فلا اعتقد أن الجن قتلت سعداً ، ولا ان هذا شعر الجن ، ولا ارتاب ان البشر قتلوه ، وان هذا الشعر شعر البشر ، ولكن لم يثبت عندي ان ابا بكر امر خالداً ، ولا استبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضي بذلك ابا بكر ـ وحاشاه ـ فيكون الاثم على خالد ، وابو بكر بريء من اثمه وما ذلك من افعال خالد ببعيد[1] .

(١) ن . م ١٧ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

ومن النوادر ان مؤمن الطاق تلميذ الامام الصادق (ع) والامام الكاظم (ع) سأل مرة بهذا السؤال : ما منع علياً أن يخاصم ابا بكر في الخلافة ؟ .

فأجاب السائل بتهكم قائلاً : يا ابن اخي ، خاف أن تقتله الجن [1] .

ه) استخدام الضوضاء والفوضى في تعميم البيعة على سائر المسلمين وما يرويه البراء بن عازب (ر ض) كخلاصة لاحداث ذلك اليوم شهادة واقعية على اجواء الضوضاء المشار اليها حيث يقول :

لم ازل لبني هاشم محباً ، فلما قبض رسول الله (ص) خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الامر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول ، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله (ص) فكنت اتردد الى بني هاشم وهم عند النبي (ص) في الحجرة واتفقد وجوه قريش ، فاني كذلك اذ فقدت ابا بكر وعمر ، واذا قائل يقول : القوم في سقيفة بني ساعدة ، واذا قائل آخر يقول : قد بويع ابو بكر ، فلم البث ، واذا انا بأبي بكر قد اقبل ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد الا خبطوه ، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد ابي

(١) ن . م ١٧ : ٢٢٣ ، ومن المؤسف ان ابن ابي الحديد هنا لا ينسى طائفيته فيسمي مؤمن الطاق بشيطان الطاق كما هو حال اغلب المؤرخين المخالفين لمذهب اهل البيت (ع) .

بكر يبايعه ، شاء ذلك او أبى فأنكرت عقلي [1] .

وأياً كان ، وكيفما كان فان هذه خلاصة للاجواء التي كانت سائدة يومذاك ولئن كان هذا الامر على صعيد الرعيل الاول ، فما بالك بالهمج الرعاع او الموتورين من الاسلام ! .

د) ولم يكن الأمر ليتوقف عند هذا الحد ، بل ان سياسة الترغيب قد سارت في محاذاة سياسة الترهيب الآنفة الذكر ، ونذكر هنا السلوك الذي مورس أو حاولوا أن يمارسوه مع صوتين من اصوات المعارضة هما العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان فمع العباس كان المغيرة بن شعبة قد اتى الخليفة الاول فقال :

الرأي يا ابا بكر ان تلقوا العباس ، فتجعلوا له في هذه الامرة نصيباً ، يكون له ولعقبه ، وتكون لكما الحجة على عليّ وبني هاشم ، اذا كان العباس معكم . .

على اثر ذلك انطلق :

أبو بكر وعمر وابو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس (ر ض) فحمد الله ابو بكر ، وأثنى عليه ، ثم قال ان الله بعث محمداً (ص) نبياً ـ الى قوله : ـ وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيباً ، يكون لك ولعقبك من بعدك ، اذ كنت عم رسول الله (ص) ، وان كان الناس قد رأوا مكانك ومكان اصحابك فعدلوا الامر عنكم [2] .

(١) ن . م ١ : ٢١٩ .
(٢) الامامة والسياسة ١ : ١٥ ، وشرح النهج ١ . ٢٢٠ مع اختلاف طفيف

اما مع ابي سفيان ، فهو حينما قدم الى المدينة ورأى تسنم ابي بكر على منصب الخلافة ، تألم أن يغدو ابو بكر خليفة ، وهو من اضعف بيونات قريش فجاء وهو يهتف :

وليتم على هذا الامر أذل بيت في قريش[1] ، فما فعل المستضعفان علي والعباس ! اما والذي نفسي بيده لارفعن لهما من اعضائهما[2] .

وكاد بفعله هذا ان يثير بيوتات قريش على الخليفة . فما كان من عمر الا ان كلم ابا بكر بقوله :

ان ابا سفيان قد قدم ، وانا لا نأمن شره ، فدع له ما في يده ، فتركه فرضى[3] .

ومن اجل تعميم هذه الحالة على جميع من يحتمل فيهم المعارضة ، وما اكثرهم يومذاك قام الخليفة الاول بتوزيع الاموال على نساء المهاجرين والانصار .

وفي هذا الصدد يقول المعتزلي :

لما اجتمع الناس على ابي بكر ، قسم قسماً بين نساء المهاجرين والانصار ، فبعث الى امرأة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت ، فقالت : ما هذا ؟ قال : قسم قسمه ابو بكر للنساء .
فالت : اتراشونني عن ديني ! والله لا اقبل منه شيئاً

(١) شرح النهج ٢ : ٤٥ .
(٢) ن . م ٢ : ٤٤ .
(٣) ن . م ٢ : ٤٤ .

فردته عليه[1] .

هـ) ومن الطبيعي أن ينعكس الموقف من يوم السقيفة على موقف الخلفاء من توزيع المسؤوليات والمزايا سلباً او ايجاباً . فالذين خالفوا حرموا من جميع المناصب ـ سواء كانوا موافقين على تسلمها في الاصل ام لا ـ ولم نعثر في التأريخ الا على حالة واحدة وافق بها الخليفة الاول على منح احد معارضيه مسؤولية معينة ، غير انه ما ان يذكر بهذه المعارضة حتى يتراجع عن موقفه . فبنو هاشم جميعاً تم استثناؤهم من ذلك تماماً . وخالد بن سعيد بن العاص الذي يعده معظم اصحاب التواريخ انه كان من ضمن اول عشرة اسلمت لرسول الله (ص) وعامل رسول الله (ص) على اليمن ، كان موقفه من البيعة نفس موقف الامام (ع) بل ان اغلب المؤرخين يقولون بانه بايع بعد سنة كاملة . وهو حينما رجع من اليمن بعد وفاة الرسول (ص) حبس بيعته عن ابي بكر لانه كان يعتقد بولاية الامام (ع) وجاء الى بني هاشم مخاطباً الامام :

انتم الظهر والبطن ، والشعار دون الدثار ، والعصا دون اللحا ، فاذا رضيتم رضينا ، واذا سخطتم سخطنا . . . اما والله يا بني هاشم انكم الطوال الشجر الطيبو الثمر . . .

ويقول ابن ابي الحديد ان هذه الكلمات بلغت ابا بكر فلم يحفل بها غير ان عمر اضغنها عليه : فلما ولاه ابو بكر الجند الذي استنفره الى الشام :

قال له عمر : اتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته ،

(١) ن . م ٢ : ٥٣ .

وقال لبني هاشم ما قال ، ما ارى ان توليه ، وما آمن خلافه ، فانصرف عنه ابو بكر . . . [1] .

ووفقاً لذلك وجدنا الخليفة الثاني حينما يبدأ بممارسة سياسة التمييز في العطاء يضع مواقف الامس في حساب هذا التمييز ، فيصيب بني هاشم بالنصيب الابخس ، ثم يقدم حصة الاوس على حصة الخزرج ويفاضل بينهما وفاء لموقف الاوس في يوم السقيفة .

ان هذه الظواهر لو تأملنا في انعكاساتها الاجتماعية ، خصوصاً انها تأتي من قبل الرعيل الاول من قيادة يومذاك ، علاوة على انها تحدث في مجتمع اغلب افراده من حديثي الاسلام ، او من اولئك الذين اسلموا بحر السيوف سواء بالفتوحات خارج حدود الحجاز ، او بالغزو ـ ايام الرسول (ص) او خوفاً من الغزو .

فانه ليس من العسير التوصل الى حقيقة ان ذلك سوف يترك اسوأ الاثر على الممارسة السياسية في هذا المجتمع ، وسوف يجعل امر تجريد هذه الممارسة من القيم الدينية مسألة لا خلاف فيها . ومن يرسم

---

(١) ن . م ٢ : ٥٨ ـ ٥٩ ومن البديهي انه لا يمكن الاعتذار لذلك بان من حق الخليفة الالتجاء الى هذا السلوك ، باعتبار انه يولي من لا يأمنه على أمر الخلافة ، وذلك لان هذه الخلافة ، اذا كانت متعلقة بدين فاية خشية على الدين من بني هاشم ، او من خالد بن سعيد وامثاله من اصحاب السوابق المعروفة . ولا احسب ان المعتذر يرى ان هذه الخلافة كانت منجردة عن الدين او انها كانت لا تعير له اهمية كبيرة . هذا في الوقت الذي نجد فيه أن الخلفاء الثلاثة استعملوا العديد من الشخصيات الذين كانوا مورد عدم اطمئنان في اسلامهم أو كانوا قد تعرضوا للوم متعدد من قبلهم من قبيل بعض الشخصيات من مسلفة الفتح وامثالهم الذين اسلموا خوفاً ورهبة او طمعا وغدرة كمعاوية بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وابي هريرة الدوسي ، كما سنعرض لذلك فيما بعد

وتائر الالتزام الديني في هذه الممارسة ، منذ وفاة الرسول (ص) حتى يوم مقتل عثمان ، يجد أن هذه الوتائر ظلت في مسيرة تنازلية منذ أن توفي الرسول (ص) ، هذا في الوقت الذي كنا قد وجدناها قد بلغت مرحلة غاية في التقدم والرقي في عهد الرسول (ص) بعد أن ظلت تسير في ارتقاء وتقدم مبتعدة عن الهوة التي اوصلتها اليها الجاهلية . ولقد كان من المفروض ان تحافظ هذه الوتائر على مستواها ـ على الاقل ـ الذي كانت عليه في عهد الرسول (ص) هذا اذا لم نقل بانها كان من المفترض ان تتخطى ذلك المستوى الى الاعلى .

ان هذه الحقيقة المرة ظلت تتنامى حتى جاء الامام (ع) الى الحكم ليجدها قد وصلت الى اعظم درجة في التقهقر ، فيما بانت الكثير من معالم الجاهلية وهي ترتد مرة اخرى لتهيمن على حياة المجتمع .

وان هذه الحقيقة سنجدها تلعب دوراً مرعباً وقاسياً في مجتمع الامام (ع) وهو الامر الذي سنتعرض له هناك بحول الله .

٢ ـ سياسة العطاء وممارسة التمييز الطبقي :

كان الرسول (ص) اذا ما توفرت لديه اموال مادية او عينية ، فان منهجه في التوزيع كان مبنياً على اساس المساواة في التزيع ، وحينما جاء الخليفة الاول بعد وفاة الرسول (ص) ظل معتمداً على ذات النهج . هذا على الرغم من الضغوط التي كان يوجهها عليه البعض ، في هذا الصعيد ، وكان من ضمن هؤلاء بل ابرزهم هو الخليفة الثاني الذي اعترض عدة مرات على هذا الامر ، ويروي القاضي ابو يوسف انه قد قيل له :

انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ، ومن الناس اناس لهم فضل وسوابق وقدم . فلو فضلت اهل السوابق ، والقدم والفضل بفضلهم .

فقال ابو بكر :

اما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما اعرفني بذلك ، وانما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش فالاسوة فيه خير من الاثرة[1] .

(١) انظر كتاب الخراج ص ٤٢ للقاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم دار المعرفة (بيروت ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩)

وقد ظل الامر على ذلك ، حتى مات الخليفة الاول ، واعقبه الخليفة الثاني الذي سارع لتنفيذ ما كان يطمح فيه بالامس ، وقد كانت سياسته في العطاء مبنية على هذا الاساس الذي يبينه قوله في خطبة خطب فيها الناس حيث قال :

والله الذي لا اله الا هو ما احد الا وله في هذا المال حق اعطيه ، وما احد احق به من احد الا عبد مملوك ، وما انا فيه الا كاحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله (ص)، فالرجل وتلاده في الاسلام ، والرجل وقدمه في الاسلام ، والرجل وغناه في الاسلام والرجل وحاجته في الاسلام . . [1] .

وبناء على ذلك كتب للبدريين المهاجرين :

من مولى او عربي لكل رجل منهم خمسة الاف خمسة الاف ، وفرض للانصار اربعة الاف اربعة الاف[2] . . . وفرض لازواج النبي (ص) عشرة الاف عشرة الاف[3] وفرض لعائشة اثني عشر

(١) ن . م ص٤٦ .

(٢) في رواية اخرى انه اعطى الانصار ثلاثة الاف ثلاثة الاف وفي هذه الرواية نجد زينب بنت جحش لا تقل بالعطاء وتوزعه على فقراء المسلمين وبعد أن تتمه ترفع يدها بالدعاء قائلة : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا : انظر ن . م ٤٥ ـ ٤٦

(٣) وفي رواية غيرها كان قد فرض لصفية وجويرية ستة الاف ستة الاف فأبين أن يقبلن بها ، وفي هذه الرواية يقول الراوي انه فرض لجميع ازواج النبي (ص) اثني عشر الفا ، اثني عشر الفا انظر ن . م ص٤٣ .

الفا ، وفرض لمهاجرة الحبشة اربعة الاف اربعة الاف لكل رجل منهم ، وفرض لعمر بن ابي سلمة لمكان ام سلمة اربعة الاف . فقال محمد بن عبد الله بن جحش : لم تفضل عمر علينا الهجرة ابيه ؟ فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدراً . فقال عمر : أفضله لمكانه من رسول الله (ص) فليأت الذي يستعتب بام مثل امه اعتبه . وفرض للحسن والحسين خمسة الاف خمسة الاف لمكانهما من رسول الله (ص). ثم فرض للناس ثلاثمائة ثلاثمائة واربعمائة واربعمائة للعربي والمولى وفرض لنساء المهاجرين والانصار ستمائة ستمائة واربعمائة واربعمائة وثلاثمائة ثلاثمائة ومائتين مائتين وفرض لأناس من المهاجسرين والانصار الفين الفين[1] .

وكان قد فرض للعباس بن عبد المطلب اثني عشر الفا[2] . وله مثل ما للعباس[3] . وقد كان لاجراء عمر هذا اخطر الاثر على وحدة المجتمع الاسلامي ، اذ سرعان ما شاع التفاوت والتمايز بين افراد المجتمع ، ومن ثم لتفرز بعد ذلك طبقة من الاغنياء على درجة واسعة من الثراء، وطبقة من الفقراء لا تكاد تسد رمق قوتها اليومي وفي ذلك يقول عبد الله العلايلي بان :

هذا التنظيم المالي اوجد تمايزاً كبيراً واقام المجتمع

(١) ن.م ٤٤ـ٤٥ .
(٢) ن.م ٤٣ .
(٣) شرح النهج ١٢ : ٢١٤ وسيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٨٠ .

العربي على قاعدة الطبقات بعد أن كانوا سواء في نظر القانون (الشريعة) فقد اوجد ارستقراطية وشعبا وعامة[1] .

ويتساءل الدكتور عبد الله سلوم السامرائي مستغرباً ومنزعجاً :

لست ادري كيف اتخذ عمر هذا الاجراء ؟ ولماذا اتخذه ؟ انه اجراء اوجد تفاوتاً اجتماعياً واقتصادياً ، اجراء بذر بذور التنافس والتفاضل بين المسلمين بشكل لا أدري كيف غاب عن عمر . . .[2] .

ولم تمض فترة كبيرة حتى احس عمر بعمق خطئه ، بعد ان غدا يلاحظ تزايد الحواجز بين المسلمين بعد ان كان قد رآهم زمن رسول الله (ص) وهم سواسية كأسنان المشط . ولهذا نجده في اكثر من موضع يظهر ندامته على هذا الفعل وها هو يقول :

لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لالحقن اخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاء سواء . فتوفى قبل ذلك[3] .

وكيفما يكن فان هذه السياسة التفريقية قد احدثت شرخاً هائلاً في وسط المجتمع الاسلامي . ما ان جاء الخليفة الثالث حتى زاده اتساعاً حينما اصر على الاستمرار في هذه السياسة ، علاوة على اصراره على

(١) انظر كتابه الحسين بن علي اماما وشهيدا ص٢٣٢ .
(٢) انظر كتابه الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ص ٥١ وزارة الاعلام (بغداد عام ١٩٧٢) سلسلة الكتب الحديثة ٤٨ دار الحرية للطباعة ـ بغداد .
(٣) كتاب الخراج ص٤٦ .

اعتبار المال الموجود في بيت المال خاصاً به ، فراح يمنحه لمن هبّ ودبّ من بني امية . ولهذا نراه حينما يعاتب على هذه السياسة يقول لمعاتبيه :

ان ابا بكر وعمر تركا في ذلك ما كان لهما ، واني اخذته فقسمته في اقربائي[1] .

وكل ذلك ترك اسوأ الآثار على وحدة المجتمع الذي تزعم الامارة فيه الامام (ع) . بل ان ذلك اسهم تمام الاسهام في جعل هذا المجتمع ممتلئاً ببذور التفجير والتشتت ، خصوصاً حينما يتزعمه مثل الامام (ع) الذي لا يعرف المهادنة ولا يجد الى المساومة سبيلا .

(١) الصواعق المحرقة (م . س) ص٦٩ لابن حجر الهيثمي .

٣ ـ وضع الولاة والعمال :

لقد كان للاوضاع المشار اليها في الفقرتين السابقتين ، علاوة على عوامل اخرى ، اثرها في أن تعيش الادارة التي كانت تتبع الخلفاء ، وضعا لا يتناسب في العديد من الاحيان مع سلوكية ومعايير ومفاهيم الاسلام .

ولقد اسهم في ذلك أن الولاة والعمال الذين ينتخبون من قبل هذا الخليفة او ذاك ، كانوا في كثير من الاحيان ، لا يراعي فيهم الخليفة سابقة او استقامة في الدين ، بل ان العديد من الشواهد كانت تشير الى أن المؤثرات السياسية والقبلية هي التي كانت تلعب الدور الاساسي في عملية الانتخاب . وهذا الامر هو الذي جعل الامة تواجه العديد من الولاة والعمال من الذين كانوا يجاهرون علانية بنقض احكام الاسلام ، هذا اذا لم يعدّ البعض منهم مرتداً عن الاسلام بشكل فعلي . . . ففي العديد من الاحيان لمست الامة لمس اليد من امثال خالد بن الوليد الذي كان امير جيوش الشام في زمن الخليفة الاول ، والمغيرة بن شعبه والي الخليفة الثاني على الكوفة والبصرة ابي موسى الاشعري ، والي الخليفة الاول على زبيد ورمع ، والخليفة الثاني على البصرة ، وعمرو ابن العاص والي الاول على قسم من جيوش الشام ، ووالي الثاني على مصر ، ومعاوية بن ابي سفيان والي الثاني على الشام بعد الفتح . . .

الخ ، اقول لقد لمست الامة من هؤلاء ـ آنذاك ـ العديد من التصرفات التي لا تمت للاسلام بصلة . الأمر الذي جعل البعض يوهن امر الولاة ـ كمقام موضوعي ـ والبعض الآخر يتلقى الاسلام بطريقة هي ابعد ما تكون عنه ، والثالث الذي كان يبث الشكوى فيجد في بعض الاحيان ان اذن الخليفة غير صاغية له ، فيعمم الامر على المقام ، ومنهم من صبر على مضض ، ولئن كان حال خالد بن الوليد قد بان بعضه من خلال الصفحات السالفة ، ولئن كان معاوية بن ابي سفيان وهو من مسلمة الفتح الذين نطقوا بالشهادتين بعد ان احس بحرارة السيف ، معلوماً ايضاً ، وعمرو بن العاص وابو موسى الاشعري معروفاً ، فاننا هنا نستعين بذكر واحدة من جنايات المغيرة بن شعبة المخزومي ، وهي حادثة زنى مارسها مع واحدة من نساء بني عامر بن صعصعة يقال لها : ام جميل ابن الافقم وذلك حينما كان والي الخليفة الثاني على البصرة ، وقد رآه اثناء ممارسة الزنى اربعة شهود ، ذهبوا الى الخليفة الثاني فشهد الثلاثة الاوائل وهم ابو بكرة ونافع بن كلدة وشبل بن معبد البجلي بأنهم رأوا المغيرة وام جميل في حالة الزنا ووصفوا ذلك غير أن زياداً[1] وهو الشاهد الرابع كان وصفه لعملية الزنا بهذا الشكل :

رأيته جالساً بين رجلي امرأة ، ورأيت قدمين مرفوعتين تخفقان ، واستين مكشوفتين وسمعت حفزاً شديداً .

فقال له عمر : فهل رأيته فيها كالميل في المكحلة ؟ فقال : لا .

(١) انظر شرح النهج ١٢ : ٢٣٣ وقد ذكر ابن الاثير أن زياداً هذا هو زيد بن ابيه ، وحاله معروف انظر الكامل ٢ : ٥٤١ .

فردت شهادة الجميع ، فيما سيق الثلاثة الاوائل الى حيث تم جلدهم[1] ، وبعد ذلك عزل المغيرة عن ولاية البصرة ، وقد كان عمر متيقناً بجناية المغيرة فاذا لم تكن زنى فهي فاحشة وكان يقضي منه على اقل تقدير ان يقابله بتعزير مناسب لفاحشته ، خصوصاً ان زياد في وصفه وصف عملية زنى كاملة ومن يرجع الى رواية الاغاني والتي لم نشأ ذكرها هنا لصراحتها في الوصف ، يجد شهادة زياد تشير ان عملية الزنى قد اقترفت بشكل لا يقبل الجدل[2] . ولئن كان تردده الاخير قد درأ عن المغيرة حكم الرجم فانه لا يدرأ حكم التعزير والتوبيخ وما الى ذلك عنه . غير ان الأمر الادهى والملفت للنظر انه عاد بعد أربعة سنين فولاه الكوفة ولاشتهار الامر كان المغيرة وهو بالكوفة يعرف بالاعور الزاني[3] .

ولم يكن حال عمال الولاة بأحسن حال من ولاتهم ، بل ان الروح اللااسلامية كان المرء يلمسها في العديد منهم ، فالربيع بن زياد الحارثي يقول :

كنت عاملاً لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بالقدوم عليه هو وعمّاله ، وان يستخلفوا جميعاً . فلما قدمنا المدينة أتيت يرفأ حاجب عمر ، فقلت : يا يرفأ ، مسترشد وابن سبيل ! أي الهيئات احب الى امير المؤمنين أن يرى

(١) شرح النهج ١٢ : ١٣٤ والكامل ٢ : ٥٤١ ـ ٥٤٢ والطبري ٣ : ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٢) في رواية ابي الفرج الاصفهاني هناك وصف افظع واصرح واشنع من الذي ذكره ابن ابي الحديد والطبري وابن الاثير اعلاه ، فراجع ان شئت ، انظر الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٦ : ٨٩ .

(٣) انظر شرح النهج ١٢ : ٢٣٩ و٢٤١

فيها عماله ؟ فأومأ الي بالخشونة ، فاتخذت خفين مطارقين ، ولبست جبة صوفي ، ولثت عمامتي على رأسي ثم دخلنا على عمر فصفقنا بين يديه ، فصعد بصره فينا وصوّب فلم تأخذ عينه احدا غيري ، فدعاني ، فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع ابن زياد الحارثي ، قال : وما تتولى من اعمالنا ؟ قلت : البحرين، قال : كم ترزق ؟ قلت : الفا ، قال : كثير ، فما تصنع به ؟ قلت : اتقوت منه شيئاً ، واعود بباقيه على اقارب لي ، فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين ، قال لا بأس ، ارجع الى موضعك . فرجعت الى موضعي من الصف ، فصعد فينا وصوّب ، فلم تقع عينه الا عليّ فدعاني ، فقال : كم سنك ؟ قلت خمس واربعون . . . ثم دعا بالطعام ، واصحابي حديث عهدهم بلين العيش ، وقد تجوعت له ؟ فأتى بخبز يابس واكسار بعير ، فجعل اصحابي يعافون ذلك ، وجعلت آكل فأجيد ، وانا انظر اليه ، وهو يلحظني من بينهم . . .

ثم أمر ابا موسى بسأقراري وان يستبدل بأصحابي [1] .

مثل هذه الروح التي تمتلىء رياء وتزلفاً للحاكم ، وتقرباً منه ، نجدها لدى عياض بن غنم واليه على حمص [2] .

(١) ت.م ١ : ١٧٥ ـ ١٧٧ .

(٢) ت.م ١ : ١٧٨ .

وقد انعكست هذه الروح على تصرفاتهم مع الرعية حيث كانوا في بعض الاحيان لا يتورعون عن ارتكاب اعمال لا إسلامية معهم من اجل تحقيق طلباتهم . فهذا هو عياض بن غنم كان من اجل ان يحصل على جزية اهل الذمة في الشام واعمالها يعمد الى أن يقيمهم في الشمس ، او يلقي على رؤوسهم الزيت ثم يقيمهم في الشمس تعذيباً حتى يؤدوا الجزية [1] .

ويبدو أن هذا الامر كان سلوكاً عاماً عمد اليه ولاة الشام ، نظراً لكثرة الروايات في هذا الشأن وتعدد اماكنها .

ولله در شاعر اهل الكوفة الذي صور في ابياته التالية حقيقة ما كان يعاني المجتمع من ولاته ، وتألمه من حالة عدم محاسبة هؤلاء الولاة من قبل من نصبهم ، فبعد عزل الوليد بن عقبة بن ابي معيط واحلال سعيد ابن العاص بدله في الكوفة ، انشد قائلاً معبراً عن هذه الحال :

فررت من الوليد الى سعيد ... كأهل الحجر اذ فزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام ... امير محدث او مستشار

لنا نار تحرقنا فنخشى ... وليس لهم ـ ولا يخشون نار [2]

ونحن اذا اخذنا كل ذلك بلحاظ أن العديد من الامصار كانت حديثة عهد بالاسلام، كبلاد مصر ، والشام ، والعراق ، وبعض اعمال ما وراء النهرين ، فان النتيجة القطعية والمؤكدة التي سنخلص اليها هي أن مسلمي هذه الامصار كانوا في الغالب ، قد تلقوا الاسلام بطريقة غير طبيعية هي في معظم الاحيان لا تمت الى الاسلام بصلة ، ولا تنطبق مع

(١) كتاب الخراج ١٢٥ .

(٢) الاغاني ٤ : ١٨٤ لابي الفرج الاصفهاني .

معاييره ، ومفاهيمه ، واخلاقه مطلقاً . الامر الذي انعكس على سلوكيات هؤلاء ، مما ادى الى حصول فجوة هائلة بين الوضع التربوي العام في المجتمع ، وبين الوضع السياسي له ، وواضح ان السياسة اذا لم تربط بوثائق التربية فانها سرعان ما تتحول الى ممارسة شيطانية هي التي نسميها اليوم بالسياسة الميكافيلية ، تقوم على أساس النفاق والتزلف وحب التسلط والرياء وما شاكل بعيداً عن المعايير الاخلاقية والموضوعية التي جعلها الاسلام لذلك .

كما أن ذلك قد ادى الى نشوء البذور الاولى للتسرب العقيدي المرتبط باليهود والنصارى والوثنيين وما شاكلهم الى افكار المسلمين وعقائدهم ، وليس من الغريب أن نجد أن العقيدة الجبرية يعود منشأها وسط المسلمين الى هذه الفترة .

وقد زاد في الطين بلّة أن الخليفة الثاني باطلاقة ليد مسلمي الفتح في الفتوحات، خصوصاً ـ زمرة الطلقاء ـ في مقابل تقييده لكبار الصحابة من علماء المهاجرين والانصار والزامهم بعدم الخروج من المدينة ، ومنعه وصاحبه الذي سبقه من الرواية عن الرسول (ص)[1] ،

---

(١) يقول الذهبي ان الخليفة الاول كان قد جمع الناس بعد وفاة الرسول (ص) وقال لهم : انكم تحدثون عن رسول الله (ص) احاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم اشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله ، وحرموا حرامه انظر تذكرة الحفاظ (م س) ١ : ٢ ـ ٣ لشمس الدين الذهبي .

وقد روى الذهبي عن قرظة بن كعب الانصاري قوله :

لما سيرنا عمر الى العراق مشى معنا عمر الى صرار ثم قال : اتدرون لم شيعتكم؟
قلنا : اردت أن تشيعنا وتكرمنا .
=

بل وتحريق الخليفة الثاني للاحاديث التي كتبها الصحابة عن رسول الله (ص)[1] ، اقول ان سلوك الخليفة هذا قد ضاعف من تلك الحالة ، وقد زاد الامر سوءاً أن امثال عبد الله بن ابي سرح العامري ابي موسى الاشعري ، وابي هريرة الدوسي ، وعكرمة بن ابي جهل ،وعمر ابن العاص ، ومعاوية ، والمغيرة بن شعبة وامثالهم من الطلقاء ومسلمي الفتح أو ضعاف النفوس والايمان هم الذين تولوا منصب العلماء والمحدثين ، فيما بات امثال ابن عباس ، وابن مسعود ، وابي ذر ، وابي الدرداء وعبد الله بن حذافة وامثالهم من كبار علماء الصحابة مجبورين على البقاء في المدينة[2] .

ونحن اذا ما جمعنا كل ذلك الى مجمل سياسة عثمان وآثارها والمترتبات التي ترتبت عليها ، فان الحصيلة التي سيخلص لها المجتمع الذي سيقوده الامام (ع) هي بالتأكيد حصيلة مضطربة جداً .

* * *

فقال : ان مع ذلك لحاجة ، انكم تأتون اهل القرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله وانا شريككم . قال قرظة : فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله (ص).

وقد كان قرظة حينما يطالب بالحديث عن الرسول (ص) يمتنع ويقول لمن يسأله نهانا عمر . ن . م ١ : ٤ ـ ٥ .

ويشير الذهبي الى ان عمر :

حبس ثلاثة : ابن مسعود وابا الدرداء وابا مسعود الانصاري

فقال : اكثرتم الحديث عن رسول الله . ن م ١ ٧

(١) يقول ابن سعد في طبقاته ضمن ترجمة القاسم بن محمد بن ابي بكر ان الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب ، فانشد الناس ان يأتوه بها فلما اتوه بها أمر بتحريقها .

انظر الطبقات الكبرى (م س) ٥ : ١٤٠

(٢) شرح النهج ١١ : ١٢ و٢٠ ٢٠

٤ ـ سياسة عثمان :

ثم جاءت سياسة عثمان لتزيد الاوضاع تردياً ، ولتلقي بمزيد من الوقود الى نار الفتنة ، فلقد صحت فيه مقولة عمر التي يرويها الجاحظ بقوله : إن عمر قد قال لعثمان حينما رشحه ضمن مجموعة الشورى :

هيها اليك ! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الامر لحبها اياك ، فحملت بني امية وبني ابي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء ، فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحا[1] .

ولئن صحت هذه المقولة عن عمر ام لا فان محتواها ينبيء عن وصف دقيق لما كانت عليه سياسة عثمان الذي جعل ادارة الخلافة وامسوالها حكراً على بني امية وبني ابي معيط ، واحدث في الاسلام احداثا اقل ما يقال عنها انها كانت مخالفة لاخلاق الاسلام ومعاييره . فأول ما افتتح عهده به هو امتناعه من الاقتصاص من عبيد الله بن عمر الملوثة يديه بدم الهرمزان ، وقد كان ذلك في اول يوم بعد انتخابه خليفة

(١) شرح النهج ١ : ١٦٨ .

للمسلمين ، وعلى الرغم من شدة الاعتراضات عليه ، فانه ابى الا ان يقتص من عبيد الله ، وذلك في قصة مشهورة ومتواترة ـ ثم جاءت اجراءاته المالية بأبشع الاثار واسوأها ، فلقد كان يؤمن أن بيت مال المسلمين وقف عليه وعلى من يحب ، فبيت مال المدينة كان فيه سفط :

فيه حلي وجوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض اهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك ، وكلموه فيه بكل كلام شديد حتى اغضبوه .

حينها خطب بالناس وقال مقولته المشهورة :

لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء ، وان ارغمت به انوف اقوام[1] .

ويمكننا معرفة اجمال هذه السياسة من خلال حديث ابن ابي الحديد الذي قال بأن عثمان قد :

اوطأ بني امية رقاب الناس ، وولاهم الولايات واقطعهم القطائع ، وافتتحت افريقية في ايامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان[2] . وطلب منه عبد الله ابن خالد بن اسيد صلة ، فأعطاه اربعمائة الف درهم ، واعاد الحكم بن ابي العاص بعد أن كان

(١) ن . م ٣ : ٤٩ .

(٢) مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) من المدينة ، واحد المعنيين بكلمة الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد كان عثمان قد ارجعه الى المدينة بعد ان رفض ذلك من سبقه .

رسـول الله صلى الله عليه وآلـه قد سيـره ثم لم يرده ابو بكر ولا عمر واعطاه مائة الف درهم .

وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بـالمدينـة يعرف بمهـزور على المسلمين ، فأقـطعـه عثمان الحارث بن الحكم اخا مروان بن الحكم .

واقطع مروان فدك .

وحمى المـراعي حـول المـدينـة كلهـا من مـواشي المسلمين كلهم الا عن بني امية .

واعطى عبد الله بن ابي سرح جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب ـ وهي من طرابلس الغـرب الى طنجـة ـ من غيـر أن يشـركـه فيـه احـد من المسلمين .

واعـطى ابـا سفيـان بن حـرب مـائتي الف من بيت المـال ، في اليوم الـذي امر فيـه لمروان بن الحكم بمـائة الف من بيت المال، وقـد كـان زوجـه بنتـه ام ابـان ، فجـاء زيـد بن ارقم صـاحب بيت المـال بالمفاتيح ، فوضعهـا بين يدي عثمـان وبكى ، فقال اتبكي ان وصلت رحمي !.

قال : لا ولكن ابكي لاني اظنك اخذت هذا المـال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسـول الله صلى الله عليه وآله ، والله لو اعطيت مروان مائة درهم لكـان كثيـراً ، فقـال : الق المفـاتيـح يـا ابن ارقم، فانا سنجد غيرك .

واتاه ابو مـوسى باموال من العراق جليلة ، فقسمهـا

كلها في بني امية ، وانكح الحارث بن الحكم ابنتـه عائشة ، فأعطاه مائة الف من بيت المـال ايضاً بعـد صرفه زيد بن ارقم عن خزنه .

وانضم الى هـذه الامـور امـور أخـرى نقمهـا عليـه المسلمـون ، كتسيـير ابي ذر رحمـه الله تعـالى الى الربذة[1] ، وضـرب عبد الله بن مسعـود حتى كسر اضلاعه[2] ، ومـا اظهر من الحجـاب والعدول عن

---

(١) كان قد ضربه عدة مرات وسيره اولا الى معاوية ، ولكن الاخير لم يطقه ، فكتب الى عثمـان بذلـك فأمره أن ارسـل جنـدياً على اغلظ مـركوب واوعـره ، فـوصـل ابـو ذر (ر ض) المدينة وقد تآكل لحم فخذيه من عنف وصعوبة السير، . . . انظر شرح النهج ٣ : ٥ .

ولما لم يكف ابو ذر عن معارضة سياسة عثمان ، ابعده الى الـربذة التي لم يلبث ان توفي فيها . وقد شايعه امير المؤمنين (ع) بجمـع من اصحابـه على الرغم من نهي الخليفة عن ذلك ، وقد قال له حال مشايعته :

يا ابا ذر انك غضبت لله ، فارج من غضبت له ، ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في ايـديهم ما خـافوك عليـه ، واهرب منهم بمـا خفتهم عليـه ، فمـا احـوجهم الى مـا منعتهم ، ومـا أغناك عمـا منعـوك ، وستعلم من الـرابـح غـدا ، والاكثـر حـسـدا ، ولـو أن السـمـوات والارضين كـانت على عبـد رتقا ، ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهما مخرجا ، لا يؤنسك الا الحق ولا يوحشنك الا البـاطل فلو قبلت دنيـاهم لاحبـوك ، ولـو قرضت منها لآمنوك (انظر نهج البلاغة ١٨٨ خ : ١٣٠ .

(٢) شيخ القراء، وكان قد توفي على اثر هذا الضرب ، واوصى ان لا يخبـر عثمان بخبـر وفاته حتى لا يحضر تشييعه وجنازته ، وتشير الروايات الى ان عثمان :

مر بقبر جديد فسأل عنه ، فقيـل : عبد الله بن مسعود ، فغضب =

طريقة عمر في اقامة الحدود ورد المظالم ، وكف الايدي المعادية ، والانتصاب لسياسة الرعية وختم ذلك ما وجدوه من كتابه الى معاوية[1] يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين[2] .

ومن جملة من ضربهم عثمان بل واشهرهم واكثرهم هو عمار بن ياسر[3] .

ونتيجة لذلك كله انقسم المجتمع الى قسمين ، قسم تراكمت لديه الاموال الفاحشة ، وآخر بات مدقع الفقر ، فعلى الصعيد الاول نجد ان الزبير قد بلغت ثروته :

خمسين الف دينار والف فرس ، والف عبد وضياعا وخططا في البصرة والكوفة ومصر والاسكندرية .

وفيما كانت : غلة طلحة بن عبيد الله من العراق كل يوم الف دينار ، وقيل اكثر وبناحية الشرارة اكثر مما ذكره .

اما عبد الرحمن بن عوف فقد كان في خيله :

مائة فرس وله الف بعير ، وعشرة الاف شاة ، وبلغ ربع ثمن ماله بعد وفاته اربعة وثمانين الفا .

على عمار لكتمانه اياه موته ، اذ كان المتوفي للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطىء عثمان عماراً حتى اصابه الفتق (انظر شرح النهج ٣ : ٥٠) .

(١) والصحيح انه كتاب موجهاً الى عبد الله بن ابي سرح - على اغلب الروايات والمصادر - .

(٢) شرح النهج ١ : ١٩٩ .

(٣) ن . م ٣ : ٤٩ - ٥٠ .

اما زيد بن ثابت فقد خلف حين مات :

من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار .

وقد مات يعلي بن منية وقد خلف وراءه :

خمسمائة الف دينار ، وديوناً وعقارات وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة الف دينار .

اما نفس عثمان فان ما كان :

له يوم قتل عند خازنه مائة وخمسون الف دينار ومليون درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلاً كثيراً وابلا[1] .

هذا على صعيد كانزي الذهب والفضة والخيل المسومة ، اما على صعيد الفئة الاخرى فان المقاتلين في سوح الجهاد ما كان يبلغهم من الفيء الذي تجلبه عليهم غزواتهم وما كان يصلهم من الغنائم التي كانت تجمع في الحروب التي يخوضونها ، الا النزر القليل جداً وذلك بدعوى ان هذه الاموال هي اموال الله وما للمجاهد الا اجر قليل يدفع اليه[2] وهذا اشبه شيء بالمخصصات المعاصرة التي تمنح للموظفين .

وحينما ينقل الحديث من عثمان الى ولاته فحدث ولا حرج فسياستهم في المال يعرب عنها بكل صلافة سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة الذي كان يصف خراج العراق وسواده بأنه :

---

(١) انظر مروج الذهب ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢ للمسعودي

(٢) انظر تاريخ الاسلام ١ : ٣٥٨ لحسن ابراهيم حسن .

بستان قريش ، ما شئنا اخذنا منه ، وما شئنا تركناه . [1] .

اما عن تدينهم فيكفي الاستعانة بتصرفات والي الخليفة على الكوفة اخيه الوليد بن عقبة بن ابي معيط والذي كان القرآن قد نعته بالفسق مرتين [2] .

فالوليد كان معروفاً بالكوفة بالزنى وشرب الخمور حتى انه يوما شرب الخمر ثم قام ليصلي بالناس صلاة :

الصبح في المسجد الجامع ، فصلى بهم اربع ركعات ثم التفت فقال : ازيدكم ؟ وتقيأ في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعاً صوته في الصلاة :

---

(١) مروج الذهب في ٢ ٣٤٦ .

(٢) الاولى حينما نزلت بحقه الاية الكريمة : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾ وذلك حينما نافس الامام علي (ع) بقوله :

انا احد منك سنانا ، واسط منك لسانا ، واملا للكتيبة ، فقال علي (ع) : اسكت يا فاسق فنزل القرآن فيهما .

والثانية حينما بعثه النبي (ص) :

مصدقاً الى بني المصطلق ، فلما رأوه اقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع الى النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال له : انهم ارتدوا عن الاسلام

غير ان النبي (ص) سرعان ما تثبت من كذب الخبر فنزلت الآية :

﴿ يا أيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ . ﴾ الخ سورة الحجرات/ الآية ٦ .

انظر الاغاني ٤ ١٨٢ .

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا [1] .

وقس على ذلك امثاله .

ومن جراء كل ذلك كانت حادثة فتك المسلمين بعثمان وقتله في داره وهذه الحادثة المأساوية نجد في وجهها الآخر ، مضاعفة لمأساوية الاوضاع التي كانت ساحة المجتمع الاسلامي تعج بها ، كما انها بنفس الوقت كانت تنبىء بالمزيد ، هذا علاوة على أن هؤلاء الولاة بفسقهم وفجورهم أو على الاكثر عدم تمتعهم بتأريخ جهادي او سابقة اسلام أوجد ارضية واسعة للتنافس والطمع في الولاية والامارة والرئاسة في نفس قطاع كبير من الصحابة والتابعين ممن كانوا يرون في انفسهم اهلية افضل ، وكفاءة اعلى . وهو الأمر الذي انعكس فيما بعد بشكل حاد على خلافة الامام (ع) .

---

(١) الاغاني ٤ ١٨٦ وللتفصيل يرجع للاغاني في المجلد المذكور ولشرح النهج في الجزء السابع عشر فقيه عمى للمستزيد . وكذا سائر المراجع المختصة .

٥ ـ ضغائن قريش وموتوري الاسلام :

لم يكن عدد اولئك الذين وترهم الاسلام بقتيل ، أو معوق ، أو جريح ، او جاه ، وما شاكل قليلا ، بل ان عددهم كان كبيراً جداً بشكل يكفي لابقاء عدد مهم من الموتورين على ضغائنهم ممن تسبب في ذلك ، وكان الامام علي (ع) هو المعني المباشر بكل هذه الضغائن اولا لانه كان من اكثر المقاتلين الاسلاميين قدرة على قتل خصومه من المشركين والكافرين واليهود . ولم تكن لمعركة اشترك فيها الامام (ع) ـ وهي كل المعارك ما عدا غزوة تبوك ـ الا وكانت له حصة الاسد في عدد القتلى ، ولقد كان جل قتلاه من اشراف اقوامهم وقادتهم ومن مجموع عدد قتلاه تحتل قريش الحصة الاكبر اذ فجع اغلب بيوتاتهم في اشرافهم وكبارهم ، ومن هؤلاء كان لبني امية حصتها الاعظم في ذلك .

وهو المعني ثانياً لان جميع هذه الدماء كانت محسوبة على رسول الله (ص) وهو باعتباره معروفاً بشكل واقعي لدى مجتمع ذلك اليوم بأنه الرجل الثاني بعد رسول الله (ص)، فاذا ما توفي رسول الله (ص) فان كل ذلك يحمل على الامام علي (ع) وفي ذلك يحدثنا ابن ابي الحديد فيقول : واعلم ان كل دم اراقه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بسيف علي وبسيف غيره فان العرب بعد وفاته عليه السلام عصبت تلك الدماء بعلي بن ابي طالب عليه السلام وحده لانه لم يكن في رهطه من يستحق

في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء الا بعلي وحده . وهذه عادة العرب اذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل فان مات أو تعذر عليها مطالبته ، طالبت بها أمثل الناس من اهله .

لما قتل قوم من بني تميم اخا لعمرو بن هند قال بعض اعدائه يحرض عمرا عليهم :

من مبلغ عمرا بأن المرء لم يخلق صبارة
وحوادث الايام لا يبقى لها الا الجحارة
ها ان عجزة امه بالسفح اسفل من اواره
تسقي الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا أزاره
فاقتل زرارة لا أرى في القوم امثل من زرارة

فأمره ان يقتل زرارة بن عدس رئيس بني تميم ، ولم يكن قاتلا اخا الملك ولا حاضرا قتله . ومن نظر في ايام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه[1]

لهذا ولذاك رأيناه (ع) يصرح اكثر من مرة بوجود ضغائن مريرة في قلوب قريش ضده ، وكيف لا والرسول (ص) قد ابلغه عدة مرات بذلك كما عرفنا ذلك من قبل[2] . ونحن قد لمسنا مؤشرات وعلاقات هذه الضغائن في يوم السقيفة وما بعده ، ولقد ذكرنا فيما سبق تصريحات متعددة للخليفة الثاني حول وجود هذه الضغائن في قلوب القوم .

ونحن اذا ما لاحظنا حقيقة انه (ع) كان قد قتل جل اشراف قريش في الجاهلية ، وهؤلاء كان لهم اهل وابناء وعشيرة ، وان معظمهم

---

(١) شرح النهج ١٣ : ٣٠٠ ـ ٣٠١ .
(٢) انظر القسم الثاني من الفصل الاول من هذا الكتاب .

كان قد دخل الاسلام بعبارة : اذهبوا فانتم الطلقاء ، اي انهم من مسلمة الفتح ولهذا فان من البديهي ان يبقى حقدهم وغيظهم على الامام (ع) يعتمل في قلوبهم انتظاراً للفرصة ، وتوثباً لانتهازها ، ولهذا فاننا نجد أن بعض المؤرخين والمحدثين لا يخفون استغرابهم من بقاء الامام (ع) سالماً كل هذه الفترة ، وكيف انه لم يُغْتَل بعد ان تم تجريده في زمن الخلفاء من سلاحه وسيفه ، يقول ابن ابي الحديد : سألت النقيب ابا جعفر يحيى بن ابي زيد فقلت له :

اني لاعجب من علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظّي الاكباد عليه . فقال : لولا انه ارغم انفه بالتراب ، ووضع خده في حضيض الارض لقتل ولكنه اخمل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن وخرج عن ذلك الزيّ الاول ، وذلك الشعار ونسي السيف . . . تركوه وسكتوا عنه ، ولم تكن العرب لتقدم عليه الا بمواطأة من مستولي الامر ، وباطن في السر منه فلما لم يكن لولاة الامر باعث وداع الى قتله وقع الامساك عنه ولولا ذلك لقتل [1] .

على ان ابن ابي الحديد يشير في مذاكرته هذه الى ان ابا جعفر اكد له خبر اعتزام خالد بن الوليد على اغتيال الامام في عهد الخليفة الاول [2] .

(١) ن.م ١٣ : ٣٠١.
(٢) ن.م ١٣ : ٣٠٢.

وقد جاء موقف الامام (ع) من الخلفاء بمثابة اثارة لهذه الضغائن خصوصاً ان اغلب ولاتهم من اولئك الذين سبق للاسلام ان وترهم . وهذا ما يتأكد في زمن الخليفة الثالث .

ويلحاظ ان اسلام الكثير من العرب كان هزيلاً للغاية :

فبعضهم للطمع والكسب ، وبعضهم خوفاً من السيف ، وبعضهم على طريق الحمية والانتصار ، او لعداوة قوم آخرين من اضداء الاسلام واعدائه [1] .

فلم لا تبقى هذه الضغائن لزمن خلافته ، ولم لا تكون قادرة على توتير الاجواء ضده ، وبث سموم الحقد عليه ، ولعل في القصة التي يرويها ابن الاثير ما يكفي للدلالة على كل ذلك ، اذ يقول ان هاشم بن عتبة المر قال (رض) اثناء احدى حملاته يوم صفين على معسكر معاوية خرج : عليهم شاب وهو يقول :

انا ابن ارباب الملوك غسان ... والدائن اليوم بدين عثمان
نبأنا قراؤنا بما كان ... ان عليا قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن ، فقال له هاشم : يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام ، وان هذا القتال بعده الحساب ، فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

قال : (فاني اقاتلكم لان صاحبكم - يعني علياً - لا يصلي وانتم لا تصلون ، وان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم ساعدتموه على قتله) [2] .

(١) ن م ١٣ : ٣٠٠
(٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٣١٢.

٦ ـ معاوية وولاية الشام :

لسنا هنا في معرض التحدث عن تصرفات معاوية وسياسته ، بل ان ما نرمي الاشارة اليه هنا ، هو وجود معاوية في الشام والاثار التي تترتب على ذلك ، فوجود معاوية بن ابي سفيان في الشام ، وهو الذي ظل يحمل لعلي (ع) شتى الضغائن ثأراً لأخيه وجده وخاله والعشارت من بني امية ، يكفي لجعل الشام عاصمة لكل امثاله من الموتورين والشانئين . خصوصاً انه يمتلك واحداً من اهم منابع بيت المال ، وقد مكنته الفترة الطويلة من ولايته على الشام بشكل أو آخر ـ ان يبسط نفوذه وهيمنته على اهل مصره ، ولهذا فان وجوده في الشام مكنه من الحصول على عدة عناصر من عناصر القوة والقدة . فهو من جهة في حالة اكتفاء مادي على مستوى الطعام والمال بل اكثر من حد الاكتفاء ، وهو من جهة اخرى يمتلك جيشاً لم يعرف سواه من القادة والولاة وقد مكنته الفترة الطويلة من قيادة هذا الجيش ، وكذلك مكره واساليبه الدعائية أن يشحنه بما يرغب من افكار ومفاهيم وعقائد . . . الخ[1] ، ومن جهة ثالثة فان

(١) يمكننا ان نتلمس ذلك من خلال تهديد معاوية لعمار بن ياسر (ر ض) قبل مقتل عثمان . فهو حينما قدم من الشام الى المدينة اتى مجلساً كان فيه الامام :

علي بن ابي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام=

الشام باعتبار انها غدت ملتقى لجميع من يحقد ويبغض الامام ـ عليه السلام ـ لسبب او لآخر ، لذا فان معاوية قد حظي بمن يمكنه من سد الفراغات القيادية والادارية من جهة ، ومن جهة اخرى تلبية حاجاته الدعائية والفكرية باعتبار انهم قادمون من عاصمة الخلافة ، وليس من العسير على هؤلاء جميعاً أن ينسبوا لانفسهم سابقة في الاسلام وصحبة مع الرسول (ص) زوراً وبهتاناً .

وكان مما اضاف الى كل هذه العناصر ، قوة على قوتها أن عمر وعثمان لم يسمعاه مرة تثريباً أو لوماً مما اكسبه قدسية عند الناس لا يفرقون بين ناقة وجمل ـ حسب تعريف معاوية لأهل الشام .

ونحن اذا ما قرنا ذلك بأهداف معاوية فان من البديهي أن نصل الى حقيقة ان معاوية سيكون اول مصادر الاعاقة لقيادة الامام (ع) خصوصاً انه كان يدرك تماماً ان الامام في حالة تسلمه الخلافة فان

=وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، فقال لهم : يا معشر الصحابة اوصيكم بشيخي هذا خيراً ـ يعني عثمان ـ ، فوالله لئن فتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ، ثم اقبل على عمار بن ياسر ، فقال : يا عمار ان بالشام مئة الف فارس كل يأخذ العطاء ، مع مثلهم من اسنائهم وعبدانهم ، لا يعرفون علياً ولا قرابته ، ولا عماراً ولا سابقته ، ولا الزبير ولا صحابته ، ولا طلحة ولا هجرته ، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ، ولا يتقون سعداً ولا دعوته فابالك يا عمار . . انظر تأريخ الخلفاء ١ : ٢٨ للدبوري .

ومن الواضح ان الذي لا يعرف كل ذلك وهو من البديهيات لا يمكن باي حال من الاحوال أن يقال عنه بأنه يتمتع بادنى قسط من الوعي بوقائع الاسلام فضلا عن افكاره واخلاقه واهدافه

اقصاءه من ولاية الشام سيكون من اولويات اعماله . ولهذا فقد تأهب مسبقاً لهذا الامر واعد له عدته اللازمة ، وكيف لا وهو الذي يحمل هم هدف مناقض تماماً لهدف الامام علي (ع)، فهو يسعى لاعلاء كلمة الكفر والباطل ، وعلي (ع) يسعى لدحضها واعلاء كلمة الحق ، يقول المغيرة بن شعبة بعد أن رآه ابنه المطرف مغتماً وسأله عن سبب اغتمامه :

يا بني ، جئت من عند اكفر الناس واخبثهم ، فقال له المطرف : وما ذاك ؟ فقال له : انه قد خلا بمعاوية وقال له : انك قد بلغت سنا يا امير المؤمنين (كذا) فلو اظهرت عدلا ، وبسطت خيراً فانك قد كبرت ، ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم ، فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال : هيهات . هيهات! أي ذكر ارجو بقاءه! ملك اخوتيم .

وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره الا ان يقول قائل : ابو بكر ، ثم ملك اخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا ان هلك حتى هلك ذكره الا ان يقول قائل : عمر ، وان ابي ابي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات : اشهد ان محمداً رسول الله ، فأي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك ! لا والله الا دفنا دفنا [1] .

(١) شرح النهج ٥ : ١٢٠

ولقد جاءت حادثة قتل عثمان ، وتمكن معاوية وحزب قريش من الاستفادة الكبيرة منها ، بمثابة عنصر قوة جديد اضيف الى عناصر قوته ، واذ يضاف الى ذلك كله تحلل معاوية وانصاره من كل قيد اخلاقي حتى انهم كانوا يعتبرون وبحق من ابرز الذين سبقوا ميكيافيللي في التفكير باخضاع كل الوسائل الشريرة والخبيثة لخدمة اغراضهم وارواء طموحاتهم وغاياتهم ، في مقابل الامام (ع) الذي كان يعتبر اعجوبة في التزامه باخلاق الاسلام ومعاييره ورفضه لكل الممارسات التي لا تمت الى هذا الالتزام بصلة .

اقول إذ يضاف ذلك فان ساحة المناورة لمعاوية وحزبه بدت اكبر بكثير من الساحة التي كانت في متناول الامام (ع). وهذا الامر لا نعني به ما بعد خلافة الامام (ع)، بل انه كان قبل خلافته (ع)، فكيف بما بعد الخلافة ! .

* * *

ان جميع هذه العوامل قد تظافرت بشكل رهيب لتلقي بجميع تبعاتها على الامام (ع). مما يعني ان تسلمه مقعد الخلافة بشكل فعلي سيجعله مجبوراً على القتال في جبهات متعددة وكثيرة لم يكن أي واحد منها مما يعني من سبقه . ومن الضرورة أن هذه الجبهات المتعددة ستضعف قوته طولاً وعرضاً الامر الذي سيجعل بنيان خلافته الذاتي محاطاً بالكثير من عوامل الضعف وهي جميعها مرشحة لان تكون اضعف خصوصاً ان اعداءه كانوا عازمين على تشوير ما يمكنهم تشويره بوجه الامام (ع) اذا استخلف،وهذا ما يظهر بوضوح كامل من مخاطبة عثمان ومروان بن الحكم لامير المؤمنين (ع) بعد ضرب الاول عمار بن ياسر ، إذ يقول ابن قتيبة ان عثمان حينما خرج من المسجد وقد كان هشام بن الوليد المخزومي قد توعده اذا ما قتل عمار نتيجة لضربه اياه ، فلقي

الامام (ع) وهو معصوب الرأس من وجع فيه فقال للامام :

والله يـا ابـا الحسن مـا ادري : اشتهي مـوتـك ام اشتهي حياتك؟ . . فـاما سلم فنسـالم ، واما حـرب فنحارب ، فلا تجعلني بين السماء والارض ، فانك والله ان قتلتني (كذا) لا تجد مني خلفا ولئن قتلتك لا اجد منك خلفا .

فقال علي : ان فيما تكلمت به لجوابـا ، ولكني عن جوابك مشغول ، فأنا اقول كما قال العبد الصالح : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

حينها قال مروان والذي يعتبر مخطط سياسة بني امية :

إنّا والله اذا لنكسرن رماحنا ، ولنقطعن سيوفنـا ، ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا[1] .

وبهذا الواقع المر يتأهب اعداؤه ويتربص مناوئـوه تحيناً للفـرصة ، ولقـد جاء قتـل عثمان من قبـل الثائـرين عليه ، ليفتـح بـاب الفتنـة على مصـراعيه وليغتنمهـا معسكر الاعـداء . . . ومن ثم لتقرع طبـول الحـرب على جبهات متعددة!! .

(١) تاريخ الخلفاء ١ : ٣٣ .

القسم الثاني

الأوضاع السياسية والاجتماعية التي هيمنت على حكم الإمام (ع)

ليست مهمتنـا هنـا أن نتنـاول استعـراض الاوضـاع السيـاسيـة والاجتمـاعية التي هيمنت على زمن خـلافـة امير المؤمنين (ع) بشكـل تفصيلي ، كمـا اننـا لسنـا في معـرض الحـديث عن الاسـاليب التي استخـدمها امير المؤمنين (ع) لمواجهـة هذه الاوضـاع ، ولكن جهدنـا سينصب اسـاسـاً على تشخيص العـوامـل التي اثـرت في خـلافـة امير المؤمنين (ع) وسـاهمت في عـدم وصـول المشـروع القيـادي لامير المؤمنين (ع) الى غايته القصوى ، وهدفـه الكلي ، وغالبيـة البحث هنا سيتخصص في بحث العوامل التي عارضت خلافة امير المؤمنين (ع) او شاركت في عرقلة مسيرة رسالته .

١ ـ الحـرب الداخليـة :

تميـزت الفتـرة التي امتـدت مـا بين يـوم السـقيفـة وبيعـة الامـام علي (ع) الى الخلافة بأنها شهدت العديد من الغزوات التي اسـتهـدفت فتح الامصار والبلدان التي كـانت مجاورة الى الجـزيرة العـربية ، وهـذه الغزوات علاوة على انها حققت انجازات كبيرة للمسـلمين ، غير أنهـا في

نفس الوقت ساهمت مساهمة جوهرية في حفظ استقرار عهود الخلفاء الثلاثة الاوائل ، وذلك لانها وجهت عيون المسلمين نحو العدو الخارجي وكيمية النيل منه والانتصار عليه ، فيما حجبت هذه العيون عن ملاحظة ما يجري في الداخل .

ولانها جرت في الحدود الخارجية للدولة الاسلامية لهذا فان اغلب افراد هذه الدولة كانوا بعيدين عن عاصمتها وما يجري فيها من أمور .

ولم تكن الدولة في هذه الفترة تعاني من مشكلة تعبوية سواء على مستواها الكمي أو الكيفي ، فالمهمة مقدسة في نظر المسلمين ، والنظرة الى الجهاد واجبة بلا غموض شرعي ، ولا شبهة . حتى اولئك الذين لم يكن بهمهم هذا الجانب فان جنة الغنائم في هذه المهمة كانت تكفي لجعل المهمة في نظرهم تحظى بعناية خاصة .

غير أن خلافة الامام امير المؤمنين (ع) لم تشهد حروباً من هذا القبيل بشكل يجعله في وفرة من الوقت لاصلاح الاوضاع الداخلية وارجاعها الى واقعها الاسلامي المطلوب ، فلقد تميزت الحروب التي شهدتها هذه الخلافة بكونها كانت تجري بالقرب من عاصمة الخلافة والحابه بنفسه كان يباشرها ، هذا علاوة على انها كانت تدور بين فئات تنتمي بلفظة شهادة الاسلام ، مما يجعل الشبهة والشك من شرعيتها او عدمها تحوم في اجواء العديد من قطاعات جيش الخلافة ، مما جعل الامام في قبال ازمة تعبوية حادة طالما سمعناه يتضجر منها ويتأوه المأ محرقة ، كما ان هذه الحروب جرت في وقت كان هناك من الاعداء المعلنين والسريين في وسط مجتمع خلافة الامير (ع) ما يكفي لتثبيط

العزائم وبث الشبهات ووضع العراقيل و . . . ما الى ذلك مما يشبه تماماً مهمة ما نتعارف على تسميته اليوم بالطابور الخامس . وقد زاد في الطين بلة أن جانب الغنائم في هذه الحروب كان ضئيلاً جداً قياساً الى الحروب السابقة ، هذا فضلاً عن أن حرب الجمل خلت تماماً من هذا الجانب الا ما ضل في ساحة المعركة نفسها ما جعل فئة من المجتمع ممن اعتادت على هذا النهج خارجة عن المعركة ، أو تقف الى الصف المعادي ، وفي احسن الاحوال تشترك والوهن يعيش في جنباتها .

هذا علاوة على ان المعارك التي خاضها الامام (ع) كانت جميعاً تتسم بكونها داخلية ، فان هذا الامر يعني أن الموتورين من قتل احبابهم أو اصدقائهم أو من عشائرهم وقبائلهم ، وهم الذين يعيشون في وسط المجتمع وداخله ، سيزدادون وزيادتهم تعني ان فرص الاخلال بالامن أو المساعدة على ذلك ، او الاسهام في تفكيك الجبهة الداخلية سيزداد وفقاً لتلك الزيادة ، هذا على العكس من المعارك الخارجية اذ مهما قتل في الطرف المقابل ومهما زاد عدد الموتورين فان هؤلاء يظلون خارج اطار المجتمع مما لا يعني تعريض الامن الداخلي للمخاطر التي تتولد من جراء وجود هؤلاء داخل المجتمع .

فلم تمض على بيعة الامام (ع) عدة ايام حتى اعلن طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر نكثهم لبيعة امير المؤمنين (ع)، ليتخذوا من شعار الثأر لعثمان داعياً لحرب الامام (ع)، عاضدهم في

(٣) انها اضافت الى احقاد قريش ، احقاداً جديدة وضغائن مستجدة .

(٤) انها اضفت صبغة جديدة على الاجواء الفكرية والسياسية المسيطرة على المجتمع يومذاك ، وهذه الصبغة مردها الى قتال المسلمين لانفسهم ، هذا علاوة على انها جعلت قضية عثمان اكبر من واقعها ، مما مكن الطابور الخامس من تصعيد مواجهته للامام (ع) .

(٥) أن هذه الحرب زادت من تكاتف المعارضة القريشية واشباهها وجعلها تنظر الى معاوية بمنظار جديد يقسم بالولاء والمناصرة ، مما ضاعف من رحيل اعداد كبيرة منهم باتجاهه خصوصاً اولئك الذين شهدوا معركة الجمل كمروان بن الحكم وامثاله .

(٦) ان الحرب قد اعطت لمعاوية مصداقية في قبال أهل الشام ، وجعلتهم اكثر ولاء له .

(٧) ان هذا الانتصار القى في قلوب جميع اعداء الامام (ع) رعباً عارماً ، جعلهم يوقنون أن الامام (ع) اذا ما ادركهم فان سيف عدالته سيطال رقبتهم خصوصاً ان اغلبهم كان بشكل أو آخر يستحق القصاص ، ولهذا فقد اتجهوا جميعاً الى معاوية يجمعهم شعار : لا حباً بمعاوية وانما بغضاً لعلي ، ليشكلوا من بعدها جيش المعارضة .

على أن كل ذلك لا يعني ان حرب الجمل خلت من ايجابيات لصالح امير المؤمنين (ع) فايجابياتها جمة وانجازاتها كثيرة ، غير أن مهمتنا هنا ان نلاحظ معسكر الاعداء والكيفية التي نمت بها قوتهم ، وتعاظم بها نفوذهم ، لهذا فلم نتعرض الى هذه الايجابيات .

ذلك احقاد قريش وطغام العرب وجهال البصرة ، وينفث في نارهم مكر وحقد معاوية وحزب الشام ، وما أن تبدأ المعركة حتى تنتهي عن مقتلة عظيمة في وسط حزب الجمل كان على رأسها طلحة والزبير ، وعلى الرغم من انها حققت اول انتصار للامام (ع) غير انها افرزت عدة نتائج سلبية نذكر منها :

(١) أن منع الامام (ع) جيشه من سلب وسبي جيش الجمل ، كان اعلاماً منه الى كل من اتبعه طمعاً في سلب أو مغنم أو سبي ، بعدم جدوى اتباعه لهذا الغرض ، ولهذا فقد نفرت على اثر ذلك مجموعة من جيش الامام (ع)[1] .

(٢) أن أغلب قتلى الجمل كانوا من البصرة ، وقد كان منهم العديد من رؤوساء واشراف عشائرهم[2] مما جعل البصرة في جناح كبير منها تميل الى الصف المعادي ، وتكتنف على احقاد وثارات على الامام (ع) لا يمكن السيطرة عليها بسهولة ، خصوصا ان عدد القتلى كان رهيباً جداً .

---

(١) الكامل ٣ : ٢٥٩

(٢) كان على رأسهم عبد الله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة يومذاك وقد كانت زوجته صفية بنت حزب بن ابي طلحة بن عبد الدار ويذكر أن الحرث بن ابي طلحة ، بالاضافة الى اربعة من اخوته قد قتلهم الامام (ع) يوم احد وكانوا جميعهم من حملة الوايات يومذاك ، وهي التي قالت له حينما دخل البصرة بعد انتهاء حرب الجمل : يا قاتل الاحبة يا مفرق الجميع . انظر الكامل ٣ : ٢٥٦ .

ولم تمض اشهر قليلة حتى شرعت حرب صفين ضد معاوية ، وقد كان الامام (ع) منذ البداية يحاول ان يحسم المعركة مع معاوية ، غير انه اثناء تجهيزه لذلك في المدينة وافاه الناس بخبر طلحة والزبير وعائشة ، فانصرف مؤقتاً عن حرب معاوية ، فما ان تمت حرب الجمل حتى ذهب يعبىء الناس لقتال معاوية بعد أن نقل عاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة ، ودارت حرب صفين وفيها سقطت الآلاف وكانت الى ايام قبل ليلة الهرير تسير بشكل متكافيء فهي يوم لجيش الامام (ع) وآخر لجيش معاوية ، الا انها بعد ذلك بدأت تسير لصالح الامام علي (ع) حتى بات النصر وشيكاً له ، الامر الذي دفع معاوية أن يستنجد برأي عمرو بن العاص للخلاص مما هو فيه ، فبعد ليلة الهرير والتي يقدر قتلاها نصر بن مزاحم بسبعين الف قتيل[1]، قام الامام (ع) خطيباً بالناس ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس قد بلغ بكم الامر وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم الا آخر نفس ، وان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حق بلغنا منهم ما بلغنا ، وانا غاد عليهم الغداة احاكمهم الى الله عز وجل .

فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فقال : يا عمرو ، انما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل فما ترى ؟ قال : ان رجالك لا يقومون لرجاله ، ولست مثله ، هو يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره ، اننا نريد البقاء وهو يريد الفناء ،

(١) وقعة صفين (م س) ٤٧٥

واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم ، واهل الشام لا يخافون علياً ان ظفر بهم ، ولكن الق اليهم امراً ان قبلوه اختلفوا ، وان ردوه اختلفوا ، ادعهم الى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك في القوم[1].

فما ان رفعت المصاحف وامتد خبرها بين الناس حتى اختلف اصحاب الامام (ع) في الموقف فقسم كان يرى انه لا بد من القتال ، وكان الامام (ع) يتقدم اصحاب هذا الرأي هو وجميع المخلصين له كمالك بن الاشتر وقيس بن سعد وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وامثالهم .

وقسم آخر كان يدعو الى المحاكمة الى الكتاب وكان على رأس هؤلاء الاشعث بن قيس الكندي ، ثم ليجبروه على ترشيح من اختاروه للتحكيم بعد أن رشح عبد الله بن عباس اولاً ثم مالك الاشتر ثانياً غير انهم اصروا على أن يكون الاشعري مرشحاً للتحكيم ، وهكذا كان ، ثم جرت الامور الى ما هو معروف من امر التحكيم ولقد كان لحرب صفين آثار عظيمة من الناحية السلبية على مجتمع الامام(ع) نذكر جملة منها :

١ ـ ان كثرة القتلى ، وطول ايام الحرب قد ترك اثاراً سلبية جمة على اولئك الذين لم يأخذ الايمان منهم مبلغه ، وقد كان هؤلاء جمعاً جماً من جيش الامام (ع)، وهو من الامور الطبيعية جداً في أي جيش فهناك في العادة في كل جيش فئة تؤمن تماماً بما تحارب له ، وأخرى دون ذلك حتى تجد من لا ايمان له مطلقاً بها .

(١) د . م ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

٢ ـ مشاعر الخيبة واليأس التي عمت نفوس فئات كبيرة من جيش الامام (ع) حينما لاحظت الطريقة التي تجري فيها الامور من بعد يوم المصاحف ، هي الاخرى اسهمت في ايجاد آثار سلبية على مجتمع الامام (ع).

٣ ـ وقد كان على رأس الآثار السلبية التي خلفتها معركة صفين وابرزها هي فتنة الخوارج وظهورهم برأي جديد استطاع ان يشق جيش الامام شقاً سريعاً ورهيباً ، ومن ثم ليتحول هذا الانشقاق الى صراع مسلح دام ضد الامام اتخذ في بادىء الامر القيام بعمليات ارهابية كان افظعها مقتل عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) وزوجته وجنينها[1] ، ثم انتهى الى حرب النهروان .

٤ ـ وكما هو المتوقع فقد زادت هذه الحرب من احقاد قريش على الامام (ع) خصوصاً انها اضافت الى قائمة قتلاها على يد الامام (ع) ارقاماً جديدة ، كان من ابرزها عبيد الله بن عمر بن الخطاب والذي كان الامام قد توعده بالاقتصاص من دم الهرمزان حيث رفض الخليفة الثالث اعمال القصاص بحقه .

٥ ـ ولقد ولدت هذه الحرب زخماً جديداً في نفوس الجموع التي رفضت حكم الامام (ع) بشكل او آخر ، او تلك التي اعتزلته بالالتجاء الى حكم الشام ، فالذين لم توافقهم عدالة الامام (ع) او اولئك الذين هربوا خوفاً من القصاص ، والذين هابوا صرامة الامام مع المتخلفين عن احكام الاسلام وشرعه ، والذين وجدوا أن الدنيا لا تجتمع لهم مع الامام (ع) ، هذا علاوة على اولئك الذين اشتركوا ضده في حرب

(١) انظر تفصيلها في الكامل ٣ ٣٤١ ـ ٣٤٢

الجمل ثم عفا عنهم فهدأوا هنيهة . ان جميع هؤلاء وجدوا زخماً جديداً يدفعهم باتجاه الالتجاء الى معاوية ، وبلاد الشام .

٦ ـ نتيجة لاحساس معاوية بأهمية الدور الذي يمكن ان يلعبه المال في تكفيك جيش الامام ، لذا فقد اولى هذا الامر عناية خاصة وراح يوزع الاموال الطائلة ، ويوعد بها اقواماً آخرين ، كما ان هدف تفكيك الجيش الجأه الى الاهتمام بالطابور الخامس وجعل يغذيهم بالافكار والشبهات التي من شأنها ان تجعل وحدة جيش الامام مهددة اكثر من ذي قبل ، ولقد كان عمارة بن عقبة بن ابي معيط من ابرز المتحركين ضمن هذا الاتجاه اذ كان يعيش في الكوفة ويراسل معاوية والوليد بن عقبة بن ابي معيط بالاخبار والمستجدات في جيش الامام[1] فيما كان معاوية والوليد يراسلانه بالمال ويغذيانه بالافكار والشبهات ، وقد وصل الامر حداً ان الوليد كان يحثه على اغتيال الامام (ع) وكبار اصحابه . وهذا ما يظهر بوضوح في ابياته الشعرية :

أن يك ظني في عمارة صادقاً ... ينم ثم لا يطلب بذحل ولا وتر[2]
يبيت واوتار ابن عفان عنده ... مخيمة بين الخورنق فالقصر
تمشي رخيّ البال مستشزر القوى ... كانك لم تسمع بقتل ابي عمرو
الا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبي الذي جاء من مصر[3]

٧ ـ على اننا لا يمكننا ان نغفل اثر الموتورين في مجتمع

(١) شرح النهج ٢ : ١١٤ ـ ١١٥ .
(٢) الذحل والوتر : الثأر .
(٣) ن . م ٢ : ١١٥ وقتيل التجيبي هو عثمان ، والتجيبي هو كنانة بن بشر الرياحي . وكان قد ضرب (عثمان) على مقدمة رأسه بعمود حديد فخر لذلك على جبينه ، وكانت ابلغ ضربة .

الامام (ع)، فلقد كان جيش الشام ينطوي على عدة عديدة من أهالي العراق ، وهؤلاء كان لديهم من الارحام الشيء الكثير في وسط مجتمع الامام (ع)، وقد قتل منهم في صفين جمعاً كبيراً ، ولهذا فان آثار قتلهم لا بد ان تبرز ضمن صعيد سلبي في مجتمع الامام (ع)[1].

٨ ـ ان كثرة القتلى والجرحى والمعوقين في هذه الحرب من الاعتيادي ان تؤثر سلبياً على عوائلهم وذويهم ، ولهذا فانه ليس من الغريب أن تعمد هذه العوائل على ايجاد جملة من الضغوط على ابنائها لمنعهم من القتال ، ويزداد هذا الامر كلما قل مستوى الوعي السياسي ، وانخفض الايمان بالهدف ، وهذا الامر كان متفشياً في عدة قبائل من اهل العراق ، مما أثر بوضوح على المعارك التي تلت معركة صفين ، حيث يمكن ملاحظة انخفاض اعداد المشاركين في جيش الامام (ع) بوضوح وجلاء ، حتى بلغ الامر بالامام مبلغاً عظيماً من التأوه والتألم من هذا الوضع .

وقد كان لحرب صفين على الجانب الآخر اي على جانب معسكر معاوية جملة من الامور الايجابية والسلبية ، غير ان نتيجة التحكيم حينما جعلت الخلافة ـ رغم زيف النتيجة ـ من حق معاوية في نظر اهل الشام بعد ان خدع عمرو بن العاص ابا موسى الاشعري بأن يقوما بخلع علي (ع) ومعاوية فقام الاشعري بخلع الامام (ع) من الخلافة وكان يطمح ان يجعلها لعبد الله بن عمر فيما قام عمرو بتثبيت معاوية ، ان هذه النتيجة رغم زيفها ووهنها غير انها عظمت منزلة ومكانة معاوية لدى

(١) لا بد من الاشارة الى اننا حينما نستعمل كلمة مجتمع الامام (ع) فاننا نعني بها المجتمع الذي كان للامام (ع) عليه ولاية وسلطان ونفوذ سياسي وهكذا الامر بالنسبة الى دولة الامام (ع)

اهل الشام وقريش ، ووسعت من جماهيريته ، وقد كان لذلك بعد آخر يتمثل في الآثار التي تنعكس في العادة من مساواة الامام امير المؤمنين (ع) بمثل معاوية وجعلهما في قبال من يثبت لهما خلافة او ينزعها عن احدهما ، وهذه الآثار لم تترك بصماتها على الساحة السياسية بل ان الفكر الديني سرعان ما تلوث بها ، وهذا ما سنجده فيما بعد ينعكس بشدة على شكل افكار والتزامات شرعية تجاه من يستلم الحكم سواء بالزور او الظلم أو . الخ حيث يجب على جميع المسلمين اطاعته وعدم عصيان اوامره وان كان باغياً عليهم ، وفي حالة عدم اطاعته فانه سيموت حتماً ميتة جاهلية ، وقد جاء كل ذلك على مجموعة من الاحاديث المزورة والمنقولة زيفاً عن رسول الله (ص) وفي هذا الصدد توجد عشرات الاحاديث الموضوعة التي تؤكد هذه المعاني منها ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة انه قال :

قال رسول الله : يكون ائمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس).

قال (اي حذيفة) قلت : كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك ؟ .

قال : تسمع وتطع للامير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع واطع .

ويروي مسلم ايضاً عن ابن عباس قوله عن رسول الله (ص) انه قال :

من رأى من امامة شيئاً يكرهه فليصبر ، فانه من خارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية[2].

(١) انظر صحيح مسلم باب الامر بلزوم الجماعة ٦ : ٢٠ ـ ٢١ (م . س) .

وضمن هذا الصعيد توجد افكار عجيبة وغريبة بفضل معاوية وازلامه البست لباس الاسلام!!.

وكيفما يكن فان هذه النتيجة قد اكسبت معاوية شرعية في نظر اصحابه من اهل الشام ومن اهل الحجاز.

ومما لا شك فيه ان واحدة من اهم الاخطار التي تبدت للامام (ع) اثناء معركة صفين ثم تفاقمت بعدها لتتحول الى مشكلة سياسية حادة، هي ظاهرة العصيان لاوامره من قبل بعض المنتمين الى جيشه وهي الظاهرة التي شوهدت بوضوح في يوم المصاحف حينما تم اجبار الامام على قبول مرشحية الاشعري، بعد ان رفضوا مرشحية عبد الله ابن عباس ومالك الاشتر وقد كان على رأس هؤلاء الاشعث بن قيس الكندي، ثم تفاقم الامر ليوجد ازمة الخوارج الذين رفضوا الجميع متخذين من شعار لا حكم الا لله شعاراً لذلك. هذه الازمة التي سرعان ما تحولت الى ظاهرة ارهابية تهدد مجتمع الامام (ع) من داخله، حيث ارتكب الخوارج جملة من اعمال العنف والقتل والسلب بحق الامام (ع)، ثم ما لبثوا ان خرجوا مسلحين ليعسكروا في منطقة النهروان هذا في اثناء الوقت الذي كان الامام (ع) يعبيء الناس للخروج الى معسكر النخيلة من اجل انهاء قصة معاوية، غير انه اثناء اعتزامه الخروج داهمته اخبار عسكرة الخوارج قرب النهروان فخرج اليهم فخطب فيهم واعظاً ومفنداً لافكارهم الانحرافية ومطالباً بقتلة عبد الله بن خباب وزوجته. ورغم نجاح هذا الاسلوب اذ انصرف عن الخوارج جمع عظيم، غير ان ثلة منهم ما كان جوابهم الا النبال، حينها بادر الامام (ع) لمقاتلة هؤلاء فهزمهم شر هزيمة. غير ان هذه الحرب تركت جملة من الآثار السلبية على مجتمع الامام (ع) خصوصاً ان الخوارج كانوا في السابق من جملة عباد اصحاب الامام (ع)

وزهادهم، ولهذا فقد انعكس ذلك فوراً على القدرة التعبوية لاهل العراق، ونحن يمكننا ان نتلمس في هذه الفترة تصاعد حدة تقريع الامام (ع) لاهل الكوفة والبصرة حيث شهد منهم خمولاً ولا ابالية مريرة. وهو على الرغم من تضاؤل هذه القدرة الا انه ظل يصر على تجميع العسكر لقتال معاوية، غير ان سيف عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي عاجل الامام (ع) قبل ان يتم هذه المهمة.

* * *

وما نستخلصه من كل ذلك هو أن الحروب الداخلية التي افتعلت بوجه الامام (ع) قد جعلته منهمكاً في امور اودت بطموحاته لتحقيق اهداف الرسالة وآمالها، وجعلتها مشاريع قيادية ناضجة غير انها تفتقد الى الزمن المواتي والفرصة الممكنة والقاعدة المضحية، الزمن الذي ذهب هباء في هذه الحروب، والفرصة التي اضاعتها الفتنة التي اشعلت نيرانها من كل جانب ومكان امامه والقاعدة التي استشهدت زبدتها اما بنار الحرب أو بلهيب الفتنة او باجرام وغدر اعدائه.

وهكذا كان عامل الحروب الداخلية من اهم واخطر العوامل التي عملت على اعاقة المشروع القيادي لامير المؤمنين (ع) واودت بأعظم فرضة لايصال البشرية نحو استقرارها المنشود، صحيح انه ربح جميع هذه الحروب وانتصر فيها، غير انها عملت بشكل مربع بالتظافر مع ميكافيلية اعدائه على تفتيت جبهته الداخلية.

٢ ـ السياسة المالية :

مما لا شك فيه ان السياسة المالية التي اتخذها الامام امير المؤمنين (ع) لو لم يكن لها وجود او كانت مشابها للسياسة التي اتخذها عمر بن الخطاب لكان الكثير من اعداء الامام (ع) قد وجدناهم يقاتلون الى جنبه ، بل انني اعتقد ان تشخيص قريش لهذه السياسة مبكراً هو الذي حال دون ان تكون نتيجة الشورى التي شكلها عمر بعد طعنه لصالحه ، وهي التي كانت تحتل مكاناً بارزاً في الخلفيات التي صنعت شرط عبد الرحمن بن عوف لتسليمه الخلافة حيث طلب منه ضمن طلبه ان يتعهد بالسيرة على سيرة ابي بكر وعمر ، ونحن لو اضفنا الى هذه السياسة ظاهرة قاطعيته في التعامل مع معايير الرسالة الاسلامية (وهي الظاهرة التي سنبحثها فيما بعد) مفترضين عدمها لما وجدنا الغالبية المطلقة من اعدائه الذين نعرفهم اليوم ، هذا اذا لم نقل بالاجماع ! . .

وهو على الرغم من اتباعه لسياسة المساواة في العطاء دون تمييز بين المسلمين في قبائلهم او الوانهم او عنصرهم ، فانه كان صارماً كل الصرامة في الحفاظ على بيت المال وعدم التبذير فيه حتى انه كتب لجميع ولاته يلومهم على تبذيرهم في ما كانوا يكتبون عليه فأمرهم ان يقتصدوا في استعمال ذلك وان يجمعوا ما بين السطور خوفاً على بيت المال ، بل انه خاف على ضياء شمعة كانت موقدة في بيت المال حينما

جاءه عمرو بن العاص في عمل له ، فأطفأ الشمعة بعدما علم أن عمل عمرو بن العاص لا علاقة له بشؤون المسلمين ، وهو في كل ذلك تراه لا تأخذه اية رأفة ـ ضمن هذا الصعيد ـ بأقرب المقربين له وقصته مع أخيه عقيل اشهر من ان تعرف هنا .

ترى اذا كانت هذه هي سياسته في المال ، مساواة في العطاء والغاء لكل تمايز ، وصرامة في الصرف ، ودقة في موارد الاستعمال . اذن لماذا لا يضج ضجيج من كان في السابق قد أشبع بالمال ؟ ولماذا لا تطمع عيونهم الى من يرى بيت مال المسلمين ماله فيهب منه من يشاء ، ويمنع عنه من يريد!؟ .

والمجتمع الذي كان مثقلاً بالتمايز الطبقي لماذا لا يثقل على اشرافه حكم امير المؤمنين(ع) الذي ساواهم مع غلمانهم ، في العطاء ؟ ولماذا لا يتلهفون لحكم معاوية ، او اي طليق اخر!؟ .

وامثال عمرو بن العاص الذي باع دينه بكامله لقاء ولاية مصر ، لماذا لا يهرب من حكم الامام امير المؤمنين (ع) الذي يخاف على شمعة من بيت المال ان تحترق ليضع لحظات او دقائق بدون سبب يتعلق بأصحاب هذا المال ؟ .

ولماذا لا يركن امثال طلحة والزبير الى حرب امير المؤمنين (ع) وهو الذي أبى الا أن يجعلهم في العطاء متساوين مع بقية المسلمين ، فيما هم مغرقون في حب الوجاهة والزعامة؟ .

ان الامام (ع) كان مدركاً لكل ذلك ففي واحدة من اوائل خطبه بعد البيعة ولعلها اول خطبة له في الناس قال مخاطباً من اجتمع منهم :

الا لا يقولن رجالٌ منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجروا الانهار ، وركبوا الخيول

الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة (الاماء والخدم الحسان والجميلات) فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً ، اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، واصرتهم الى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ، ويستنكرون ويقولون : حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا الا وايما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (ص) يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته ، فان الفضل النير غدا عند الله وثوابه واجره على الله ، وايما رجل استجاب لله وللرسول ، فصدق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فأنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لاحد على احد ،وللمتقين عند الله غدا احسن الجزاء وافضل الثواب : لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجرا ولا ثواباً ، وما عند الله خير للابرار ، واذا كان غدا ان شاء الله فاغدوا علينا فان عندنا ما لا نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن احد منكم عربي ولا عجمي ، كان من اهل العطاء او لم يكن الا حضر[1] .

(١) انظر شرح النهج ٧ : ٦٣٧ . وفي المعيار والموازنة في فضائل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وبيان افضليته على جميع العالمين بعد الانبياء والمرسلين لابي جعفر الاسكافي المعتزلي رواية اخرى غير انها تشير الى نفس المعنى انظر ص ١١٠ ـ ١١٢ تحقيق محمد باقر المحمودي

ويقرر ابو جعفر الاسكافي بأن هذا الكلام كان اول ما انكروه من كلامه عليه السلام وأورثهم الضغن عليه وكرهوا اعطاءه وقسمه بالسوية[1] .

فلما اصبح الناس امر امين بيت المال عبيد الله بن رافع بتوزيع ثلاثة دنانير على كل من يحضر دون تفريق بينهم فتخلف عن ذلك يومئذ :

طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ، ورجال من قريش وغيرهم[2] .

ولم يمض على هذه الخطبة سوى ايام معدودة ولعلها ساعات معدودة حتى اجتمع طلحة والزبير وجمع من بني امية بالحجاز قد تمالأوا فيما بينهم على نقض بيعة امير المؤمنين (ع)[3] .

وأحد الاسباب الرئيسية تعود الى ذلك ولعل محاولة امير المؤمنين (ع) مع اقطاب المعارضة تكفي لايضاح المقصود ، ففي صباح اليوم الذي اعقب هذه الخطبة دخل طلحة والزبير فجلسا بعيداً عن علي في المسجد ثم ما لبثا ان التحق بهما مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير ، ثم اعقبهم جماعة من قريش فانضموا اليهما فتحدثوا نجياً ساعة ،قام بعدها الوليد بن عقبة بن ابي معيط

فجاء الى علي عليه السلام فقال : يا ابا الحسن ، انك قد وترتنا جميعاً ، اما انا فقتلت ابي يوم بدر

(١) شرح النهج ٧ : ٣٧ .
(٢) ن.م ٧ : ٣٨ .
(٣) المعيار والموازنة ١٠٩ وشرح النهج ٧ : ٣٨

صبراً ، وخذلت اخي يوم الدار بالامس ، واما سعيد فقتلت اباه يوم بدر في الحرب ـ وكان ثور قريش ـ واما مروان فسخفت اباه عند عثمان اذ ضمه اليه ، ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على ان تضع عنا ما اصبناه من المال في ايام عثمان ، وان تقتل قتلته ، وانا ان خفناك تركناك ، فالتحقنا بالشام .

فقال له الامام (ع) : اما ما ذكرتم من وتري اياكم فالحق وتركم ، واما وضعي عنكم ما اصبتم فليس لي ان اضع حق الله عنكم ولا عن غيركم ، واما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس . . . فقام الوليد الى اصحابه فحدثهم وافترقوا على اظهار العداوة واشاعة الخلاف . . .[1] .

ثم ان الامام (ع) دعا اليه طلحة والزبير وكان فيما دار بينهم انه قال لهم : ما دعاكم بعد الى ما ارى فكان من جملة اعذارهما مسألة المساواة في العطاء وتدور المحاججة بينهم حتى قال لهم :

فما الذي كرهتما من امري حتى رأيتما خلافي ؟
قالا : خلافك عمر بن الخطاب في القسم ، انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا ، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا . . الخ المحاورة . .[2] .

(١) شرح النهج ٧ : ٣٨ ـ ٣٩ .
(٢) ن . م ٧ : ٤٠ ـ ٤٢ .

وفي الواقع ان الامر لم يكن مخفياً على محافل المسلمين فها هم ثلة من اصحاب امير المؤمنين (ع) كان فيهم ابو الهيثم بن التيهان الانصاري وعمار بن ياسر وابو ايوب الانصاري وسهل بن حنيف ، قد دخلوا على الامام (ع) وخاطبوه بالقول بأن :

هذا الحي من قريش . . قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك ، وقد دعونا في السر الى رفضك . . وذلك لانهم كرهوا الاسوة في العطاء وفقدوا الاثرة (والجاه والتمايز الطبقي)، ولما آسيت بينهم وبين الاعاجم انكروا واستشاروا عدوك وعظموه ، واظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة ، وتألفاً لاهل الضلالة[1] .

ويعلل ابن ابي الحديد ذلك بالقول بأن المسلمين قد سنوا مسألة المساواة في العطاء التي التزم بها الرسول (ص) ومن بعده ابي بكر لذلك :

فقد شق ذلك عليهم ، وانكروه واكبروه ، حتى حدث ما حدث من نقض البيعة ، ومفارقة الطاعة . . .[2] .

بعد كل ذلك لم لا يكون الوليد بن عقبة احد الدّ اعداء الامام (ع) .

(١) ن . م ٧ : ٣٩ .
(٢) ن . م ٧ : ٤٣ .

ولم لا يصير طلحة والزبير ومروان من ان يشعلا نار الفتنة بوجه الامام (ع) .

ولم لا يهرب عمرو بن العاص والمئات من امثاله بحثاً عن الدنيا ومرتاس الامر ؟

ولم ... ولم ... ؟ .

٣ - رفض المساومة والمهادنة :

صراحة الامام (ع) في التزامه المبدئي كانت مضرب الامثال في عهد الرسول (ص) وعهود الخلفاء الثلاثة ، بل كان معروفاً بانه لا يهادن احداً في قبال اجراء احكام الله وقد لقي العديد من القريشيين الذين خالفوا احكام القرآن موقفاً حاداً منه تجاههم في العديد من الاحيان دفع من خلاله الخلفاء للتصدي للاقتصاص منهم ، بل انه بادر بنفسه لاعمال احكام الحدود والتعزير وما شاكل على عدد منهم كما نرى ذلك في جلده للوليد بن عقبة حينما شرب الخمر في الكوفة وهو والٍ عليها من قبل عثمان بن عفان ، فيما توعد البعض باجراء احكام القصاص ان تمكن منهم بعد ان امتنع الخليفة من اجراء ذلك،كما نرى في توعده لعبيد الله ابن عمر حينما رفض عثمان الاقتصاص منه جراء قتله للهرمزان أو توعده للمغيرة بن شعبة بأن يرجمه لجناية الزنا التي ارتكبها في زمن عمر ايام ما كان والياً له على البصرة،والتي سبق لنا ان تحدثنا عن ذلك في القسم الاول من هذا الفصل . وفي هذا الصدد يروى عن الامام قوله :

لئن رأيت المغيرة لارجمنه بالحجارة. .[1].

---

(١) شرح النهج ٤ : ٦٩ .

وقد كان ذلك كافياً لان تكون خلافته مرعبة للعديدين الذين كانوا يتسامحون في الالتزام باحكام الله ، لذلك فاننا نرى هؤلاء منذ البداية يتخذون الموضع المعارض والمخالف لحكومة امير المؤمنين (ع) .

من جهة اخرى فان عدم تمييزه لاحد في اجراء هذه الاحكام سواء كان محبا أو مبغضاً كان هو الاخر مدعاة لانحراف فئة عنه ووقوفها موقف المعادي أو موقف اللامبالي لمشاريعه القيادية . ولنا في قصة جلد الامام (ع) للنجاشي وقد كان من اصحابه ومحبيه نتيجة لشربه الخمر اثر الصدمة على البعض جعلهم بالتالي ينحرفون عن الامام (ع) . فالنجاشي الشاعر كان قد شرب الخمر في اول يوم من شهر رمضان ، مما ادى بالامام الى ضربه ثمانين سوطاً : ثم زاده عشرين سوطاً فقال :

يا أمير المؤمنين اما الحد فقد عرفته ، فما هذه العلاوة ؟

فقال لجرأتك على الله ، وافطارك في شهر رمضان؟[1] .

ويقول ابن ابي الحديد بأن اليمانية غضبت لجلد الامام (ع) للنجاشي وكان من ابرزهم طارق بن عبد الله بن كعب النهدي اذ دخل على امير المؤمنين (ع) فقال له :

يا امير المؤمنين ، ما كنا نرى ان اهل المعصية والطاعة ،واهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيان في الجزاء ، حتى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث (وهو النجاشي)

(١) شرح النهج ٤ : ٨٨ .

فأوغرت صدورنا ، وشتتت امورنا ، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى ان سبيل من ركبها النار.

فقال علي (ع): وانها لكبيرة الا على الخاشعين : يا اخا نهد وهل هو الا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حداً كان كفارته . .[1] .

وبعد ذلك فر النجاشي وطارق الى معاوية وما ان دخلا عليه حتى استفزهما معاوية فقال له طارق فيما قال وهو يتحدث عن اسباب فرار الناس من مجتمع علي (ع):

فلم يكن رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم الا لمرارة الحق حيث جرعوها ، ولوعورته حيث سلكوها ، وغلبت عليهم دنيا مؤثرة وهو متبع وكان امر الله قدراً مقدوراً ، وقد فارق الاسلام قبلنا جبلة ابن الأيهم فرارا من الضيم وانفاً من الذلة فلا تفخرن يا معاوية ان شددنا نحوك الرحال ، واوضعنا اليك الركاب[2] .

ومن جملة الذين هربوا من عدالة الامام (ع) وصرامته في اقامة احكام الاسلام دون مباهاة لاحد ، او مهابة من احد ،يزيد بن حجية التيمي الوائلي وكان قد سرق بيت المال حين ولايته على الري ودستبني فحبسه الامام ثم هرب من الحبس الى معاوية[3] . وكان من اشراف

(١) ن.م ٤ : ٨٩ ـ ٩٠.
(٢) ن.م ٤ : ٩١.
(٣) ن.م ٤ : ٨٣.

قومه ، والقعقاع بن شور الذي كان قد استعمله الامام علي على كسكر فتزوج امرأة امهرها صداقا مقداره(١٠٠) الف درهم فنقم الامام عليه فهرب الى معاوية[١] .

ومما لا شك فيه ان هذه الظاهرة من السلوك قد دفعت بجميع البطفيليين بعيدا عنه الى معاوية ، حيث وجدوا ان لا مكان لهم مع الامام (ع) مطلقاً فهو لا يستسلم لاي اغراء ، ولا ينحني لأي ثناء وهو الذي يتوعد ابنته بقطع اليد اذا ما سرقت ، ويقرب اللهيب من يد اخيه عقيل حينما جاءه يستعطفه ليأخذ منه بعض المال لاطفاله فهل يمكن أن يستميله امثال هؤلاء ، وما اكثرهم .

(١) ن.م ٤ : ٨٧ .

٤ ـ أساليب وممارسات معادية :

واجه الامام (ع) جملة من الاعداء الذين كانوا يناقضونه تماماً في كل شيء ، فعدالته قابلوها بغدرهم ، وايمانه واسلامه قابلوه بكفرهم ونفاقهم ، والتزامه قابلوه بنكثهم . . . وبخلاصة تناسب الفهم المعاصر لقد قابلوا محمديته بميكافيليتهم . . . ولقد كان الامام (ع) مدركاً لذلك كله وهو يوضح ذلك ببساطة حينما يقول :

والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر [١] .

هذا عدوه . . اما هو فيقول :

لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان المكر والخديعة والخيانة في النار لكنت امكر العرب[٢] .

وها هو يخاطب اهل الكوفة فيما يرويه الاصبغ بن نباتة (ر ض):

(١) البحار ٤١ : ١١٠ .
(٢) البحار ٤١ : ١١٠ .

يا أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس[1] . .

وما بين هذا ، وذاك ، كان الفرق بينه وبين من يعاديه . وفي الجملة يمكننا من خلال النقاط التالية تلمس اهم محاور السياسة المعادية لحكم وقيادة الامام امير المؤمنين (ع):

أ ـ الشغب والخداع السياسي : اعتمد اعداء الامام (ع) في البداية على اثارة قضية عثمان ومقتله ، ضمن اسلوب يعتمد على الضوضاء والشغب من اجل التغطية على المآرب الحقيقية التي تقف وراء هذه الاثارة من جهة ، ومن جهة أخرى من اجل ابعاد الانظار عن مدى سلامة حرصهم ، ومعه توجيههم للاتهام ضد الامام امير المؤمنين (ع) ومن السلف للانظار أن اكثر هؤلاء فوضى وضوضاءا كانوا من اكثر المشتركين في قتل عمثان ، ومن ابرزهم عائشة التي كانت تهتف صباح مساء بهتاف : اقتلوا نعثلا فقد كفر وتعني بنعثل عثمان ، وكذلك طلحة والزبير . ثم معاوية ومروان اللذان يعتبران من ابرز العناصر التي دفعت بعثمان نحو القتل، فالاول كان يمنيه بجيش ينقذه فيما كان هذا الجيش قد كلف بمهمة هي ابعد ما تكون عن مهمة الانقاذ ، والثاني هو الذي كان وراء جميع اساليب الاثارة التي سلكها عثمان ضد المسلمين في المدينة ومصر .

وقد كان هؤلاء يحتاجون لهذا النوع من الاثارة ، لانهم يعلمون أن الامام (ع) من جهة لا يمكن الوصول الى شيء للنيل منه ، او الانتقاص منه ، وثانياً لان الامة كانت تدرك تماماً خلو ساحة الامام (ع)

(١) ن.م ٤١ : ١٢٩

من دم عثمان . هذااذا ما جوبهت بالطرح السليم للمشكلة ، غير انه اعتمدوا على اسلوب الضوضاء في الطرح لتفويت الفرصة على الامام (ع) كي لا تستتب الامور اليه ، والا لوكانت قضية عثمان جدية في نظر هؤلاء ، وحقيقية في قلوبهم ، فلماذا استعجلوا الحرب واوقدوا نارها في الوقت الذي كان الامام (ع) يطالبهم بالصبر ريثما تبحث المسألة على حقيقتها ؟ وهب انهم كانوا من اولئك الذين قد التهب فيهم الحماس ، واتقدت في قلوبهم نيران الثأر بشكل جعلهم مستعجلين للثار من القتلة ، فلماذا لم يقتلوا هؤلاء عن طريق الاغتيال مثلا ، وهو امر كان في متناول ايديهم ؟ .

لقد كان اقطاب الجمل واقطاب اهل الشام بما فيهم معاوية وعمرو ابن العاص من اكثر المجلبين على عثمان والدافعين به الى حتفه، فعائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص[1] كانوا من اكثر المعارضين لعثمان وكانوا يجاهرون علناً بالمطالبة بقتله ومعاوية ومروان[2] . والوليد

(١) لما بلغه قتل عثمان قال عمرو بن العاص :
(ابوعبد الله انا قتلته وانا بوادي السباع . .)
انظر الكامل ٣ : ٢٧٥ والطبري ٣ : ٥٥٩ .
وقد قال له الامام الحسن (ع) يوما في مجلس معاوية بعد حديث له : اما ما ذكرت من امر عثمان ، فأنت سعّرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين فلما اتاك قتله ، قلت : انا ابو عبد الله اذا نكأت قرحة ادميتها . . انظر شرح النهج ٦ : ٢٩١ .

(٢) كان ابن عباس قد قال له في مجلس معاوية بعد قولة قالها :
وانك لتقول ذلك يا عدو الله وطريد رسول الله والمباح دمه ، والمداخل بين عثمان ورعيته ، بما حملهم على قطع اوداجه ، وركوب اتاحه ! اما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في امر عثمان لوجدك اولبه وآخره .) انظر شرح النهج ٦ : ٢٩٩ .

والمغيرة كانوا من اولئك الذين يعدونه ويمنونه زوراً وبطلاناً . وما بين هؤلاء واولئك قتل عثمان ، فما عدا مما بدا ! ومن الملفت للنظر ان جميعهم استخدموا الاساليب التي تستثير العواطف والاحاسيس جنباً الى جنب مع سائر طرق الضوضاء الاعلامية والسياسية وطريقة استعمال معاوية لقميص عثمان في الشام لهي نموذج واضح على هذه السياسة .

ومن يقرأ قصة استمالة معاوية لشرحبيل بن السمط الكندي وقد كان زعيم الشام ورأسها ليجد بوضوح ابعاد هذه السياسة ووسائلها ، فقد قال عمرو بن العاص لمعاوية بعد ان جاءهم جرير بن عبد الله البجلي بكتاب عزل معاوية عن الشام ، أن :

دعوا اهل الشام الى رد هذه البيعة خطر شديد ، ورأس اهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي ، وهو عدو لجرير المرسل اليك فأرسل اليه ووطن ثقاتك فليفشوا في الناس ان عليا قتل عثمان وليكونوا اهل الرضا عند شرحبيل ، فانها كلمة جامعة لك اهل الشام على ما تحب ، وان تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء ابداً .

حينها دعا معاوية :

يزيد بن أسد ، وبسر بن أرطاة ، وعمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، وحمزة بن مالك ، وحابس بن سعد الطائي . . وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبني عم شرحبيل بن السمط فأمرهم ان يلقوه ويخبروه ان علياً قتل عثمان[1] .

(١) وقعة صفين (م . س) ٤٤ .

وحينما قدم شرحبيل واخبره معاوية بالخبر اراد ان يستوثق منه ، فما ان خرج حتى لقيه هؤلاء وهم يبكون عثماناً ويلقون قتله بعهدة الامام (ع) فأوغروا قلبه على الامام (ع). غير أنه لما اجتمع بجرير سفير الامام (ع) الى الشام ، وكان يكره جريراً نفذ بعض كلام جرير الى قلبه ، ولما ارسل جرير اليه بقصيدة كان منها :

وما لعلي في ابن عفان سقطة
بأمر ، ولا جلب عليه ، ولا قتل
وما كان الا لازما قعر بيته
الى ان اتى عثمان في بيته الأجل
فمن قال قولا غير هذا فحسبه
من الزور والبهتان قول الذي احتمل
وصي رسول الله من دون اهله
وفارسه الاولى به يضرب المثل

حينها : ذعر وفكر ، وقال :

هذه نصيحة لي في ديني ودنياي ، لا والله لا اعجل في هذا الامر بشيء وفي نفسي منه حاجة[1] .

غير ان مكر معاوية كان له بالمرصاد ، إذ انه خبأ له اولئك الذين سبق لهم وان حدثوه ، فما ان خرج حتى رجعوا يكررون شهاداتهم واقاويلهم السابقة ، ثم دفع معاوية معهم برجال آخرين كلهم يرومون اقناع شرحبيل وفي ذلك يقول ابن مزاحم :

فاستتر له القوم ، ولفف له معاوية الرجال يدخلون

(١) المصدر ٤٨ ـ ٤٩ .

اليه ويخرجون ، ويعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به علياً ، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلقة حتى اعادوا رأيه وشحذوا عزمه . . [1] .

ب ـ شـراء الضمائر :

استعمل اعداء الامام (ع) المال كوسيلة لشراء بعض الضمائر أو استمالتها وقد كان بيت المال في الشام مسخراً لذلك، فيما كان عبد الله بن عامر قد استولى على مال كثير من بيت مال المسلمين في البصرة ، وقد جعله جميعاً في خدمة اعداء الامام من اقطاب الجمل ، وهكذا فعل صاحبه يعلي بن منيه حيث استولى من بيت المال في اليمن على ستمائة بعير وستمائة الف درهم[2] .

وقد كان معاوية قد خصص اموالاً طائلة لكل من يتطوع للعمل ضمن ابواقه الاعلامية ، والتي كانت مبتنية على اساس الكذب على رسول الله (ص) وافتعال الاحاديث التي تناسب حاجته السياسية ـ والدنيوية ، وقد كان على رأس هؤلاء أبو هريرة الدوسي ، وسمرة بن جندب وانس بن مالك ، وكعب الاحبار وعشرات غيرهم . وفي هذا الصدد فقد بذل معاوية :

لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروي ان هذه الآية نزلت في عليّ بن ابي طالب : ﴿ **ومن**

(١) ن.م ٤٩.
(٢) الكامل ٣ : ٢٠٧.

الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . ﴾

فلم يقبل ، فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة الف درهم فلم يقبل ، فبذل له اربعمائة الف درهم فقبل، وروى ذلك[1].

ج ـ السياسة الإعلامية :

ولقد كانت السياسة الاعلامية لاعداء الامام (ع) مبتناة على اساس ثلاثة محاور هي :

التضليل الاعلامي

كان اعداء الامام (ع) جميعاً على علم بعظمته في الاسلام ومكانته من رسول الله (ص) وسائر فضائله ومناقبه ، ولم يكن شيء من هذا يخفى عليهم ، ولكنهم واجهوا هذا الامر اثناء قيامهم بحملاتهم التعبوية للناس ، بمجموعة من الاضاليل جاء معظمها منسوباً الى الرسول (ص) أو الى كبار الصحابة ، وقد وجد معاوية دون غيره من الاعداء ان الامر سهل عليه لان اهل الشام كانوا بعيدين عن مسرح الحياة الاسلامية ايام الرسول (ص) وعن معرفة الامام (ع) بشكل حقيقي ، لهذا فقد اوجد مجموعة هائلة من الاخبار والآثار الموضوعة

(١) شرح النهج ٤ : ٧٣.

تنطوي على ذم ابن ابي طالب (ع) بشكل أو آخر ، ولم يدع في هذا الشأن جانباً من جوانب حياة الامام (ع) الا واورد اليه الموضوعات والمختلفات ، بدفعه في ذلك احقاد بني امية الدفينة على بني هاشم ، وبغض معاوية الشديد لمن وتره مرات عديدة ، وسعيه الدؤوب لتشويه معالم الاسلام حيث كان يدرك ان الاسلام بصورته المثلى قد تمثل بعد الرسول (ص) بشخص الامام (ع) وبمبادئه . لهذا ولذاك وجدنا ان الذهنية التي كانت تتملك اهل الشام كانت تعج بصورة مؤلمة عن امير المؤمنين (ع) ولئن كان معاوية قد ابتدأ هذا الامر فان من اعقبه من بني امية ومروان قد اكملوا هذه المهمة حتى وصلت الينا آثار ذلك في متون الصحاح والتفاسير والتواريخ ، وتظهر رسالة معاوية الى عماله طبيعة السياسة التي كان يتبعها في هذا المجال :

> ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر ، وفي كل ناحية ، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ، ولا تتركوا جزءاً يرويه احد من المسلمين في ابي تراب الا واتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فان هذا احب الي واقر لعيني وادحض لحجة شيعة ابي تراب وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله[1] . . .

وهذه الرسالة كتبها معاوية بعد وفاة الامام (ع) غير أن محتواها كان قيد الاجراء والتنفيذ منذ ان تولى الامام (ع) الخلافة وقد استمر العمل بمؤداها الى ازمان مديدة بعده حتى غدت الشام في حال يمكن لنا

(١) سنة اهل البيت (ع) (م . س) ص ٧٦ ـ ٧٧ نقلا عن كتاب الاحداث للمدائني .

ان نكتشف آفاقها عبر هذه الرواية حيث يذكر ابو الحسن المدائني عن رجل أنه قال :

> كنت بالشام فجعلت لا اسمع احدا يسمي احدا أو يناديه يا علي أو يا حسن أو يا حسين وانما اسمع معاوية والوليدويزيد ،حتى مررت برجل فاستسقيته ماء فجعل يقول يا علي يا حسن يا حسين فقلت : يا هذا ان اهل الشام لا يسمون بهذه الاسماء ، قال : صدقت انهم يسمون ابناءهم بأسماء الخلفاء فاذا لعن احدهم ولده أو شتمه ، فقد لعن اسمه بعد الخلفاء ، وانما سميت اولادي بأسماء اعداء الله فاذا شتمت احدهم او لعنته فانما العن اعداء الله[1] . . .

وعلى ضوء ذلك شرع معاوية بسب الامام (ع) واوجبه كسنة على المنابر واستمر ذلك حتى عهد عمر بن عبد العزيز .

ومن نماذج هذه السياسة يقول ابو جعفر الاسكافي :

> أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام ، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله : فاختلقوا ما أرضاه ، منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير[2] . .

(١) شرح النهج ٧ : ١٥٩ .
(٢) شرح النهج ٤ : ٦٣ .

الصغير ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلا[1] . .

التطبيل الإعلامي

في قبال سياسة التضليل الاعلامي التي طالت الامام (ع) ومدرسته ، تظهر رسالة معاوية آنفة الذكر سياسة اخرى هي سياسة التطبيل لاشخاص يقفون في قبال الامام (ع) ومن جملتهم معاوية نفسه ، وبناء على هذه السياسة فقد فتح على حديث رسول الله (ص) باب واسع من الموضوعات كان همها اظهار معاوية ومن يعتقد به من الناس بالمظهر الحسن المرضي عنه حتى حوت كتب الصحاح مئات الاحاديث في فضائل الخلفاء الثلاثة ومعاوية حتى قال عن ذلك نفطويه المحدث المعروف :

> أن اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بني هاشم[2] . . .

وقد جاء إسفاف بعض الوضاعين للحديث انهم في سبيل تفضيل احد من اختارهم بني امية وبالخصوص معاوية للتفضيل فانهم كانوا لا يتحرجون من التوهين بمقام رسول الله (ص)،بل ان بعضهم جعل الرسول (ص) يكون في مقام المتلقي لنصيحة احد اصحابه نتيجة عمل

(١) ن.م ٤ :٥٧.
(٢) انظر النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ٧٤ محمد بن عقيل .

ويحدث الزهري (وهو مورد ازدراء غالبية علماء الرجال) عن عروة بن الزبير انه حدثه وقال : حدثتني عائشة ، قالت :

> كنت عند رسول الله اذ اقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة ، ان هذين يموتان على غير ملتي - او قال ديني[1] .

وفي حديث آخر عن عروة ان عائشة حدثته ، قالت :

> كنت عند النبي (ص) اذ اقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة ، ان سرك ان تنظري الى رجلين من اهل النار فانظري الى هذين قد طلعا . فنظرت فاذا العباس وعلي بن أبي طالب .

وفي حديث آخر اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما متصلا بعمرو بن العاص أنه قال :

> سمعت رسول الله (ص) يقول : ان آل ابي طالب ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين[2] . . .

وقد حاول البعض حينما رأوا اسفاف معاوية الحاد في النيل من شتم الامام (ع) انهم قالوا لمعاوية :

> يا أمير المؤمنين انك قد بلغت ما املت ، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ! فقال :لا والله حتى يربو عليه

(١) ن.م ٤ :٦٣ - ٦٤.
(٢) ن.م ٤ :٦٤.

قام به وهكذا . اما نفس معاوية فان مدرسة الوضع التي اسسها لم تبخل عليه بجملة من الاحاديث التي كان من شأنها الارتفاع بمستواه ، منها ما رواه ابو هريرة عنه فيما اخرجه عنه ابن عساكر وابن عدي والخطيب البغدادي :

سمعت رسول الله يقول : ان الله ائتمن على وحيه ثلاثة : انا وجبريل ومعاوية ، وفي رواية اخرى عنه الامناء ثلاثة ، جبريل وانا ومعاوية[1] . . .

الى آخر ما في هذه الجعبة من مختلقات واكاذيب مقيتة'. وقد بلغت هذه السياسة مبلغها في وسط المجتمع الاموي الى الدرجة التي تشير اليها هذه الرواية حيث يقول ابن ابي الحديد ان الامر لما استوثق :

لابي العباس السفاح وفد اليه عشرة من امراء الشام فحلفوا له بالله وبطلاق نسائهم وبأيمان البيعة وبانهم لا يعلمون ـ الى أن قتل مروان ـ ان لرسول الله صلى الله عليه وآله اهلا ولا قرابة الا بني امية[2] . . . .

التعتيم الإعلامي

واذ تظهر هذه الرواية في جانب منها احدى مفردات سياسة التطبيل الاعلامي لمعاوية وبني امية وسائر مناوئي الامام (ع) فانها في نفس

(١) اضواء على السنة المحمدية او دفاع عن الحديث ص ٢١٥ للشيخ محمود ابو رية نقلا عن البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ١٢٠ .

(٢) شرح النهج ٧ : ١٥٩ ومروان المشار اليه هو مروان الحمار آخر ملوك بني امية .

الوقت تظهر في جانبها الآخر مفردة اخرى من مفردات السياسة الاعلامية المعادية لامير المؤمنين (ع) وما يمثله من معايير ومباديء ، الا وهي سياسة التعتيم الاعلامي حيث كان يعمد هؤلاء الى التغطية على كل فضيلة للامام (ع) او على كل منقصة عليهم ، وتظهر المحاورة التي دارت بين معاوية وابن عباس التالية جانباً من هذه السياسة ، اذ لما وفد معاوية الى مكة قال لابن عباس :

انا كتبنا الى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي واهل بيته فكف لسانك يا ابن عباس .

فقال ابن عباس : فتنهانا عن قراءة القرآن ؟ .

قال : لا .

فقال : فتنهانا عن تأويله ؟

قال : نعم .

قال : فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به ؟

قال : نعم .

قال : فأيهما اوجب علينا قراءته أو العمل به ؟

قال : العمل به .

قال : فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما انزل علينا ؟ .

فقال معاوية : سل عن ذلك ممن يتأوله على غير ما تتأوله انت واهل بيتك .

فقال له ابن عباس : انما نزل القرآن على اهل بيتي ، فأسأل عنه آل ابي سفيان وآل ابي معيط ؟ .

فقال : فاقرأوا القرآن ، ولا تروا شيئاً مما انزل الله فيكم ، ومما قاله رسول الله (ص) فيكم واروا ما

سوى ذلك [1] . . .

د ـ الغدر والقتل والإرهاب :

اما العنصر الرابع الذي شكل اسس السياسة المعادية للامام (ع) فهو عنصر الغدر والقتل والارهاب . وقد عمد جميع اعداء الامام (ع) الى استعمال هذا الاسلوب فأصحاب الجمل كانوا قد استفتحوا عهدهم بقتل حكيم بن جبلة مع سبعين فرد من اصحابه في البصرة ، فيما عذبوا والي الامام (ع) على البصرة عثمان بن حنيف عذاباً شديداً ، وقد اعقبهم في ذلك الخوارج فعمدوا الى قتل عبد الله بن خباب ـ ضمن الصورة التي عرضناها فيما قبل ـ ولكن هذا الارهاب لم يكن ارهاباً منظماً ومدروساً كما كان هو الامر على عهد معاوية ، ولعل في الامر الذي اصدره معاوية الى بسر بن ارطاة ما يكفينا لمعرفة آفاق هذه السياسة حيث انه حينما كلفه بالغارة على المدينة ومكة واليمن قال له :

سر حتى تمر بالمدينة ، فاطرد الناس ، واخف من مررت به ، وانهب اموال كل من أصبت له مالا ، ممن لم يكن دخل في طاعتنا ، فاذا دخلت المدينة ، فارهم انك تريد انفسهم ، واخبرهم انه لا براءة لهم عندك ولا عذر ، حتى اذا ظنوا انك موقع بهم فاكفف عنهم ، ثم سر حتى تدخل مكة ، ولا تعرض فيها لاحد ، وارهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة ، واجعلها شردا [2] . . . .

(١) نقلا بتصرف عن كتاب حياة الامام الحسين بن علي (ع) ٢ : ١٦٤ للشيخ باقر شريف القرشي .

(٢) شرح النهج ٢ : ٧ .

ثم قال له : لا تنزل على بلد اهله على طاعة علي ، الا بسطت عليهم لسانك حتى يروا انهم لا نجاء لهم ، وانك محيط بهم ، ثم اكفف عنهم ، وادعهم الى البيعة لي ، فمن ابى فاقتله واقتل شيعة علي حيث كانوا [1] .

ووفقاً لهذه السياسة فقد صدق بسر اميره فقتل على ما يرويه ابن ابي الحديد ثلاثين الفاً فيما حرق بعض الناس بالنار حيث يقول يزيد بن مفرغ :

الى حيث سار المرء بسر بجيشه فقتل بسر ما استطاع وحرقا [2] . .

وقد كانت هذه السياسة غير مقتصرة على بسر بن ارطاة بل أن امثاله ونظراءه كالضحاك بن قيس ، وسفيان بن عوف ، والنعمان بن بشير فعلوا نفس فعلته . وقد ضم معاوية الى ذلك سياسة الاغتيال فعمد الى اغتيال محمد بن ابي بكر ، ومالك الاشتر النخعي وهما في طريقهما الى مصر ولاة عليها حتى قال عن ذلك أن لله جنوداً من عسل اشارة الى العسل المسموم الذي استخدم للتخلص من مالك الاشتر (ر ض) .

* * *

ان مجموعة هذ العناصر وما قبلها هو الذي ابعد الناس عن الامام (ع) او جعلهم يتهاونون في طاعته ، أو يتملقون لمعاوية ولسائر اعداء الامام (ع) . وهذه العناصر بمجموعها اذا ما اضيفت الى ما سبقها فانها تزيد من مصداقية تخلف الناس عن الامام (ع) .

* * *

(١) ن . م ٢ : ٦ .

(٢) ن . م ٢ : ١٧ .

القسم الثالث

عوامل الخلل في مجتمع الإمام(ع)

لم تكن عوامل الاخلال والاعاقة لحركة قيادة الامام امير المؤمنين عليه السلام خاصة بما ورثه الامام (ع) من الاوضاع للفكرية والسياسية والاجتماعية التي خلفها وراءهم الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، كما انها لم تكن محصورة بما هيمن من امثال هذه الاوضاع وامتداداتها ، في زمن خلافته (ع) ، فحسب . بل ان هذه العوامل كانت اعظم وجودا في نفس المجتمع الذي عاش الامام (ع) في وسطه ، وفي نفس الوسط الذي كان يعتقد بخلافة الامام (ع) وقياديته .

ومن الضروري لنا ونحن نحاول شق الطريق بنهضتنا المعاصرة الى نفس الاهداف التي كان الامام (ع) يسعى اليها ان نكون على بصيرة من هذه العوامل ، لأن نفس العوامل التي لعبت مثل هذا الدور السلبي واودت بأعظم الفرص التي اتيحت للامة الاسلامية بعد وفاة الرسول (ص) لكي تتخلص من الفساد الذي غدا ينخر في جسمها ، مرشحة اليوم للعب نفس الدور في مجتمعنا المعاصر ، بل واخطر من ذلك نظراً لاننا اقل تحصناً من الخطر قياساً الى المجتمع الذي عاشه الامام (ع) ، والفتنة اكثر تمكناً منا ، وهذه الفتنة التي صنعتها هذه العوامل فاجتاحت رياحها الصفراء انقى العناصر البشرية آنذاك وفقاً للسنة التأريخية التي اشار اليها القرآن الكريم :

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ،

﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾[1] .

فشملت ريحها الهوجاء حتى الامام (ع) ، لهي اقدر علينا ان لم نحتط منها اشد الاحتياط ، خصوصا واننا لمسنا وما زلنا نلمس من اعداء الاسلام القدامى والمعاصرين حرصهم الشديد على احلال جذور هذه العوامل في وسطنا الاجتماعي أو على تكريس وتنمية الموجود منها بالفعل ، لهذا فمن اللازم التعرض لها في هذا البحث لان ذلك يمثل افضل طريق لعلاجها والتخلص منها ، فهي بالنتيجة امراض يمكن ان تصيب كل نهضة حضارية ، ومن الممكن ان يبتلى بها اي مجتمع يعيش حالة الانبعاث الحضاري ، أو في حال المجاهدة لتحصيل مثل هذه الحالة ، وهي ان لم تعالج باديء ذي بدء عن طريق ايجاد عوامل الوقاية او عناصر العلاج الحاسم فانها تبقى تهددنا بالاستشراء السرطاني ، ومن ثم لتجعلنا قبالة مسألة تضييع كافة الجهود والدماء التي بذلت من اجل ان نصل الى ما وصلنا اليه .

وباعتبار ان هذه العوامل عادة ما تنشأ في بيئة لا يمكن ملاحظتها بسهولة ، وهي تترعرع وتنمو في الوسط الاجتماعي من دون أن يكون هذا الوسط بقادر على تشخيصها في العادة ، ولا تطفو الى السطح الا حينما تكون جذورها قد امتدت في هذا الوسط لتغدو معه ظاهرة اجتماعية ومن ثم ليحسب لها حساب الامر الواقع ، لهذا كله فهي اخطر بكثير من اي عدو خارجي مهما تعاظمت قوته ، وتفاقمت قدرته .

وليس من الصعب القول هنا بأن تأسيس الدولة الاموية لم يكن مديناً بالدرجة الاساس لجيش معاوية او مكره او دهائه او غدره ، بل انه

---

(١) سورة الانفال / الآية : ٢٥ .

مدينٌ تماما الى العوامل الداخلية التي فتكت بمجتمع الامام (ع) حتى جعلت الامام (ع) يسمع هذا المجتمع اشد كلمات التقريع والتوبيخ ، بحيث غدا هذا المجتمع مضرب الامثال في الخذلان وعدم طاعة القيادة الاسلامية ، وما نملك من صورة عن هذا المجتمع في تعامله مع الامام (ع) وولديه الحسن والحسين عليهما السلام على التوالي ، تجعلنا في أمسّ الحاجة لدراسة هذه العوامل ، وسنحاول في هذا القسم أن نتعرض لهذه العوامل بالقدر الذي يرتبط ببحثنا هذا ، معتمدين في اغلب ذلك على اقوال امير المؤمنين (ع) الذي عايش المشكلة ميدانياً فجاء العديد من كلماته وخطبه وهي تفصح عن ذلك .

ولاول وهلة تبدو لنا اسس المشكلة متمحورة في عدم الانصياع الذي ابداه القطاع الاعظم من هذا المجتمع لاوامر الامام (ع) حتى اضطره ذلك الى ان ينفث من صدره كلمات تعبر عن عظيم معاناته من هذا الامر حيث قال مخاطبا هذا المجتمع :

فيا عجبا ! عجبا ـ والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ! فقبحا لكم وترحا ، حين صرتم غرضا يرمى . . . يغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ! فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ امهلنا ينسلخ عنا الحر ، واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم : هذه صبارة القر ، امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر ، فاذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فانتم والله من السيف افرّ .

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة ـ والله ـ جرت ندما ، واعقبت سدما (الهم مع الاسف والغيظ) قاتلكم الله قد ملأتم قلبي قيحا ، وشحنتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام (جرع الهمّ) انفاسا ، وافسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب .

لله ابوهم ! وهل احد منهم اشد لها مراسا ، واقدم فيها مقاما مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع[1] . . .

وقوله : منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت[2].

وقوله : لقد كنت امس اميرا ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت امس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا[3] . . .

وبالامكان القول ان عدم الانصياع غدا ظاهرة اجتماعية بارزة بعد يوم المصاحف في صفين ، وكانت بدايتها ـ كظاهرة ـ رفض القوم لامر الامام القاضي بعدم الانخداع بحيلة معاوية ومكره ، ثم تطورت الى رفضهم لبعث عبد الله بن عباس أو مالك الاشتر كممثل لجيش

---

(١) نهج البلاغة ٦٩ ـ ٧١ : خ٢٧ .
(٢) ن م ٨١ : خ٣٩
(٣) ن م ٣٢٤ : خ٢٠٨ .

الامام (ع) في التحكيم واصرارهم على اختيار ابي موسى الاشعري ، ثم انشقاق الخوارج على الامام (ع)، وبعد ذلك تفاقم الامر حينما لاحت بوادر العصيان في بعض قطاعات المجتمع اثناء الخروج الى معركة النهروان ثم تضخم بشكل فظيع بعد هذه المعركة .

ومما لا ريب فيه ان ظاهرة الخذلان ، وعدم الطاعة كانت وليدة العديد من السلوكيات والعوامل السياسية والاجتماعية المختلفة . غير ان ذلك كان ناشئاً من انتشار جملة من الامراض الاجتماعية التي تضافرت اعراضها بشكل ادى الى نشوء تلك الظاهرة .

كما انه من الواضح ان عوامل الخذلان لم تكن جميعها نابعة من عدم الايمان بهذه القيادة ، او عدم معرفتها بحقانيتها ، بل ان جملة مهمة منها لم تكن تتعلق بالايمان وعدمه مطلقا ، بل كانت متأثرة بشكل كبير بعوامل قوة الارادة وضعفها ، ولهذا فان من السهولة بمكان أن نعثر على هذه العوامل في وسط يؤمن بشكل كامل بحقانية قيادة الامام (ع)، وظالمية جميع المحاور المخالفة لهذه القيادة ، وهو نفس الامر الذي وجدناه جلياً ـ فيما بعد ـ في المجتمع الكوفي في موقفه من ثورة الامام الحسين (ع) .

وعلى اي حال فانه يمكن الاشارة الى أن من جملة هذه الامراض والعوامل هي ما يلي :

١ ـ حب الدنيا :

يفهم الكثيرون مسألة حب الدنيا فهماً كهنوتياً ، الامر الذي يجعلهم يتعجبون من اصرار القرآن الكريم والفكر الاسلامي الكثير الى طرح هذه المسألة واعتبارها واحدة من اهم المسائل التي ينبغي للمجتمع الاسلامي القضاء عليها ، وفهمهم هذا مبني على اساس أن حب الدنيا ليس له اثر في حركة المجتمع وثورته ، لانه ليس اكثر من مفهوم روحي يتعلق بالفرد ، ولكن حقيقة الامر خلاف ذلك ، ففي الاسلام لا توجد مفاهيم روحية متعلقة بالفرد واخرى متعلقة بالمجتمع بشكل مستقل تماماً ، بل ان جميع المفاهيم المطروحة اسلامياً تحاور الاثنين معاً وتعمل في ساحتهما معاً ، والتي يغلب على بعضها الغطاء الاجتماعي أو الفردي ، فليس لانها خاصة بهذا الوسط أو ذاك ، بل لان شكل عملها لا محتوى تأثيرها يبدو وكأنه خاص بهذا الوسط أو ذاك .

فالغيبة كمفهوم اخلاقي قد يلحظ فيه مفهوماً اخلاقياً يعني الفرد اكثر من الجماعة ،غير ان الذي يلحظ مدى تأثيرها على الحركة الاجتماعية يجد انها ترتبط بشكل كبير بالجماعة اكثر من الفرد ، ومثل ذلك مسألة حب الدنيا ، فالمجتمع الذي تسيطر عليه المفاهيم والسلوكيات المرتبطة بحب الدنيا لا يمكنه بأي حال من الاحوال ان يكون مجتمعاً فاعلاً ، وذلك لاكثر من سبب وعلة لعل من اهمها وابرزها

التأثير الذي تتركه هذه المفاهيم والسلوكيات على طموحات وآفاق الحركة الاجتماعية فضلا عن الحركة الفردية . اضافة الى ما تسببه من انحلال وتلاشي في اوساط التحرك الجماعي . فهي بالتأكيد سوف تعمل بشكل مؤثر للغاية على تحجيم وتقليص هذه الطموحات والآفاق بالحجم الذي تتمتع به الدنيا ذاتها ، وهذا الامر ولا شك سنجد له تأثيرات واسعة النطاق اذا لم نقل شاملة على بواعث الحركة الاجتماعية والفردية على حد سواء . وحينذاك ستغدو رؤية الانسان محدودة بالدنيا وبمقدار ما يمكن ان توفر له من مال أو جاه أو لذة او ما شاكل . ومع ذلك ستأتي جميع الاخلاقيات والسلوكيات التي من شأنها ان تساعد على نمو المال وتعظيم الجاه وتكثير اللذة بالشكل التي تغدو معه هذه المسائل هي الهم الاول لدى هذا الشخص او ذاك ، أو لدى هذا المجتمع أو ذاك ، وهذه الاخلاقيات ستساهم بشكل فعال بتحليل الحركة الاجتماعية وتشتيت وحدتها لانها تعني ايجاد انحسار حاد في الاعمال التي تحمل طابع التضحية والعطاء والبذل من اجل المجموع او من دون مقابل حتى لو كانت هذه الاعمال تحمل معها شتى الوان المعاناة والالم ، وهو امر ولا شك يعتبر من اهم عناصر المجتمع الفاعل والناهض ، الامر الذي يعني ان المجتمع الذي تستولي عليه مثل هذه الحالة لا يمكنه ان يخطو اي خطوة باتجاه الانبعاث الحضاري ، بل ان مما لا شك فيه هو ارتداده نحو مهاوي الانحطاط الحضاري .

ان رأي الاسلام هنا يقوم على اساس قاعدة فكرية وفلسفية ، وبالتالي فانه لا يأتي نتيجة موقف اخلاقي منفصل عن بقية رؤى الاسلام الفكرية والاخلاقية ، وهذا الاساس يمكن التعرف عليه من خلال التعرف على دور الانسان في هذه الحياة ، فدوره وفق وجهة النظر الاسلامية لا يماثل الدور الذي توليه اياه الافكار الوضعية ، فهو لا يتمثل بدور النزاع

مع اخيه الانسان على استغلال الطبيعة ، كما انه ليس بدور الصراع مع اخيه الانسان ـ كفرد او كمجتمع ـ على الهيمنة على اكبر قدر من هذه الطبيعة ، او السعي لتملك اكبر حصة منها ، بل ان علاقاته مع اخيه الانسان تؤطرها ما يمكن ان نسميه بعلاقات الاستخلاف الناتجة من كونه خليفة لله على الارض وفقاً لقوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ﴾(١).

وهذه العلاقات تقتضي وجود شيء مستخلف عليه ، وهو الطبيعة كما اشارت اليه الآية القرآنية ، ومعنى وجود شيء مستخلف عليه ، يقتضي وجود امانة وبالتالي فان علاقات الانسان مع اخيه الانسان ليست مبتنية على اساس الصراع أو النزاع بل هي علاقات قائمة على اساس ان الانسان مع اخيه الانسان امناء على هذه الطبيعة ومن ثم فان هذه العلاقات هي علاقات شركاء في الامانة على امرهم مؤتمنين عليه وهو الامر الذي يتجلى بصراحة من خلال قوله تعالى :

﴿ إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ﴾(٢).

الامر الذي يعني ان دور الانسان في هذه الحياة لا يتعدى عن كونه

(١) سورة البقرة/الآية:٣٠.
(٢) سورة الاحزاب/الآية:٧٢.

دور حمل الامانة وهو ما يعني عدم منطقية صراعه ونزاعه على حمل اكبر قدر ممكن من هذه الامانة ، لان حمل الامانة يقتضي التنافس الشريف سعياً وراء الكمال ، وبالنتيجة فان كل ذلك يحيل حب الدنيا الى موقف لا يتلاءم مطلقاً مع طبيعة الدور الذي وجد الانسان من اجل القيام به وهو ما يؤدي بطبيعة الحال الى الفصل بين الموقف العقلي والموقف العملي بل الى التناقض فيما بينهما .

على ان كل ذلك لا يعني رفض الدنيا كما قد يظن البعض لان رفض الدنيا بدوره يستبطن نفياً لطبيعة المهمة التي خلق الانسان من اجل حمل مسؤوليتها ، واداء حق امانتها ، فالانسان حينما اعطي دور الخلافة على هذه الدنيا ، فان ذلك يستدعي منه موقفاً ايجابياً منها من اجل ان يقوم بما امر ان يقوم به ، ولهذا فان ابداء موقف سلبي منها يتنافى مع اصل المهمة ، وهو على اي حال لا يمثل انسجاما مع الموقف الالهي اذ ان ذلك لا يعدو عن كونه بدعة انسانية لا علاقة لها بما افترضه له الباريء عز وجل :

﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها ﴾[1] .

بل ان المطلوب هو ابداء موقف ايجابي منها لان الموقف الايجابي منها هو الموقف الوحيد الذي يمكن الانسان من تحمل مسؤولياته ازاء الدنيا بشكل واقعي ، وهذا الامر يمكننا ان نتلمسه من خلال ان الانبياء جميعاً وعلى رأسهم خاتمهم النبي الاكرم (ص) لم يتخذوا موقفاً سلبياً من الدنيا بل ان موقفهم كان يتسم بالايجابية والتعامل الواقعي معها وهو التعامل الذي ترسمه لنا الآية الكريمة :

(١) سورة الحديد / الاية : ٢٧

﴿ وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ﴾[1] .

نعم ان الاسلام يرفض الانسياق وراء الدنيا والجري وراء ملذاتها وشهواتها لان ذلك مدعاة لان تتبدد طاقات الانسان وتذوي قدرته على الحركة المنسجمة مع اهداف الاسلام وطبيعة ما منحه للانسان من دور ومسؤولية ، ولهذا فانه يعتبر حب الدنيا من ابرز الامراض التي تهدد الحركة الاجتماعية الهادفة ، بل انها من ابرز الامراض التي تقف وراء تهديم اي مجتمع وأي امة .

ولربما يتيح الينا ذلك فرصة افضل لفهم ادق لحديث الرسول (ص) : حب الدنيا رأس كل خطيئة .

ومثل هذا المرض الرهيب بامكاننا ان نتلمس تشخيص الامام (ع) له من خلال كثرة حديثه عنه حتى وكأنها تبدو متفوقة من الناحية الكمية على سائر الموضوعات الاجتماعية ، مما يؤكد وجود المرض في مجتمع الامام (ع) من جهة وكثرة معاناة الامام (ع) منه من جهة اخرى ، هذا علاوة على اهميته ، ونحن نلمس في حديث الامام عدة اتجاهات فهو مرة يتخذ اتجاه التحذير من المخاطر الناجمة من حب الدنيا وما ينعكس منها على المستويين الفردي والاجتماعي ، واخرى نجده يتخذ اتجاه تعرية واقع الدنيا وفضح شكلها واطارها الحقيقي وكونها فترة عمر محدود لا تقوم على حال ، ولا تستقر في مجال ، وهنا نلمس من الامام مشاهد تصويرية رائعة لحال الدنيا حينما يخاطب

(١) سورة القصص / الآية ٧٧ .

الجماهير ، وثالثة نجده يسلك اتجاه التحريض على التخلص من سلبياتها وآثامها وعادة ما يرفد ذلك بتشخيص سبل الخلاص منها .

ومن جملة اقواله ضمن هذا الصعيد ما خاطب به الجماهير بقوله (ع) :

الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ، ولا الذي دعيتم اليه ، الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها ، وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرّها ، فدعوا غرورها لتحذيرها ، واطماعها لتخويفها ، وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها ، وانصرفوا بقلوبكم عنها ، ولا يخنن احدكم خنين (الصوت الصادر من الانف) الامة على ما زوي (ابتعد) عنه منها ، واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله ، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه ، الا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم ، الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم[1].

ومما يبدو فانه كان هناك اكثر من سبب استدعى وجود وانتشار مفاهيم وسلوكيات حب الدنيا في مجتمع الامام (ع) ونحن يمكننا ان نحمل هذه الاسباب والظروف بما يلي :

(١) نهج البلاغة ج١٧٣ ص ٢٤٨

أولاً : أن حب الدنيا غريزة ذاتية وهي حالها حال أي غريزة من شأن العوامل التربوية ان تزيد في حدتها ، او تجعلها في اطار اعتيادي ، أو تكبتها وتقمعها ، فكل مرء يود العيش براحة واستقرار ، ويرغب بوجود مال كثير لديه ويستلذ بكافة وسائل الترف ، ويميل الى كل ما من شأنه ان يجعله وجيهاً وليس مغموراً في الوسط الاجتماعي . و. .الخ وهذه الامور اذا ما تركت دون تشذيب وتهذيب فان مما لا ريب فيه انها ستستشري وتتفاقم،لذا فان معالجتها تربوياً هو الامر الوحيد الذي سيحول دون عملية النمو والاستشراء فيها ، ومما يزيد الامر حساسية اكثر انها من النوع الذي تنمو بشكل سريع للغاية وهي حتى لو عولجت تربوياً فان هذه المعالجة يجب أن تتسم بالاستمرارية والا فان عودتها الى الشذوذ مسألة بديهية .

وعليه فان الظروف التي كان المجتمع يمر بها آنذاك ، وانشغال هذا المجتمع فيما سبق من فتوحات وغزوات ، وعدم تعهد السابقين للامام (ع) بايجاد ظروف تربوية كفيلة بتهذيب أمر حب الدنيا ، كل ذلك قد مكن من ايجاد قواعد قوية لحب الدنيا وما يرتبط بها في وسط مجتمع الامام (ع) ، خصوصاً وان الحروب الداخلية التي انشغل بها الامام (ع) لم تتح له فرصة كافية لتكريس الظروف التربوية اللازمة .

ثانياً : الطبيعة العشائرية والاخلاقية المرتبطة بها والتي كان يتميز بها المجتمع آنذاك هي الاخرى قد أدت الى تفاقم هذه الحالة ، خصوصاً وان هذه الطبيعة كثيراً ما كانت تقف دون السماح باجراء الاوامر القيادية لاعتبارات دنيوية بحتة .

ثالثاً : الحروب الداخلية الكثيرة ، وما استتبعت من خسائر فادحة في الارواح والاموال ، ومن جهود مضنية كبيرة ، ولدت هي الاخرى اكثر

من حالة ، كل حالة منها من الممكن أن تقود الانسان الى مفاهيم حب الدنيا والتعلق بها ، وقد زاد في الطين بلة أن هذه الحروب جاءت بشكل متوالي وسريع بالاضافة الى انها كانت خالية من الغنائم ، في وقت كانت الاوضاع الاقتصادية قاسية للغاية وذلك نتيجة الحرب ونتيجة لانقطاع بيوت المال في الولايات الاخرى كمكة والمدينة واليمن والشام ، ومن ثم مصر عن رفد بيت المال في الكوفة وبالتالي فان مصادر التعويض كانت محدودة جدا امام انسان هذا المجتمع الامر الذي كان يستوجب وجود حالة من التقشف من اجل الاستمرار في سياسة الحرب ، وهو امر لم يكن في استطاعة الكثيرين تحمله والصمود امام متطلباته ومعاناته ، خصوصا اذا لاحظنا ذلك بلحاظ الامر الاول .

رابعاً : ان كثرة الفتوحات وما تستتبع من غنائم في فترة ما قبل حكم الامام (ع) وتوقفها بعد الحكم ، ادى الى تفتيش قطاعات كثيرة من المجتمع عن مسارب لتعويض ما فات .

خامساً : ان اعداء الامام (ع) كانوا يشخصون في مسألة الاغراءات عاملا مهما من عوامل تفتيت القاعدة الشعبية للامام (ع) ، ولهذا فقد استخدموها على نطاق واسع ، وقد كانت الاستجابة لها هي الاخرى واسعة ، كما أن حسابات ما بعد اليوم ـ اذا ما صح التعبير عنها ـ أي حسابات المستقبل وما قد تحبل به ايام الغد من قوة لاعداء الامام جعل العديدين يتخذون المواقف اللازمة للحظوة بوضع افضل في الغد .

٢ ـ التواكل :

يعتبر التواكل مفردة مهمة من مفردات الامراض التي يمكن لها ان تلعب دوراً تخريبياً مهما في اوساط الحركة الاجتماعية . وعادة ما يكون شكل التواكل اما بصورة الاعتماد على الطاقات الانسانية الاخرى ضمن منطق (في الآخرين الكفاية) ، واما بصورة الاعتماد على الطاقات والقدرات الغيبية ، اما مبررات وجوده فهي متعددة ، فمرة قد نجده ناشئاً من الجهل بحقائق الاسلام ومفاهيمه ونجد ذلك بشكل اكبر في صورة الاعتماد على الغيب ، وهذا الجهل قد نجده جهلا بسيط التركيب كما في الاعتقادات الشعبية العفوية ، واما قد تجده جهلا مركباً كما في العقائد الجبرية التي تفسر الاحداث تفسيراً غيبياً بحتاً لا علاقة له بالارادة الانسانية .

واما بصورة تقاعس مبطن ، فمن عادة المتخلفين عن الساحة الاجتماعية فلسفة مواقفهم ، وما اسهل نسبة حركة الاحداث الى الغيب والتخلص من اعبائها .

وقد نجد التواكل ناشئاً من الارتباط بالدنيا ومتعلقاتها ، ولربما نجده ثالثاً ناشئاً من عدم الثقة بالنفس أو عدم تقييم الاعمال الفردية بصورة صحيحة ودقيقة حيث تتسم عملية التقييم هذه بالاهمال للقدرة

الفردية وعادة ما يحكمها المنطق القائل بأن : عمل الواحد ماذا يمكن ان يؤثر في عمل الجماعة ، لهذا فان من الخطأ بمكان تصور بواعث التواكل بالخوف والجبن وعدم الاحساس بالمسؤولية فقط ، وهو امر يفرض على القياديين حل اشكالاته الفكرية والنفسية بشكل دقيق . وما نجده في سيرة الامام علي (ع) وقد كان الامام بأحاديثه المتكررة عنه وباشكال مختلفة يحاول رفع الالتباسات الفكرية والنفسية التي قد تؤدي الى ذلك ،خصوصاً وان المدرسة الفكرية السعادية للامام (ع) كانت تحاول تزريق الثقافات التي لها ارتباط باشاعة حالة التقاعس والتواكل في مجتمع الامام (ع)، ومن جملة كلمات الامام (ع) الحريصة على معالجة ظاهرة التواكل قوله (ع):

> المغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن احدا منكم تقاعس وقال : في غيري كفاية . . فان الذود (أي العدد القليل من الابل) الى الذود ابل ، ومن لا يذد عن حوضه يتهدم ثم اني آمركم بالشدة في الامر ، والجهاد في سبيل الله . . [1] .

وهنا يشير الامام (ع) الى اهمية الطاقة الفردية وكونها اذا ما انضمت الى الطاقات الفردية الاخرى غدت طاقة جماعية مهمة وقوية .

(١) مستدرك نهج البلاغة ص ٤٧

٣ ـ ضعف الوحدة وشيوع الخلاف :

الاتحاد والتفرقة مثلماانهما يمثلان خطين متضادين طبيعتهما ، فانهما يمثلان في نفس الوقت سلوكية ايديولوجيتين متناقضتين هما ايديولوجية الايمان من جهة ، وايديولوجية الكفر والظلم من جهة اخرى ، فواحدة من الاسباب المهمة التي تقف وراء بعث الانبياء وارسال الرسل وبالتالي نشأة الدين هو احلال الوحدة والاتحاد في الصف الاجتماعي وابعاده من الفرقة والخلاف التي تمثل بطبيعتها الوجه المخالف للدين ، والسلوكية المعتادة للظالمين :

﴿ كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ [1] .

(١) سورة البقرة / الآية : ٢١٣
ويقول المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي تعليقا على هذه الاية بان الاختلاف اختلافين :

ونمثل قضية التوحيد ـ التي تعتبر حجر الاساس في الاديان السماوية ومحاربتها العنيفة لتعدد الالهة (المعنوية والبشرية) ـ في احدى صورها دعوة دائمية لوحدة الصف الاجتماعي . وضمن وجهة النظر القرآنية فان الفرقة والخلاف تمثل بحد ذاتها استراتيجية دائمة وخاصة بالظالمين . فها هو القرآن يتخذ من فرعون مثلا للتحدث عن هذه الاستراتيجية بقوله :

﴿ان فرعون علا في الارض ، وجعل اهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابناءهم ، ويستحيي نساءهم ، انه كان من المفسدين ﴾[1] .

ومن هذه الآية نبدو الفرقة وكأنها طريقٌ لظلم الظالمين واشاعة الفساد في الارض وتكريسٌ لوجود الظالمين عليها .

كما انه جعل ظاهرة الخلاف والتشتت وشيوع الفرقة صفة اساسية من صفات المجتمع الكافر حيث يقول جل وعلا في محكم كتابه المجيد :

﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾[2] .

ووفقاً لكل ذلك فقد اولى الاسلام مسألة الوحدة الاجتماعية اهمية

---

* اختلاف في امر الدين مستند الى بغي الساعين دون فطرتهم وغريزتهم ، واختلاف في امر تكويني وهو فطري ، وسبب لتشريع الدين . انظر تفسير الميزان (م س) ٢ : ١١١ .

(١) سورة القصص/ الآية : ٤

(٢) سورة الحشر/ الآية : ١٤

قصوى حيث نجدها تطبع جميع سلوكياته التي امر بها . ونحن لو امعنا في الكثير من الممارسات السلوكية والمتبنيات العقائدية لوجدناها في واحد من جوانبها تأتي هي تراعي عملية الاسهام في تعميق جذور الوحدة الاجتماعية في صفوف المجتمع ، وعليه فان الاسلام يعتبر أن بذور الخلاف غير موجودة اساسا في المجتمع الاسلامي ، وان وجدت فهي راجعة لعوامل خارجية لا يرتضيها الاسلام بأي شكل من الاشكال ، وهي لهذا السبب ظلت الطريق الافضل لاعداء الاسلام لالحاق ضرر اكبر في المجتمع الاسلامي واضعافه وبالتالي السيطرة عليه ، ولقد كان الامام علي (عليه السلام) يعي هذا الخطر بشكل جدي لانه كان يجد بذوره منتشرة في اوساط المجتمع من جهة ، فيما كان يلحظ الجهد المعادي يسعى لتوسعة وتجذير هذه البذور لتحويلها الى ظاهرة اساسية من جهة اخرى .

وقد كان هناك اكثر من سبب لوجود حالة الفرقة في اوساط مجتمع الامام (ع) فعلاوة على ما يرتبط بالجانب الاخلاقي لهذه القضية ، وعلاوة على الجهد المعادي لتكريسها ، فان هناك النظام العشائري الذي كان يفرض في داخل المجتمع حالة من حالات تعددية الولاءات او عدم ثبات الولاء الواحد باعتبار أن النظام العشائري كان يستدعي ارتباط الانسان برئيس عشيرته ، ولقد كانت الحالة العامة هي ان العشيرة في قرارها السياسي وموقفها الحربي تتبع رئيس العشيرة اللهم الا بعض الحالات الشاذة التي كان للوعي والايمان اثره الاكبر في وجودها . ولهذا فان الولاء لقيادية الامام (ع) في بعض الحالات كان ولاء عبر واسطة ، وهذه الواسطة هي رئيس العشيرة الامر الذي يفرض صعوبات متعددة في حفظ هذا الولاء[1] خصوصا وان الجهد المعادي المغري او المرهّب

---

(١) يجدر في هذا اليوم التذكير بأن هناك العديد من الحالات المتشابهة التي نهدد بتكرار =

كان ينصب على هؤلاء باعتبارهم مفاتيح مهمة من مفاتيح المجتمع ، ومن يمعن النظر في حادثة التحكيم يجد ان لرؤساء العشائر اثر جوهري في الضغط على الامام (ع) بقبول التحكيم .

ومن المعتاد ملاحظة ان بعض المحاور الجماهيرية كرؤساء العشائر في ذلك الوقت او ما يماثلهم في الوقت المعاصر،كانوا يجعلون ولاءهم قائماً على اساس قاعدة الربح والخسارة المستعجلين دون الرجوع الى متطلبات المبدأ ، فما يؤدي الى تحقيق ربح لهم يسعون اليه بغض النظر عما اذا كان ذلك يعني استمرار ولائهم او عدمه . وهم هنا يعملون وفق مباديء الاخلاق البراجماتية القائمة على اساس المنفعة الى حد بعيد هذا في الوقت الذي وجدنا فيه ان الاسلام يجعل الولاء للقيادة الشرعية وطاعتها مرجحاً على كل شيء ، وهو الامر الذي تناولنا جانبا منه في القسم الاول من الفصل الثاني . وهنا يجدر بنا ان نشير الى ان الاسلام في موقفه هذا لا يطرحه على مستوى المسائل التي تكون مورد قناعة الشخص بل اننا قد نراه يراعي هذا الطرح في الطرح في المسائل التي لا تكون مورد قناعة هذا الشخص،حتى لو كان هذا الشخص هو العالم المجتهد الذي قد يعتقد بان الموقف الشرعي في مسألة معينة يختلف عما يعتقد به العالم المرجع القائد . ففي هذه المسألة التي يفترض انها من المسائل التي يترتب عليها اثر في الساحة الجماهيرية ، فان هذا العالم المجتهد يطالب بان يتخذ الموقف الذي اتخذه المرجع القائد حتى وان كان هذا الموقف لا يمثل قناعة ذاتية لدى العالم المجتهد ،

= التحرية ، فالاحزاب أو الواجهات السياسية المختلفة التي تحاول ان تجعل من نفسها حلقة وصل وحيدة بين القيادة الاسلامية وبين الجماهير . وهكذا القيادات التي لا تنفتح على الجماهير بشكل كاف فتجعل (شاءت ام أبت) حالة واسعة تقف بينها وبين هذه الجماهير ، وقد اشرنا الى محاظر اخرى فيما مضى من البحث .

وذلك وفقاً لما يعتقد به غالبية الفقهاء على تفاوت في التفاصيل فالامام المرحوم السيد محسن الحكيم (قدس سره) يرى ان :

> حكم الحاكم الجامع للشرائط لا يجوز نقضه حتى لمجتهد آخر الا اذا علم مخالفته للواقع أو كان صادرا عن تقصير في مقدماته[1] .

اما السيد الشهيد الصدر (قدس سره) فانه يرى ان الحكم اذا كان صادراً :

> على اساس ممارسة المجتهد لولايته العامة في شؤون المسلمين فلا يجوز نقضه حتى مع العلم بالمخالفة ولا يجوز للعالم بالخطأ ان يجري على وفق علمه[2] . .

ومن المعلوم ان علة هذا الامر تتوقف بالدرجة الاساس على تأثير ذلك على وحدة صف المسلمين ، ومما يبدو فان قاعدة التزاحم الفقهية هي المعتمدة في ذلك وهي التي تقول بانه اذا حصل تزاحم بين عمل محرم وآخر واجب وكان العمل المحرم يعتبر مقدمة للعمل الاخر الواجب ، فيما كان العمل الآخر الواجب من حيث اولويات المصلحة الشرعية هو الاهم والاولى ، فان الموقف الشرعي العملي هو عدم العناية بحرمة العمل الاول ، كما يلحظ ذلك في قصة سمرة بن جندب وحديث لا ضرر ولا ضرار في الاسلام .

ويضاف الى ذلك ان الحياة السياسية التي شهدها المجتمع اتسمت بطابع الفتنة الشديدة ، فمن فتنة اصحاب الجمل ، الى فتنة

(١) انظر منهاج الصالحين ١ : ١١ الامام الكبير السيد محسن الحكيم (قدس سره) المسألة رقم ٢٥ طبع دار التعارف ١٩٧٦ .

(٢) انظر تعليقة السيد الشهيد (ر ض) على المنهاج ١ : ١١ التعليقة ٢١ .

معاوية ، ومن فتنة معاوية الى فتنة الخوارج ، وهذه الامور بطبيعتها تستدعي وقتاً كي تنجلي على حقيقتها . اما وانها قد جاءت بشكل سريع وحاد ومتوالي فان قدرتها على بلبلة العقول كانت اكبر خصوصاً وانها جاءت مصاحبة لحروب واهية فوتت على الامام (ع) واجهزته الادارية والاعلامية الفرص الكافية لتعرية واقع هؤلاء وكشفهم على حقيقتهم ، الامر الذي اسهم في ايجاد صراع فكري وسياسي حاد مصحوب بشبهات كثيرة وهو ما ادى الى ايجاد عدة انقسامات في وسط المجتمع ، ومن يلحظ احاديث الامام (ع) يجد فيها شدة معاناة من تأثر المجتمع بهذه الفتن ، وها هو في واحدة من خطبه الجماهيرية يتحدث عن الفتنة وعما تلعبه من دور هدام في المجتمع حيث يقول :

ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف (المضطربة) ، والقاصمة الزحوف ، فتزيغ قلوب بعد استقامة ، وتضل رجال بعد سلامة ، وتختلف الاهواء عند هجومها ، وتلتبس الآراء عند بخومها (ظهورها) ، من اشرف لها قصمته ، ومن سعى فيها حطمته ، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العاضة (عض حمير الوحش لبعضها البعض) قد اضطرب معقود الحبل ، وعمي وجه الامر ، تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة ، وتدق اهل البدو بمسحلها (بمبردها) ، وترضهم بكلكلها (تهشمهم بصدرها) يضيع في غبارها الوحدان (المتفردون) ، ويهلك في طريقها الركبان ، ترد بمر القضاء ، وتحلب عبيط الدماء ، وتثلم منار الدين (تقتل علماء الدين) ، وتنقض عقد اليقين ، يهرب منها الاكياس (العقلاء) ويدبرها الارجاس ،

مرعاد مبراق ، كاشفة عن ساق ! تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام ! بريّها سقيم ، وظاعنها مقيم . . .

بين قتيل مطلول ، وخائف مستجير ، يختلون (يخدعون) بعقد الايمان وبغرور الايمان ! فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة ، وبنيت عليه اركان الطاعة ، واقدموا على الله مظلومين ، ولا تقدموا عليه ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان[1] . . .

والفتنة حينما يكون هذا حالها فلم لا يكون لها اعظم الاثر في اشاعة الخلاف في وسط الامة ، ومن الطبيعي ان كل هذا لا يعني ان الامام (ع) كان لا يعمل من اجل اخماد نار هذه الامراض ، بل على العكس فان عمله في هذا الخصوص وضمن الفرص المتاحة لذلك كان عظيما . ولكن باعتبار ان هذه الامور تحتاج لمعالجتها زمناً كبيراً ، وباعتبار ان حالة اللامبالاة قد استشريت بشكل كبير فيما بعد فان هذه الفتنة قد تمكنت من التهام نفس امير المؤمنين (ع) وفقا لمنطق القرآن وسننه حيث يقول :

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه[2] ﴾ .

فقد قصر المجتمع فجاءت الفتنة واصابت اطهر نموذج بشري في

(١) نهج البلاغة خ ١٥١ : ٢١٠ ـ ٢١١ .
(٢) سورة الانفال الآية ٢٥ .

زمانه بسهامها رغم انه لم يكن ظالماً ممهداً لهذه الفتنة او متسامحاً في الوقوف بوجه عوامل وجودها غير انها حينما تفاقمت وسط ظلم المجتمع لنفسه جاءت الفتنة وعمت الاخضر واليابس على حد سواء .

ومن خلال احاديث الامام (ع) للجماهير نجد انه يركز على عنصري الاستقامة والوحدة كطريق للخلاص من هذه الفتن، والسير بالمجتمع الاسلامي نحو تحقيق اهدافه العادلة ونستل من كثرة هذه الاحاديث خطابا رائعاً له حول هذا الامر حيث يخاطب الناس بقوله :

واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال ، وذميم الاعمال ، فتذكروا في الخير والشر احوالهم ، واحذروا أن تكونوا امثالهم . فاذا تفكرتم في تفاوت حاليهم ، فالزموا كل أمر لزمت العزة به شانهم ، وزاحت الاعداء له عنهم ، ومدت العافية به عليهم وانقادت النعمة له معهم ، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة ، واللزوم للالفة ، والتحاض عليها ، والتواصي بها ، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم ، واوهن منعتهم (قوتهم)، من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور ، وتدابر النفوس ، وتخاذل الايدي ، وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء ، واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالا ، اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار ، فلم تبرع الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة ، لا يجدون حيلة في امتناع ، ولا سبيلا الى

دفاع . حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته ، والاحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً ، فابدلهم العز مكان الذل ، والامن مكان الخوف ، فصاروا ملوكاً حكاماً ، وائمة اعلاما ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء (جمل ملء) مجتمعة ، والاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة ، والايدي مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة ، والعزائم واحدة ، الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين ، وملوكاً على رقاب العالمين ! فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة ، وتشتت الالفة ، واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين ، وتفرقوا متحاربين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته ، وسلبهم غفارة نعمته ، وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام .

فما أشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال ! تأملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ، ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم ، يحتازونهم عن ربف الآفاق ، وبحر العراق ، وخضرة الدنيا ، الى منابت الشيح ومهافي (مكان هبوب الرياح) الريح ، ونكد المعاشر ، فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر

(اشارة الى كونهم غدوا رعاة) اذل الامم دارا ، واجدبهم قرارا ، لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها ، فالاحوال مضطربة ، والايدي مختلفة والكثرة متفرقة ، في بلاء ازل (شديد البلاء) واطباق جهل ! من بنات موؤودة ، واصنام معبودة ، وارحام مقطوعة ، وغارات مشنونة .

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا ، فعقد بملته طاعتهم ، وجمع على دعوته الفتهم : كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، واسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها ، فأصبحوا في نعمتها غرقين ، وفي خضرة عيشها فكهين ، قد تربعت الامور بهم ، في ظل سلطان قاهر ، وآوتهم الحال الى كنف عز غالب [1] . . . .

هكذا يصور الامام (ع) حال المجتمعات الفاسدة فيجعل للتفرقة نصيب الاسد في اسباب وجودها فيما يعطي للاستقامة والوحدة الدور الاكبر في نشوء المجتمعات الصالحة، وتقدم الحركات الثورية والايمانية نحو تحقيق طموحات وتيسير عجلة ثورتها الخطوات المطلوبة نحو الامام .

(١) نهج البلاغة خ١٩٢ : ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

٤ ـ التخاذل والتقاعس :

التخاذل والتقاعس مفردة اخرى من الامراض الاجتماعية التي كانت تهيمن على مجتمع الامام (ع)، حيث عانى منها معاناة شديدة اضطرت به في العديد من الاحيان الى ان يتجه اتجاه التقريع واللوم الشديدين في احاديثه مع هذه الشريحة ، وللتخاذل والتقاعس من حيث النشأة والاتساع في الوجود مبررات عديدة منها ما يعود الى خلفيات اخلاقية خصوصا لدى اولئك الذين تغدو الهموم الصغيرة همهم الاكبر ، والامور الثانوية شغلهم الشاغل . ومنها ما يعود الى ظروف اجتماعية متعددة كعوامل التخويف المعادي ، ومنها ما يعود الى ظروف ذاتية كالخوف من المعاناة بكافة اشكالها ، او الحذر من وطأتها ، او التواني في تحمل المسؤولية والتي تجر بطبيعتها الى التباطؤ في تنفيذ التوجيهات القيادية والتماهل في تلبية حاجة الواجب الاجتماعي ،وهو امر من الطبيعي ان يتحول عبر الزمن الى لا مبالاة في تحمل المسؤولية ، ومنها ما قد يعود الى عوامل ترتيب الاولويات في ذهن وسلوك الفرد او الشريحة الاجتماعية ، دون الرجوع بذلك الى تشخيص القيادة الاسلامية ذاتها حول طبيعة الاولوية التي يجب ان تحكم ذهن وسلوك الفرد والمجتمع :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله

امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[1] .

ففي الوقت الذي قد نجد فيه القيادة الاسلامية وهي تشخص في العمل الجهادي اولوية يجب ان تهيمن على السلوك الاجتماعي في مرحلة معينة ، قد نجد في هذا الوقت من يشخص لنفسه أو للشريحة الاجتماعية التي تتبعه أو تتأثر به اولويات اخرى كالاعمال التعبدية أو الاعمال التربوية او ما شاكل .

وعلى أي حال فان مراجعة بسيطة لكلام الامام (ع) عن المجتمع الذي كان يعيش فيه يشهد بشدة انتشار ظاهرة التقاعس والتخاذل . ومن جملة ذلك قوله (ع) :

الا اني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا واعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ، وملكت عليكم الاوطان ، . . . فيا عجبا عجبا ـ والله ـ يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ! فقبحا لكم وترحاً . حين صرتم غرضا يرمى : يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ امهلنا ينسلخ عنا الحر ،

(١) سورة الاحزاب / الآية : ٣٦ .

واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم : هذه صبّارة القر ، امهلنا ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فرارا من الحر والقر ، فاذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فأنتم والله من السيف افر[1] .

والى جانب آخر من جوانب التخاذل والتقاعس نجده يشير بقوله :

أفٌ لكم لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا ؟ وبالذل من العز خلفا ؟ اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كأنكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سكرة[2] .

وكذلك يقول (ع) :

ايها الناس المجتمعة ابدانهم ، المختلفة اهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس : كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم : حيدي حياد[3] . .

ومن خلال كلام الامام (ع) نجد أن لديه شعوراً حقيقياً بعدم وجود حساسية لدى هذا المجتمع ازاء مسألة حفظ الجبهة الداخلية وصيانتها من كافة ما يمكن أن يكون فطراً عليها ، سواء كان ذلك في اطار افشال خطط الاعداء للنفوذ اليها عبر حربهم النفسية او ما شاكل ، او في اطار ترميم التصدعات المعنوية التي ينفذ منها الوهن والتخاذل الى هذا المجتمع ، ومن خلال تعددية حديث الامام (ع) عن مخاطر ترك

(١) نهج البلاغة خ٢٧ ص ٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) ن . م خ٢٤ ص٧٨ .
(٣) ن . م خ٢٩ ص٧٢ ـ ٧٣ .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو المبدأ المخصص اسلامياً لحفظ الجبهة الداخلية للمجتمع الاسلامي . ومن خلال هذه التعددية يمكننا أن نلمس جانباً من جوانب العوامل التي ادت الى انتشار هذا المرض الخطير،فتركه يعني فتح الباب للعدو أن ينفذ بسهولة الى وسط هذا المجتمع ، وعدم العمل به يعني اشاعة حالة اللامبالاة في وسط المجتمع ازاء واجباته ، وهو لهذا كان كثير الدعوة للامة في ان تبادر لتحصين جبهتها الداخلية وتعزيز عناصر قوتها ، غير ان هذه الدعوة والعمل من اجل تنفيذ مستلزماتها لم يكن ليعني ان الامة قد التزمت بذلك بل انها ظلت مستمرة في سباتها ازاء مسائل الحق وتحمل المسؤولية فها هو الامام (ع) يقول :

ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ، ولم تهنوا عن توهين الباطل ، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، ولم يقو من قوي عليكم ، لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل . ولعمري ، ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق من وراء ظهوركم ، وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد[1] . .

وقوله (ع) ايضا :

فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[2] . . .

---

(١) ن . م ج١٦٦ ص٢٤١

(٢) ن . م ج١٩٢ ص٢٩٩

خاتمة الفصل :

ان جميع العوامل التي اشير اليها في اقسام الفصل الثلاثة قد لعبت دورها بشكل أو بآخر في احباط واحد من ارقى واروع المشاريع والنماذج القيادية ، وبذلك حرمت الانسانية من ان ترى مكاسب وانجازات هذه القيادة بشكلها الحقيقي رغم انها استطاعت ان ترى نتفاً منها جاد بها الوقت ضمن استراحة القائد المحارب .

ومهما تبدو الاخطار والعراقيل وخلفيات ذلك والتي اشير اليها ضمن القسمين الاول والثاني من الفصل ، من قوة وشدة بالشكل التي تجعل اي ممارسة شاملة للقيادة مهمة تكاد أن تكون مستحيلة ، فان الاخطار المتعلقة بالامة التي يعيش بينها القائد وفي كنفها والتي اشير اليها في القسم الثالث تبقى هي الاكثر شدة والاعظم وطأة .

فلقد لعبت عوامل اللاانقياد واللاانضباط في طاعة القيادة دوراً اهم واخطر بكثير من جميع العوامل الخارجية . وتبقى ـ موضوعياً ـ تمارس نفس هذا الدور اذا ما ووجهت الامة بعوامل خارجية اشد خطورة ، فالبناء الداخلي اذا ما كان قابلا للتصدع او متصدعا في الاساس ، فان اي قوة خارجية مهما بدت ضعيفة ستكون قادة على النيل منه والاضرار به ، هذا على العكس من البناء الذي يتمتع بقوة ذاتية وبتماسك وترابط وتلاحم قوي ، فان هذا البناء مهما بدا صغيراً فانه سيكون مؤهلا لصد

اقوى الجيوش واشدها باساً ، وما نملك من تجربة في الثورة الاسلامية في ايران في يومنا المعاصر كاف لمعرفة تفاصيل ذلك .

على اي حال ان هذه الامور ينبغي لنا ان ننظر اليها ليس باعتبارها تراثاً مينا ، بل يجب علينا أن نستفيد كل الاستفادة منها في واقعنا المعاصر من اجل ان تأتي حركة هذا الواقع اكثر نظافة وسلامة من كل هذه العوامل التي اودت بواحدة من اعظم الكفاءات القيادية البشرية . وهي حينما تملك مثل هذه القدرة، فان مما لا ريب فيه ان واقعنا المعاصر قيادة وقاعدة وحركة يعتبر اكثر قابلية للعطب والتأثير السلبي . الامر الذي يفرض علينا ايجاد حساسية شديدة ازاء كل ما يمكن ان يؤدي لايجاد هذا العطب او التمهيد لوجوده ، خصوصا واننا نعيش اكثر معارك التاريخ حسما ومصيرية .

فقادتنا مدعوون لايلاء هذه الامور اهمية قصوى .

وقاعدتنا مدعوة لابراز انصياع جاد وتحمل فاعل للمسؤولية ، ولتجسيد قدر اكبر من التضحية والعطاء من اجل سلامة حركة الثورة الاسلامية وحرصاً على دفع عجلاتها نحو الامام .

فنحن جميعا ـ قيادة وقاعدة ـ حملة امانة ثقيلة ، وهذه الامانة سبق للملايين من قبلنا ان تكبدوا على اعتابها وفي سبيلها شتى انواع المعاناة والآلام ، وقدموا في سبيل ذلك ركباً عظيماً من الشهداء والمضحين ، من اجل ان تصل هذه الامانة الى ايادينا ، وبدورنا من اجل ايصالها الى الجيل الذي تقع في يديه خلاصة وثمرة هذه الجهود التي تهدف الى اقامة دولة العدل الالهي العالمية ، لذلك فنحن مدعوون جميعا الى الوفاء الى تلك الجهود العظيمة من خلال تحمل جاد ومسؤول لهذه الامانة والمسؤولية ، ومن هو اولى منا بكل ذلك ؟ . . .

كلمة اخيرة :

الى هنا نقف في رحلتنا مع تراث امير المؤمنين (ع) الذي يبقى القول في حقه وفي تقييمه قاصراً عن بلوغ حقه ، وبعيداً عن الايفاء لحقيقته ، ولعلنا في محاولة اخرى ضمن هذه السلسلة التي تهدف الى ربط حركة الواقع الاسلامي المعاصر بدروس وتجارب تأريخنا بكل امجاده ومراراته سنرحل مرة اخرى في عباب بحر هذا التراث الماخر ، وهو أمل يحدوني بيد الله تحقيقه .

وقد وقع الفراغ منه عشية يوم ٢٦ / جمادي الثاني / عام ١٤٠٧ للهجرة على مهاجرها وآله الاف التحية والسلام ، بعد حوالي السنة والنصف من الشروع به ، في ظروف لم تكن طبيعية للكاتب فقد كتبت صفحاته في اوقات الفراغ أو بما يسنح من ظرف للكتابة على الرغم من ضيق الوقت الذي يمتلكه انسان يعيش بعيداً عن دياره وضمن ظروف المعركة والصراع ضد من سلب هذه الديار ، واني اذ اشكر الله العزيز المجيد على هذا التوفيق فاني ابتهل اليه ان يغمر بوافر لطفه وثوابه جميع الذين ساهموا بشكل او بآخر على أن يصدر هذا الكتاب بهذا الشكل وبهذا المحتوى ، وعلى رأسهم سماحة العلامة الحجة السيد محمد بحر العلوم الذي غمرني بلطف كبير لا ينسى حينما تقبل عناء مطالعة الكتاب

بشكل نقدي ، وحينما تفضل بكتابة مقدمة الكتاب التي اشعر بعدم استحقاقي لبعض تقييمه لهذا الجهد ، وقد استفدت كثيراً من ملاحظاته القيمة .

وكذلك الاخ الفاضل الدكتور كاظم الحداد على قيامه بمهمة تصحيح الكتاب وتحمله عناء ذلك .

وكذلك الاخت الفاضلة الحاجة هدى الجابري على طباعتها للنسخة الاولى من الكتاب .

سائلا المولي العلي القدير ان يعظم لهم الثواب والأجر وأن يوفر لي الفرصة المناسبة للوفاء الى هذا الجميل العظيم .

وبعد كل ذلك . . .

سيدي يا أمير المؤمنين . . .

انا أشعر أنني لم اوف ما يجب عليّ من حق تجاه مقامك الشامخ ، ولكن عذري أن هذا المقام لا يصله مثلي ولا يبلغه جهدي ، إذ أين الثرى من مقام الثريا ، على ان ما سطره قلمي العاجز هو أقل ما ينبغي لي القيام به ، فعذرا ثم عذرا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرست الكتب والمراجع

فيما يلي اسماء الكتب والمراجع والمصادر التي استفدنا منها بشكل أو بآخر أو ذكرت ضمن صفحات هذا الكتاب ، وقد كان بعضها قد أشير اليه مرة أو اكثر واكثرها اتخذت كمصدر ومرجع للبحث . ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أننا تعمدنا لأن تكون اغلب هذه المصادر والمراجع من كتب مذهب أهل السنة على اختلاف تشعباته ، لا لقلة في المصادر والمراجع الشيعية ، بل لان الاولى ضمن طبيعة البحث اقوى حجة واوفر برهانا ، وقد رتبت وفق الحروف الابجدية .

١) القرآن الكريم

٢) الاتحاف بحب الاشراف : الشبراوي .

٣) الاتقان لعلوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي .

٤) الاجتهاد والتقليد : السيد رضا الصدر

٥) احكام القرآن : احمد بن علي الجصاص الحنفي .

٦) احكام القرآن : محمد بن عبد الله بن العربي المالكي .

٧) احياء الميت : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي .

٨) احياء علوم الدين : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي .

٩) ارجح المطالب : عبد الله التسري الحنفي .

١٠) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : احمد بن محمد القسطلاني الشافعي
١١) اسباب النزول : ابو الحسن بن احمد الواحدي النيسابوري .
١٢) اسباب النزول : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي .
١٣) الاستيعاب : يوسف بن عبد البر القرطبي الاشعري .
١٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين ابن الاثير الجزري .
١٥) اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى : محمد بن علي الصبان الشافعي .
وفضايل اهل بيته الطاهرين
١٦) اسنى المطالب في مناقب : ابن الجزري محمد بن محمد الدمشقي الشافعي
علي بن ابي طالب (ع)
١٧) الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر احمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي .
١٨) اصول الكافي : محمد بن يعقوب الكليني الرازي .
١٩) اضواء على السنة المحمدية : محمود ابو رية .
٢٠) اطروحة المرجعية الصالحة : السيد الشهيد محمد باقر الصدر(ره)
٢١) اعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية .
٢٢) الامتاع والاسماع : احمد بن علي المقريزي الشافعي
٢٣) الاغاني : ابي الفرج الاصفهاني .
٢٤) انساب الاشراف : احمد بن يحيى البلاذري البغدادي .
٢٥) الانصاف : محمد بن الطيب الباقلاني
٢٦) اهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف : السيد الشهيد الصدر (قدس) .
٢٧) بحار الانوار : محمد باقر المجلسي .
٢٨) بحث حول الولاية : السيد الشهيد الصدر(قدس) .
٢٩) بحوث اسلامية ومواضيع اخرى : السيد الشهيد الصدر(قدس) .
٣٠) البداية والنهاية في التاريخ : اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .

٣١) بديع المعاني : الاذرعي .
٣٢) بيان العلم : ابن عبد البر القرطبي .
٣٣) تاج العروس في شرح القاموس : محمد المرتضى الزبيدي الحنفي .
٣٤) تأريخ ابي الفدا : ابي الفدا
٣٥) تاريخ الاسلام : حسن ابراهيم حسن
٣٦) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام : شمس الدين الذهبي .
٣٧) تأريخ اصبهان : ابو نعيم الاصفهاني .
٣٨) تأريخ القران : ابي عبد الله الزنجاني
٣٩) تأريخ الامم والملوك : محمد بن جرير الطبري .
٤٠) تأريخ بغداد : احمد بن علي الخطيب البغدادي .
٤١) تأريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي .
٤٢) تأريخ الخلفاء (او الامامة والسياسة) : عبيد الدين مسلم بن قتيبة الدينوري .
٤٣) تأريخ دمشق (ترجمة الامام علي(ع) : علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي .
٤٤)تأريخ الفكر السياسي : د. ابراهيم شوقي اباظة .
وعبد العزيز الغنام
٤٥) التأريخ الكبير : محمد بن اسماعيل البخاري
٤٦) تأريخ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب الاخباري
٤٧) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي
٤٨) تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبي .
٤٩) تذكرة خواص الامة : شمس الدين سبط بن الجوزي الحنفي
٥٠) التسهيل لعلوم التنزيل : الكلبي
٥١) تعليقة النووي على صحيح مسلم : ابو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي

٥٢) تفسير ابو السعود : ابو السعود
٥٣) تفسير البيضاوي : البيضاوي

٥٤) تفسير جامع البيان : محمد بن جرير الطبري
٥٥) تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي .
٥٦) تفسير الخازن : الخازن .
٥٧) تفسير روح البيان : البرسوي .
٥٨) تفسير روح المعاني : محمود بن عبد الله الالوسي الشافعي .
٥٩) تفسير فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني الصنعاني
٦٠) تفسير القرآن العظيم : اسماعيل بن كثير الدمشقي
٦١) التفسير الكبير : محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي
٦٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا
٦٣) التفسير المنير لمعالم التنزيل : الجاوي
٦٤) تفسير النسفي : النسفي
٦٥) تلخيص المستدرك على الصحيحين : شمس الدين الذهبي
٦٦) تمام المتون : الصفدي
٦٧) تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني
٦٨) تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول (ص) : عبد الرحمن بن الديبع الشيباني الشافعي
٦٩) جامع الاصول : مبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير الشيباني الشافعي
٧٠) الجامع الصغير : جلال الدين السيوطي
٧١) الجامع لاحكام القرآن : يحيى بن سعدون القرطبي
٧٢) الجرح والتعديل : ابن المنذر
٧٣) الحسين بن علي اماما وشهيدا : عبد الله العلايلي
٧٤) جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي
٧٥) جواهر البحار : يوسف بن اسماعيل النبهاني البيروتي
٧٦) جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام : الشيخ محمد حسن النجفي

٧٧) الحاوي للفتاوي : جلال الدين السيوطي
٧٨) الحركة الاسلامية قضايا واهداف : كليم صديقي
٧٩) الحكومة الاسلامية : الامام روح الله الموسوي الخميني
٨٠) حلية الاولياء : ابو نعيم الاصفهاني
٨١) حياة الامام الحسين بن علي(ع) : باقر شريف القرشي
٨٢) الخراج : ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم
٨٣) خصائص امير المؤمنين (ع) : احمد بن شعيب النسائي .
٨٤) الخصائص الكبرى : جلال الدين السيوطي .
٨٥) الخلافة والامامة : عبد الكريم الخطيب .
٨٦) خلافة الانسان وشهادة الانبياء : السيد الشهيد الصدر(قدس) .
٨٧) خلفاء الرسول : خالد محمد خالد .
٨٨) الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور : جلال الدين السيوطي
٨٩) دلائل النبوة : ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني
٩٠) دروس في علم الاصول : السيد الشهيد الصدر (قدس) .
٩١) ذخائر العقبى : محب الدين احمدبن عبدالله الطبري الشافعي
٩٢) رسالة النقض على العثمانية : الاسكافي
٩٣) رشفة الصادي : ابي بكر الحضرمي .
٩٤) الرياض النضرة : محب الدين احمد بن عبد الله الطبري
٩٥) زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي .
٩٦) سبيل النجاة في تتمة المراجعات : حسين الراضي
٩٧) سر العالمين وكشف ما في الدارين: ابي حامد الغزالي
٩٨) السقيفة والخلافة : عبد الفتاح عبد المقصود
٩٩) سمط النجوم العوالي : عبد الملك العاصمي الملكي
١٠٠) سنة اهل البيت ومواضيع اخرى : السيد محمد تقي الحكيم .
١٠١) سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد بن ماجة القزويني .

١٠٢) سنن ابي داود السجستاني : ابي داود الازدي الحنبلي .
١٠٣) سنن الترمذي : محمد الضحاك الترمذي .
١٠٤) السنن الكبرى : احمد بن حسين ابو بكر البيهقي .
١٠٥) سيرة الائمة الاثني عشر : هاشم معروف الحسني .
١٠٦) السيرة الحلبية أو (انسان العيون
في سيرة الامين المأمون) . : الحلبي الشافعي .
١٠٧) سيرة عمر بن الخطاب : ابن الجوزي الحنبلي .
١٠٨) السيرة النبوية : ابن هشام الحميري .
١٠٩) السيرة النبوية والآثار المحمدية : احمد زيني دحلان .
١١٠) شرح ديوان امير المؤمنين (ع) : كمال الدين الميبدي .
١١١) شرح المواهب : الزرقاني
١١٢) شرح نهج البلاغة : عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي .
١١٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : عبيد الله بن عبد الله النيسابوري
الحاكم الحسكاني الحنفي .
١١٤) صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري .
١١٥) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري .
١١٦) صفة النفاق : ابو نعيم الاصبهاني .
١١٧) الصواعق المحرقة في الرد على
اهل البدع والزندقة . : شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي الشافعي
١١٨) طبقات الحنابلة : ابو بكر البيهقي .
١١٩) الطبقات الكبرى : محمد بن سعد الزهري .
١٢٠) طرق حديث الولاية : شمس الدين محمد بن احمد الذهبي .
١٢١) عبد الله بن سبأ : السيد مرتضى العسكري .
١٢٢) العقد الفريد : احمد بن عبد ربه الاندلسي المالكي .

١٢٣) علل الحديث : ابن ابي حاتم .
١٢٤) علم الكتاب : الخواجة الحنفي .
١٢٥) عمدة القاري : الطحاوي
١٢٦) العمل الحزبي
١٢٧) عناصر المجتمع الصالح في القرآن : للمؤلف .
الكريم (مخطوط) .
١٢٨) عوائد الايام : المولى احمد النراقي .
١٢٩) عيون الاخبار : ابن قتيبة الدينوي .
١٣٠) الغدير في الكتاب والسنة والادب : الشيخ عبد الحسين احمد الاميني النجفي .
١٣١) الغلو والفرق الغالية في
الحضارة الاسلامية . : عبد الله سلوم السامرائي .
١٣٢) الفتاوى الواضحة : السيد الشهيد الصدر (قدس)
١٣٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري : العسقلاني .
١٣٤) فتح البيان في مقاصد القرآن : صديق حسن خان .
١٣٥) الفتح الكبير : يوسف بن اسماعيل النبهاني البيروتي .
١٣٦) فرائد السمطين في فضائل
المرتضى والبتول والسبطين . : ابراهيم بن سعد الجويني الحموينى .
١٣٧) الفضائل : احمد بن حنبل .
١٣٨) فقه السيرة : محمد سعيد رمضان البوطي .
١٣٩) في رحاب ائمة آل البيت
(الامام امير المؤمنين(ع) : محمد بحر العلوم
١٤٠) في ظلال القرآن : سيد قطب .
١٤١) القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشافعي
١٤٢) القرآن في الاسلام : السيد محمد حسين الطباطبائي .
١٤٣) الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشاف : ابن حجر .

١٤٤) الكامل في التاريخ : علي بن محمد ابن الاثير الجزري .
١٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري .
١٤٦) كفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر : الرازي القمي .
١٤٧) كفاية الطالب في حياة علي بن ابي طالب (ع) : الشنقيطي .
١٤٨) كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب (ع) : محمد بن يوسف الكنجي الشافعي .
١٤٩) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : علي بن حسام المتقي الهندي .
١٥٠) كنوز الحقائق : المناوي
١٥١) اللالي ء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة : جلال الدين السيوطي .
١٥٢) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور
١٥٣) لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني .
١٥٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ابو الحسن علي بن ابي بكر الهيثمي .
١٥٥) المحاسن والمساوىء : البيهقي .
١٥٦) محاضرات الادباء : الراغب الاصبهاني .
١٥٧) محمد وعلي وحديث الثقلين وحديث السفينة : الشيخ نجم الدين العسكري .
١٥٨) المدرسة القرآنية : السيد الشهيد الصدر (قدس) .
١٥٩) المراجعات : السيد عبد الحسين شرف الدين
١٦٠) مرآة الجنان وعبرة اليقظان : عبد الله بن سعد اليافعي .
١٦١) مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين المسعودي .
١٦٢) المسألة الفبادية في الاسلام (مخطوط) : للمؤلف .

١٦٣) المستدرك على الصحيحين : الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري الحسكاني .
١٦٤) المسترشد : محمد بن جرير الطبري .
١٦٥) المستصفى في اصول الفقه : ابي حامد الغزالي .
١٦٦) مسند احمد : احمد بن حنبل الشباني .
١٦٧) مسند الكلابي : الكلابي
١٦٨) مشكل الآثار : الطحاوي .
١٦٩) مصابيح السنة : الحسين بن مسعود الغراء الشافعي .
١٧٠) موضح اوهام الجمع والتفريق : الخطيب البغدادي .
١٧١) مطالب السؤول : محمد بن طلحة الشافعي .
١٧٢) معالم التنزيل : البغوي .
١٧٣) المعجم الصغير : ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني
١٧٤) المعجم الكبير : الطبراني
١٧٥) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي .
١٧٦) معرفة علوم الحديث : الحاكم الحسكاني .
١٧٧) المعيار والموازنة في فضائل الامام امير المؤمنين (ع) : ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي الاسكافي .
١٧٨) مغني اللبيب : محمد الازهري .
١٧٩) مقتل الحسين (ع) : موفق بن احمد قطب الخطباء الخوارزمي .
١٨٠) الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الأشعري
١٨١) مناقب الامام علي (ع) : الخوارزمي .
١٨٢) مناقب بن شهر آشوب : ابن شهر اشوب .
١٨٣) مناقب علي بن ابي طالب (ع) : ابو الحسن علي بن محمد بن المغازلي الشافعي .

١٨٤) منتخب كنز العمال : علي بن حسام المتقي الهندي .
١٨٥) المنتخب من كبار ذيل المذيل : الطبري .
١٨٦) منهاج السنة : ابن تيمية الحنبلي .
١٨٧) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : احمد بن علي المقريزي الشافعي .
١٨١) مناقب الامام علي (ع) : الخوارزمي .
١٨٢) مناقب بن شهر اشوب : ابن شهر اشوب .
١٨٣) مناقب علي بن ابي طالب (ع) : ابو الحسن علي بن محمد بن المغازلي الشافعي .
١٨٤) منتخب كنز العمال : علي بن حسام المتقي الهندي .
١٨٥) المنتخب من كبار ذيل المذيل : الطبري .
١٨٦) منهاج السنة : ابن تيمية الحنبلي .
١٨٧) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : احمد بن علي المقريزي الشافعي .
١٨٨) المواقف في علم الكلام : القاضي عبد الرحمن بن احمد الايجي الشافعي .
١٨٩) المواهب اللدنية بالمسخ المحمدية : احمد بن محمد القسطلاني الشافعي .
١٩٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن احمد الذهبي الشافعي .
١٩١) ميزان الحكمة : الشيخ محمدي ري شهري .
١٩٢) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي
١٩٣) نزهة المجالس : عبد الرحمن الصفوري الشافعي .
١٩٤) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية : محمد بن عقيل العلوي .
١٩٥) نظرة عامة في العبادات : السيد الشهيد الصدر (قدس)
١٩٦) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين : محمد بن يوسف الزرندي الحنفي

١٩٧) نقد عين الميزان : محمد بهجت .
١٩٨) نهاية الارب : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري
١٩٩) نهج البلاغة : الامام علي (ع)
٢٠٠) نوا الاصول : الحكيم الترمذي .
٢٠١) نور الابصار في مناقب آل النبي المختار : مؤمن الشبلنجي .
٢٠٢) وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي .
٢٠٣) وقعة صفين : نصر بن مزاحم المنقري .
٢٠٤) ينابيع المودة لذوى القربى : سليمان القندوزي الحنفي .
٢٠٥) الهادي الى موضوعات نهج البلاغة : الشيخ علي المشكيني .

* وهناك كتب اخرى ذكرت في مضان البحث .

فهرست المباحث

فاتحة الكتاب ٥

مقدمة العلامة الحجة السيد محمد بحر العلوم ٧ ـ ١٢

مقدمة المؤلف : ضرورات الاهتمام بالتأريخ الاسلامي * صعوبات جمة امام الدارسين للتأريخ الاسلامي * صعوبات تتأكد حينما نتناول شخصية الامام (ع) . ١٣ ـ ٢٦

الاهـداء ٢٧

تمهيد : كيف نفهم امير المؤمنين (ع)؟ ٢٩ ـ ٣٨

الفصل الاول : المسألة القيادية في الاسلام ٣٩ ـ ٢٣٠

القسم الاول : الاصول الفكرية والموضوعية للقيادة في الاسلام . ٤٣ ـ ١١٢

على اعتاب المشكلة .

القيادة ضرورة ملحة .

الباب الاول : الاصول الفكرية للقيادة في القرآن ٥٧ ـ ٨٥

الهدف القرآني * فرصة افضل لفهم مبدأ الهداية في القرآن * الاستراتيجية القرآنية : كيف اشير اليها في

القرآن * مجتمع المتقين كصيغة استراتيجية * الله هو القيادة العليا للمجتمع الاسلامي وهو الذي يحدد للتحرك الاسلامي اهدافه واستراتيجية التحرك المطلوب واسلوبها التكتيكي اللازم * النص الالهي في تعيين القيادة السياسية للمجتمع الاسلامي ضرورة * النبوة اعلى قيادة سياسية في الارض وحلقة الوصل بين المجتمع الاسلامي والقيادة السياسية العليا .

من وهو ولي الامر ؟ ٧٧ ـ ٨٥

اسباب جعل ميتة الجاهلية لمن لم يعرف امامه ؟ ولي الامر الذي اشير اليه في القرآن لا بد ان يكون معصوماً * راي الفخر الرازي في عصمة ولي الامر * ولي الامر ليس هو فئة العلماء * تفنيد رأي القرطبي والزمخشري * اولو الامر ليسوا هم امراء السرايا كما انهم ليسوا اهل الحل والعقد * جميع صلاحيات النبوة ومهماتها تنتقل الى ولي الامر * ولي الامر القيادة السياسية للمجتمع بعد الرسول (ص) .

الباب الثاني :البواعث الموضوعية لتشخيص القيادة بعد الرسول(ص) . ٨٧ ـ ١١٢

ظروف الثورة * التربية الرسالية معاناة لا يمكن احلالها في الوسط الاجتماعي بسهولة * ظاهر السلوك الاجتماعي لا يمكن ان يكون تعبيراً مطلقاً عن المحتوى الحقيقي لهذا السلوك * الرسول تمكن من تصفية ظاهر السلوك الاجتماعي وجعله اسلامياً بشكل

عام * غير أن محتوى السلوك الاجتماعي لم ينجز على طريقه الا القليل * تعليم الشريعة لم يكن مكتملا حينما توفى الرسول (ص)* الاجتهاد في قبال النص محرم * من اجل حفظ الرسالة واتمام مسيرتها كان لا بد على الرسول (ص) ان يعين قيادة نائبة له .

ظروف مجتمع الثورة : الرسول (ص) كان يحس ان التركيبة السياسية في المجتمع تحتاج لضمان امن الاسلام لتشخيص القيادة * الرسول (ص) كان قد شهد وهن العديدين من صحابته وانحرافهم * الرسول (ص) كان يحذر من الانحراف من بعده * الرسول (ص) شخص القيادة من بعده وقد جاء ذلك للحفاظ على الاسلام وثورته .

القسم الثاني : قيادية امير المؤمنين (ع) في الكتاب الكريم والسنة الشريفة : الاشارة الى المصاديق الشرعية التي تنسجم مع ما اوردناه من افكار ومفاهيم سابقا . ١١٣ ـ ٢١٤

الباب الاول : قيادية امير المؤمنين (ع) في الكتاب . ١١٥ ـ ١٦٦

أولاً : آية الولاية : المعني بالذين آمنوا في هذه الآية هو قدوة ورمز حزب الله وهو معصوم * والآية نزلت بحق امير المؤمنين (ع) * حديث الراية يفصح اكثر عن ذلك * ابن تيمية يكذب غالبية ائمة الحديث والتفسير * محمد رشيد رضا يستكثر على القرآن بلاغته الاعجازية * الزمخشري يدحض

رأي محمد رشيد رضا * وسيد قطب يقول ان الذين آمنوا هي الجهة الوحيدة للولاء .

ثانياً : آية التطهير : نزول الآية بحق اهل البيت (ع) * الرسول (ص) يشخص معنى كلمة اهل البيت (ع) * دلالة الآية على عصمة اهل البيت (ع) * الرد على شبهة الزمخشري * تفنيد رأي عكرمة فالاية لا تعني نساء النبي (ص) مطلقاً . ١٢٩ ١٣٥

ثالثاً : آية المباهلة : امتداد الامامة لخط النبوة . ١٣٦ ـ ١٤٠

رابعاً : آية التبليغ :الافصاح عن القيادة * المطالبة بالبيعة للقيادة * ١٤١ ـ ١٥١ حديث الغدير ورواته * تشكيكات واهنة * الرسول (ص) اشجع من ان يخاف من القتل والموت * لماذا يستعمل القرآن لهجة قاسية وصارمة في مثل هذه الآية ؟ * مغزى وقوع الآية بين آيتي تبشير وتحذير .

خامساً : آية اخرى :آية المودة * آية خير البرية* آية الاطعام * آية ١٥٢ ـ ١٦٢ شراء النفس * آية النصرة * آية معاهدة الله * آية السقاية .

الباب الثاني :قيادية امير المؤمنين (ع) في احاديث ١٦٥ ـ ٢١٤ الرسول (ص) * الصحابة لا علاقة لهم بالسنة .

١) حديث الثقلين * الفاظ متعددة * دلالات الحديث ١٦٧ ـ ١٧٤ الخلافة منوطة بكتاب الله واهل البيت * دلالة الحديث على العصمة * شبهة واهية .

٢) حديث المنزلة:دلالات الحديث * امتداد الامام (ع) ١٧٥ ـ ١٨١ للرسول (ص) رساليا * شبهة القسطلاني والرد عليها *

تماثل دور الرسول (ص) والامام (ع) .

٣) حديث الاداء: الامامة امتداد وحيد وطبيعي للنبوة* الامامة ١٨٢ ـ ١٩٠ جهة الحسم في الاختلاف * الامامة جهة العلم الرسالي * الامامة سبيل الهداية * الامامة قدوة واسوة للمسلمين * الامام حجة الله على خلقه .

٤) احاديث الاقتداء :علاقة الاحاديث مع ما ذهبنا اليه في ١٩١ ـ ١٩٨ القسم الاول من الفصل * الاحاديث تستهدف تهيئة الارضية النفسية والفكرية لدى المجتمع كي تتقبل قيادية امير المؤمنين (ع) .

٥) حديث خلفائي كلهم من قريش . ١٩٩ ـ ٢١٤
ولكن لماذا حدث الذي حدث ؟ احداث وشواهد لها دلالات على طبيعة ما حدث * نموذج من احتجاج الامام (ع) * محاورات ابن عباس وعمر بن الخطاب * الخطبة الشقشقية * ضغائن قريش على الامام (ع) * البيعة فلتة * رزيه يوم الخميس * القصيدة الجلجلية .

القسم الثالث : استنتاجات لواقعنا المعاصر . ٢١٥ ـ ٢٢٥

القيادة ضرورة في كل زمان * القيادة تعين بنص شرعي * العلماء امتداد شرعي وطبيعي للامامة * قيادة العلماء لا قيادة الاحزاب * الاحزاب تكتسب شرعية وجودها من المرجعية لا العكس * صفات المرجع * الاعلمية * العلم وحده لا يكفي بل لا بد من العدالة * ضرورة

العمل لاقامة الحكومة الاسلامية * التصدي لحمل هموم الامة * بعد جديد في علم العالم * امتداده طبيعياً وسط الامة * صلاحيات المرجع وحدود ولايته * جميع صلاحيات الامامة تنتقل الى المرجعية الا ما كان فيه نص .

الفصل الثاني : امير المؤمنين في اخلاقية القيادة والانقياد. ٢٢٩ ـ ٣٥٧

القسم الاول : واجبات الانقياد وعناصره* مميزات القيادة ٢٣٢ ـ ٢٧٣ الاسلامية المناقبية عن غيرها * الروابط مع هذه القيادة تحددها القيم الشرعية اولاً : .

١) الطاعة المطلقة : التسليم المطلق* الاسلام ٢٣٥-٢٤٠ يرفض القاعدة التي تتعامل مع القيادة بشروط * اطاعة الامام المطلقة لرسول الله (ص) .

٢) التضحية ـ اهمية القاعدة المضحية * دور القاعدة ٢٤١ ـ ٢٦٦ في صنع القيادة * صور من تضحية الامام (ع) لرسول الله (ص) ورسالته * مدلولات تضحية الامام (ع) * الجزاء لا يرتبط بالنتيجة بل ببواعث العمل .

٣) التأسي والاقتداء ـ ندرة انتقال التأسي والاقتداء من ٢٦٦ ـ ٢٧١ السلوكية الاجتماعية الى السلوكية الذاتية * مظاهر من اقتداء الامام (ع) بالرسول (ص) .

٤) التبني لمشاريع القيادة. ٢٧٢ ـ ٢٧٣

القسم الثاني : واجبات القائد وشروطه ـ القيادة تكليف لا تشريف ٢٧٤ ـ ٣٥١ القيادة في منظار الامام (ع) * المسؤولية * المعيار الاساسي .

١) المبادرة ـ مشاكل في مواجهة العمل القيادي * ٢٧٨ ـ ٢٩٣ مخاطر المرحلية في العمل * احدى مسارب الانحراف * الامام (ع) والمبادرة * المبادرة على الصعيد التنظيري * المبادرة والفرص * الاقدام * عواقب عدم استغلال الفرص * المبادرة في الحالات السلبية * المبادرة بقدر الامكانات المتاحة للاستيعاب * المبادرة والتهيؤ لفرص الخير * المبادرة في سلوكية الامام (ع) العملية * مكاسب المبادرة ليست عاجلة بالضرورة .

٢) الشجاعة : الشجاعة ليست شجاعة البدن ٢٩٤ ـ ٣٠٤ فحسب * الشجاعة في تبني المواقف السياسية * الشجاعة والحكمة * الشجاعة نصرة حاضرة . آفة الشجاعة * الغرور * اضاعة الحزم .

٣) المواساة : ٣٠٥ ـ ٣٠٨

٤) الحزم : مشاكل القيادة غير الحازمة اصحاب ٣٠٩ ـ ٣١٦ الهموم الصغيرة المتطرفين * العوامل المضادة الداخلية * المؤمنون * مصاعب

تشخيص الهدف * العوامل المضادة
الخارجية * الامام (ع) والحزم .

٥) القدرة الادارية والتنظيمية : مخاطر التنظيم *٣١٨ - ٣٢٢
ضرورة التنظيم * تقسيم المسؤوليات
وتوزيع الاعمال *الجهاز الاداري .

٦) سعة الصدر : اغلب المخاصمات وليدة٣٢٣ - ٣٢٧
حساسيات ،نفسية مدلولات ضيق الصدر *
العوامل الشعورية واثرها على القائد ، سعة
الصدر والامام (ع) * مقومات سعة الصدر
عند الامام .
(أ) طرق تلقي الحكمة .
(ب) الصبر . (ج) الحلم .

٧) وضوح الهدف والايمان به : ٣٢٨ - ٣٣٠

٨) الاعتداد المناسب بالنفس - ضرورة وخطورة . ٣٣١ - ٣٣٤

٩) القدرة على تشخيص المرحلة ،حسن وحكمة هذا٣٣٥ - ٣٤٠
التشخيص ،سرعة التشخيص ، سلوكية
الامام (ع) .

١٠)قوة الارادة وهيبة الشخصية : ٣٤١ - ٣٤٥

١١) جذب حب الجماهير : ٣٤٦ - ٣٤٨

١٢) التقوى - التقوى وعملية التغيير الاجتماعي ،التقوى ٣٤٩ - ٣٥٤
عامل جذب ودفع في آن واحد ،الامام يصف
التقوى .

خاتمة الفصل : لم نكن نستهدف المقارنة بين الشروط الموضوعية ٣٥٥ - ٣٥٧
للقيادة والامام (ع) ،ملاحظات ونتائج .

الفصل الثالث : اسباب عدم بلوغ قيادة الامام (ع) بعدها ٣٦٥ - ٤٨٢
الحقيقي .

القسم الاول : الحياة الاجتماعية والسياسية قبل خلافة امير ٣٦٣ - ٤١٠
المؤمنين (ع) .

١) الفهم الخاطيء للاسلام ومفاهيم القيادة ٣٦٤ - ٣٨١
وسلوكياتها :

أ - تجريد القيادة من بعدها الديني والتشريعي .

ب - التقييم البشري للاحداث والمواقف ومدرسة
الرأي الفقهية سلوكيات شاذة * وطء
الاصوات المعارضة في سقيفة بني ساعدة *
قتل مالك بن نويره * الاعمال التي حدثت
في بيت فاطمة (ع) * قتل سعد بن عبادة *
استخدام الضوضاء والفوضى في تعميم
البيعة * سياسة الترغيب * توزيع
المسؤوليات .

٢) سياسة العطاء وممارسة التميز الطبقي - تسوية ٣٨٢ - ٣٨٦
العطاء في زمن الرسول (ص) وفي زمن
ابي بكر - عمر يميز في العطاء - شيوع
الطبقية في المجتمع - ندم عمر على فعلته .

٣) وضع الولاة والعمال - مفارقات صريحة لسلوكية ٣٨٧ - ٣٩٣

ومفاهيم الاسلام ـ والي الخليفة في البصرة يزني ولا يقام عليه الحد . الرياء في عمل الولاة وعمالهم ـ معاناة المجتمع ـ نشوء بذور التسرب العقيدي المرتبط باليهود والنصارى والوثنيين * عمر يمنع فقهاء الصحابة من الخروج من المدينة والرواية عن الرسول (ص) .

٤) سياسة عثمان ـ احوال المسمين حكما على بني٣٩٤-٤٠١
امية * الخليفة يعتدي بضرب كبار الصحابة ـ وضوح التمايز الطبقي في المجتمع ـ فسق الولاة .

٥) ضغائن قريش وموتوري الاسلام * قتلى٤٠٢-٤٠٥
المشركين والكافرين متعلقون جميعا بالامام (ع) لانه وصي الرسول (ص) الواقعي * استغراب بعض المؤرخين من عدم اغتيال الامام (ع) بعد الرسول (ص) .

٦) معاوية وولاية الشام ـ عاصمة الموتورين . ٤٠٦-٤١٠

القسم الثاني : الاوضاع السياسية والاجتماعية التي هيمنت على٤١١-٤٤٩
حكم الامام (ع) .

١) الحرب الداخلية ـ ميزة حروب الخلفاء قبل٤١١-٤٢٣
الامام (ع) ـ آثار الحرب الداخلية في مجتمع الامام * آثار حرب الجمل

وانعكاساتها الاجتماعية * مدلولات حرب صفين وتأثيراتها السياسية والاجتماعية * ايجابيات حرب صفين بالنسبة الى معاوية ـ الانشقاق الخارجي وحرب النهروان .

٢) السياسة المالية ـ المساواة ورفض التمايز٤٢٤-٤٣٠
الاجتماعي ـ اول ما انكر من كلام الامام (ع) ـ المعارضة تطلب ابقاء الاموال المنهوبة من بيت المال بيدها والامام يرفض *فتبتدىءالمعارضة بالعمل على عرقلة مسيرة الامام (ع) .

٣) رفض المساومة والمهادنة : في اقامة الاحكام٤٣١-٤٣٤
ـ في تنفيذ القصاص ـ العدالة حتى مع المحبين .

٤) أساليب وممارسات معادية : ٤٣٥-٤٤٩
أ ـ الشغب والخداع السياسي .
ب ـ شراء الضمائر .
ج ـ السياسة الاعلامية * التضليل الاعلامي * التطبيل الاعلامي * التعتيم الاعلامي .
د ـ الغدر والقتل والارهاب .

القسم الثالث : عوامل الخلل في مجتمع الامام (ع) * الفتنة٤٥٠-٤٨٢
حينما تهجم تحصد الاخضر واليابس * عوامل نشوء الفتنة لا تلاحظ بسهولة في السطح الاجتماعي * تأسيس الدولة الاموية نتاج مباشر

للفتنة التي اكتسحت مجتمع الامام (ع) *
اساس الفتنة عدم الانصياع وخذلان الامام *
عوامل نشأة عدم الانصياع .

١) حب الدنيا * تصحيح مفهوم حب الدنيا * حب الدنيا ضمن نظرية الخلافة البشرية - حمل الامانة الالهية يقتضي موقفا ايجابيا من الدنيا - مخاطر حب الدنيا واثره في الحركة الاجتماعية * عوامل نشأة حب الدنيا في مجتمع الامام (ع) . ٤٥٥ - ٤٦٢

٢) التواكل: ٤٦٣ - ٤٦٤

٣) ضعف الوحدة وشيوع الخلاف * الظلم اساس الخلاف * عوامل نشأة الفرقة في مجتمع الامام (ع) * الوحدة والولاء للقيادة الاسلامية * الوحدة والفتنة . ٤٦٥ - ٤٧٤

٤) التخاذل والتقاعس * عوامل نشأة التخاذل * اهمية حفظ الجبهة الداخلية وتحصينها . ٤٧٥ - ٤٧٨

خاتمة الفصل: ٤٧٩ - ٤٨٠

كلمة اخيرة: ٤٨١ - ٤٨٢

فهرست الكتب والمراجع: ٤٨٣ - ٤٩٣

فهرست الابحاث: ٤٩٥ - ٥١٢

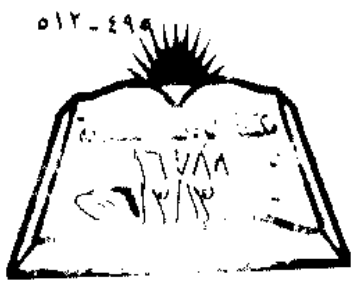

طبع على مطابع

دار الزهراء

بيروت - لبنان: ص.ب: ٩٣٧٠ - تلفون المنزل: ٨١٥٦٨٦-٨٦٠٤٩٨
الفن ستنتر: كورنيش الزعبلاوي، المطابع الخامسة تلفون: ٣٠١٦٠٩
بئر العبد: خلف جمعية الحسين بن علي تلفون: ٨٣٣٥٦٢